الكاشف لدقائق المفردات القرانية

إيمان بنت عبد اللطيف كردي

اعداد

الدكتور

هشام محمد طاهر الحربي

كتاب
الكاشف
لدقائق المفردات القرآنية

- المقدمة -

[المقدمة]

الحمد لله الذي أنزل كتابه الكريم نورًا وهدى وتبصرة، وبيَّن لنا فيه شرعَه الحكيم ويسَّره، وأصلّي وأسلّم على نبيه الكريم الذي بشّر به كلَّ عبد من إنس وجن وأنذَره، وعلى آله وصحبه وكل من تبعه وعظّمه ووقَّرَه، أما بعد:

فهذه خلاصة أقدّمها بين يدي القارئ الكريم، تناولتُ فيها دقائق المفردات القرآنية مع بعض الجمل وأشباه الجمل التي قد يُشكل فهمُها على القارئ؛ فبيّنت معانيها بأسلوب واضح مبسط، مستنيرة بعدد من المراجع المعتبرة: من كتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب العقيدة، والفقه، ومعاجم اللغة.

ولقد منّ الله عليّ بالبحث عن هذه الدقائق، ورأيتني في رحلة التدبر أتنقّل بين خمائلَ وارفة: تشرق من بينها شمس المعاني فتغمرها بالجمال والدفء، وتبعث فيها الضوء ببيان آسر، ونور باهر يظهر من خلاله سيل يتدفق بين السطور كما يتدفق الماء المَعين؛ فتتفتّق تلك الألفاظ كما يتفتّق الورد في أكمامه، وتكتمل المعاني كما تُكمّل الأزهارُ والثمار جمال الروض الأنيق.

فأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل ومن أسهم فيه من المقبولين، وأن يعمّ بنفعه الأمة والدِّين!!

وأسأله تعالى أن يتجاوز عن السهو والتقصير، فما هذا البحث في عظمة كتاب الله إلا جهد يسير؛ بل هو نعمة تُشعر المرء بالعجز عن شكر ربه، وأجدني أصف هذا الجهد المتواضع بكلمات كتبتها بمشاعر القلب، لا بمداد القلم:

لك الحمد ربي مستفيضًا بلا عددْ ... لك الحمد كل الحمد دومًا بلا أمدْ
لك الحمد يا منّان تعطي تفضُّلا ... وخير العطايا في هداية من رشَد
لك الحمد في نور الكتاب غمرتني ... به أشرقت نفسي وقلبيَ والجسد
وهذا يراعي في سبيلك ظاميا ... على منهل المجد المؤثل قد ورد
ومن سلسبيل الخير ما زال يرتوي ... به أمتلي شوقًا إلى الواحد الأحد
فمن فيضهِ ساحاتيَ الجُرد أورقت ... كقيعان قفرٍ هزّها الماء والبرَد
لك الحمد بالفضل العظيم حبوتني ... ففي خدمة القرآن تشريف من عَبد
وأضحَى انغماسي في كتابك جنتي ... ومأوى فؤادي كلما نالني الكبد
فمن روضهِ أجني قطاف حروفه ... وأحذي بها من للتدبّر قد قصد
فلم آلُ بحثًا كي أنال مطالبي ... ولم آلُ جهدًا فيه، من جدّ قد وجد
فيا رب أرجوك القبول لمنحة ... فأنت المرجّى في الحوائج والصمد
وأزجي صلاتي للنبي وآله ... صلاة وتسليمًا عليه إلى الأبد

شكر وتقدير

الحمد لله أوّلًا وآخرًا على ما وفّقني له من إتمام هذا الكتاب؛ فمن مِنَّة الله تعالى عليّ وفضله العظيم أن جعل اشتغالي بكتابه الكريم، ثم منَّ عليّ مرة أخرى بطباعته؛ ليكون عِلمًا نافعًا، وأسأل الله تعالى الإخلاص والقَبول.

وأقدّم عظيم الشكر والعرفان لوالدَيّ الكريمَيْن اللذين غرسا في مهجتي حبَّ القرآن.

والشكر موصول لزوجي الفاضل الدكتور/ عبد الله بن محمد بهجت، على دعمه المادي والمعنوي وعونه المستمر وتشجيعه، وإعادة إرسال المفردة لمجموعاته؛ ليعظم الأجر بالنشر.

كما أتقدم بفائق الشكر والتقدير لسماحة الشيخ الدكتور/ مساعد الطيار؛ على توجيهاته وإرشاداته الكريمة التي كان لها عظيم الفائدة. وللدكتورة الفاضلة/ منال العتيبي؛ على الآراء النيرة.

والشكر للأستاذ الفاضل/ ماجد عبد الغني، من مركز تفسير؛ لتسهيل التواصل مع العلماء.

ثم أشكر كل من ساهم في إخراجه وتوفير المعلومة وتيسير الوصول إليها، وعلى رأسهم: القائمين على (المكتبة الشاملة والباحث القرآني) فكم ساهمَتَا -بفضل الله- في تيسير البحث والكتابة.

كما أشكر أختي الفاضلة الدكتورة/ نجلاء بنت عبد اللطيف كردي، أستاذ البلاغة والنقد بكلية التربية؛ على ما منحتني من عزيز وقتها لتصحيح بعض الأخطاء اللغوية.

وكذلك أختي الدكتورة/ زينب بنت عبد اللطيف كردي، أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الإمام؛ فقد أعطتني من وقتها وأفكارها الكثير خاصة في طريقة تنظيم الكتاب وعرضه.

والشكر ممتدٌّ للمشرف العام على مركز «ألوان الطيف» للنسخ والتصوير بجدة، الأستاذ/ عبد الوَهّاب سعد سالم؛ على تفضّله بمراجعة المادة لغويًّا، وبذله الجهدَ في إنجازه في وقت يسير.

ولشركة «مجموعة القمة» التي كان لها المبادرة في تصميم الكتاب بشكل رائق أول الأمر.

ثم لمركز «خاطر للخدمات العلمية والدراسات» الذي تولّى الكتاب بعد ذلك بالتصميم، وإتمام المراجعة والتدقيق اللغوي وحسن الإخراج الفني، حتى جاء الكتاب في هذه الحُلَّة القشيبة.

وأخص بالذكر: المشرف العام على المركز د. أحمد خاطر، الذي أشرف على الكتاب في جميع مراحله وأدق تفاصيله، جزاه الله خيرًا.

[أهداف الكتاب]

١ - جمْعُ ما تفرّق في كتب التفسير، وتناوُلُ أكبر عددٍ ممكن من المفردات والجُمل.

٢ - إدراج جميع المعاني المحتملة للمفردة التي من شأنها إثراء المعنى وتوضيحه في السياق.

٣ - بيان معاني المفردات التي لم تعرّج عليها بعض التفاسير واستقصاؤها؛ لتجلية المعنى من الإبهام والغموض.

٤ - إبراز المعاني وتوضيحها بأسلوب ميسرٍ بعيدٍ عن تشتيت كثرة الأقوال والإحالات؛ ليفهمه العامي وغير المتعلم.

[أصل الكتاب]

هذا الكتاب في الأصل عبارة عن مفردات منفصلة كنت أقوم بتلخيصها من كتب التفسير، ثم أرسلها واحدة تلو الأخرى عبر وسائل التواصل، وكنتُ قد عيّنتُ لها صفحةً في موقعي على الإنترنت، وشاء الله أن توقّفتُ عند عدد المئتين، لكني وجدت الحث من بعض القراء على

مواصلة الإرسال والإفادة؛ فكنت كلما قرأت القرآن الكريم وتوقّفت عند لفظة معينة أو جملة، أبحث عنها ثم ألخّص المعنى من مجموعة كبيرة من التفاسير؛ لأُلِمّ بأوسع معنًى للمفردة ثم أرسلها على الصفحة، حتى بلغ مجملُها أكثر من ثمانمائة مفردة وجملة؛ مما استدعى جمعها وتوثيقها في كتاب ليسهل الرجوع والوصول إليها.

وفي الحقيقة كنت أحرص أشد الحرص على توصيل المعلومة الصحيحة، كيف لا وهو كتاب الله تعالى وتفسير كلامه؟! فكان تلخيص المفردة الواحدة يأخذ وقتًا طويلًا في البحث والكتابة، ثم المراجعة عدة مرات، والنّظر في التفاسير المختلفة، وسؤال الله أن يلهمني الصواب.

[منهج الكتاب]

* قسَّمت الكتابَ إلى بابين رئيسين:

باب المفردات.

باب الجمل وأشباه الجمل.

* وجاء الترتيب في الباب الأول منهما على النحو التالي:

- رتبت المفردات الرئيسة بحسب حروف الهجاء لجميع حروف الكلمة، بدون تجريدها من أحرف الزيادة، عدا (أل) التعريفية.

- جمعت الألفاظ المشتقة من جذر واحد؛ لتسهيل الربط، وتقريب المعنى، وتيسير الفهم.

- بينت معنى المفردة، والمعاني الأخرى المحتملة إن وجدت.

- وضحت المعنى اللغوي -إذا احتاج الأمر- والمعنى السياقي والتفسيري.

- ميَّزتُ المفردة باللون الأحمر ضمن الآية.

- أدرجتُ بعض المفردات المتتابعة: ك (العاديات، ضبحًا، الموريات، قدحًا ...) مع بعضها في مفردة واحدة؛ لصعوبة الفصل، ولاكتمال المعنى.

- تجاوزتُ بعض المفردات المشتقة لوضوحها، واقتصرت على الألفاظ الغريبة في الغالب للاختصار والإيجاز.

رصّعتُ الكتاب ببعض الفوائد المتعلقة بموضوع المفردة؛ لإضفاء مزيد من المتعة عند القراءة.

* وأما الباب الثاني -باب الجمل وأشباه الجمل- فقد جاء ترتيبه كالتالي:

- جمعت جمل كل سورة في موضع واحد، متسلسلة بتسلسل آياتها داخل السورة.

- رتبت السور على حسب موقعها في المصحف الشريف من الفاتحة إلى الناس.

- عنونت لكل جملة برقم الآية الواقعة فيها.

- وما عدا ذلك فقد سرت فيه مسيري في الباب الأول؛ من حيث: ضم المتشابهات، وذكر الفوائد اللغوية والتفسيرية، وغيرها مما نُص عليه في الباب الأول.

* أفردتُ جزءًا لحروف المعاني، وآخر لأسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم، وثالثًا لمعاني أسماء يوم القيامة، ورابعًا لأسماء الجنة والنار.

* حرصت على تسهيل اللغة والبعد عن التكلف؛ لتكون المادة العلمية في متناول جميع الفئات.

* عندما تتعلق المفردة بمفردة أخرى فإني أحيل إليها: «انظر: مفردة (كذا)».

المعنى والشرح:

وضعتُ الأولوية لتقديم المفردة الرئيسة في الشرح، ثم أُتْبِعُها بما يستدعي توضيحه في الآية، أمّا في باب الجُمل وشبه الجُمل: فقد أبدأ بشرح الآية بُغْيَة الوصول للمعنى المطلوب بسهولة ويسر.

قسم الفهرس:

* الفهرس بمثابة المفتاح الذي يساعد الباحث في الوصول السريع إلى غايته، وقد ضمَّ الفهرس جميع الآيات والمفردات الواردة في الكتاب؛ سواء المستقلة، أو التابعة لغيرها.

* رُتِّبَتِ الآيات في الفهرس بحسب ترتيب السور والآيات في القرآن الكريم، مع تمييز الكلمات محل التفسير باللون الأحمر، بالإضافة إلى إدراج رقم الآية، ورقم الصفحة.

* عند تكرار الآية في أكثر من موضع، فإنه يُكتفى بذكر الآية مرة واحدة، مع الإشارة إلى أرقام الصفحات التي وردتْ فيها الآيةُ الكريمة في عموم الكتاب.

* من خلال هذا الفهرس الشامل الموسع سيتمكن القارئ الكريم من البحث بسهولة ويسر في جميع أبواب الكتاب، ومعرفة الكلمات القرآنية محل التفسير.

إيمان بنت عبد اللطيف بن كامل كردي

فهرس الكتاب باب المفردات في القرآن الكريم

[حرف الألف]

[أبابيل]

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣ - ٥].

(أبابيل) أي: جماعات متفرقة يتبع بعضها بعضًا.

فقد أرسل الله على جيش أبرهة الحبشي الذي قدم لهدم الكعبة المشرفة جماعات من الطير تحمل في منقارها حجارة من (سجيل) أي: طين بالغ الحرارة؛ حتى أهلكهم عن بكرة أبيهم.

(كعصف مأكول): فجعلهم كعصف مأكول؛ أي: كزرع أكلته البهائم وداسته بأقدامها حتى تفتّت.

[ابتلوا]

قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ [النساء: ٦].

(وَابْتَلُوا الْيَتَامَى) البلاء هنا: من الاختبار والامتحان؛ يوصي الله تعالى الأوصياء على اليتامى أن يضعوهم تحت التجربة، ويُجربوهم في البيع والشراء وحسن التصرف في المال.

(بَلَغُوا النِّكَاح) أي: سن النضج والقدرة على الاستقلال، وليس بالضرورة النكاح ذاته، ولكن ذُكِر النكاح هنا؛ لأن الشخص الذي يصلح للنكاح غالبًا لديه العقل والقدرة على التصرف السليم.

(رُشْدًا) الرُّشد هنا لا يعني بلوغ سن الرشد، ولكن المراد: إن أبصرتم فيهم تصرفًا صحيحًا في أموالهم.

(وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا) الآية تنهى عن ثلاثة أمور:

١ - لا تأكلوا أموال اليتامى وهم صغار في حالة عدم تمكنهم من أخذها منكم.

٢ - لا تسرفوا؛ فمثلًا: إذا كان يكفيه عشرة فلا يأخذ خمسة عشر.

٣ - لا تبادروا بأكلها وإنهائها قبل أن يكبروا؛ فلا يجدوا منها شيئًا.

[الأبرار]

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣].

من هم الأبرار؟

جاء وصفهم أنهم أهل الجنة بعامّة، وجاء وصفهم أنهم المرتبة الأدنى من مرتبة المقربين؛ نعرف ذلك من سياق الآيات ومن القاعدة التفسيرية المعروفة التي سيأتي ذكرها، وقد ذكر القرآن الكريم مراتب أهل الجنة بأسمائهم:

- فالأبرار: هم المتقربون إلى الله بالفرائض والواجبات، دون حرص على المستحبات، ولكن المهم أنهم تركوا ما حرّم الله عليهم، ولم يتعدّوا حدودَه.

وقد سمّاهم القرآن بمسميات عدة: فهم أصحاب الميمنة، وأصحاب اليمين، والمقتصدون، والأبرار.

- أما المقربون: فيزيدون على ذلك بالتقرب إلى الله بالنوافل بأنواعها بعد الفرائض.

وقد جاء وصفهم في القرآن بأنهم: السابقون، والمقرّبون، وعباد الرحمن.

فإذا كان سياق الآيات في محل مقارنة مع مراتب أهل الجنة -وهم المقربون- فالأبرار هم: المقتصدون، وهم الدرجة الأقل من المقربين.

أما إذا أفرد (الأبرار) فيراد بهم: المقربون ومَن دونهم؛ على قاعدة: «إذا اجتمع اللفظان افترقا في المعنى، وإذا افترقا اجتمعا». وتنطبق هذه القاعدة على كثيرٍ مِنْ الأسماء الواردة في القرآن الكريم؛ كالإسلام والإيمان، والإيمان والعمل الصالح، وكذلك: اجتماع البرّ والتقوى، والإثم والعدوان، والفقير والمسكين، وغير ذلك.

- ففي سورة الإنسان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] فالمقتصدون يشربون من كأس خمر ممزوجة بالكافور.

ثم قال : ﴿عَيْنا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرا﴾ [الإنسان: ٦] أي: الكافور التي مُزجتْ بالخمر للأبرار المقتصدين إنما هي عين في الجنة يشرب منها المقربون صِرفًا، ووصفهم أيضًا بأنهم عباد الله.

- وفي سورة المطفّفين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢]، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، قد عقد مقارنة بعدها مع المقربين؛ فالأبرار هنا هم الدرجة الأقل.

- وكذلك الأمر في سورة الواقعة:

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧]، وقال: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠ - ٩١]، فأصحاب اليمين هنا: هم المقتصدون الأبرار الأقل درجة من السابقين؛ وذلك لأن سياق الآيات يضم مقارنة بين السابقين وأصحاب اليمين.

* أما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤]، وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] فالأبرار هنا عامّة في الإشارة لجميع أهل الجنة.

*وكذلك: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٩]، وقوله: ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١٨] فهي عامة في الإشارة لأهل الجنة جميعهم.

* أما لفظ (أولياء الله) في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] فهو يشمل جميع أهل الجنة؛ من الذين يدخلون بغير سابقة خوف ولا حزن يوم القيامة.

فبعض أهل الجنة يدخلونها بعد معاناة من الخوف والفزع والحزن وشدة الحسرة، بل وبعد دخول النار .. نسأل الله السلامة!!

[أبق]

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠)﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٠].

الإِباقُ: هو هربُ العبدِ من سيده.

وهو في حق النبي يونس :

- هربه من التكليف الذي أمر به؛ وهو البقاء والدعوة في قومه إلى أن يأذن له ربه.

- الهرب خوفًا على نفسه من قومه بسبب تكذيبهم إيَّاه، وتهديده لهم بالعذاب؛ فخرج غاضبًا منهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

(ذا النون): صاحب الحوت، وهو النبي يونس ؛ سمي بذلك لابتلاع الحوت له.

و (الفلك المشحون): السفينة المشحونة -أي: المملوءة- لأنها مكتظة بالركاب.

فائدة:

ظن يونس أن في خروجه -حينما ضاق من قومه- الهربَ إلى فسحة الدنيا، ولا يدري أنه سائر بأقدامه إلى محبسه الأبدي إلى يوم البعث، لولا أنْ منَّ الله عليه وجعل له مخرجًا من ذلك الكَرب؛ بقربَةٍ له عند ربه أنه كان المسبِّحين.

أبوابًا

قال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابا﴾ [النبأ: ١٩].

(أَبوابًا) أي: فُتِحَتْ وانفرجتْ؛ فتكون كلها أبوابًا يخرج منها الغمام وتنزّل منها الملائكة.

فائدة:

وبعد أن كانت سقفًا محفوظًا وسبعًا شدادًا، كما قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادا﴾ [النبأ: ١٢] تكون يوم القيامة واهية ضعيفة كثيرة الفُرُج، ثم تطوى وتُزال.

جاء وصف السماء يوم القيامة بأوصاف كثيرة، نستطيع الخروج منها بوصف عام:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٥ - ١٦].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ الآيَةَ [الانشقاق: ١].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨].
﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١].
﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرا﴾ [الطور: ٩].

فالسَّماءَ يوم القيامة تتشقق وتنفرج بِالغَمام، والملائكة على أرجائها ينزلون من كل سماءٍ صفًّا صفًّا، يحيطون بالخلائق في أرض المحشر.

وينْزِل اللهُ في ظُللٍ من الغمام من العرش إلى الكرسي؛ للفصل بين العباد.

فهذه السماوات التي فوقنا تمور وتضطرب وتتحرك، وتصبح كالزيت أو المعدن المنصهر وتطمس أنوارها، ثم تُكْشَط؛ أي: تُزَال عن مكانها، كما يُكْشَط الجلدُ عند سلخ البعير، يكشطها الله ثم يطويها -جل وعلا- بيمينه، ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أي: كما يُطوَى السجلُّ على ما كُتب فيه كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

انظر: تفسير العثيمين للآية الأولى، ومختصر العلو للعلي العظيم بتحقيق الألباني (ص ١١).

اتَّقُوا

للتقوى معانٍ باعتبار المخاطَب في القرآن:

* ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١].

الخطاب للناس كافة: فيكون معنى التقوى بالدرجة الأولى: هو الإيمان بالله.

* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوااا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

إذا كان الخطاب للمؤمنين فتكون التقوى باجتناب المعاصي.

* ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيما﴾ [الأحزاب: ١]، التقوى من النبي هي الثبات في مواجهة أهل النفاق والكفر.

[أثارة]

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

(أَثَارَةٍ) تحتمل معنيين لا يتعارضان:

١ - من أثر الشيء وما بقي منه؛ أي: بقيّة من علم.

٢ - من الأثر والرواية؛ أي: مما يؤثر ويروى من علمٍ لمن كان قبلهم.

- ومثلها في المعنى الأول:

* ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

(علَى أَثَرِي) أي: على خطاي يتتبعون ما بقي من أثري، والمراد: خلفي، وعلى مقربة مني.

*وكذلك: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦] أي: ما بقي من أثر حافره. انظر: مفردة (بصرت).

* ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] ما بقي من آثار أنواره يبدو على الوجوه.

- ومثلها في المعنى الثاني:

* ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤].

(سحر يؤثر) أي: يرويه عن غيره من السحرة ويتحدث به.

*ومنها كذلك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٢٤].

(وآثارهم): لها معنيان:

١ - أي: كل ما كانوا سببًا فيه لغيرهم من طاعة أو معصية، وما سنُّوه لغيرهم وكانوا قدوة فيه؛ فلهم نسخة كاملة من ثوابه أو عقابه.
٢ - (آثارهم) خطاهم التي مشوها على الأرض -سواء في طاعة أو معصية- فإنها مكتوبة وشاهدة عليهم.

[أجاءها]

قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَّنسِيّا﴾ [مريم: ٢٣].

(فَأَجَاءَهَا) أي: ألجأها واضطرتها الحاجة إلى المخاض، وهو: الولادة إلى جذع النخلة وساقها إليه؛ رغبة في التّخفي عن الناس، ولتعتمد عليه عند الولادة.

وهو تقدير وتدبير ربانيّ لها؛ لتتغذى كذلك من رُطب النخلة عند الولادة.

فائدة (١):

هناك فرق بين جاء وأجاء:

(جاء) تعني: أتى وحضر باختياره.

(أجاء) تعني: ألْجأ ودفع غيرَه اضطرارًا.

فائدة (٢):

قال تعالى: (إلى جذع النخلة) ولم يقل: (إلى النخلة) مما يدل على أمرين:

١ - التعبير بالجِذْع من باب إرادة الكل بالإشارة إلى الجزء؛ لأنه هو المراد في الاعتماد والاستناد إليه.
٢ - أن المقصود به أنه جِذع النخلة فعلًا، وليس نخلةً كاملة.

كما تشير إلى ذلك بعض التفاسير -ومنها تفسير البغوي- إلى أن الجِذع كان يابسًا بلا رأس، فجعل الله له رأسًا وسَعَفًا ورُطبًا جنيًّا، والله أعلم.

ولا نجزم به؛ لعدم القدرة على التثبت مِنْ صحة الروايات، ولكنه غير مُستبْعد؛ فأمر مريم كله مبني على الكرامات والمعجزات: ابتداءً مما كان يأتيها من رزق في بيت المقدس، ثم بحملها بلا زوج، وغير ذلك.

أحتنكنّ

قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلا﴾ [الإسراء: ٦٢].

(لأحتنكن) لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - تقول العرب: (حنَّك الدابة) إذا ربط في حنكها -أي: أسفل رقبتها- حبلًا أو لجامًا فقادها منه.
٢ - وتقول: (احتنك الجراد ما على الأرض كله) أي: استقصاه كله وقضى عليه.

والمعنى الإجمالي بعد جمع المعنيين:

هو تهديد ووعيد من الشيطان للاستيلاء واحتواء ذرية آدم بالغواية، وإحكام قبضته عليهم (إلا من عصمهم الله بإيمانهم) وقيادتهم مذعنين له كما تقاد الدابة؛ فلنحذر من هذا العدو الرجيم، ونُحذِّر الأبناء جيلًا بعد جيل.

[الأحزاب]

- ذُكرت مفردة (الأحزاب) في عشر آيات فما المقصود بها؟ وهل كلها ذات دلالة واحدة؟

الأحزاب يتحدد معناها بحسب سياق الآيات، فالأحزاب في الآيات التالية هم كل الفئات المكذبة بالنبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

(وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ) أي: بالقرآن (مِنَ الْأَحْزَابِ) أي: من سائر طوائف أهل الأرض المتحزبة على رد الحق.

* ومثلها: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَئَابِ﴾ [الرعد: ٣٦].

(الأَحزَابِ) الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَيْك بِالمُعاداةِ؛ سواء مِنْ المُشْرِكِينَ والكفار، أو اليَهُود والنصارى.

والأحزاب في الآيات التالية هم (أهل الكتاب):

* ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

* ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥]،

(الأَحزَابِ) فِرق الضلال من اليهود والنصارى على اختلاف طبقاتهم، اختلفوا في عيسى : هل هو ابْن اللَّه؟ أوْ إلَه مَعَهُ؟ أوْ ثالِث ثَلاثَة؟

- أما الأحزاب في الآيات التالية فهم (الكفار ومن شايعهم في غزوة الأحزاب):

* ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلا﴾ [الأحزاب: ٢٠].

(الْأَحْزَابِ) تحزبوا على حرب رسول الله ﷺ وأصحابه في تلك الغزوة، فالمنافقون من جبنهم وخوفهم يحسبون أن الأحزاب -وهم الكفار الذين جاءوا للحرب- لم يعودوا ويرجعوا إلى بلادهم، وأنهم باقون حتى يستأصلوهم مع أنهم قد رحلوا.

وإن يأت الأحزاب فرضًا مرة أخرى (يَوَدُّوا) أي: يَتَمَنّى هؤلاء المنافقون (لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الأَعْراب) أي: لو أنهم لم يكونوا بينكم، وأنهم في البادِيَة بعيدون عن أحداث الحرب والقتال، يسألون من بعيد عن أنباء هلاككم في الحرب؛ لشدة خوفهم وفزعهم من القتل، وتمنيهم في ذات الوقت هلاك المسلمين.

* ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيما﴾ [الأحزاب: ٢٢].

(الأَحزَابِ) وهم الكُفّار الذي اجتمعوا لمحاربة النبي في غزوة الأحزاب.

* ﴿جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [١١].

(جُنْد ما هنالك) الاسم النكرة متبوعًا ب (ما) للتحقير؛ أي: مَنْ هؤلاء؟ إنهم ليسوا إلا جُنْدًا حَقِيرًا مهزومين، فنبّأ الله نبيه بهزيمتهم.

(مِنْ الأَحْزاب) من الكفار أيضًا الذين تحزبوا ضدك.

- أما الأحزاب في الآيات التالية فهم (الأمم):

* ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ [١٣].

(الأَحزَابُ) أي: أولئك الأمم الذين تحزَّبوا على أنبيائهم وعلى الكفر بالله.

* ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

(الأَحزَابُ) أي: الأمم من بعد نوح تحزبوا وتجمّعوا على رسلهم بالتكذيب والكفر.

أحقابًا
قال تعالى -في حق أصحاب جهنم، والعياذ بالله-: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابا﴾ [النبأ: ٢٣].
* ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر: ٣٠] أي: أخاف عليكم بتكذيبكم لموسى مثل ما حصل للأمم السابقة الذين تحزبوا على أنبيائهم فكذبوهم؛ فأخذهم الله بعذاب.
(أحقَابًا) الحِقْب: مدة من الزمن، واختلف في تحديدها العلماء ولا يهمنا تحديدها، المهم أنها تعني أزمانًا مديدة؛ فالآية هنا لا تعني الخروج بعد انقضاء تلك الأحقاب إلا لعصاة أهل التوحيد، أما الكفار فنصوص القرآن والسنة تبين الخلود لهم، والعياذ بالله!
فالمعنى في حق الكفار: ماكثين فيها دهورًا لا نهاية لها؛ فإنما هي أحقاب كلما مَضَى حِقْبٌ دَخَلَ آخَرُ، ثُمَّ آخَرُ إِلَى الْأَبَدِ.
* ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبا﴾ [الكهف: ٦٠].
(حُقُبًا) جمع (حِقْب) أي: أمضي سنين طويلة.
والمعنى: أن موسى لما علم أن في الناس مَنْ هو أعلم منه -وهو الخضر- قام مصممًا وعازمًا على لقائه، وكان الله تعالى حدد له مكان اللقاء عند ملتقى البحرين.
فقال لفتاه يوشع بن نون وهو عازم على السير: سأسير إلى ذلك الموضع، ولن أزال سائرًا حتى أبلغه وأقابل الخضر، أو أسير أحقابًا من الزمان حتى أجده.
[أحوى]
قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٤ - ٥].
(أَحْوَى) يقال: (شَفَةٌ حواء) أي: مائلة للسواد.
فأحوى من (الحُوّة) وهو: لون بين السواد والسُّمرة والحُمرة، وهو اللون الذي يطرأ على النبات إذا طال عليه الزمن ففسد.
وقيل: منه كذلك معنى اسم (حواء) أي: سمراء، وقيل: حواء من (الحياة) فالله أعلم.
(غُثَاء): هو ما يَبُس من النبات فصار هشيمًا.
والمعنى: يُذكّر الله تعالى بنعمه، وأنه أخرج المرعى: من نبات، وزرع، وعشب كثير، فترعون فيه أنعامكم، ثم يجعله هشيمًا أسود بعد أن كان زاهيًا أخضر.
فهو الذي أوجد النعم وهو الذي يزيلها، وهو الذي يغيّر ولا يتغيّر سبحانه؛ فيغيّر أطوار مخلوقاته؛ من قوة لضعف، ومن حياة لموت، وهو الذي يبدئ ويعيد .
أخّرت
قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥].
(وَأَخَّرَتْ) لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - ما تركت من خيرٍ تفريطًا منها، أو ما تركتْ من شرٍّ مخافة ربها.
٢ - ما تركت وراءها لمن بعدها فعُمِلَ به.
والمعنى العام: إذا بعثرت القبور وبعثت النفوس ووقفت أمام ربها؛ ستفيق من غفلتها.
وستعلم كل نفس ما قدمت؛ أي: ما قدمت وصدر منها من أعمال خير أو شر.
وستعلم ما أخّرت من حقوق الله عليها، وفوّتتْ على نفسها من خير فلم تعمله؛ فتشتد حسرتها.
أو ما أخرت من معاصٍ وسيئات فلم تعملها مخافة ربها؛ فتشتد فرحتها.

وستعلم كل نفس ما تركت وراءها لمن بعدها من أعمال خير أو شر فعُمِلَ بها بسببها فلها وزر ذلك أو ثوابه:

- من إحياء سنة.
- أو دعوة لخير.
- أو نشر بدعة.
- أو مؤازرة لمعصية.
- أو دعوة لضلالة.
- وستعلم كل نفس ما تركت من أثرٍ وما خلَّفت وراءها من بصمات:
- كم أضلتْ مَنْ بعدها بضلالها.
- أو كم هدتْ مَنْ بعدها بهداها.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.

أَخْلُق

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

ما معنى الخلق هنا؟

وكيف والله تعالى يقول: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]؟!

معنى الخلق في حق الله ليس كمعنى الخلق في حق المخلوق؛ الخلق في حق البشر: هو الصناعة والتصوير، ففي قوله: (أخلق لكم)؛ أي: أصنع لكم، وليس خلقًا من عدم.

* ومثلها: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

(وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - من الصنع؛ أي: تصنعون كذبًا.

٢ - من الخلق والاختراع؛ أي: تخترعون كذبًا لا أصل له، وسُمّي الكذبُ خلقًا: لأنه افتراء من العدم.

* ومثلها قوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [٧].

(إلا اختلاق): إلا كذبًا لا حقيقة له بزعمهم.

ادّارأتم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢].

(فَادَّارَأْتُمْ) من (تدارأتم) فالمدارأة: هي التدافع بين المتخاصمين.

و (درأ) أي: دَفَعَ. وتقول العرب: (تَدارأَ الرجلان): إذا تَدافعا.

والمعنى: فكان كل يَدْرأ عن نفسه ويتَّهم الآخرَ في قتلها.

* ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور: ٨] أي: يدفع عنها الحدّ والعقاب.

* ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القص ٥٤].

(وَيَدرَءُونَ) أي: يدفعون بحسنات الأقوال والأفعال ما يلاقونه من الناس من سيئات؛ فيدفعون الإساءة بالإحسان، ويدفعون الآثام والذنوب بالتوبة وسائر الطاعات.

ادّارك

قال تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

(ادَّارَكَ) أي: تدارَك. وأصل المعنى: هو التتابع، وتدارك اللاحق بالسابق والآخر بالأول.

ولها في هذه الآية معنيان لا يتعارضان:

١ - أي: أن هؤلاء الكفار وصل إليهم العلم عن الآخرة وتتابع عليهم، لكن لم يتوصَّلوا به إلى الإيمان ولم يُدركوا حقيقة الآخرة.

٢ - أن حقيقة العلم ستتتابع عليهم في الآخرة بعد الموت؛ فيعاينون حينئذ حقيقة الأمر، ولكنهم اليوم في شك وعمى.

* ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

(ادَّارَكُوا) أي: تتابعوا في السقوط في (جهنم) وأدركت كلُّ أمة أختها التي قبلها، واجتمع فيها الأولون بالآخرين؛ لذلك سمّيت طبقات جهنم: (دركات)؛ لأنهم يتلاحقون فيها بعضهم خلف بعض؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] (الدَّرْك) منازل النار بعضها أسفل من بعض.

*﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لا تستطيع الأبصار الوصول إلى كنهه تعالى والإحاطة به.

* ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧] (دَرَكًا) لحوقًا بك؛ أي: لا تخاف أن يلحق بك فرعون وجنوده.

فائدة:

الآية الأولى تصف حال أهل الكفر في ثلاث درجات أوصلتهم إلى فقد الشعور بالآخرة:

فقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٥ - ٦٦].

الجُمل في الآية السابقة بدأت بحرف الإضراب (بل)؛ لتنفي عنهم استيعاب العلم بالآخرة، وليس العلم فقط، بل تضيف مرضًا آخر وهو الشك والارتياب، وليس الشك والجهل فحسب، بل وتضيف إليه العمَى الكليّ عن الشعور بالبعث:

- فعلمهم قاصر عن الوصول للإيمان.
- وشكهم عجز عن الوصول لليقين.
- والأشد من ذلك عمًى في بصيرتهم حجبهم عن رؤية الآخرة.

[أدراكم]

قال تعالى: ﴿قُل لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

(أَدرَاكُم بِهِ) من (الدِّرايَةِ) بِمَعْنَى: العِلْمِ.

والمعنى: ولا أعْلَمَكُمُ اللَّهُ بِهِ، ولا أخْبَرَكم به مِنْ غَيْرِ قِرَاءَتِي عَلَيْكُمْ.

وفي الآية يلقن الله تعالى الحجة لنبيه ﷺ في الرد على المشركين وتعنتهم مع رسوله ﷺ، وأنهم إذا تُتلى عليهم آيات الله المبينة للحق أعرضوا عنها تعنّتًا وظلمًا، وقالوا: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥] فيجيبهم النبي : «إنّما جئتكم به بإذن الله ومن عنده ولست أتقوّله من عند نفسي، وأنتم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأتُ بينكم إلى حين بعثني الله ، فقد لبثتُ فيكم عمرًا ولم يخبركم الله به حتّى أوحي إليّ، ولو كنتُ افتريته لقدّمته منذ زمن!!» انظر: تفسير ابن كثير للآية.

[ادفعوا]

قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧].

(ادفعوا) من الدفاع؛ أي: دافعوا.

أي: إن لم تقاتلوا في سبيل الله بنية خالصة لله وطلب رضاه، فدافعوا عن أنفسكم وأعراضكم وبلادكم. والخطاب هنا للمنافقين.

وليس المعنى: ادفعوا جزية أو عوضًا مقابل عدم قتالهم.

أدُّوا

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٧ - ١٨].

(أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) لها معنيان:

١ - (أدُّوا إليّ) أي: سلِّموا إليَّ.

فيكون المعنى الإجمالي:

(ولقد فتنَّا) الخطاب للنبي ﷺ تسليةً له وتخفيفًا عليه مما يواجه من استكبار قومه.

أي: فتنّا واختبرنا قَبْلَ قومك -يا محمد- قومَ فرعون، وجاءهم رسول كريم وهو موسى بن عمران .

قال لهم موسى: أَطْلِقُوا وادفعوا عبادَ الله إليَّ -وهم بنو إسرائيل- وأرسلوهم معي ولا تعذبوهم.

والتعبير عنهم ب «عباد الله»؛ للإشارة إلى استعباد فرعون لهم؛ فَهُمْ عبادُ الله وليسوا عبادَه.

٢ - (أدُّوا إليّ) أي: أدّوا ما أمركم الله به وهو الطاعة لأمري.

فيكون المعنى: أطيعوني يا عباد الله، والمعنى الأول أقوى؛ لوجود أدلة تؤيده من القرآن؛ ومنها قوله تعالى:

* ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧].
* ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه: ٤٧].

[اذكر]

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦].

(وَاذكُر فِي الكِتَابِ) تكررت في القرآن الكريم، ومن ذلك:

* ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦].
* ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم: ٤١].
* ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ [مريم: ٥١].
* ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ [مريم: ٥٤].
* ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ [مريم: ٥٦].

وتحتمل معنيين لا يتعارضان:
١ - أي: اذكر في كتابنا الذي أنزلناه إليك ما فيه من قصص لقومك، على وجه التذكير بما فيه من أخبار الأنبياء المتقدمين؛ ليقفوا عليها ويعرفوا مناقب الأنبياء، وليروا نعمة الله وفضله وإحسانه على عباده الطائعين.
٢ - أي: اذكر على وجه التعظيم والإجلال لهؤلاء النّخبة الذين اختارهم الله واصطفاهم، فذَكَرَهم في القرآن ذكرًا باقيًا يُذكرون فيه بأحسن ذكر في الكتاب العظيم؛ ليتلوه الناس في مشارق الأرض ومغاربها جزاء طاعتهم وامتثالهم.

أُذُن

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].
(هُوَ أُذُنٌ) هذه الآية يتجلى فيها حسن معاملة النبي ﷺ للمنافقين؛ فهم يتهمونه بأنه أذن -أي: آلة سمع لا تُميّز بين المقبول والمردود- فيرد عليهم الله تعالى: (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لكُمْ) أي: مستمع خير، نِعْمَ المستمع: يسمع الخير فيقبله، ويسمع الشر فكثيرًا ما يُعرض ولا يعنف.
يستمع إليهم في أدب ولا يواجههم بنفاقهم، بل يسمع معاذيرهم ويقبلها منهم مع علمه بنفاقهم؛ ولكنه على خُلق عظيم كما قال عنه ربه تعالى.

[أذنت]

قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢].
(وَأَذِنَتْ) أي: سمعتْ وأطاعت.
ومنه قول النبي ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن» صحيح البخاري (٧٤٨٢).
يعني بذلك: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبيّ يتغنى بالقرآن، استماعًا يليق بجلاله ﷻ.
(وحُقّتْ) أي: وحُقّ لها وواجب عليها أن تفعل ذلك؛ فهي تحت تسخيره وتدبيره جل وعلا.

إرصادًا

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧].
(وَإِرْصَادًا) من (الرّصْد) وهو الإعداد والانتظار والترقب.
فهؤلاء جماعة من المنافقين اتخذوا مسجدًا إلى جانب مسجد قُبَاء؛ للإضرار والتفريق بين المسلمين؛ ترصدًا وترقبًا للعداوة حتى يكون لهم حصنًا عند الحاجة إليه، وترقبًا لعودة عدو الله المحارب لدينه -وهو الراهب ابن عامر- الذي ذهب إلى هِرَقل لينصره، وهم يترقبون عودته، فأهلكه الله في طريقه.
ومن مشتقات هذه الكلمة قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادا﴾ [النبأ: ٢١].
(مِرْصَادًا) أي: مترقبة ومتأهبة ومترصدة للطغاة والكفرة.
* ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].
(لَبِالْمِرْصَادِ) المرصاد: هو المكان العالي الذي يرى فيه الراصد ويسمع كل شيء.
والمعنى: أن الله مترصد لهم ومراقب أفعالهم.

* ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

(مَرْصَدٍ) أي: ترصدوا لهم، ورابطوا في كل مكان يمرون فيه؛ لمعاقبتهم حتى يتوبوا.

* ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: ٩].

(رَصَدًا) أي: شهاب من نار يترصده ويتبعه حتى يصيبه فيحرقه.

* ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

(رَصدًا) أي: الملائكة تترصد وتترقب لأي مخترق لهذا الموكب المبارك؛ حتى لا يتسرب الخبر، وحتى يتم التبليغ في سرية تامة وحفظ تام، من غير سرقة واختطاف من مَرَدَة الجن الذين يبلغونه للكهنة فيكذبون معه ويحرفونه.

(يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا):

المعنى: يبين الله تعالى صون كلماته وحماية الوحي الشريف عن الانكشاف لغير من ارتضاه الله لتبليغه؛ فلا يُطلِع على غيبه أحدًا من عباده إلا من رضيه الله أن يبلغ عنه.

وتبليغ هذا الغيب للعبد يكون محفوفًا باحتياطات للحفظ والحماية من تلاعب الشياطين به أثناء تبليغه؛ فيكون تبليغه بواسطة أمين الملائكة جبريل .

و (يسلك) أي: يصاحبه في سلوك طريقه ومسيرته عدد من الملائكة، يحوطونه من حوله ومن كل جهاته.

فسبحان من حفظ كتابه وبلّغه، ثم حفظ نبيه ﷺ وعصمه فيما يبلغ عن ربه؛ فلا يخالف ما أُمِرَ به لا قصدًا ولا سهوًا ولا خطأً .. فاللهم لك الحمد على هذه النعمة.

وليعلم المسلم أنه يمشي على نور وبصيرة من غير تدخّل وتحريف من شياطين الإنس والجن.

[أركسهم]

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾ [النساء: ٨٨].

(فئتين ... أركسهم):

أركس: من (الارتكاس) وهو الانقلاب والانتكاس من حال حَسنة إلى حالٍ سيئة؛ كالكفر بعد الإيمان، والغدر بعد الأمان.

و (ركس) أي: قلب الشيء على آخره.

والآية تتحدث عن جماعة من المنافقين لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أحُدٍ رجعوا؛ فاختلف أمر الصحابة فيهم على فريقين (وهذا معنى فئتين)؛ ففريق من الصحابة قالوا: لا نقاتلهم لأنهم مسلمون. وفريق قالوا: نعاملهم كالكفار.

فجاءهم الجواب من الله تعالى: أن لا تختلفوا في أمرهم؛ فالله قد (أركسهم) أي: نكسهم وقلبهم إلى الكفر جزاء فعلهم؛ فيعاملون معاملة الكفار، نسأل الله السلامة!

* ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينا﴾ [النساء: ٩١].

(كُلمَا رُدُّوا إِلَى الفِتنَةِ أُركِسُوا فِيهَا) أي: كلما عَرض لهم بلاءٌ أو فتنةٌ انقلبوا وانتكسوا إلى الكفر.

[الأسباط]

قال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

(وَالْأَسْبَاطِ) تكرر لفظ الأسباط في كتاب الله، فمن هم الأسباط؟

أصل معنى (السِّبط) في اللغة: هو الشجر الممتد أرضًا، والشجر الممتد ارتفاعًا فهو كثير الأغصان.

وتُستعمل في كلام العرب في الأشخاص؛ فيقال: (أسبط الرجل) إذا تمدّد على الأرض ساقطًا.

وتُستعمل في الذرية؛ فيكون الرجل كالشجرة وذريته أغصانها.

ف (السِّبط) من حيث معنى الذرية له معنيان:

١ - الحفيد المباشر ولد الابن والابنة؛ فسِبْطَيْ رسول الله ﷺ: الحسن والحسين.

٢ - القبيلة من امتداد الرجل وذريته.

وقد اختلف المفسرون في المراد ب (الأسباط) فقد وردت في خمس آيات، أربع منها اقترنت مع ذكر يعقوب قبلها، والراجح أنهم قبائل بني إسرائيل من ذريته، وقُطِّعوا أسباطًا في عهد موسى .

ومما يؤكد المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

(أسباطًا أممًا): هم قوم موسى من بني إسرائيل؛ أي: ذرية يعقوب، وإنما قُطِّعوا أسباطًا في عهد موسى ، ثم تكاثروا على مر السنين؛ فالأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل .

- هل الأسباط أنبياء كما ذكر بعض المفسرين؛ استدلالًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦]؟

الجواب: معنى ما أُنزل على الأسباط؛ أي: ما أُنزل على أمم أنبياء بني إسرائيل عامة، كقوله: (وما أنزل إلينا) نحن أمة محمد ﷺ، فهي لا تدل على أننا جميعا أنبياء.

فأولاد يعقوب تفرَّع منهم أمم بني إسرائيل، فالمراد ب (الأسباط) كما أسلفنا ليس الاثني عشر ابنًا ليعقوب كما ذكر بعض المفسرين وزعم بعضهم أنهم أنبياء، بل المراد جميع قبائل بني إسرائيل الاثني عشر، وقد تكاثروا وازدادت أعدادهم وكان فيهم الأنبياء، وليس كلهم كذلك.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] فكانوا قبائل وعشائر فيهم الأنبياء؛ منهم: زكريا، ويحيى ويوشع، وسليمان، وداود]. وغيرهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢].

(وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) عيَّن موسى من الأسباط -وهي تلك القبائل- اثني عشر نقيبًا عليهم؛ لرعايتهم والقيام على شئونهم كما يفعل الرئيس والأمير، وهم الذين بعثهم نبي الله

موسى بعد ذلك إلى فلسطين؛ ليتعرفوا على أحوال الكنعانين الذين هم القوم (الجَبَّارين) قبل قتالهم، وليسوا هم الأنبياء.

[استكثرتم]

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨].

(استكثرتم) قد استكثرتم من الإنس؛ أي: أكثرتم الاستمتاع بضلال الإنس وإغوائهم، وكَثُر مَنْ أغويتم منهم؛ فانساقوا وراءكم مستمتعين بما أغريتموهم من شهوات.

أَسْرَهم

قال تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨].

(أَسْرَهُمْ) كل شيئين شددْتَهُما برباط فقد أسرتَهُما.

وتقول العرب للشخص المتكامل الحسن والخِلقة: (شديد الأسر).

والإسار: هو الرباط، وسُمي الأسير أسيرًا: لأنه يوثق ويربط ويُشد إِسَاره.

والمعنى: يبين الله تعالى للكفار المنكرين للبعث، ويستدل على إعادة بعثهم بأنه هو سبحانه الذي خلقهم وأحكم خِلقتهم بشدها وربط مفاصلها وجوانبها بالعروق والأعصاب والأوتار، وبالقوى الجسدية والنفسية والروحية والعقلية؛ ربطًا عجيبًا معجزًا حتى تمت أجسادهم واكتملت.

فإن شاء سبحانه أهلكهم وأفناهم واستبدلهم بأمثالهم في الخلقة، وجاء بخير منهم يؤمنون به ويعبدونه.

أسرّوه

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩].

(وَأَسَرُّوه) من الإسرار والخفاء.

والضمير في (أسرّوه) يحتمل عَودُه على معنيين:

١ - أخفى إخوة يوسف قرابته لهم لمّا جاء السيارة وأخرجوه من البئر، وباعوه على أنه عبد آبق لهم بدراهم معدودة، وسكت يوسف خوفًا منهم.

٢ - أخفى السيارةُ -وهم المارَّة- من قافلة التجار المسافرين أمر شراء يوسف عن بعضهم البعض؛ خوفًا من الشركة فيه، فأخفوه مع أمتعتهم كبضاعة من البضائع.

[آسفونا]

قال تعالى -عن قوم فرعون-: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

الأسف يأتي بمعنى: الغضب، ويأتي بمعنى: الحُزن والحسرة.

(آسفونا) أي: أغضبونا.

فالمعنى في حق الله تعالى: ولما أغضبونا بأفعالهم وتماديهم في الكفر، انتقمنا منهم بعذاب مُعَجَّل فوق المؤجل، والعياذ بالله.

* وقال تعالى عن موسى : ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفا﴾ [طه: ٨٦].

(أسِفًا) قيل: شدة الغضب، وقيل: شدة الحزن؛ فيكون الغضب الممزوج بالحسرة.

* وكذلك كما في سورة يوسف عن يعقوب : ﴿وَقَالَ يَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ [يوسف: ٨٤].

(يَا أَسَفَى) يا حزنًا؛ فالأسف هنا: شدة الحزن.
* ومثلها قوله تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].
(باخعٌ) أي: مُهلك نفسك.
(أسفا) أي: حزنًا وحسرة على عدم إيمانهم.
ومنها ما جاء في الحديث الشريف: «مَوتُ الفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ» صحيح الجامع (٦٦٣١) أي: أخذة غضب من الله]..
وقد ورد عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ وعائشةَ قالا: (مَوتُ الفُجاءَةِ رأفةٌ بالمؤمنِ وأسَفٌ على الفاجِرِ) *؛ فيتضح أن موت الفجأة أخذة غضب على العبد الفاجر المفرِّط في حق مولاه]..
* مصنف ابن أبي شيبة (١٢٠٠٧)، وصححه الأرناؤوط موقوفًا في هامش سنن أبي داود (٥/ ٦٥).

إصرًا

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].
(إِصْرًا) أي: عهدًا، وأصل الإصر: هو الثِّقَلُ، وسمي العهد إصرًا: لأنه ثقيل، ويلزم منه الامتناع عن كل ما يخالفه.
والمعنى: لا تحمل علينا عهدًا ثقيلًا لا نطيقه ولا نستطيع الوفاء به كما حصل للأقوام السابقة.
* ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].
(إصرهم) أي: يضع عنهم عهودهم ومواثيقهم المشددة التي أُخذتْ عليهم.
* ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ [آل عمران: ٨١].
(أخذتم على ذلكم إصري) أي: قبلتم عهدي وميثاقي عليكم.
فائدة:
ومنها: أواصر الأُخُوّة، وأواصر الدِّين، وغير ذلك؛ أي: روابط الأخوة وروابط الدِّين.

أصيلا

* ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ [الإنسان: ٢٥].
* ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢].
(أصيلًا) الأصيل: هو وقت ما بين الظهر إلى أن تغيب الشمس.
(بكرة) البكرة من البُكور: وهو أول النهار؛ وهو الصبح.
* ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦].
(الغدو والآصال): الصباح والمساء.
* وفي بعض الآيات عُبِّر عن طرفي اليوم ب (البكرة والعشيّ) كقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].
والعشيّ في اللغة: هو الأصيل؛ كما جاء في الصحيح «صَلَّى بنَا رَسولُ اللهِ ﷺ إحْدَى صَلَاتَيِ العَشِيِّ -إمَّا الظُّهْرَ، وإمَّا العَصْرَ- فَسَلَّمَ في رَكْعَتَيْنِ، ... » صحيح مسلم (٥٧٣).

[أغطش]

قال تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٩].
(أغطش) أي: أذهب نوره وأظلمه؛ تقول العرب: (رجلٌ أغطش) أي: ضعيف البصر.

وقد ذكر الله تعالى الليل في القرآن، وأقسم به؛
*فقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣] أي: إذا مضى وجاء بعده النهار.
* وقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧] أي: أقبل بظلامه وأدبر.
ف (عسعس) من المتضادات في اللغة، وقد ذُكرت في مفردة سابقة؛ فهي تعني: أدبر، وتعني: أقبل.
*﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧] أي: وما جمع فيه خبايا الأمور؛ من هوامّ الخلق وأعمال البشر. انظر: حرف الواو (وسق).
*﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤] أقسم بالليل في سريانه، وما فيه من أوقات العبادة؛ ولهذا أقسم قبله بالليالي العشر، و (السُّرى) هو السير بالليل.
*﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤] أي: إذا غطى نور الشمس بظلامه.
*﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١] أي: إذا غطى الكون بظلمته.
* ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ٢] لها معنيان:
١ - سجى؛ أي: سكن وهدأ؛ يقال: (بحر ساجٍ) أي: ساكن.
٢ - سجى؛ أي: امتدَّ وغطى؛ يقال: (سُجّيَ الميت بثوب) أي: مُدّ عليه ثوب.
كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسا﴾ [النبأ: ١٠] أي: ألبس سواده كل شيء.

[أقنى]

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم: ٤٨].
(أغنى) أي: أعطى الكفاية بما يُستغنى به ويُستكفى.
(أقنى): من الاقتناء؛ أي: أعطى زيادة على الغنى ما تقتنونه وتدّخرونه. وقيل: هي مقابلة لأغنى؛ أي: أفقر.
والمعنى بعد جمع المعاني: أعطى بعض الناس ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وأقنى بعض الناس بالادخار واقتناء الأموال الكثيرة، وأفقر البعض فلم يعطهم إلا القليل.

[أكاد]

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥].
(أَكَادُ أُخفِيهَا) قال الشنقيطي في تفسير الآية: «هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ يُتَوَهَّمُ مِنها أنَّهُ جَلَّ وعَلا لَمْ يُخْفِها بِالفِعْلِ، ولَكِنَّهُ قارَبَ أنْ يُخْفِيَها».
وقد صرّح ربنا تعالى أنه أخفاها في غير آية؛ كما قال: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].
فما معنى (أكاد أخفيها)؟
ذكر المفسرون في تفسيرها عدة أوجه؛ منها:
١ - أنَّ مَعْنى الآيَةِ: أكادُ أُخْفِيها مِنْ نَفْسِي؛ فَكَيْفَ يَعْلَمُها مَخْلُوقٌ؟!
٢ - أكاد أتْرُكَ الإخْبارَ عنها لِشِدَّةِ إخْفائِي لِها، ولكني أخبرتكم بوقوعها.
٣ - أي: أكاد أزيل خفاءها؛ بمعنى: أكادُ أُظْهِرُها؛ لأن الهَمْزَةَ في قَوْلِهِ: (أُخْفِيها) قد تكون هَمْزَةَ السَّلْبِ؛ كَقَوْلِهِمْ: شَكا إلَيَّ فُلانٌ فَأشْكَيْتُهُ؛ أي: أزَلْتُ شِكايَتَهُ.
٤ - أنَّ (كادَ) صِلَةٌ، وعَلَيْهِ فالمَعْنى: (إنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها) (لِتُجْزى ...) أي: أخفيتها لتجزى كل نفس بعدها بما فعلت من خير وشر، والله أعلم بمراده! انظر: تفسير أضواء البيان للآية.

أكدَى

قال تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ [النجم: ٣٤].

(أكدى) أي: انقطع ولم يستمر؛ تقول العرب: (أكدى حافر البئر) أي: صادف كُدْيَة -صخرة- فانقطع عن حفرها.

فالمعنى: أعطى قليلًا ثم انقطع عطاؤه. وهو أحد المشركين الذي نزلت فيه الآية؛ قيل: إنه الوليد بن المغيرة، بدأ في عطائه لمن يتحمل عنه ذنوبه من المشركين، ثم انقطع ولم يستمر. وقيل: بدأ في الكلام الطيب عن القرآن، ثم انقطع وأعرض.

[أكفره]

قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣)﴾ [عبس: ١٧ - ٢٤].

(قتل): بمعنى هلك، وقيل: لُعن.

(ما أكفره): لها معنيان:

١ - (ما) للتعجب: فيكون المعنى: ما أشد كفره وجحوده مع من لم يزل ينعم عليه.

٢ - (ما) استفهامية للإنكار: ما الذي حمله على الكفر؟!

(كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ): لها معنيان كذلك والمعنى الأول أظهر:

١ - أن الإنسان لم يقض ما أمره: فبعد أن عدَّد الله نِعمه على الإنسان بعموم اللفظ (بني الإنسان) -وقيل: المراد الكافر- ومع جميع ما أنعم الله عليه؛ لم يُؤَدِّ شكرها، ولم يقض ما أمره الله به، ولم يُوفِ بعهده معه إلا القليل منهم، وأكثر المفسرين عليه.

٢ - أن الله لم يقض ما أمره: فالجملة (كلا لما يقض ما أمره) تعود للآية التي قبلها (ثم إذا شاء أنشره) والمعنى: إذا شاء الله أنشر العبد ليوم النشور، ولكنه أمهله؛ لأن أمر النشور له وَقْتُه المقدر له ولم ينقضِ بعد؛ فلا بد أن يَتم حتى يُنشِرالله ابن آدم ويبعثه.

قال بمثل هذا التفسير جمع من العلماء؛ منهم: ابن عثيمين، وابن كثير.

[الأكمه]

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(الْأَكْمَهَ): هو المولود الذي يولد أعمى ممسوح العين؛ أي: ليس له عين. فكأن عيسى يشق له بصره من جديد. وقيل: كل أعمى؛ تقول العرب: (كَمِهَ الرجل) أي: عَمِيَ.

قال العلماء: ذكر الأعمى والأبرص على وجه الخصوص؛ لأن الطب يعجز عن شفائه.

أكنانًا

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

(أكنانًا)، (سرابيل) يعدد الله تعالى بعض نعمه على عباده؛ فجعل لهم ما يسترهم ويحميهم، وهي هنا ثلاثة أشياء للحماية:

١ - جعل لهم الظلال تسترهم عن أشعة الشمس، وتحميهم من حرارتها.

٢ - جعل لهم الأكنان.

وأصل المعنى من الكِنِّ، أو الكِنَانِ؛ وهو الغطاء. وجمعها: أَكِنّة، وأكنان؛ لأن الإنسان يَكِنّ فيه ويأوي إليه.
والمقصود: البيوت مما ينحتونه من الجبال، أو يبنونه على السهول يستر عوراتهم ويحفظ خصوصيتهم.
٣ - جعل لهم السرابيل، وهي القُمص، والقميص الواحد: سربال. والسرابيل مُنوَّعة: سرابيل تقي من الحر، ويدخل في المعنى: سرابيل تدفئ من البرد، وسرابيل تُتّخذ دروعًا تقي بأس الحرب، وهذا يدل على تنوع الأقمشة: منها الخفيف، والثقيل، والمضفور، والمغزول من الكتان، والقطن، والحرير، والصوف، وغيرها من نعم الله؛ فله الحمد والمنة.
* ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].
يتحدث السياق هنا عن المجرمين في النار أن لباسهم فيها ثياب من مادة بالغة الحرارة، تسربلهم وتغطيهم ليزدادوا احتراقًا، كما قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].
* ومن أصل معنى التغطية: ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الأنعام: ٢٥] أي: على قلوبهم غطاءٌ عن فهم مراد الله تعالى، وعن الإيمان به.
* ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥] أي: داخلة في غلاف يحجبها عن الإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفُ﴾ [البقرة: ٨٨]، وكذلك: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥].
(أَكنَنْتم) أي: ما سترتموه داخل أنفسكم وأضمرتموه.
* ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القص ٦٩].
(ما تُكِنُّ) أي: ما تخفي وتضمر داخلها.
*﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] أي: مغطًّى ومستور بما يحفظه عن خدش صفائه وتغيُّر لونه، ومصون من لمس الأيدي.
*﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣] أي: كاللؤلؤ المحفوظ والمغطّى في صدفاته.
* ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٨] أي: محفوظ عند الله مستور، ومحجوب عن الوصول إليه وعن الشياطين، انظر حرف الميم، مفردة (مكنون).

إلّا

قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].
(إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) لها معنيان كلاهما يحتمله السياق:
١ - من الإل: وهو الحَلِف والقَسَم.
٢ - من الإلَّة: وهي القرابة.
والذمة: هي العهد والأمان.
أي: لا يرعَوْن تحالفًا، ويقطعون الإلّ والقرابة، ولا يرعُون حُرمة العهد.
* ومن أصل المعنى الأول: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].
(وَلَا يَأْتَلِ) أي: لا يحلف.

والمعنى: لا يحلفوا على ألا يؤتوا النفقة لذوي القرابة والامتناع عن الخير، وهي قصة معروفة لأبي بكر الصديق حينما حلف على وقف النفقة لقريبه مِسْطَح حينما خاض في حادثة الإفك.
* وكذلك: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦].
(يُؤْلُونَ) من الإيلاء، وهو الحلف واليمين؛ أي: يحلفون على نسائهم ألا يقربوهن؛ وهو الحلف على ترك الوطء مطلقًا أو مقيدًا بأربعة أشهر أو أكثر.
(فَاءُوا) أي: رجعوا، والمقصود: رجعوا عن الحَلِف.
والمعنى بإجمال: كان العرب في الجاهلية إذا كره الرجل منهم زوجته يحلف ألا يقربها، وهو مع ذلك لا يطلقها ليتزوجها غيره، فشرع الله تعالى توقيت ذلك ليتروَّى الرجل عسى أن يرجع إلى رشده.
فعلى الأزواج الذين يحلفون ألّا يطؤوا نساءهم انتظار أربعة أشهر فقط، فإن رجعوا عن حلفهم قبل فواتها فإن الله غفور رحيم؛ أي: لا شيء عليه سوى كفارة يمين فحسب.
أمّا إن تجاوز مدة الأربعة أشهر: فإنه يُوقف بأمر القاضي، وللزوجة أن تطالب بالرجوع عن يمينه أو الطلاق، أمّا إن صبرت باختيارها حتى يُكمل يمينه؛ فلا إشكال إذن عليه.

ألفافًا

قال تعالى: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٥ - ١٦].
(ألفافًا): هي جمع من: لف، ولفيف. والالتفاف: هو الاجتماع. والشجر اللفيف: هو المجتمع والملتف بعضه على بعض.
والمعنى: جنات ملتفة كثيفة الشجر.
* ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفا﴾ [الإسراء: ١٠٤].
(لَفِيفًا) أي: كلكم أوّلكم وآخركم، وجميع قبائلكم وأجناسكم؛ ليجازى كل بعمله.
* وكذلك في قوله تعالى التي سبق بيانها في مفردة (ساق): ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩].
(الْتَفَّتِ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - التفاف كل ساق على الأخرى في الكفن واجتماعهما.
٢ - اجتماع الشدائد والتفاف الأمور، وصعوبة الحال وعِظَم الكرب.

[الألواح]

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].
(الألواح) قيل: هي التوراة. وقيل: هي سابقة لها، والعلم عند الله.
(وكتبنا) كتبها الله تعالى بيده، وهذا ما يرجّح أنها التوراة؛ فالثابت أن التوراة كتبها الله بيده.
(سَأُورِيكُم دَارَ الفَاسِقِينَ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - سأوريكم منازل ومصير الفسقة المعرضين من بني إسرائيل وغيرهم في جهنم يوم القيامة؛ فهو تحذير عن الخروج عن طاعة الله.
٢ - سأوريكم دار الفسقة المعرضين من الذين سبقوكم في القرون الماضية، بالمرور عليهم في العراق والشام؛ ليكونوا عبرة وعظة.

أما من قال: سأوريكم دار الفسقة المعرضين وهم آل فرعون، فهو تفسير بعيد؛ لأن الآيات تحكي ما بعد خروجهم من مصر.

[إمام]

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٨ - ٧٩].

(لَبِإِمَامٍ) الأَمُّ: هو القصد؛ تقول العرب: (أمَمْت الطريق) أي: قصدته.

والمعنى: أن الله تعالى انتقم من قوم شعيب -وهم أصحاب الأيكة- وصفهم بمسكنهم -وهو البستان كثير الشجر- فانتقم منهم لشركهم، ولتطفيف الكيل والوزن.

وضمير المثنى (وإنهما) راجع إلى قريَتَي قوم لوط في آية سابقة، وأيكة شعيب.

وكان تجار مكة إذا دخلوا أرض فلسطين يمرون ببحيرة لوط (البحر الميت) وعلى أطرافها بقايا قرية سَدُوم التي غمر الماءُ معظمها، فالآثار باقية في طريق واضح يقصده المارّة والمسافرون؛ موعظة لمن يتعظ!

* ومنها: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانا﴾ [المائدة: ٢].

(آمِّينَ) أي: قاصدين البيت الحرام.

*﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي: لا تقصدوا بنفقتكم الرديء الذي لا تحبونه لأنفسكم.

* ومنها جاء التيمم: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبا﴾ [النساء: ٤٣] وهو قصد التراب الطاهر.

فائدة:

كلمة (إمام) تعني: كل ما يُؤتمّ به؛ سواء كان إنسانًا يُقتدى بقوله وفعله، أَوْ كتابًا، أَوْ غير ذلك.

- فالإمام من المكان تعني: الذي يقصده الناس.

-والإمام من الأشخاص القدوة الذي يتّبعه الناس؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاما﴾ [البقرة: ١٢٤]، ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ومن الكتب: كما في قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] أي: في كتاب واضح؛ وهو اللوح المحفوظ.

﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف: ١٢] أي: يُؤتم به، ويُعمل بما فيه.

[أمامه]

قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥].

(أَمَامَهُ) تحتمل معنيين كلاهما صحيح:

١ - أمامهُ في أيامه القادمة وما امتد من عمره في هذه الحياة الفانية.

فيكون المعنى: يريد الإنسان أن يمضي في الفجور والمعاصي قُدُمًا، لا يثنيه ولا يردعه شيء.

فهذه الآية تبين طول الأمل، والتسويف، ونسيان الأجل.

فيحتمل أن يكون سؤاله في الآية بعدها: ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال غفلة واستبطاء.

٢ - أمامه؛ أي: فيما هو قادم عليه وهو يوم القيامة، والفجور هنا: هو التكذيب به.

والمعنى: يريد الإنسان أن يُكذِّب بما أمامه وما هو قادم إليه وهو يوم القيامة؛ فيكون سؤاله في الآية بعدها: ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦] سؤال تكذيب وعناد واستكبار.

وبجمع المعنيين يتبيّن أن من الناس من يريد أن يدوم على فجوره في الحاضر والمستقبل ويسوّف التوبة، ومنهم من هو سادر في الغيّ، ولا يؤمن بيوم القيامة، بل هو مكذِّبٌ به، ولا يحسب له حسابًا.

فائدة (١):

في قوله تعالى: (يريد الإنسان):

- إرادة الإنسان في المعنى الأول تعني: إرادته الاسترسال في المعاصي والشهوات.

- وفي المعنى الثاني: تفيد تعمّده الإصرار والتكذيب والعناد.

فائدة (٢):

* الفجور في المعنى الأول يراد به: الفسق والمعاصي.

* والفجور في المعنى الثاني: هو الكفر والتكذيب؛ فالآية على إيجازها المُعجز شملت المفرّط بدرجاته، والمكذب المعاند.

[أمة]

معاني مفردة «أُمّة»:

لها في القرآن الكريم أربعة معان:

١ - إمامًا وقدوة.

٢ - برهة من الزمن.

٣ - ملة ودين، أو أهل ملة.

٤ - طائفة وجماعة وقوم، وجيل من الناس.

- فجاءت بمعنى: (إمامًا وقدوة) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

- وجاءت بمعنى: (مدة من الزمن) في:

﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ [هود: ٨].

- وجاءت بمعنى: (ملة ودين) في:

*﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] أي: على ملة ودين.

*﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣] أي: على ملة واحدة وهي الكفر.

* ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣] أي: على ملة واحدة ودين واحد؛ فقد كان الناسُ على ملة آدم مدة عشرة قرون حتى عبدوا الأصنام؛ فبعث الله إليهم نوحًا .

* ومثلها جميع ما جاء فيه قوله تعالى: (أمة واحدة) أي: ملة واحدة، أو أهل ملة واحدة.

-وجاءت بمعنى: (أهل ملة) كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٦٨] أي: أهل كل ملة.

*﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥] أهل كل ملة.

* ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدا﴾ [القص ٧٥] أي: من أهل كل ملة وغيرها.

- أما الآيات الأخرى التي وردت فيها مفردة (أمة) فجاءت بمعنى: (جماعة، أو قوم وجيل وما في معناها) فقد تكون طائفةً قليلة العدد، وقد تكون جيلًا ممتدًّا وعدة قرون من الناس، ومنها:

* ﴿وَلْتَكُن مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].
*﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] جماعة أو قوم.
*﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: جماعة عدولًا خيارًا في الناس.
*﴿وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] أي: طائفة أو قوم.
*﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القص ٢٣] أي: جماعة وطائفة من الناس يسقون.
*﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ٨٣] من كل أمة من الأمم طائفة.
*﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧] لكل قوم أو جماعة جعلنا لهم شريعة.
*﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢] أي: بسبب كون طائفة منهم أكثر عددًا وقوة من الطائفة الأخرى.
* ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦] في كل قوم أو جيل من الناس.

إِمْرًا

قال تعالى -في قصة موسى والخضر-: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرا﴾ [الكهف: ٧١].
(إِمْرًا) الإمر: هو الأمر المنْكر العجيب؛ تقول العرب للأمر إذا استفحل: (أَمِرَ الأمر).
* وقريب منها: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرا﴾ [الكهف: ٧٤].
قال أهل العلم: النُّكْر أعظم من الإِمْر؛ فمعناه: أنه جاء بشيء فظيع أشد نكرًا من الأول؛ لأن الأول كان في خرق السفينة ويمكن إصلاحه، أما الثاني فكان في قتل الغلام ولا يمكن إعادته للحياة.
* ومثلها في المعنى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦] أي: إلى أمرٍ فظيع لشدة أهواله خارج عن المألوف، وهو يوم القيامة، والداعي هو إسرافيل .
* وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧].
(فريّا): ادعاء وفرية عظيمة؛ لأنهم لم يصدقوا بعفّتها.
* وفي قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩] أي: منكرًا فظيعًا جدًّا.
(إِدًّا) (الإِدّ): وصفٌ لفظاعة الأمر وشناعته، وهو الأكبر شناعة وافتراء مما قبله؛ لذلك قال جل وعلا: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠] وهو ادّعاء الولد لله، سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا.

أَمَرْنا

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا﴾ [الإسراء: ١٦].
(أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا):
هل يأمر الله المترفين بالفسق؟! تعالى الله.
في الآية عدة تفسيرات:
١ - أن متعلّق الأمر في الآية محذوف لمعرفته وظهوره؛ فالله تعالى لا يأمر إلا بالطاعة والمعروف.
وكما تقول العرب: (أمرته فعصاني) فالمحذوف هو: أمرنا مترفيها بالطاعة لله ورسله فعصوا وفسقوا.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨].

٢ - أن كلمة (أمَرنا) تعني: قدّرنا عليهم الأمر القدري الكوني.

فالمعنى: إذا أردنا أن نهلك قرية قدّرنا على مترفيها القدر الذي كتِب عليهم، فكل مُيسَّر لما خُلق له، فتركهم وفِعْلَهم وأجرى عليهم تبعاته؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، (أمرُنا) أي: قدرُنا.

٣ - (أمرنا) بمعنى: سلّطنا؛ أي: سلطنا عليهم مترفيهم وفَسَقَتَهُم؛ لأنهم ابتعدوا عن شرع الله.

وهناك معانٍ أخرى، وهذه هي الأقرب للصواب كما ذكر المفسرون، والله أعلم.

فائدة:

ذكرت الآية الكريمة أن الذي فسق هم مترفوها فعمَّ العذاب الجميع؛ وذلك لسببين:

١ - إما أن الأكثرية أصبحوا تبعًا لأمرائهم الفسقة ففعلوا مثلهم.

٢ - وإما أنهم تركوا الأمر بالمعروف فلم يتناهوا ولم ينكروا؛ فعمّهم الله بالعقاب.

أَمْنَا

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنا﴾ [البقرة: ١٢٥].

(وَأَمْنًا) لها مدلول واسع:

- فهي أمن من كل عدوان.
- أمن للنفس وسكينة واطمئنان.
- أمن حتى للشجر والحيوان إلا الفواسق الخمس.
- أمن مضاعف في بلد أمين مخصص للمؤمنين.
- وأمن مضاعف للحجيج في بيت حرام وشهر حرام وبلد حرام.
- أمن للرزق -فمن مقوماته البركة- وتُجبى إليه الثمرات.
- وفوق ذلك أمن ومغفرة في الآخرة لمن قصده للعبادة بصدق وصواب.

أُمّها

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص ٥٩].

(أُمِّهَا) الأم في اللغة لها معنيان:

١ - رأس الشيء وأعظمه، ومقدمته: هو أمه.

٢ - ويقال لكل شيء اجتمع فيه أكثر الأشياء وضَمّها: (أم).

(أُمِّهَا):

- أي: في أكبرها وأعظمها، وهو المكان الذي يؤمُّه أكثرُ الناس.
- أي: في أكثر القرى.

والمعنى: ما كان ربك-يا محمد- مهلك أهل قرية حتى يقيم عليهم الحجة، فيبعث في أكبرها وأعظم بلادها والمكان الذي يضمُّ أكثرَ الناس رسولًا، كما أرسلك في أم القرى مكة المكرمة.

فللإهلاك شرطان:

١ - أن يبعث رسولًا ويقيم عليهم الحجة.

٢ - أن يظلم أهلُ القرى ويكذبوا الرسول.

* ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].
* ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].
(أُمّ الكتاب) هو اللوح المحفوظ، وسمي (أُمّ الكتاب):
١ - لكونه ضم جميع المقادير.
٢ - ولكونه أعظم الكتب.
* ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧].
(أُمّ الكتاب):
١ - أصله الذي تنبني عليه الأحكام.
٢ - مُعظم القرآن من المُحْكَمات.
* ومثلها: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩].
١ - يهوى على مقدمته وأُمّ رأسه.
٢ - يهوي إلى (أُمّه) وهي جهنم التي تضمه في داخلها.
* ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].
(أُمّ القرى) هي مكة المكرمة، سميت (أُمّ القرى)؛ لكونها:
١ - أعظم القرى.
٢ - ضمت بيت الله وحرمه ومهبط وحيه ...
- وسميت (الفاتحة) أُمّ الكتاب، كما في الحديث الشريف: «الحمدُ لله ربِّ العالمين: أمُّ القرآنِ، وأمُّ الكتابِ، والسبعُ المثَاني» صحيح الجامع (٧٢٩).
١ - لكونها مبدأ الكتاب ومقدمته، وأعظم سورة فيه.
٢ - لكونها جمعت في موضوعها جميع مقاصد القرآن الأساسية.
* وكذلك سميت (الخمر) أُمّ الخبائث:
١ - لكونها مفتاح كل شر.
٢ - ولكونها جمعت الخبائث وأفضت إليها.

[الأميين]

قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].
(وَالْأُمِّيِّينَ) لها معنيان:
١ - جمع أُمّي: وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب، أو لا يفهم معنى المكتوب.
٢ - والأميون أيضًا: الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب وغيرهم.
والمعنى العام: قل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى، وقل للأميين الذين لا كتاب لهم: أأسلمتم؟ أي: هل أفردتم الله بالألوهية والربوبية؟
فإن أسلموا وانقادوا لذلك: فقد اهتدوا وأصابوا الحق وسلكوا طريق الرُّشد، وإن تولّوا وأعرضوا عن دعوتك: فإنما عليك البلاغ، وأمرهم مُوكلٌ إلى الله؛ فهو العليم بمن يُقبِل ومن يُعرض، وهو البصير بأفعال عباده وما يستحقون من جزاء.
* ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].
(أُمِّيُّونَ) جمع (أُمِّيّ)، والأُمِيّ: هو الذي لا يفهم القراءة، ولا يعرف المعنى.

والمعنى: من اليهود أُمِّيُّونَ لا يعرفون القراءة ولا يفهمون المعنى، وإنما هي أماني؛ أي: قراءة بدون فهم. انظر المفردة الخاصة بها في حرف التاء، باب الجمل (سورة الحج، آية: ٥٢).

* ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

(الْأُمِّيِّينَ): الأُميُّون: هم مَنْ لا كتاب لهم، ومنهم مشركو العرب، وهم بمعنى آخر كذلك لا يقرؤون ولا يكتبون.

(ليس علينا في الأميين سبيل) أي: ليس علينا ملامة ولا إثم في استحلال دماء وأموال الأمِّيين.

* ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

(الْأُمِّيِّينَ) لها معنيان:

١ - لا يقرؤون ولا يكتبون.

٢ - لا كتاب لهم.

* ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(الْأُمِّيِّ) الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهو زيادة في مدْحِهِ، وزيادة تأكيد أنه لم يأت بشيء من عنده، بل أتى به من عند الله.

إناثًا

قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدا﴾ [النساء: ١١٧].

(إِنَاثًا) الآية تشير إلى الأوثان والأصنام التي يعبدها المشركون.

ووصفت الأوثان بأنها إناث:

- لأنها بمسميات إناث على الغالب: (مَنَاة - والعُزَّى - ونَائِلة - وإِسَاف ...).

- ويزينونها بالحلي كما تتزين النساء.

فيخبر القرآن على سبيل الاستهزاء ويعيب عليهم أنهم إنما يعبدون آلهة إناثًا، فبالإضافة إلى أنها جمادات لا تضر ولا تنفع، فهي بمسميات الإناث التي هم بأنفسهم -العرب- قديمًا كانوا يظلمون الأنثى ويعتبرونها ضعيفة، فكيف يتخذون آلهة إناثًا لتنصرهم وتغيثهم وهي فاقدة لذلك من كل وجه؟!

(وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا) أي: إنما يعبدون ويتوسلون إلى الشيطان المَرِيد؛ فهو الذي دعاهم
إلى عبادتها.

(المَرِيد) أي: شديد العُتُوّ والضلال؛ فهم يعبدونه على الحقيقة وليس الآلهة.

[انبجست]

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

(فَانبَجَسَتْ) أي: خرج منها الماء.

* ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنا﴾ [البقرة: ٦٠].
(فَانفَجَرَتْ) أي: تدفق منها الماء.
فكلٌّ من الآيتين تعطي وصفًا مختلفًا:
- فالانفجار: يبيّن انصباب الماء بكثرة.
- والانبجاس: خروج الماء من بين الحجارة.

أنكالًا

قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيما﴾ [المزمل: ١٢].
(أَنكَالًا): جمع نِكل، وهو القيد.
والمعنى: إن لدينا قيودًا وأغلالًا من النار وجحيمًا للعذاب .. نسأل الله السلامة!
أما النّكال: كما في قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].
(نَكَالًا) أي: عقوبة من الله.
* ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦].
(فَجَعَلنَاهَا نَكَالًا) أي: عبرة وعظة مانعة لمن بعدهم.
والضمير في (جعلناها) يحتمل أن يكون عائدًا على اثنين:
١ - على القرية؛ أي: جعلنا قرية أصحاب السّبْت الممسوخة نكالًا وعبرة لغيرهم.
٢ - على العقوبة؛ أي: جعلنا عقوبة المسخ عبرة لكل من تسوّل له نفسه أن يفعل فعلهم.
* ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥].
(نَكَالَ) أي: أخَذَهُ أخذ عزيز مقتدر؛ ليكون عبرة في الدنيا في زمنه، وعبرة فيما بعد ذلك إلى يوم القيامة.
* ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلا﴾ [النساء: ٨٤].
(تَنكِيلًا) أشد عذابًا وعقوبة.
إذن: النكال تأتي بمعنى عبرة، وبمعنى عقوبة بحسب السياق، والأنكال: هي القيود.

[انكدرت]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢].
(انْكَدَرَتْ) تجمع بين معنيين:
١ - انتثرت وحُلَّ نظامها.
٢ - وتساقطت وهَوَتْ، وذلك يوم القيامة.
.ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١]، ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]
* أما قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١] فلها معان لا تتعارض:
١ - إذا سقط يوم القيامة.
٢ - إذا سقط منه شهاب على الشياطين.
٣ - إذا غاب في السماء مع طلوع الفجر؛ فكأنه يهوي لمستقرّه.

[آنية]

قال تعالى: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٤ - ٥].

(عَيْنٍ آنِيَةٍ) آنى: بلغ نهايته أو نضجه.
(آنية) أي: بلغت في الحرارة إناها؛ أي: منتهاها، فهذا من شراب أهل النار إذا عطشوا، نسأل الله السلامة!
* ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].
(حَمِيمٍ آنٍ) (آن) هنا بصيغة المذكر، وتدل على ذات المعنى؛ أي: ماء بلغ نهايته في الحرارة والغليان.
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣].
(إِنَاه) أي: غير منتظرين نضجه.

أهُشّ

قال تعالى حكاية عن موسى : ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨].
(وَأَهُشُّ بِهَا) تقول العرب: هش فلان الشجر: إذا اختبط ورقه وهزَّ أغصانه فتساقط، والهشُّ: هو الخبط على الشيء الهَشّ الذي يقبل الكسر بسهولة.
والمعنى: أضربُ الشجر فيتساقط ورقه اليابس على غنمي فترعاه.

[أهوى]

قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٢ - ٥٣].
(أهوى) معنى أهوى؛ أي: أسقط.
(والمؤتفكة): هم قوم لوط، سماهم المؤتفكة -أي: المنقلبة- لأن الله تعالى أمر المَلَك فاقتلعها وارتفع بها، ثم قلبها وأسقطها من ذلك الارتفاع، نسأل الله العافية!
* وبمعنى السقوط كذلك: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١] ولها معان، انظر: (ص ٤٩) في حرف الألف، مفردة: (انكدرت).
فائدة:
هناك فوارق لغوية في الآيتين التاليتين بناء على الفاعل والمفعول به:
- (والنجم إذا هَوَى) أي: سَقَطَ.
- (والمؤتفكة أَهْوَى) أي: أسْقَطَ.
* ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩] لها معنيان:
١ - أن الهاوية من أسماء النار، ومعنى (أمّه) أي: مسكنه الذي يأوي إليه، يعني أنَّ مآله إلى نار جهنَّم، والعياذ بالله!
٢ - أن المراد بالأُمِّ هُنا: أُمُّ الرأس؛ والمعنى: أن أَمَّ رأسه هاوية في جهنم، نسأل الله السلامة!
﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١].
* (هَوَى) أي: خسر وسقط في جهنم.
﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

(استَهوَتهُ) لها معنيان كلاهما يحتمله النَّص المبارك:
١ - من الهويّ والسقوط؛ أي: كالذي هوت به الشياطين في مهاوي الضلال.
٢ - من الهوَى والغواية؛ أي: كالذي أغوته الشياطين وزيّنت له الهوى.

أَوِّبي

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].
(أَوِّبِي) أي: سبِّحي ورجِّعِي معه، وأصل الكلمة من (آب) أي: رجع.
فالجبال مأمورة بترجيع التسبيح خلف داود ، وتعود معه وتكرر حيث عاد.
ولفظ (أوبي) يتشارك في أصل المعنى مع (الأوّاب) لأن الأوبة هي العودة والرجوع؛ كما في قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [١٧] ف (الأوّاب): هو الرَّجَّاع، أو كثير الرجوع إلى الله.
* ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [١٩].
(أَوَّاب) ترجّع وتتجاوب خلفه بالتسبيح.
* ﴿لِلطَّاغِينَ مَئَابا﴾ [النبأ: ٢٢].
(مآبا) أي: مرجعًا ومنزلًا سيعودون إليه يوم القيامة.

* ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَئَابٍ﴾ [٤٩].
(مَآبٍ) أي: حسن مرجع وخير عاقبة في الدار الآخرة.

[أوجفتم]

قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦].
(أَوْجَفْتُمْ): من إيجاف الخيل والإبل، وهو حملها على الإسراع في المشي؛ تقول العرب: (وَجَفَتِ الخيل) أي: أسرعت.
(مَا أَفَاءَ): من الفيء، والفيء: هو ما أُخذ من أموال الكفار دون قتال.
والمعنى: ما أفاء الله من غنائم منهم -أي: من أهل قرية بني النضير- فليس بسبب إسراع وإغارة خيلكم ولا ركابكم وجهادكم وتعبكم، فالله تعالى ساقه لكم دون قتال؛ فقذف في قلوبهم الرعب فأتتكم الغنائم صفوًا عفوًا.
فليس لكم حق فيه -أي: للمجاهدين- بل هو لله ولرسوله، ثم ذكر بعدها آية تقسيم الفيء.

[أوسطهم]

قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨].
(أوسطهم) أي: أعدلهم وأفضلهم وأرجحهم عقلًا، وليس المراد أوسطهم في السنّ.
* ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].
(وسطًا) أي: خيارًا عدولًا من بين الأمم، وأهل توسط واعتدال؛ فلا هم أهل غلو ورهبانية كالنصارى، ولا أهل تقصير كاليهود الذين بدّلوا وحرّفوا.
* ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].
(أَوْسَطِ) أي: مما تأكلونه أو تلبسونه في حياتكم العادية بلا تكلف؛ فأوسطه هو أعدله من ناحيتين:

- أوسطه في القدر: فهو على قدر الشبع؛ فلا يكون قليلًا لا يُشبع، ولا كثيرًا يَفيض.
- أوسطه في القيمة: فلا يكون من خسيس المال، ولا يكون باهظ الثمن.

أوضعوا

قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

(وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ)؛ تقول العرب: (أوضع فلان ناقته) أي: أسرع بها.

والمعنى: ولسارعوا ببث الفتن بينكم، ونشر الفرقة بين جماعتكم.

[أوعى]

قال تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: ١٨].

(فَأَوْعَى) من: جمْع المال ووضعه في وعاء يحفظه، وتكنيزه وتكديس بعضه على بعض؛ فلم ينفق منه للمحتاج والفقير.

ومن المعنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٣].

(يُوعُونَ) من يوعِي؛ أي: يجمع في وعاء، والوعاء هنا: هو القلب.

والمعنى: الله أعلم بما يُضمرون ويجمعون في قلوبهم من الفسق والنوايا الخبيثة.

فكلمة: (أوعى)، و (يوعون) من الوعاء الذي يُجمع فيه، وليس من الوعي والإدراك، ومن ذلك جاء اسم الأوعية الدموية؛ لأنها تحمل في داخلها الدم.

* ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦] أي: رحالهم التي يحملون فيها أمتعتهم؛ يقال: (أوعيت المتاع) أي: جمَعته في حافظة.

[الأوليان]

هذه المُفْردة والآية -وهي آية الوصيَّة- استشكلت على كثير من المفسرين، ولا بد من ذكر الآية السابقة واللاحقة لمزيد التوضيح:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦ - ١٠٨].

(الْأَوْلَيَانِ) لا بُدَّ من شرح المعنى آية آية باختصار؛ للتوصّل إلى معنى المفردة:

* (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) فيه أمرٌ للمؤمنين بالإشهاد، وهو أمرٌ للندب وليس للوجوب. وتجب الوصية لمن لديه حقوق لله؛ كالزكاة والكفارات، أو حقٌّ للغير؛ كدينٍ أو أمانة، ولا وصية لوارث.

وتستحبُّ الوصية لمن لديه مال وعنده قرابة فقراء وليس لهم نصيب في الإرث.

* (إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ) في حالة الشعور باقتراب الموت وعنده ما يوصي به، وهو بعيد عن أهله في سفر.

* (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) فإنه يقوم بإشهاد رجلين عدلين من المسلمين على هذه الوصية.

* (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) إذا لم يوجد مسلمان للإشهاد، فرجلان من غير المسلمين (وهذه حالة اضطرار يُقبل فيها شهادة غير المسلم؛ وهي الوصية عند عدم وجود مسلم).
* (إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) تقدم الإشارة إليها؛ وهي وصية المسافر المُشْرِف على الموت ولكنه بكامل وعيه؛ لأن المحتضر قد لا يعتبر كلامه.
* (تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ) تُوقِفون سماع شهادتهما إلى ما بعد الصلاة، وجاء التعيين في السُّنَّة بصلاة العصر، والحكمة في اشتراط كون الشهادة من بعد الصلاة:
- لما للصلاة من التأثير الإيماني، فقد تكون الشهادة أصدق.
- ويكون الموقف أرهب وأخوف من الله.
- وكذلك من خوف الفضيحة بين الناس، والله أعلم.
* (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ) فيُقْسِم الشاهدان الأيْمانَ في حالة الشك في أمانتهما، ويَحلفان على صدقهما وأنهما لا يبتغيان الدنيا، وليس لهما أطماعٌ خاصة، ولا يُحابيان في الشهادة قريبًا؛ وإلا كانا من الآثمين.
* (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا) فإن تبيّن أن شهادتهما كانت زورًا وكذبًا.
* (فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا) فيقوم رجلان آخران بنقض شهادة الخائِنَيْن.
* (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ) لكلمة (أَوْلَيان) تفسيران:
١ - أنها مُثنى لكلمة «الأَوْلى» بالشيء والأحق به.
فيكون المعنى: فيقوم شاهدان بَديلان يكونان الأَوْلى بالميت؛ أي: لهما الأولوية والأحقية به وبإرثه والشهادة له.
٢ - أنها مثنى لكلمة «الأَوّل» على قراءة (الأوّلِين) وهي قراءة صحيحة، وتعني: الشاهدين السابقَيْن.
فيكون المعنى: فيقوم شاهدان مقام الأَوَّلَيْن، وهما اللذان استحق عليهما الإثمُ بخيانتهما.
* (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) فيقسم الشاهدان البديلان على خيانة وكذب الشاهدين الأولين، وعلى أن الميت له كذا وكذا، وأننا صادقان ولم نَفْتَرِ عليهما؛ وإلا كنا من الظالمين.
* (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا) يبين الله الحكمة من شهادة الشاهدين البديلين؛ ليظهر الحق الذي ينبغي أن يكون.
* (أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ) وليكون الشهود على الوصية على خوف من افتضاح أمرهم حال الخيانة، وأنّ أيْمَانهم لن تُقبل، وسَتُردّ على قرابة الميت.
* (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) ثم يأمر الله تعالى بتقواه والسمع والطاعة؛ فمن خرج وفسق عن طاعته؛ فالله تعالى يخذله ولا يهديه إلى سبيل الخير.
- وسبب نزول الآية:
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا مُسْلِمٌ، فَلَمَّا قَدِمَا بِتَرِكَتِهِ، فَقَدُوا جَامًا مِنْ فِضَّةٍ مُخَوَّصًا مِنْ ذَهَبٍ، «فَأَحْلَفَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»، ثُمَّ وُجِدَ الجَامُ بِمَكَّةَ، فَقَالُوا: ابْتَعْنَاهُ مِنْ تَمِيمٍ وَعَدِيٍّ، فَقَامَ رَجُلَانِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ فَحَلَفَا لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا، وَإِنَّ الجَامَ لِصَاحِبِهِمْ، قَالَ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [المائدة: ١٠٦]، صحيح البخاري (٢٧٨٠).

- والجام: كأس من فضة، مُخوَّصًا من ذهب؛ أي: منقوشًا بالذهب.
- تميم وعَدي: من النصارى، ثم أسلم تميم بعد ذلك.

[الأيد]

قال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [١٧].
(ذَا الْأَيْدِ) الأيد: ليست من اليد، بل من الفعل «آد» ومضارعه «يئيد» وتعني: القوة والقدرة؛
تقول العرب: (فلان ذو أيدٍ) أي: عنده ما يتقوى به.
فمعنى «آد» أي: قوِيَ.
و «بأيد» أي: بقوة.
فداود وهبه الله القوة في كل أموره وأمدّه بأسبابها؛ سواء كانت قوة على أعدائه، أو قوة في قلبه على العبادة؛ فكان يصوم يومًا ويفطر يومًا.
وسخر له الجبال تسبح مع تسبيحه، والقوة في ملكه للقيام بشؤونه، وألان له الحديد.
* ومثلها في المعنى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [٤٥].
(أُولِي الْأَيْدِي) أي: القوة على العبادة.
(والأَبْصَار) أي: البصيرة في العلم ومعرفة الحق.
فجمعوا بين العلم الصحيح والعمل الصواب.
* ومثلها: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].
(بِأَيْدٍ) أي: بقوة وقدرة عظيمة؛ فقوة داود والأنبياء]. تليق بهم، وقوة الله جل وعلا تليق به، لكن معنى اللفظ في أصل اللغة واحد.
* ومنه كذلك: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].
* ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]؛ أي: قوّاك وشد من أزرك.
* ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
(وَلَا يَؤودُهُ) أيضًا من الفعل (آد)؛ تقول العرب: (آدني الأمر) أي: أجهدني واشتد وشق عليّ.
فالمعنى: لا يثقل عليه ولا يشق عليه حفظهما.
فائدة:
الفرق بين: الأيد والأود:
(آد) أي: نصر واشتد وقوّى. ومضارعه: (يئيد) أي: يقوّي؛ من الأيد، وهو: القوة.
(آد) أي: أثقل وأجهَد، ومضارعه: (يؤود) أي: يثقُل؛ من الأوْد، وهو: الثقَل.

ائْذَنُوا

قال تعالى: ﴿فَإِن لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩].
(فَأْذَنُوا) من الأُذُن -بضم الذال- لأن الأذُن هي طريق الاستماع المؤدي إلى العلم.
والمعنى: فاعلموا، وهذا اللفظ غالبًا ما يأتي على وجه الإنذار والتحذير؛ أي: فاعلموا واحذروا أنكم على حرب مع الله ورسوله، وقيل من الإذْن -بكسر الألف- بمعنى القرار؛ أي: قرّرنا عليكم الحرب فأيقنوا بوقوعها، وهو كذلك أسلوب تحذيري، والمعنيان لا يتعارضان.

* ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٧].
(آذَنَّاكَ) الخطاب هنا موجه لله تعالى.
والمعنى: أعلمناك يا ربنا.
وهي إجابة يائسة تبيّن ما هم فيه من كَرْب؛ فالله تعالى هو العليم سبحانه لا يحتاج إلى إعلامهم، ولكنها شهادة منهم على أنفسهم ببطلان عبادة الشركاء بعد معاينة الحق يوم القيامة.
* ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩].
(آذَنْتُكُمْ) أي: أعلمتُكم وأنذرتُكم.
وسيأتي بيان الآية الأخيرة لاحقًا بإذن الله في مفردة (على سواء).
* ومثلها في المعنى -ولكن على صيغة المبالغة-: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].
(تَأَذَّنَ) أي: أعلمَهُم إعلامًا صريحًا قويًّا، وهم بنو إسرائيل.
وتأذَّن هنا في سياقها تحمل معنى الإعلام المشتمل على التهديد والوعيد: أنه سيبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب؛ فلا يرون إلا المَذَلَّة والهوان إلى يوم القيامة.
* ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].
(تَأَذَّنَ) إيذانٌ وإعلامٌ بليغ صريح، وقسَمٌ من ربكم مشتملٌ على الوعد الحق الذي لا يحتمل الشك.
(لئن شكرتم) والشكر مشتمل على:
١ - شكر النعمة: فإن شكرتم فلم تسرفوا وتجحدوا، ليزيدنكم من فضله.
٢ - شكره بالتزام طاعته: ليزيدنكم من ثوابه.
والشكر لا يقتصر على اللسان، بل يكون بالقلب واللسان والجوارح.
فالآية: تشتمل على إعلام بأمرين:
الأول: إعلامٌ فيه ترغيب ووعد في شطرها الأول: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ).
الثاني: إعلامٌ فيه تهديد ووعيد في شطرها الثاني: (وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ).

[إيمانكم]

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].
(إِيمَانَكُمْ) أي: صلاتكم التي صليتموها إلى قِبْلَة بيت المقدس.
وسَمَّى الصلاة إيمانًا: لأن فيها تصديقًا وطاعة للرسول ﷺ.

[حرف الباء]

[بحيرة]

قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].
الآية ضمت أسماء لمجموعة من الأنعام، كانوا في الجاهلية يسمّون كل منها باسم لسبب معين؛ حتى يُحرِّموها على أنفسهم ولا ينتفعوا بها، فأبطل الإسلام هذه العادة الجاهلية.
وقد اختُلف في معانيها على أقوال لا تهمنا، ولكن المهم هو معرفة المعنى من اشتقاقه.

(بَحِيرَةٍ) من بَحَرَ؛ أي: شقَّ شقًّا واسعًا؛ وهي الناقة إذا ولدت خمسًا، وقيل: عشر إناث متتابعات؛ بَحروا أذنها؛ أي: شقوها شقًّا واسعًا علامة لها؛ لتُعرف بذلك فلا تُركب، ولا ينتفع بظهرها ولبنها.
فمعنى بحيرة؛ أي: الناقة المشقوقة الأذن.
(سَا ئبَة) السائبة هي الناقة التي تُسيّب لنذر بسبب قدوم من سفر أو شفاء من مرض أو نحوه، تسمى سائبة فتترك ولا تمنع من ماء ولا مرعى، ولا يُنتفع بها.
فالسائبة: هي الناقة المُسيَّبة والمتروكة.
(وَصِيلَة) الوصيلة -من الشاء، وقيل: من النُّوق-: إذا ولدتْ ذكرًا وأنثى في بطن واحد قالوا: وصلتْ أخاها؛ فلم يذبحوا الذكر وتركوه، فيسمى الوصيلة فلا يذبح ولا يُنتفع به، فأما إذا وُلد وحده ذبحوه.
(حَامٍ) من الحماية، وهو: البعير الذي له حفيد، فإذا وَلد البعير وولدَ ولدُه حَرّموه على أنفسهم. وقيل: الذي وُلد من صلبه عشرةُ أبطن، قالوا: هذا حمى ظهره؛ فحرّموه عليهم ولم ينتفعوا به.

بَسَر

قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدثر: ٢٢].
(بسر) اكْلحّ وجهُه وتغير لونه وأظلم، ونظر بكراهة؛ وهو الوليد بن المغيرة لمّا سمع آيات القرآن وعلم أنه الحق واحتار ما يقول فيه ليرضي قومه.
* ومثلها: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤].
(بَاسِرَةٌ) أي: كالحة عابسة؛ كما قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠] فكما كانوا عابسين كَالِحي الوجوه عند سماعهم للحق والقرآن، فيوم القيامة يحشرهم كُلْحًا سُود الوجوه؛ جزاءً وفاقًا، كما قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، فأهل الجنة وجوههم ناضرة؛ أي: بيضاء مشرقة، وهؤلاء بعكسهم، سوداء كالحة، عافانا الله وإياكم!

بَسَط

مفردة (بسط) تأتي بمعان مختلفة بحسب السياق:
* ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].
(بسط): بسط الرزق: نشره للعباد.
* ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].
(يبسط): ينشر ويوسّع. ومنها اسم الله (الباسط): من السعة ونشر الخير.
* ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].
(بسطة) أي: زادكم سعة في قوة الجسم والعقل.
* ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].
(بسطة) أي: زادكم سعة في العلم وقوة الجسم والعقل.
* ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].
(بسطتَ) أي: مددت يدك لتقتلني.

* ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].
(تبسطها): تتوسع في الإنفاق والعطاء بإسراف.
* ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤٨].
(يبسطه): ينشره فيملأ به أرجاء السماء.
* ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢].
(ويبسطوا) أي: يمدوا أيديهم بالأذى والقتل، ويمدوا ألسنتهم بالسّباب وقول السوء.
* ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطا﴾ [نوح: ١٩] أي: جعلها منبسطة ممهدة صالحة للحياة.
فائدة:
- بَسْط اليد: مدها بالضرب أو بالعطاء.
- بَسْط الرزق: نشره بين الناس.
- بَسْط الأرض: مدها ومهدها.
- بَسْط العلم: غزارته واتساعه.
- بَسْط اللسان: الاستطالة بالسباب والشتائم.

[بصر ت]

قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦].
(بَصُرْتُ) بضمِّ الصاد تزيد في المعنى على مجرّد الرؤية، فتعطي معنى العلم؛ فتجمع بين البصر والعلم.
والمعنى: قال السامري: (بَصُرت) أي: أبصرتُ وتفطّنت إلى ما لم يتفطّنه غيري. وهو أنه قبض من أثر حافر فرس جبريل وقت خروجهم من البحر وغرق فرعون وجنوده، فنبذها على العجل؛ فسُمِع له صوت خوار، فافتتن به بنو إسرائيل وعبدوه.
* ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القص ١١] (فَبَصُرَتْ) يحتمل أنها أبصرته من بُعد وعلمت كذلك أخباره.
فائدة (١):
- (أبصَر يُبصِر) أي: نظَر.
- (بصُرَ يبصُر) أي: أبصَر وعلم.
* ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [المعارج: ١٠ - ١١].
(يُبَصَّرُونَهُمْ) يُبصّر: من العلم؛ فهي تزيد على مجرد النظر فتفيد معنى المعرفة؛ تقول العرب: (بصَّرني فلان بكذا) أي: عرّفني به.
والمعنى: يرونهم فيعرفونهم؛ لأن الله يبصّرهم بهم فيعرف كل حميم ومحب قريبه وحميمه الذي كان يحبه في الدنيا، ويراه دون أن يكلم بعضهم بعضًا.
فيبصر الرجل أخاه ويرى أباه ولا يسأله ولا يكلمه؛ لانشغال كل منهم بنفسه، فيودّ المجرم لو يفتدي وينقذ نفسه من هول جهنم ببنيه وزوجته وأخيه وقرابته وقبيلته كلها .. نسأل الله السلامة!

فائدة (٢):
قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيما﴾ [المعارج: ١٠].
أي: لا يتكلم أحدٌ مع أحدٍ في هذا الموقف الرهيب رغم المعرفة والمودة التي كانت في الدنيا.
وهناك آيات أُخْرى تبين أن الناس يُكلم بعضهم بعضًا؛ فيوم القيامة مواقف: في بعضها يتكلم الناس ويلعن أهل الضلال بعضهم بعضًا، ويطلب آخرون الشفاعة وغير ذلك، وفي بعضها يسود الذهول والخوف والذعر فلا همس ولا كلام.
* ومن مشتقات المفردة كذلك: ﴿وَعَادا وَثَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨].
(مُسْتَبْصِرِينَ) الاستبصار: من الفعل بصُرَ، وهو استبيان الشيء بالنظر والاستدلال، فمعنى استَبصَر في أمره؛ أي: كَانَ ذَا بَصِيرَة.
ولها معنيان لا يتعارضان:
المعنى الأول: أنهم كانوا مستبصرين في الضلالة، زين لهم الشيطان أعمالهم وصدهم عن طريق الحق؛ فكانوا يرون أنفسهم على حق، ويحسبون أنهم على هدى وصواب، وهو عين الضلال.
المعنى الثاني: كانوا مستبصرين في أمور الدنيا؛ فكانت لهم عقول للنظر الصحيح والاستدلال، ولكن سخروها للعمل للدنيا، فلديهم علم وبصيرة في أمور دنياهم؛ كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] أي: وهم بالآخرة جهلاء غافلون، وهو أعظم الذنب؛ ولذلك عاقبهم بأشنع العقوبة.
بغيًا
قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].
(بغيًا) البغي أصله: التجاوز عن المعقول؛ فيسمى الظلم والفساد والحسد بغيًا.
والمعنى في الآية الكريمة: بئسما باعوا به أنفسهم وحُسْنَ مآلهم بالكفر وشرّ المآل؛ حسدًا وكراهة أن ينزل الوحي على من فضّله من بينهم، وهو النبي ﷺ.
وحسدًا وحبًّا للرئاسة والمصلحة؛ فاستحقوا على ذلك الغضبَ من الله بغضب على غضب - وهم اليهود- فاستحقوا بكفرهم غضب الله على تضييع أوامر التوراة، وعلى الكفر برسالة محمد ﷺ. أي: على كفرهم بعيسى، وكفرهم بمحمد عليهما الصلاة والسلام.
* ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].
(بَغْيًا بَيْنَهُمْ) أي: حسدًا.
والمعنى: لم يكن اختلاف أهل الكتب السابقة في أوْلَى الكتب بالاتباع اختلافًا عن جهل؛ فقد ظهرت لهم الحُجج، ولكن اختلافهم عن حسد وطلب للدنيا، فهدى الله هذه الأمة للحق وللإسلام.
* ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].
* ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤].
* ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧].

* وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ [يونس: ٩٠].
(بَغْيًا وَعَدْوًا) أي: ظلمًا وطغيانًا ورغبة في العُلُوّ.

بقيّة

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].
(أُولُو بَقِيَّةٍ) أي: بقايا من أهل الخير يدعون إلى الهدى.
و (بَقِيَّةُ النّاسِ): سادَتُهم وأهْلُ الفَضْلِ مِنهم، ويقال: (في الرِّجالِ بَقايا) أي: منهم رجال لا تزال فيهم خصال الخير.
* ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٦].
(بَقِيَّتُ اللَّه) وتشمل البقاء الدنيوي والأخروي:
١ - أي: مَا أَبْقَى اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ بَعْدَ إِيفَاءِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ خَيْرٌ مما حرمه عليكم.
٢ - وثوابُهُ الباقِي على ما أحله لكم خير مما تأثمون عليه.
انظر تفسير العثيمين للآية.

بلاغًا

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦].
(لبلاغًا) فيها ثلاثة معان لا تتعارض كلها محتملة، ويمكن الجمع بينها:
١ - فالبلاغ: من البلوغ والوصول؛ والمعنى: وصولًا إلى المراد والغاية التي يريدها الله من العباد.
٢ - والبلاغ: من البُلْغَة والكفاية؛ والمعنى: كفاية ومنفعة وثوابًا.
٣ - والبلاغ: من التبليغ؛ والمعنى: تبليغًا وبيانًا وحجة.
ومثلها: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].
(بلاغٌ):
- أي: فيه الكفاية، ونعم الزاد لكم وهو القرآن الكريم.
- وفيه البيان التام والوصول للمراد منه.
- وفيه تبليغ وبيان وحجة عليكم.
أما قوله تعالى -وقد تكرر في القرآن الكريم-: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٩].
(البلاغُ) من التبليغ والبيان والإرشاد والدلالة على الخير، وهو المعنى الثالث فيما سبق.

[بلغ]

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].
(لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ) أي: لأنذركم بهذا القرآن المعجز يا أهل مكة.
(ومن بلغ) أي: وأنذر به كذلك كل من بلغه القرآن في كل زمان ومكان من الإنس والجن والعرب والعجم على السواء.
فكل من بلغه القرآن فقد بلغته دعوته، فرسول الله ﷺ نذيره؛ فلا يُعذر بتفريطه وعدم اتباعه؛ ففيه أساس كل ما هو مطلوب منه.

[بناتي]
قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].
(بَنَاتِي) للمفسرين فيها قولان:
١ - أنه قصد عَرْض بناته للزواج منهم -وكان الزواج بالكفار جائزًا- درءًا للمعصية الشنيعة التي يطلبونها.
٢ - أنه يقصد ببناته: بنات قريته هن أطهر لكم؛ فتزوجوهن.
وليس المقصود تقديمهن للزنا عِوَضًا عن فاحشة اللواط.
بُهِت
قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾ [البقرة: ٢٥٨].
(فَبُهِتَ) البهت: من الدهشة والمفاجأة بما يُحيِّر.
ومثلها قوله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٤٠)﴾ [الأنبياء: ٤٠] أي: تباغتهم وتدهشهم وتحيِّرهم.
* ومثلها في أصل المعنى كلمة (بهتان) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]؛ البهتان: هو الافتراء بباطل يتحيَّر الشخص ويُدهش من بطلانه.
وفي الحديث الشريف: «إنْ كانَ فيه ما تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه فقَدْ بَهَتَّهُ» صحيح مسلم (٢٥٨٩).
(بهتَّه) أي: قذفته بافتراء يتحيَّر ويدهش مَنْ سَمعه من بطلانه وكذبه.
بوّأنا
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣].
تقول العرب: (بوّأت له منزلًا)، و (بوأته منزلًا) أي: هيأته له وأسكنته فيه. والتبوُّء: هو اتخاذ المنزل. والمَبَاءَة: هي السكن أو المنزل.
(بَوَّأْنَا. مُبَوَّأَ) أي: أنزلناهم منازل ومساكن حسنة ومُرضِيةً لهم، وهي مساكن آل فرعون بمصر، وأورثهم أرضهم وديارهم.
* ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [يوسف: ٥٦].
(يتبوأ) أي: ينزل منها مكانًا مُهيَّأً للعيش والسكن.
* ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤].
(نتبوأ) أي: نتخذها منزلًا وسكنًا.
* ومثلها قوله]. لموسى وهارون : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتا﴾ [يونس: ٧٨].
(تبوّءا) أي: اتّخذا منها بيوتًا لقومكما.
* ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].
(بَوَّأْنَا) أي: هيأنا له، ودللناه عليه، وأنزلناه فيه.
* ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

(تَبَوَّءُوا) أي: الأنصار -أهل المدينة- الذين سكنوا ونزلوا دار الإيمان قبل المهاجرين.
* ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل: عمران: ١٢١].
(تُبَوِّئُ) أي: تهيئ وتوطئ لهم مكانًا ومعسكرًا، وتنْزِل كل واحد منهم مكانه.

بورًا

قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورا﴾ [الفتح: ١٢].
(بُورًا) جمع بائر، ولها معنيان:
١ - البائر: هو الفاسد.
٢ - والبائر: هو الهالك.
ولا تعارض بينها:
فالبوار: هو الهلاك.
والأرض البور: الأرض الخراب، والتي لا تنبت ولا خير فيها.
والبضاعة البور: الكاسدة.
والرجل البور: الفاسد الذي لا خير فيه.
وبجمع المعنى: كنتم قومًا فاسدين ليس فيكم ذرة من خير لفساد عقيدتكم وقلوبكم، وكنتم قومًا خاسرين هَلْكَى يوم القيامة لذات السبب.
* ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].
(دَارَ الْبَوَارِ) دار الهلاك والخبث لا خير فيها، جزاء لمن لا خير فيهم، وهي نار جهنم والعياذ بالله!!

[حرف التاء]

[تأفكنا]

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٢].
(لِتَأْفِكَنَا) الإفك: هو الكذب والباطل، وهو الصَّرْف وقلب الحقائق.
والمعنى: لتصرفنا عنها؛ فهم يتهمون نبيهم بصرفهم عن الحق للباطل وهو العكس، وهذا حال أهل الضلال يظنون أنهم على الحق.
* ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٦].
(أَئِفْكًا) أي: أكذبًا وباطلًا من دون الله تعبدون؟!
* ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٩] أي: يُصرف عن الحق إلى الباطل من صرف.
* ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٣].
(وَالْمُؤْتَفِكَة) ومعناها: المقلوبة، وهم قوم لوط، سمّوا بذلك؛ لكونهم انقلبت بهم قريتهم؛ فكما صُرِفوا عن الحق إلى الباطل صرف الله وضعهم عن الوضع الصحيح؛ فكان عقابهم الانقلاب، والعياذ بالله.
* ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥] أي: تلتهم حبالَهم التي سحروا أعين الناس بها فصرفوهم عن الحقيقة.

[تأويله]

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣].
(تأويله) التأويل له معان، وقد ورد في (١٥) آية في القرآن الكريم، فمن معانيه:
- وقوعه على حقيقة أمره.
- من الموئل والعاقبة.
- من تفسير معناه وتعبيره.
فمعنى الآية: ماذا ينتظرون بعد شركهم؟ هل ينتظرون إلا (تأويله) -أي: تحقيقه ووقوع ما وُعدوا به في القرآن-؟
وقوله: (يوم يأتي تأويله) أي: يوم القيامة، يوم تأتي عاقبة فعلهم، ويقع ما أنذرهم به على الحقيقة ويرونه عَيَانًا؛ عندئذٍ يلومون أنفسهم ويندمون حيث لا ينفع الندم.
* وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧].
(بِتَأْوِيلِهِ) أي: بحقيقته وماهيته.
والمعنى: أن يوسف علَّمه الله شيئًا من الغيب؛ فيعلم ما يأتيهما من طعام: نوعه، واسمه، وصفاته، وغير ذلك قبل أن يأتي إليهما.
* وكذلك: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩].
(تَأْوِيلَهُ) أي: ما علموا حقيقته.
والمعنى: بل لقد سارعوا بالتكذيب بالقرآن من قبل أن يتأملوا ويعلموا حقيقته وصدق ما وعدهم به، ولكنه آت كما أَتى مَنْ قبلهم من المكذبين.
* وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].
(تَأْوِيلًا) من الموئل: وهو العاقبة، أي: ذلك خير لكم وأحسن عاقبة.
* ومثلها: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [الإسراء: ٣٥].
(تأويلًا) أحسن عاقبة.
وجاءت بمعنى التفسير في الآيات التالية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].
(وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) أي: تفسيره.
(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) أي: ما يعلم حقيقته إلا الله.
فالمعنى: الذين في قلوبهم زيغ يتبعون المتشابه من القرآن -وهو الذي يحتمل أكثر من وجه في تفسيره- يريدون بذلك إثارة الفتن، وما يعلمه على الحقيقة إلا الله]..
* ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠].
(تأويل رؤياي) أي: تفسير رؤياي. ويجوز كذلك: وقوع رؤياي على حقيقتها.
ومثلها الآيات التالية:

* ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].
* ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١].
* ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].
(تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) أي: تعبيرها وتفسيرها.
* ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].
(بِتَأْوِيلِهِ) أي: بتعبيره وتفسيره.
* ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤].
(بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ) أي: بتفسيرها وتعبيرها.
* ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥].
(بِتَأْوِيلِهِ) أي: بتفسير الرؤيا.
* ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨].
* ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].
(تَأْوِيلُ) أي: تفسيره وبيانه.

[تباب]

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧].
(تَبَاب) من التَّبِّ: وهو الخسارة والهلاك؛ فالتَّباب يحمل معاني: الخيبة، والخسارة، والهلاك، والدمار.
* ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].
(تَبَّتْ) أي: هلكت وخسرت.
* ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١].
(تَتْبِيبٍ) أي: غير خسارة وهلاك.
والمعنى: ما نفعتهم آلهتهم التي لجأوا إليها عند نزول الشدائد، بل على العكس جلبوا بذلك نِقمة الله عليهم، وزادتهم عبادتُهم لها هلاكًا وخسارة إلى خسارة، بضد ما ظنوا وخطر ببالهم.

[تبديل]

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].
(لا تبديل لخلق الله) (لا تبديل): لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - على وجه النهي؛ أي: لا تبدّلوا خلقة الله وفطرته.
٢ - على وجه الخبر؛ أي: لن يحصل تبديل لخلق الله من أحد إلا بإذنه تعالى.
(خلق الله) لها كذلك معنيان كلاهما صحيح؛ فالمعنى الثاني معنًى عام يدخل فيه الأول:
١ - أي: لا تبدلوا دين الله وفطرته التي خلقها وفطر الناس عليها بالكفر والشرك، ولا تغيروا قابليتهم للتوحيد.
٢ - والمعنى العام: لا تبدلوا خِلقة الله وحكمه في خلقه بجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله، فقد خلق الله الخلق لعبادته وطاعته؛ فيدخل في ذلك النهيُ عن تبديل وتغيير كل ما أمر الله به من شرعه وأحكامه.

تُبْسل

قال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠].

(تُبْسَلَ) من البَسْل وهو: المنع والحبس.

والمعنى: أن تُحبس عن الخير وتُمْنع عن الثواب؛ فهي مرهونة ومحبوسة بسبب ما كسبت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

ومعنى: ﴿أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ [الأنعام: ٧٠] أي: حُرِموا ومُنِعوا من الثواب بما عملوا.

[تبلو]

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

(تَبْلُو) تبلو هنا من (البلاء)، بمعنى التحقق والإظهار والكشف؛ فهو اختبار فحص.

وليس المعنى من (الابتلاء والامتحان) على أكثر أقوال المفسرين.

فمعنى الآية: هنالك -وهو يوم الحساب- يظهر لها معاينة نتيجة ما أقدمت عليه من عمل.

وقد صحّت قراءة: (هنالك تتلو كل نفس ...) أي: تقرأ بنفسها ما فعلت؛ لذلك قال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا﴾ [الإسراء: ١٤].

* ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] أي: تُعَايَنُ السرائر ويُكشَف عنها يوم القيامة علانية، ويُظهر ما خبأت من خير وشر.

* ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

(وَلِيَبْتَلِيَ) تشمل المعنيين:

- للمؤمنين: تختبر ما في قلوبهم من إخلاص وصدق.

- وللمنافقين: تُبدي وتكشف ما تنطوي عليه قلوبهم من كذب ونفاق، وتكشف قولهم وتكذيبهم بالقدر ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فيبديه ويكشفه بعد أن كان أمرًا مستورًا لا يعلمه أحد.

وفي الآية التالية يتضح كذلك المعنيان: معنى الابتلاء والتمحيص، ومعنى الإظهار والكشف:

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

(لنبلونكم) تعني: الابتلاء والامتحان بالجهاد.

(نبلوَ أخباركم): بالكشف عنها وإظهار المؤمن من المنافق.

تبيعًا

قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعا﴾ [الإسراء: ٦٩].

(تَبِيعًا) من التّبِعة والإنكار، والمطالبة بالثأر أو الحق.

وتسمي العربُ كلَّ من طالب بالثأر أو الحق: تَبِيعًا؛ لأنه يتابع القضية ويطالب بها ويدافع عن صاحبها ولا يتهاون.

والمعنى: لن تجدوا من يطالب بنصرتكم ويتولى الثأر لكم، أو ينكر علينا تعذيبكم ويحمل التّبعة علينا بشيء، والله تعالى لا يظلم أحدًا مثقال ذرة.
* ومثلها في أصل المعنى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].
(اتباع) أي: مطالبة بالدية بالمعروف كما شرع الله من غير مبالغة ولا اعتداء.
ومعنى الآية للفائدة:
فإن عفا أهل المقتول عن القصاص، فليطالبوا بالدية بالمعروف.
وهناك آيات مشابهة لمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعا﴾ [الإسراء: ٦٩]:
*﴿أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٨] أي: لا تجدوا من يدافع عنكم ويحميكم من عذابه.
*﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦] أي: لا تجد وكيلًا يطالبنا به، ولا رادًّا يرده إليك وهو القرآن.
* ﴿إِذا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرا﴾ [الإسراء: ٧٥] أي: ثم لن تجد من ينصرك ويدافع عنك.

تتبيرًا

قال تعالى عن الأقوام السابقة: ﴿وَكُلّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرا﴾ [الفرقان: ٣٩] أي: دمرنا وأهلكنا.
* ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٣٩] أي: مُهلَك ومُدمَّر ما يعكفون عليه من عبادة الأصنام.
* وعن بني إسرائيل وعلوهم: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].
(يتبّروا) أي: يُخربوا ويدمروا؛ يقال: (فلان تبّر الشيء) أي: كسّره ودمّره.
* ومثلها في المعنى عن نوح : ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨] أي: دمارًا وهلاكًا.

[تجأرون]

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].
* ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (٦٥)﴾ [المؤمنون: ٦٤ - ٦٥].
الجُؤار: رفع الصوت بالاستغاثة.
و (تجأرون) أي: ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة.

تحسُّونهم

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].
(تَحُسُّونَهُمْ) الحَسّ: من الاستئصال بالقتل.
فالمعنى: (تحسونهم) أي: تقتلونهم قتلًا ذريعًا بإذنه، وكان ذلك في بداية غزوة أحد قبل أن يستعجل الرّماة ويتركوا أماكنهم وينزلوا إلى الغنائم.

[تحصوه]

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠].

(تُحْصُوهُ) من الإحصاء: وهو العد والحساب.

والمعنى: لن تستطيعوا ضبط وتقدير ثلث الليل ونصفه على مدار السنة لعامة الناس، ولن تطيقوا الالتزام بذلك.

وقد كان قيام الليل فريضة في أول الأمر، واستمر عامين ثم نُسخ؛ لأن ذلك يشق على عامة الناس.

(فتاب عليكم) هم لم يفعلوا ذنبًا ليتوب عليهم، لكن معنى «تاب» أي: رجع عن هذا الحكم عنكم، ونسخه تخفيفًا ورحمة بكم؛ لأنه لو فرضه عليهم وقصّروا لأثموا.

(فاقرءوا) أي: فصلوا قيام الليل تطوعًا ونافلة بقدر استطاعتكم.

وعبر عن الصلاة بالقراءة؛ لأنها أحد أجزائها، ويدخل فيه قراءة القرآن كذلك.

تدّعون

قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣١].

(مَا تَدَّعُونَ) من (الادّعاء) والادّعاء له معان منها:

١ - الزعم والتقول والدعوى.

٢ - من الاستدعاء والطلب. ويدخل في هذا المعنى الدعاء.

والمراد في هذه الآية المعنى الثاني، وهو الطلب والاستدعاء.

فمعنى الآية الكريمة: لكم فيها ما تستدعونه وتطلبونه وتتمنونه.

قال العلماء: هذه الآية اشتملت على غاية الترغيب؛ فلكم في الجنة كل ما تشتهي النفس وكل ما تطلب، والطلب أعم وأوسع مما تشتهيه النفس.

* أما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧].

(تَدَّعُونَ) فالادعاء هنا يحتمل كلا المعنيين:

- فبالمعنى الأول؛ أي: الذي كنتم تَزعمون وتفترون باطلًا أنه لا جنة ولا نار ولا عذاب.

- وبالمعنى الثاني؛ أي: الذي كنتم به تطلبون من ربكم في الدنيا أن يعجله لكم وهو العذاب.

وكلاهما صحيح لا يتعارض.

تُدلوا

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

(تُدْلُوا) الإدلاء في الأصل: إرسال الدلو في البئر للوصول للماء، ثم استعير للتوصّل إلى الشيء.

وبهذا المعنى الأساس جاء قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ [يوسف: ١٩] (فَأَدْلَى دَلْوَهُ) أي: أرسلَ دَلوهُ وأنزله في البئر.

- والمعنى لقوله تعالى: (وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ) له احتمالان كلاهما صحيح:

١ - لا تُدلوا؛ أي: تُصانعوا وترسلوا بأموالكم إلى الحكام -وهم القضاة- فتُرشوهم ليقضوا لكم بِالْباطِل. ويدخل في ذلك تقديم الهدايا لهم والضيافة والخدمات؛ ليحكموا لصالحكم.

٢ - لا تُدلوا وتمدّوا القضاة بالحجج الباطلة، أو تلبّسوا عليهم ليحكموا كذلك لصالحكم زورًا وبهتانًا.
كما قال النبي ﷺ: «إنما أنا بشرٌ، وإنكم تختصِمون إليَّ، ولعلَّ بعضَكم أن يكونَ ألْحنَ بحُجَّتِه من بعضٍ؛ فأقضي له على نحوِ ما أسمع، فمن قضيتُ له من حقِّ أخيه شيئًا فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من النار» صحيح البخاري (٦٩٦٨)، ومسلم (١٧١٣).
وقد بينت الآية الكريمة بعض صور أكل أموال الناس بالباطل عند التقاضي، وهما صورتان:
١ - الإدلاء بالمال ليستميلوهم.
٢ - الإدلاء بالحجج الواهية والباطلة ليحكموا لصالحهم.
[تذكرة]
قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١ - ١٦].
(تَذكِرَة) ما هي التذكرة؟
اختلف المفسرون فيها على قولين؛ وبناء عليه يختلف المعنى:
١ - أنَّ هَذه الوَصِيَّة بالمُسَاوَاةِ بين النَّاسِ في إبلَاغِ العلمِ إلى شَرِيفِهِمْ وَوَضِيعِهِمْ -وهي قصة الأعمى- تذكرة.
٢ - أن هذه الآيات والقرآن موعظة، فَمَنْ شاءَ الهداية للصواب والحقّ اتعظ بهذه الموعظة، وذَكَرَ القُرْآنَ وعَمِلَ بِهِ.
قال ابن عثيمين -في تفسيره لقوله تعالى: (فمن شاء ذكره) -: «فالله جعل للإنسان الخيار: الخيار قدرًا، وأما شرعًا فلا؛ جعل له الخيار بين أن يؤمن ويكفر، أما شرعًا فإنه لا يرضى لعباده الكفر».
(فِي صُحُف مكَرَّمَة) أي: مكتوبة في صحف مُعظمة عالية الشأن؛ لأنها نزلت من الكريم سبحانه وبأيدي كرام بررة، ولما تحويه من العلم والحكمة.
(مَرْفُوعَةٍ) عالية القدر والمكانة، وعالية المكان لا يصل إليها إلا السَّفَرة البررة.
(مُطَهَّرَةٍ) مطهرة من التحريف والنقص، ومطهرة من وصول الشياطين واستراقهم.
[التراث]
قال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمّا﴾ [الفجر: ١٩].
(التُّرَاثَ): مال الميراث.
فائدة:
يُطلق التُّرَاثُ في اللغة على ثلاثة أشياء:
١ - كل ما يخلِّفه الميت لورثته.
٢ - كل ما تملكه الأسرة يسمى: (تراث الأسرة).
٣ - كل ما خلَّفه السلف من آثار؛ سواء كان تراثًا علميا، أو أدبيًا، أو ثقافيًّا، أو شعبيًّا ...
ومعنى الآية الشريفة: يلوم الله تعالى مخاطبًا الناس: أن منكم الظلمة الذين لا يهتمون إلا بأنفسهم لطبعهم الشحيح، فينهبون أموال الضعفاء ويأكلون الميراث بغير حق، ويضمُّون نصيب غيرهم إليهم من الذين لا حيلة لهم في الدفاع عن أنفسهم -كالنساء واليتامى-
(أَكْلًا لمًّا): من اللم والجمع، أي: يلتهمونه. و (لمّا) تعني: يلمّونه لمًّا، ويجمعونه كلّه فلا يتركون منه شيئًا.

تربّصتم

قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

(وَتَرَبَّصتُم) الخطاب للمنافقين، و (التربص) هو: الانتظار.

وقد وردت عدة آيات فيه، ولكن الآية هنا متعلقة بمحذوف: تربصتم بماذا؟

- هناك معنيان كلاهما يحتمله النَّ

١ - تربصتم بالمؤمنين الدوائر؛ أي: كنتم تتمنون وتنتظرون نصر أعداء الله على المؤمنين.

٢ - تربصتم بإيمانكم؛ فكنتم تتثاقلون عنه ولا تفكرون بالرجوع والتوبة، وكنتم ترتابون وتشكون فيه، وغرتكم الأماني بأنَّ أمر المؤمنين سينتهي بنصر الأعداء والقضاء عليهم، حتى جاءكم الموت ووعيد الآخرة.

[ترجون]

قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارا﴾ [نوح: ١٣].

الرجاء عند العرب له معان بحسب السياق:

١ - الطمع والرغبة والأمل.

٢ - التوقّع والترقب.

٣ - الخوف والمبالاة؛ لأن الذي لا يخاف لا يبالي بالأمر.

- وفي الآية السابقة (لَا تَرجُونَ) الرجاء بمعنى: الخوف والمبالاة؛ أي: لا تخافون الله ولا تبالون عظمته، ولا تعرفون له حقًّا وتوقيرًا.

* ﴿قُل لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤].

(لَا يَرجُونَ) لا يخافون وقائعه ونقَمه، ولا يبالون بنعمِه أو بنقمِه.

- وبمعنى الخوف والمبالاة والتوقع:

- أما معنى الطمع والرغبة والتوقع: فقد جاءت الآيات التالية به:

.﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابا﴾ [النبأ: ٢٧] أي: لا يخافونه ولا يبالون به، ولا يتوقعون حدوثه *

* ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورا﴾ [الفرقان: ٤٠] لا يتوقعون النشور والبعث، ولا يبالون به ولا يخافونه؛ لأنهم ينكرونه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] أي: يطمعون ويرغبون فيها ويترقبونها.

*﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤] أي: تطمعون في النصر والثواب وترغبون فيه وتترقبونه.

*﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورا﴾ [الإسراء: ٥٧] أي: يطمعون ويرغبون فيها ويترقبونها.

*﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠] أي: لا يطمعن ولا يرغبن فيه. ويحتمل: لا يتوقعن النكاح ويستبعدنه لكبر السن.

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩] أي: يطمعون ويرغبون ويترقبونها بصدق.
- ومنها ما جاء يحتمل جميع المعاني؛ وهي التي اقترنت بلقاء الله، ومصحوبة بالوعيد لمنكري البعث:
* ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧] أي: لا يطمعون ولا يأملون فيه ولا يتوقعونه، ولا يبالون به ولا يخافونه؛ لذلك لم يستعدوا له لأنهم ينكرون البعث.
* ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١].
* ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].
* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرا﴾ [الفرقان: ٢١].

[ترجي]

قال تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥١].
(تُرجي) من الإرجاء والتأخير، وهذه الآية خاصة بالنبي ﷺ؛ تخفيفًا من الله تعالى وتوسعة عليه.
وتحتمل معنيين للإرجاء كلاهما صحيح:
١ - أي: تؤخّر من تشاء من نسائك، فلا حَرَج عليك في القَسْم لهن بما تراه، ولا يشترط العدل؛ فتؤوي من شئتَ فتقدمها على غيرها فتبيتَ عندها، وتؤخّر من شئتَ، ومع ذلك فقد كان ﷺ أشد مراعاة لهن.
٢ - أي: تؤخر قبول من شئتَ من النساء اللاتي وهبن أنفسهن لك، فله ﷺ خاصة أن يقبل بالزواج ممن وهبتْ له نفسها بلا مهر ولا وليّ ولا شهود، وليس هذا لأحد غيره.
فإن شاء قبلها على الفور، وإن شاء أخر ذلك إلى الوقت الذي يريد، وليس لأحدٍ أن يتزوجها حتى يُخلي النبي سبيلها بعدم الرغبة فيها.
(وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) تكون على المعنيين السابقين:
- فمن ابتغيتَ تقديمها والبيات عندها ممن أخّرت من أزواجك، فلا جناح عليك.
- فمن ابتغيتَ من الواهبات أنفسهن وكنت قد أخرت الأمر فبدا لك القبول بها، فلا جناح عليك.
تتمة الآية للفائدة:
وذلك التخيير الذي منحك الله أقرب إلى رضاهن؛ لأنه حكْمُ الله، فتقر بذلك أعينهن ويرضين به ولا يحزنّ.

والله عليم بما في القلوب وما يُصلحها، حليم؛ ومن حلمه أنه لا يعاقب من أخطأتْ منهن أو أضمرت شيئًا من عدم الرضا أو غيره.

* ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١].

(أَرْجِهْ) أي: أرجئ وأخِّر.

والمعنى: أخِّرْ أمرهما وأمهلهما حتى نستعد لهما بجلب السحرة.

* ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦].

(مُرْجَوْنَ) أي: مؤخَّرون حتى يحكم الله فيهم.

وهذه الآية عائدة على الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك، فقد أخَّرهم الله إلى أن يظهر أمره فيهم بالعقاب أو العفو.

وهي عامة بعد ذلك، يُستنبط منها أن من ظلم نفسه بالتفريط في الواجبات، فهو يوم القيامة مُرْجَؤٌ لمشيئة الله؛ إن شاء تاب عليه، وإن شاء عذبه.

تَرْدَى

قال تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦)﴾ [طه: ١٦].

(فتَرْدَى) لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - الهلاك: ومنه جاء تسمية الموت ب (الرّدى)، و (المِرداة): نوع من الحجارة التي تستخدم لتفتيت الأشياء.

والمعنى: (فتردَى) أي: فتهلك.

٢ - السقوط: وهو التردّي؛ ومنه سميت الأنعام الساقطة من علو ب (المتردية).

والمعنى: (فتردى) أي: فتسقط في هاوية الضلال، ثم في النار.

* ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١)﴾ [الليل: ١١].

(تردَّى) أي: إذا مات وهلك فلن ينفعه ماله، وإذا هوى في جهنم فلن ينفعه كذلك.

* ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦)﴾ [الصافات: ٥٦].

(لَتُرْدِينِ) أي: كدت أن تهلكني وتسقطني معك في النار.

* ومنها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].

(المتردية): التي سقطت من جبل، أو وقعت في بئر فهلكت.

*: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧]

(ليردوهم): من الردى وهو الهلاك: أي ليهلكوهم. انظر معنى الآية في قسم الجمل آية (الأنعام ١٣٧)

[تستأنسوا]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

(تَسْتَأْنِسُوا) الاستئناس في كلام العرب: هو النظر، والاستعلام، والاستئذان.

والمعنى: حتى تستعلموا وتستأذنوا وتنظروا؛ هل يؤذن لكم، أم لا؟

وسمي استئناسًا: لأنه يُذهِب الوحشة والاستنكار.

* ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ [النساء: ٦].
(آنَسْتُمْ) أبصرتم وعلمتم.
* ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القص ٢٩].
(آنَسَ - آنَسْتُ) أبصرتُ ورأيتُ.
فائدة:
تقول العرب: (آنست كذا) أي: أبصرته، و (آنستُ منه رشدًا): علمتُه، و (آنستُ صوتًا): سمعتُه.

تُسْحَرون

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨ - ٨٩].
(تُسحرون) عبر عنه بالسِّحر؛ لأنهم خُدعوا وصرفوا عن الحق.
والمعنى المُجمل: كيف سُحرت أعينكم عن رؤية الحق؟! أين ذهبت عقولكم وانطلت عليكم خدعة إبليس؛ فرأيتم الحق باطلًا، والصدق كذبًا، والفساد صلاحًا؟! صُرفتُم عن الحق كما يُصرف المسحور مع وضوح الأدلة!
(وهو يُجير ولا يجار عليه) سبق ذكرها في حرف الجيم (جار).

[تسرحون]

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦].
(وحين تسْرَحُونَ) أي: حين تطلقونها وتسرّحونها من الحظائر إلى المراعي صباحًا.
(حين تُرِيحُونَ) أي: حين تعودون بها إلى منازلها وقت الرّواح وهو المساء، أو وقت راحتها وسكونها بالعشي.
والجَمال في قوله: (ولكم فيها جمالٌ): أن العربيّ إذا خرجت إبلُه أو مرتْ به، ينظر إليها مسرورًا بجمالها؛ ويقال: هذه إبل فلان.

تُسِيمون

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].
(تُسيمُون) أي: ترعون أنعامكم مما أنبتنا لكم من المطر من زروعٍ وشجر. تقول العرب: (سام القطيع) أي: رعى، و (أسام فلان إبلَه) أي: رعاها؛ ولذلك سميت الماشية سائمة؛ لأنها ترعى في الفلاة.

[تشخص]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].
(تَشْخَصُ) شخص البصر؛ أي: اتسع دون أن يطرف.
* ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

(شَاخِصَةٌ) أي: متسعة دون أن تطرف من هول ما ترى.
* وقريب منها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧].
(بَرِقَ) أي: شَخَصَ يوم القيامة؛ وهو التحديق بالعين فلا ترمش ولا تطرف من شدة الدهشة والفزع.

[تصطلون]

قال تعالى عن موسى : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧].
(تصطلون) أي: تستدفئون بها من البرد. أصلها من (صلَى اللحم) أي: شواه. و (صَلّى يده بالنار) أي: أدفأها بها. و (اصطلى): استدفأ بالنار.
(آتيكم منها بخبر) موسى وزوجه أثناء سفرهم ضلوا الطريق لأمر أراده الله لموسى وأصابهم البرد، فلما رأى النار ذهب إليها ليبحث عمَّن يدله على الطريق؛ وهو قوله تعالى: (آتيكم منها بخبر) أو يحضر شعلة من النار. أراد موسى الهداية الحسية، وأراد الله له هدايةً قلبية ورسالة قدسية.
وقد وردت آيات فيها من مشتقات كلمة (صلى) مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّا﴾ [مريم: ٧٠].
(صِلِيًّا) أي: أولى بدخولها ومُقَاسَاة حرّها.
ومنها قوله تعالى:
* ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرا﴾ [النساء: ١٠].
* ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩].
* ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورا﴾ [الإسراء: ١٨].
* ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ [الأعلى: ١٢].
* ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الأعلى: ١٥].
* ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَة﴾ [الغاشية: ٤]، وغيرها .. نسأل الله السلامة!
فائدة:
الفرق بين (صلى) و (اصطلى):
- (صلَى) أي: دخل النار، أو ذاق حرها.
- (اصطلى) أي: طلب النار ليستدفئ بها.

[تصعدون]

قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].
(تُصْعِدون) من الإصعاد: وهو السير في الأرض بأوديتها وجبالها وشعابها -لأن الأرض تسمى: صَعِيدًا- فهو الإمعان في السير.
والمعنى: إذ تجدُّون في السير والفرار، وتَمضُون على وجوهكم مبتعدين هاربين من شدة الذعر الذي فاجأكم، وذلك في غزوة أحُد.
فائدة:
الصُّعود: هو الارتقاء على الجبال. وأما السطوح والسلالم والدَّرج، ولا يعبَّر عنها بقول: (تُصْعِدون)، بل (تَصعدون) بالفتح على الراجح.

فهناك فرق بين الصُّعود والإصعاد؛ تقول العرب: (صعدت الجبل) أي: ارتقيت. و (أصعدت إلى مكة) أي: أخذت في السير والسفر إليها.
أما قوله تعالى: (وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ) أي: لا تلتفتون إلى أحد من شدة الذعر؛ فقد كان الرسول ﷺ يناديهم فلم يلتفتوا من هول الأمر.

تصعّر

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].
(تُصَعِّرْ) الصَّعَر: ميل العنق والوجه إلى أحد الجانبين؛ تعبيرًا عن الإعراض، والنظر للناس بكِبْرٍ وعَظَمَة.
والمعنى: لا تتكبر وتتعاظم وتحتقر عباد الله!
فائدة:
الآية تبيّن تحريم الكبر، والإعجاب بالنفس، واحتقار الآخرين؛ وفي الحديث: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ» السلسلة الصحيحة (١٨٠٢).

[تعاطى]

قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩)﴾ [القمر: ٢٩].
(فَتَعَاطَى) أي تناول، من (المُعاطاة) وهي المناولة؛ تقول العرب: (تعاطى فلان الشيء بيده) أي: تناوله.
والمعنى: أن أشقى القوم تناول سهمًا فرمى به ناقة صالح ، ثم قام إليها وشدّ عليها بالسيف فعقرها؛ قاتله الله!

تعزّروه

قال تعالى ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].
(وتعزروه): أصل كلمة عزّرَ؛ أي: مَنَعَ، وقمع بالقوة. ومنها جاء تعزير المخطئ؛ فهي من ألفاظ الأضداد في اللغة:
فهي تعني: المنع بالتعظيم والنصرة؛ كتعزير النبي، وقمع ما يضره.
وتعني: المنع بما دون الحد بالإهانة والضرب؛ كتعزير المخطئ وقمعه مما يضر؛ فهي بحسب سياق الجملة.
فتعزير الرسول ﷺ: هو منع ما يضره من عدوه، ومن يؤذيه بالقوة؛ والمعنى: نصرته وإجلاله وحمايته.
* ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ [المائدة: ١٢].
(وَعَزَّرْتُمُوهُمْ) أي: نصرتموهم بالقوة من عدوهم.
* ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].
(وَعَزَّرُوهُ) أي: نصروه وردُّوا عنه من يؤذيه بالقوة والسيف.

[تعضلوهن]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩].

(تعضلوهن) العضل: هو الحبس. والخطاب للأزواج؛ أي: لا تحبسوا نساءكم وتمنعوهن من الطلاق مع كراهيتكم لهن؛ لتلجئوهن إلى الافتداء ببعض ما آتيتموهن من الصَّدَاق.
* ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].
(تَعْضُلُوهُنَّ) العضل هنا: حبس أولياء الأمور للمطلقات أن يرجعن لأزواجهن إذا رغبن في ذلك.
فالعضل في الآية الأولى: عَضْل الأزواج، والثانية: عَضْل أولياء الأمور.
(ترثوا النساء كَرْهًا) أي: تجعلوا نساء آبائكم وأقربائكم من جملة تركتهم، تتصرفون فيهن بالزواج منهن أو منعهن من الزواج، أو تزويجهن للآخرين.
عن ابن عباس قال: (كانوا - أي: في الجاهلية - إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته من أهلها؛ إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها؛ فنزلت الآية تحرم ذلك الفعل وتقبحه؛ لما فيه من امتهان لكرامة المرأة بتنزيلها منزلة المتاع الذي يورث) صحيح البخاري (٤٥٧٩).
[تعولوا]
قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].
(تعولوا) تقول العرب: (عال الميزان) أي: مال وجار. أما من قال: إن المعنى من (الإعالة) أي: ذلك أهون وأقدر على إعالتهم، فهو مستبعد؛ لأنهم قد يتخذون إماءً كُثُرًا، وتبقى مشكلة الإعالة.
المعنى: الاقتصار على واحدة أحق وأعْون على ألا تجوروا وتعتدوا، في حال عدم القدرة على العدل.
وقال أهل اللغة في الفرق بين اللفظين: (عال) أي: مال وجار. وجمعها: تعولوا؛ أي: تميلوا وتجوروا.
و (أعال) أي: أنفق على من يعولهم. وجمعها: تُعِيلُوا: من العَيْلة؛ وهي خوف الفقر.
ومجمل الآية للفائدة:
يرشد الله تعالى المؤمن إذا أراد الزواج من اليتيمة التي هو وليّ لها، وخاف أن يبخسها في الصداق لقرابتها منه: أن يعدل عن نكاحها إلى أخرى غريبة عنه، وله أن ينكح من واحدة إلى أربع؛ فالحكم عام لكل مسلم بشرط العدل، فإن خاف الجور فواحدة.
وأما ما جاء بالمعنى الثاني -وهو الفقر- فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨].
(عيلة) أي: خفتم على أنفسكم الفقر.
* ومنها: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨].
(عَائِلًا) أي: فقيرًا فأغناك.
[التغابن]
قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].
(التَّغَابُنِ) أصل الكلمة من الغبن: وهو إخفاء الشيء.
والمراد هنا: خفاء قيمة الشيء لغفلة صاحبه وتقصيره؛ فلا يتفطن لذلك إلا بعد فوات الأوان، فيوم القيامة هو يوم التغابن؛ فيه يشعر الجميع بالغبن وفوات الحظ؛ لتقصيرهم في حق مولاهم].، وفي حق أنفسهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم!

فالمسلم بتقصيره في الإحسان، والكافر بتركه الإيمان وفوات نصيبه في أجمل الجنان، والظالم بتعديه على حق المظلوم وتعريض نفسه لعذاب السموم .. فنسأل الله أن يلهمنا تدارك الأيام، واستثمار الأوقات في رفعة الدرجات!

فائدة:

من مشتقات الكلمة: (الغبن في البيع): كأن يُخفي البائعُ على المشتري شيئًا من مواصفات السلعة؛ فيشعر بالغبن ونقصان الحق.

ومن مشتقاتها كذلك ما جاء في الحديث: «فغسل مغابنه وتوضأ» صحيح أبي داود (٣٣٥).

مغابنه: هي ما خفي من أعضائه وطوايا جسده التي قد يجتمع فيها القَذَر.

[تغيض]

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

(تَغِيضُ) أي: تنقُص. ومنها قولهم: (غيضٌ من فَيض) أي: قليل من كثير.

والنقص في الأرحام والزيادة فيها له عدة معان كلها صحيحة:

- ما تنقص من مدة حملها، وما تزيد عليه.
- ما تنقص من الأجنة؛ فمنهم من يولد ناقص الخلقة، ومنهم من به زيادة.
- ما تنقص الأرحام وما ينمو فيها من الأجنة، وهي مراحل نمو الجنين، ومنهم من يموت قبل ولادته.

* ﴿وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

(وَغِيضَ) أي: قلَّ الماء واضمحل، وغار في الأرض، وذلك بعد أن أدى الماء ما أُمِر به، وهو هلاك الكفار من قوم نوح.

[تفتأ]

قال تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥].

(تفتأ) أي: ما تفتأ ولا تزال تذكره من شدة حبك له.

(حَرَضًا) الحَرَضُ هنا: هو الشخص الذي هدّه الحُزن وأمرضه؛ فأشرف على الهلاك.

فائدة:

تقول العرب: (رجلٌ حَرَضٌ، وامرأةٌ حَرَضٌ، وقومٌ حَرَضٌ) فيجوز فيها توحيد اللفظ في جميع الأحوال.

[تفثهم]

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

(تَفَثَهُم) التفث: هو الشَّعَث، والدَّرَن، والوسخ.

والمعنى: ثم ليقضوا حوائجهم بإزالة الشَّعث والوسخ الذي لازمهم طيلة مدة الإحرام، وذلك بقص الشارب، ونتف الإبْط، وقص الأظافر، والحلق والتقصير، والتطيُّب ... إلخ.

(وَليُوفُوا نُذُورَهُم) لها معنيان:

١ - سمّى الله تعالى جميع أفعال الحج في الآية نذورًا؛ لأن الحاج إذا أحرم فقد ألزم نفسه بجميع أعمال الحج؛ فعليه الخروج منها والوفاء بها وإتمامها على أكمل وجه.

٢ - النذور الزائدة على فريضة الحج.
ومنها هدي النذر: وهو ما ينذره الحاج تقربًا إلى الله عند البيت الحرام.
أو نذرَ طواف زائدٍ، أو اعتكافٍ.
ويدخل فيها كل قربة أوجبها العبد على نفسه وهي ليست مما أوجب الله، فعليه الوفاء إلا نذر المعصية.

تفكّهون

قال تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥].
(تَفَكَّهُونَ) أصل التَّفَكُّه: الالتهاء بما يشد الانتباه؛ سواء كان ممتعًا أو ضده.
والفكاهة: هي المزاح أو الحديث بما يُلهي.
فالتَّفَكُّه هنا: هو الانشغال والالتهاء بالحديث عن المصيبة، والتعجب من الحدَث.
والمعنى: لانشغلتم بالحديث عن سوء حاله متعجبين محزونين.
*أما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] أي: منشغلون وملتهون بما يُدخل عليهم المتعة والسرور من كل لون.
*﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٧] أي: كانوا في متعة منشغلين.
*﴿فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨] أي: في متعة وسرور بما آتاهم من النعيم.
* ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٣١] لها معنيان:
١ - أي: يتفكّهون بالحديث عن المؤمنين، ويتندّرون مستمتعين شامتين.
٢ - أي: يتفكّهون مغتبطين بما هم عليه من الضلالة.

[تفيضون]

قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].
(تُفِيضُونَ فِيهِ) أصل الإفاضة: هو الاندفاع والإكثار من الشيء حتى ينتشر.
وتستخدم المفردة في اللغة لعدة أغراض:
- أفاضَ الإناءَ: ملأه حتى فاض.
- أفاضتْ دموعُه: امتلأت بها عينُه حتى انسكبت.
- أفاض الناسُ من عرفات: دفعوا وأسرعوا للخروج.
- أفاض القومُ في الحديث: خاضوا وأكثروا فيه.
ومعنى الآية: إذ تخوضون وتكثرون من العمل.
والآية الكريمة تبيّن مراقبة الله لكل حركات الإنسان وسكناته، في كل لحظة لا يغيب عنه شيء.
ومعنى الآية بإجمال: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأن) يخبر الله تعالى عن عموم مشاهدته ومراقبته لنبيه ﷺ وجميع العباد؛ فما تكون يا محمد في أي أمر وشأن من الشؤون، وفي أي حال من أحوالك (وَمَا تَتلُوا مِنهُ مِنْ قُرآن): ومن تلك الشؤون ما تتلوه من قرآن (وَلَا تَعمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ): وأنتم جميعًا -أيها الناس- لا تعملون من عمل بألسنتكم وجوارحكم من خير وشر (إِلَّا كُنَّا عَلَيكُم شُهُودًا): إلا كنا مطلعين عليها باطنها وظاهرها، صغيرها وكبيرها (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ): إذ تخوضون في العمل من خير أو شر، وتنهمكون فيه وتكثرون، وقيل: الخطاب لكفار قريش؛ أي: إذ تخوضون في

القرآن وتشيعون التكذيب والطعن فيه.
ولا يتعارض مع المعنى الأول؛ فالخوض في القرآن من ضمن الأعمال.
* ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: ٨].
(تُفِيضُونَ فِيهِ): تخوضون في القرآن، وتشيعون التكذيب والطعن فيه.
* ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].
(أَفِيضُوا) أي: ادفعوا للخروج وانصرفوا.
* ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].
(أَفِيضُوا) أي: أهيلوا وصُبُّوا علينا من الماء.
* ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤].
(أَفَضتُم) أي: خضتُم في حادثة الإفك.
* ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].
(أَفَضتُم) أي: دفعتم للخروج من عرفات.
* ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].
(تَفِيضُ) أي: تمتلئ وتسيل.
* ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].
(يُوفِضُونَ) أي: يُسرعون إليها. انظر: مفردة (نصب) في حرف النون.
[تقرضهم]
قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدا﴾ [الكهف: ١٧].
(تَقْرِضُهُمْ) لها معنيان:
١ - القرض من القطع؛ تقول العرب: (قرضت الثوب) أي: قطعته.
فيكون المعنى: تصيب منهم لأجل أن تمنع أجسامهم من التغيُّر؛ لما في ذلك من صحة وفائدة لهم، بدون الأشعة المباشرة التي تؤذيهم؛ كرامة لهم من الله.
٢ - القرض من المجاوزة؛ تقول العرب: (قرضتُ موضع كذا ليلًا) أي: تجاوزته أثناء السير.
فيكون المعنى: إذا مرّتِ الشمس بالكهف، فإنها تميل عنه وتتركه فلا تتسلط أشعتها عليهم؛ لئلا تؤذيهم، فهي مأمورة مسخرة.
ودليل ذلك قوله تعالى: (ذلك من آيات الله)؛ كرامة وحفظًا لهم، والله أعلم بمراده.
فائدة:
(تزاور) أي: تميل.
* ومثل المعنى الأول ما تكرر في آيات كثيرة؛ منها: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

(يُقرِضُ) أصل القرض: هو القطع؛ لأن المرء يقتطع من ماله فيقرض غيره ويسلفه بنية إرجاع مثله.
وهو أسلوب تلطُّف وتودد من الله في النداء للصدقة، والإنفاق في وجوه البر؛ فشبّهَهُ بالقرض المُسترجَع، ولكن الله تعالى يردّه أضعافًا كثيرة في الدنيا والآخرة.

تَقْفُ

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾ [الإسراء: ٣٦].
(تَقْفُ): لها ثلاثة معان كلها يحتملها النص المبارك:
١ - من القفو، وهو الرمي؛ أي: لا تقل ما ليس لك به علم .. فتنهى عن رمي الكلام بلا تثبت.
٢ - من القفو، وهو الرمي؛ أي: لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم.
٣ - من القيافة وتتبع الأثر؛ أي: لا تتبع ما ليس لك به علم، ويدخل في ذلك الشائعات وغيرها.
قال المفسرون: فالآية بذلك تنهى عن أشياء كثيرة؛ منها: قول الزور، والقذف، وسوء الظن، والسباب والشتائم، والكذب والافتراء ...

[تمنن]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦].
(المنُّ) له ثلاثة معان يحتملها اللفظ:
١ - بمعنى: الاعتداد بالنعمة، أي: لا تُعطِ الناس مستكثرًا فِعلك، ومعتدًّا بفضلك وإحسانك عليهم.
٢ - بمعنى: العطية أو الهدية، أي: لا تعطِ عطاءً تلتمس بذلك الاستكثار منهم بأفضل مما أعطيتهم، أي: تريد التكثُّر بذلك.
٣ - بمعنى: القطع للجماد، وبمعنى: الضَّعْف والإعياء للأحياء؛ تقول العرب: (فلان مَنّن ناقته) أي: تسبّب في هزالها وضَعفها بكثرة السفر. و (مَننْت الحبل) أي: قطعته.
والمعنى: لا تضعُف ولا تفتُر مستكثرًا الطاعة والعبادة على ربك.
- ومن معنى (الاعتداد):
* ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].
(لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم) أي: لا تتفضلوا عليّ بإسلامكم، فلمَ تُنعِمون به عليّ وتقولون: نحن آمنَّا بك، ولم نقاتلْك كما قاتلك الناس؟
(بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) به؛ لينقذكم من عذاب الآخرة.
* ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)﴾ [البقرة: ٢٦٢].
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].
- ومن معنى (العطاء والتفضّل):
* ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩)﴾ [٣٩].
* ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤)﴾ [الصافات: ١١٤].
* ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧)﴾ [طه: ٣٧].

* ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

- وبمعنى (القطع والنقص):

* ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)﴾ [القلم: ٣].

(مَمْنُون): تكررت هذه اللفظة في كتاب الله، وهي بمعنى: غير مقطوع ولا منقوص، بل مستمر دائم.

* ومنها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠)﴾ [الطور: ٣٠].

(المَنُون): سمي الموت بالمنون؛ لأنه يقطع الحياة الدنيا ويُنقص العمر.

ومنها اسم الله تعالى: (المنان) ويصح فيه المعنيان الأول والثاني؛ فهو المعطي والمتفضل بصنوف النِّعَم على عباده، وهو المنّان بها عليهم، الذي يُذَكّر عباده بنعمه وإحسانِه؛ فالمَنّ والاعتداد في حقه محمدة، ومن العبد مذمة!

تَميّز

قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

(تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ): التميّز من الفعل (ماز) أي: انفصل وانقطع.

والمعنى: تكاد تتقطع عن بعضها البعض، وتتفطر من شدة الغيظ على الكفرة الفجرة.

ولعل من تقطعها وغيظها: ما ترميه من شرر كالقَصْر على أهل المحشر.

وفي الآية وغيرها من الآيات إثبات أن نار جهنم لها حس وإدراك وإرادة؛ فهي تغتاظ وتبصر وتتكلم، وتتنفس وتزفر، وتشتكي لربها وتطلب المزيد؛ وفي الحديث: «يخرج يوم القيامة عنق من النار لها عينان

تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق تقول: إني وُكّلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين» صحيح الترمذي (٢٥٧٤).

* ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

(وَامْتَازُوا) أي: انفصلوا وتنحّوا.

والمعنى: هو نداء للكفار يوم الحشر أن ينفصلوا ويتنحوا عن المؤمنين يوم القيامة؛ ليلاقوا التقريع والمذلة والمهانة قبل دخولهم النار.

* ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

(لِيَمِيزَ) أي: ليخلّص هذا من ذاك، ويفصل المؤمن عن الكافر؛ ليلقى كلٌّ جزاءَه الذي يستحقه.

[التناوش]

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢].

(التناوش) التناوش؛ أي: التناول من قرب؛ تقول العرب: (تناوشوا في الحرب) أي: نال بعضهم من بعض.

والمعنى: كيف لهم تناول الإيمان والوصول له وإدراك التوبة مما كانوا فيه، وقد رحلوا إلى الدار الآخرة؛ فلا قدرة لهم الآن على الوصول إليه.

فالآية الكريمة تحث على سرعة الرجوع إلى الله قبل أن تحول عن ذلك الحوائلُ؛ ومنها الموت.

التَّنّور

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

(وَفَارَ التَّنُّورُ) تحتمل معنيين:
١ - التَّنُّور: هو الفرن المعدّ للطبخ.
قيل: إنه كان علامةً جعَلهَا الله لنوح ، فإذا فارَ الماءُ مِنْ تَنُّورِهِ عَلِمَ أنَّ ذلك مَبْدَأ الطُّوفان؛ فَرَكِبَ الفُلْكَ وأرْكَبَ مَنْ مَعَه.
٢ - التَّنُّور: هو وجه الأرض، وفورانها: هو أنها تصبح عيونًا تفور بالماء الغزير، والله أعلم.
تَنِيَا
قال تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢)﴾ [طه: ٤٢].
(تَنِيَا): من الونى، وهو: الفترة والكسل.
تقول العرب: (لا يَني ولا يتوانى) أي: لا يكسل ولا يُقصّر، و (فلان لا يَني يفعل كذا) أي: لا يزال ولا يتعب من فعل كذا.
فالمعنى: لا تفتُرا ولا تقصّرا ولا تضعُفا واستمرّا.
(في ذكري): لها معنيان لا يتعارضان:
١ - أي: في دعوة فرعون وقومه إلى عبادتي وتوحيدي.
٢ - أي: الْزَمَا ذكري عند مواجهة فرعون؛ ليكون الذكر عونًا لكما في أداء رسالتكما.
فائدة:
ذِكر الله والدعوة إليه هو رسالة المؤمن، ولزوم ذكر الله عون للعبد في أداء جميع شؤونه في هذه الحياة.
[تواصوا]
قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢ - ٥٣].
(أَتَوَاصَوْا بِهِ) سؤال استنكاري من الله تعالى، وفيه توبيخ وتعجيب من حال هذه الأمم: كلما جاءهم رسول كذّبوا به، وقالوا: ساحر أو مجنون، فهل أوصى بعضهم بعضًا بذلك؟! وهل تواطئوا على التكذيب والعناد، وتوافقوا عليه؟!
ثم يخبر الله تعالى بالإجابة: أنهم لم يتواصوا بذلك، ولكن تشابهت أحوال المستكبرين، وجمعهم الطغيان والعناد في كل زمان.
[توبوا]
التوبة في القرآن الكريم على ثلاثة معان باعتبار المخاطب:
إذا جاء الخطاب للكفار، وهو على نوعين:
١ - أن يقترن الاستغفار مع التوبة؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].
فالمراد بالاستغفار: الرجوع من الشرك بتحقيق الإيمان بالله ، والمراد بالتوبة: طاعة الأنبياء بما جاءوا به.
٢ - أن تأتي التوبة مستقلة، فهي التوبة من الكفر والشرك؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠].
إذا جاء الخطاب للمؤمنين فلها معنيان:
١ - التوبة من المعاصي والتقصير عمومًا، والرجوع إلى الله؛ ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

٢ - التخفيف من الحرج والتجاوز عن التكليف، وليس التوبة من ذنب: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦].
* ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣] أي: خفّف عنهم حكم الصدقة عند مناجاة النبي .

توعِدون

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦].
(تُوعِدُونَ) من الوعيد؛ أي: تتوعدون الناس وتهددونهم بالتخويف والقتل.
وهؤلاء هم قوم شعيب كانوا يهددون من يأتي إلى شعيب بالقتل، وينفرونهم عن اتباع الحق، ويصدون عن سبيل الله، ويتهمونه بالكذب.

[حرف الثاء]

ثاوِيًا

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القص ٤٥].
(ثَاوِيًا) من مثوى: وهو المأوى ومكان الإقامة؛ تقول العرب: (ثَوى بالمكان) أي: أقام به.
والمعنى: ما كنتَ يا محمد، مقيمًا وحاضرًا في مَدْيَن، ولم تكن بين أهلها فتعلم أخبارهم، وإنما أخبرك الوحيُ عنهم.
- ومثلها في المعنى آيات كثيرة جاءت بمعنى (الإقامة والمسكن) منها:
* ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].
* ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩].

ثُبات

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعا﴾ [النساء: ٧١].
(ثُبَات) أي: انفروا سرايا متفرقين فِرقة بعد فرقة. مفردها: (ثُبَة) وهي الجماعة. أي: اخرجوا جماعة بعد جماعة بأن تنفر سريةٌ أو جيشٌ ويقيم غيرُهم.
(أو انفروا جميعًا) أي: كلكم جميعًا متعاضدين.

ثَجَّاجًا

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجا﴾ [النبأ: ١٤].
(ثَجَّاجًا) من (ثَجّ الماء) أي: أراقه وصبّه صبًّا كثيرًا.
(الْمُعْصِرَاتِ) السحاب المثقَل بالماء، تعصرها الرياح فينزل منها المطر. وقد ذكرناها سابقًا في (عصر) في حرف العين.
والمعنى: يَعْرِضُ الله تعالى بعض الأدلة والبراهين الشاهدة على قدرته ليؤمنوا بالبعث؛ فقدّمها بصيغة الاستفهام التقريري بدايته: (ألم نجعل الأرض مهادًا؟)، ثم عطف عليه عددًا من الآيات -ومنها هذه الآية الكريمة- فكأنه يقررهم: ألم نُنعم عليكم بإنزال الماء السّيّال الغزير المتتابع لإنبات الحَبّ والزرع والبساتين الملتفة الشجر؛ ففيها دليل على الإحياء والبعث.
ومن هذا المعنى ما جاء في الحديث الشريف: «أفضل الحج: العَجّ والثَّجّ» الصحيحة (١٥٠٠).

فالعَجّ: رفع الصوت بالتلبية.
والثَّجّ: إراقة الدماء وسيلانها، وهي دماء الأضاحي.

[حرف الجيم]

[جابوا]

قال تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩].
(جَابُوا) الجَوْب: هو قطع الشيء؛ تقول العرب: (جِبت القميص) أي: جعلت له فتحة، و (جِبت النعل) أي: قطعته، و (جاب الصحراء) أي: قطعها سيرًا.
والمعنى: قطعوا الصخر ونحتوه وخرقوه، وليس جابوه بمعنى أحضروه.
* ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [القص ٣٢].
* ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢].
(جَيبِكَ) الجَيْب: هو الشق، أو الفتحة أعلى القميص.
* ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].
(جُيُوبِهِنَّ) الجيب: فتحة الصدر.
أُمرن بأن يجعلن الخمار يتسع بحيث يغطي فتحة الصدر؛ حتى لا تبدو الصدور والأعناق والقلائد؛ لأن نساء الجاهلية كنّ يلقين خُمُرهن -زينة وليس سترًا- على رؤوسهن فلا يشدّونها، ثم يلقينها إلى الخلف على ظهورهن، فتبدو صدورهن وأعناقهن.

جارٌ

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].
(جَارٌ لكُمْ) أصل الكلمة من الجوار؛ لأن فيه معنى القُرب.
و الجيران في الحقيقة كان يدافع بعضهم عن بعض، وليس كما هو الآن لا يدري الجار مَنْ جاوَرَه إلا من رحم الله!
والمعنى: أنا مجيركم وسوف أحميكم وأدافع عنكم.
قيل: إن ذلك كان يوم بدر؛ جاء الشيطانُ المشركين في صورة سُرَاقَة بن مالك -وهو من أشراف بني كنانة- ووعدهم بأنه سيجيرهم من قومه؛ فلن يتعرضوا لهم، وسيكونون معكم بالنصر والمؤازرة، فلما التحم الجيشان ورأى الشيطان جيوش الملائكة خاف وتراجع وتقهقر.
وفي الآية الشريفة كذلك تحذير من حيل الشيطان وألاعيبه ببني آدم؛ يعدهم ويمنيهم ثم يأتي خائفًا متقهقرًا يوم القيامة قائلًا: إني أخاف الله!
* ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].
(استجارك فأجره) أي: طلب جوارك وحمايتك ونصرتك ليكون في مأمن، فأجره وامنحه الأمان.
* ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢].
(يُجِيرَنِي من الله أَحَدٌ) يؤمنني من عذاب الله وعقوبته أحد.
(وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ولن أجد ملجأً يحميني أو ينصرني إن عصيته.
* ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨].
(يجير ولا يجار عليه): يجير: يحمي ويُؤمِّن ويمنع السوء.

ولا يُجار عليه: لا يمتنع منه أحدٌ؛ فلا مجير ولا مُؤمّن لمن توعده الله ورفع عنه جواره.

جانٌّ

قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القص ٣١].

(كَأَنَّهَا جَانّ):

المعروف عند العرب: أن الجان جنسٌ من الحيّات الصغيرة خفيفة وسريعة الحركة. بخلاف الثعابين الضخمة الكبيرة فإنها تكون ثقيلة نوعًا ما، ولكن حيَّة موسى جمعت الوصفين:

- سرعة الاهتزاز والحركة.
- والحجم الكبير المخيف.

وذلك لقوله: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، فكانت العصا في خفتها واهتزازها كاهتزاز الحية الصغيرة السريعة الحركة مع عظَم حجمها؛ مما يزيد الخوف منها ومن سرعة انطلاقها وهجومها.

[الجبلة]

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤].

(وَالْجِبِلَّةَ) الجبلة: هم الخلق، أو الأُمّة من الناس.

وتأتي بمعنى: الفطرة والخِلقة، وليس هو المعنى المراد في الآية.

والمعنى: أيها القوم، اتقوا عقاب ربكم الذي خلقكم جميعًا، وخلق الأمم السابقة والخلق الأوَّل من قبلكم.

* ومثلها: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٢].

(جِبِلًّا) أي: خلقًا كثيرًا.

جَدُّ

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدا﴾ [الجن: ٣].

(جَدُّ رَبِّنَا) الجد تعني: الحظ والجاه والعظمة وعلو الشأن، ويقال: (فلَان ذُو جَدّ) أي: ذو حظ وغنى وجاه؛ قال أنس : «كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ جَدَّ فِينَا - يَعْنِي: عَظُمَ» مسند الإمام أحمد (١٢٢١٥).

فمعنى (جَدّ ربنا) أي: تعالت عظمته وقدره وسلطانه وجلاله مما نُسب إليه، وَمِنْه ما جاء في صحيح الدعاءالمأثور: «وَلَا ينفع ذَا الْجد مِنْك الجد» أي: لا ينفع ذا الجاه والغنى جاهُه عند الله، وإنما ينفعه عمله الصالح.

جُدَدٌ

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

(جُدَدٌ) الجُدَد: جمع جُدّة، وهي: الخط الظاهر، والطريق.

والمعنى: ذات خطوط وعروق مختلفة الألوان.

ومن أصل المعنى كذلك: (جادة الطريق) وهو: أصل الطريق وما ظهر منه.

(وَغَرَابِيبُ سُودٌ) اللفظ مشتق من الغُراب؛ لشدة سواده، فالغِرْبيبُ: هو الأسود الذي يشبه لون الغراب في شدة سواده.

والمعنى: من الجبال ما له ألوان متعددة؛ فمنها: ذوات الخطوط البيضاء والحمراء ... ، ومنها الأسود الشديد السواد.

جُذَاذًا

قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

(جُذَاذًا) أي: قِطعًا وكِسَرًا.

* ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

(مَجذُوذ) أي: مقطوع.

والمعنى: دائم غير مقطوع.

* ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القص ٢٩].

(جَذوَة) قطعة من الخشب في طرفها شعلة من نار.

الجُرز

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

(الْجُرُزِ) الجُرُز من القطع والاستئصال. والأرض الجرز: هي الأرض اليابسة الجرداء التي انقطع نباتها، وانقطع ماؤها.

* ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨].

(صَعِيدًا جُرُزًا) أي: أرضًا لا نبات ولا شيء فيها، كل ما عليها مستأصلٌ، قاعًا صفصفًا؛ وذلك يوم القيامة.

جَرَم

قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢]. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

(لَا جَرَمَ) أي: إنما هو حقٌّ أن تصيبهم النار، أو لا بد -أو لا محالة- أنها سوف تصيبهم؛ تقول العرب:

(لا جرم لأفعلنَّ كذا) أي: حقًّا سأفعله. ومثلها جميع الآيات التي وردت فيها المفردة.

* ويشترك في أصل المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢].

(ولا يجرمنكم) ولا يَحُقَّن لكم أن تفعلوا ذلك، ولا يدخلنَّكم في الجُرْم والإثم.

والمعنى: ولا يحملكم بغضُهم على الاعتداء عليهم بغير حق؛ فتتحملوا جُرْم ذلك وإثمه.

ومثلها: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨].

أي: ولا يحملكم ولا يحق لكم بسبب بغضهم على عدم العدل معهم، فتأثموا وتتحملوا جُرْمَه.

* ﴿وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩].

(لا يجرمنكم) أي: احذروا .. لا تحملكم مخالفتي على أن يصيبكم العذاب كالذي أصاب الأقوام السابقة.

- الرابط بين المفردتين:
(لا جرم): حقًّا.
(لا يجرمنكم): لا يَحُقّن لكم.
جزءًا
قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٥ - ١٦].
(جُزءًا) لها معانٍ لا تتعارض:
١ - أي: بعضًا منه.
٢ - أي: ولدًا؛ لأن الولد جزء من والده.
٣ - أي: نصيبًا وحظًّا.
يخبر الله تعالى عن كفار قريش أنهم جعلوا له من مخلوقاته التي تعبده جزءًا منه -وهم الملائكة- ادَّعوا أنهم بنات الله!! تعالى الله علوًّا كبيرًا.
فالله تعالى بائن عن خلقه منفصل عنهم، وكيف يكون العابد جزءًا من المعبود.
وبالمعنى الثاني: أنهم جعلوا للعباد نصيبًا وجزءًا من العبادة التي لا يستحقها غير الله تعالى؛ فجعلوهم شركاء وأندادًا من دونه.
جُفَاء
قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].
(جُفَاءً) تقول العرب: (أجْفَأتِ القِدْرُ): إذا رمتْ بزَبَدِها فلم يبق منه شيء.
و (أجْفَأتِ الأرض): إذا ذهب خيرُها.
فمعنى قوله: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) أي: يتلاشى الزَّبد، ويتبدد ما معه من ورق الشجر وغيره فلا يُنتَفَعُ به.
فائدة:
الآية الكريمة تضمنت مَثَلَين ذكرهما ابن كثير في تفسيره:
- المثل الأول مَثَلٌ مائي: شبّه الله الوحي الذي أنزله من السماء لحياة القلوب بماء المطر الذي أنزله لحياة الأرض، وشبّه القلوب بالأودية؛ فقلب كبير يسع علمًا عظيمًا كواد كبيرٍ يسع ماءً كثيرًا، وقلب صغير لا يسع إلا القليل كواد صغير.
فسالتِ الأودية بقَدْر ما فيها من ماء؛ فكل قلبٍ حمل من الهدى بقدر ما فيه من العلم.
وكما أن السيل إذا جرى حمل معه زَبَدًا وشوائب وورق الشجر وغيره، فإن القلوب إذا سالت بالعلم أثارت معها الشبهات والشهوات.
وهكذا يضرب الله الحق والباطل: فالشبهات والشهوات تتبدَّد أمام الحق، ويبقى صريح العلم كالماء الصافي يمكث في قعر الوادي وينتفع الناس به، كذلك يستقر الإيمانُ في قلب المؤمن.
- المثل الثاني مَثَلٌ ناري: (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ):
شبّه الحق والباطل بالخبث والشوائب التي تخرج عند سَبْك الذهب والفضة والنحاس في صناعة الحلي وغير ذلك، فتميزه النار وتفصله عن الجوهر وتطرح منه الشوائب، فتذهب جفاءً.

وكذلك الشبهات والشهوات يرميها العلم الذي في قلب المؤمن، كما تطرح النار شوائبَ المعدن، ويبقى الذهب الخالص والفضة فينتفع الناس بهما.

جِفان

قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

(وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ) الجِفَان: جمع جَفْنَة، وهي: وعاء متّسع للطعام.

كالجواب: جمع جابِيَة، وهي: الحوض الواسع الذي يُجمع فيه الماء لسقي الأنعام وغيرها.

والمعنى: أنها أوعية كبيرة وواسعة باتساع الحوض الكبير.

(وَقُدُورٍ راسِيَاتٍ) قدور عظيمة الحجم، ثابتة راسية لا تتحرك من كِبَر حجمها.

[الجمل]

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

(الجَمَلُ) بفتح الجيم، وهو: البعير المعروف، ذَكَرُ الناقة.

أما من قال من المفسرين بضم الجيم -الجُمل- وهو: الحبل الغليظ المضفور كحبل السفينة، فهي قراءة شاذة لا يُعتد بها؛ لأنها ليست من القراءات العشر المتواترة المقبولة.

(سَمِّ الخِيَاطِ) أي: ثقب الإبرة.

(السَّمّ): هو الخرق، أو الثقب؛ تقول العرب: (سِمام الإنسان) أي: فتحات أنفه وفمه وأذنيه.

(والخياط): هو المخيط؛ حيث تسمي العرب الإبرة مَخِيطًا.

والمعنى: أن الذين كذّبوا بآيات الله واستكبروا عنها فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات، وعاشوا على الشرك والفساد؛ فهؤلاء إذا مات أحدُهم وعَرجَت الملائكة بروحه إلى السماء لا تُفتح له أبوابها؛ فتهوي روحُه إلى النار، ثم يكون مآله فيها يوم القيامة؛ لذلك قال تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فعلّق دخولهم الجنة على مستحيل، وهو دخول الجَمل في ثقب الإبرة، والمعلق على المستحيل مستحيل، نسأل الله السلامة!

[الجنب]

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

(وَالجَارِ الجُنُبِ) الجار الجنب: هو الجار الذي لا قرابة بينه وبين من يجاوره، وكلما كان الجار أقرب بابًا كان حقه آكد.

وقد وردت الوصية بالجار في السنة؛ فعن عائشة أن النبي ﷺ قال: «مازال جِبْرِيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» صحيح البخاري (٦٠١٥).

(وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ) قيل: هو الرفيق مطلقًا؛ سواء في السفر أو الحضر. ويدخل فيها كل من لازمك؛ كالزوجة والصديق.

فعلى الصاحب لصاحبه حق زائد على حق أُخُوّة الدِّين: من مساعدته على أمور دينه ودنياه، والنصح له ... وكلما زادت الصحبة تأكد الحق.

جَنَفًا

قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢].
(موصٍ): هو الشخص الموصِي.
(جَنَفًا) الجَنَف: أصله الميل والاعتداء في جميع الأمور؛ تقول العرب: (أَجْنَف فلان عليه) أي: جار عليه في الحكم أو الخصومة.
والمقصود هنا: الجَور في الوصية.
المعنى العام: من خاف من الموصِي أن يحيف ويجور في الوصية -سواء عن طريق الخطأ أو العمد- فينبغي لمن حضر مجلس الموصِي وقت الوصية أن ينصحه بالعدل وينهاه عن الجَور إن علم نيته في ذلك.
وإن لم يحضره عند الموت وعلم جور الوصية، فله الحقّ في رد هذه الوصية ولو بعد موت الموصِي إن علم أنها غير عادلة، فلا حرج عليه ولا إثم في ردها؛ فهي وصية جائرة.
قال أهل الفقه: إلا أن يرضى بها جميع المعنيّين بها من الورثة ويتراضون على ذلك.
* ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].
(مُتَجَانِف) أي: غير مائل للإثم والمعصية بتجاوزه حد الضرورة وحد الكفاية؛ وذلك من أكل الميْتة المحرمة شرعًا.
كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].
(غير باغ) من البغي؛ أي: غير متجاوزٍ حد الضرورة.
(ولا عاد) من الاعتداء؛ أي: غير متعدٍّ في ذلك حدودَ الله.

جَهْد

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٣].
(جهد أيمانهم): مبالغة في القسَم والتوكيد؛ أي: أتوا بجميع ألفاظ القسَم.
والمعنى: أن هؤلاء المنافقين أقسموا أشدّ القسم أنهم مع المؤمنين، ولكنهم تظاهروا بالإسلام فأحبط الله أعمالهم.
وقد تكررت (جهد أيمانهم) وكلها بنفس المعنى.

[الجوار]

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى: ٣٢].
وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤].
(الجَوَارِ) من الجريان في البحر، وهي: السفن.
(المنشئات) وصف للسفن، ولها معنيان لا يتعارضان:
١ - من ناشئ: وهو الشيء المرتفع.
والمعنى: السفن المرتفعات كالجبال والقلاع فوق البحر.
٢ - من أنشأ، أي: صنع.
والمعنى: المصنوعات التي أنشأها البشر بقدرته تعالى.
(كالأعلام) الأعلام؛ أي: كالجبال، أو القِلاع العالية.
ومعنى الآية الكريمة: من نعمه سبحانه وآلائه أنه يُسَيّر السفن في البحار كالجبال العظيمة، تَمْخَر البحار والمحيطات، حاملة البضائع والعباد ومسخرة لمنافعهم.

والعرب تسمي كل شيء بارز مرتفع: علمًا؛ كالقلاع، والأبراج، والجبال؛ ومنه قول الخَنْساء في قصيدتها التي رثت فيها أخاها صخرًا: (كأنه عَلَمٌ في رأسه نار) أي: كأنه جبل مرتفع على قمته نار.
* ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].
(الْجَارِيَةِ) السفينة، سميت كذلك؛ لجريانها على الماء، والمقصود: سفينة نوح ، فلما طغا الماء بالطوفان حملنا آباءكم الذين جئتم من أصلابهم ونجيناكم جميعًا.
* ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٦].
[الجوار]
- الكواكب والنجوم السَّيّارة حال جريانها في أفلاكها.
- وقيل: الظباء وما شابهها التي تجري في البرّية.
وانظر: مفردة (الخنس) و (الكنس).

[حرف الحاء]
[الحافرة]
قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠].
(الْحَافِرَةِ) تقول العرب: (رجع في حافرته) أي: عاد إلى حالته الأولى وإلى أول أمره.
والمعنى: أئنا لعائدون إلى الحياة مرة أخرى؟! سؤال استبعاد واستنكار من الكفار.

[حاق]
قال تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [النحل: ٣٤].
(وَحَاقَ) لها معنيان:
١ - من الاستحقاق؛ فحاق أصلها: (فحَقَّ) أي: حلَّ بهم ووجب عليهم واستحقوه بأعمالهم.
٢ - من الحُوق، وهو: الكمرة وما استدار بالشيء. ومن الحَيق، وهو: الإحاطة والاشتمال؛ أي: أحاط بهم.
ولفظ (أحاط) يكون مع الخير والشر، أما لفظ (حاق) فيدل على إحاطة السوء والهلكة.
فالمعنى الشامل للمعنيين: حاق وأحاط بهم، وهو حقٌّ عليهم.
* ومنها لفظ (يحيق): ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].
(يَحِيقُ):
١ - من الإحاطة؛ أي: يحيط به ويرجع عليه.
٢ - من الحق؛ أي: لزم ووجب على أهله.
* وأما قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٢] فسميت بذلك لأنها تدل على عدة أمور:
١ - أنها الساعة الصادقة والواجبة.
٢ - أنها تَحق وتجب على جميع الخلق وتحيط بهم.
٣ - أنها تظهر فيها حواقّ وحقائق الأمور.
٤ - أنها تبيّن ماذا حاق وأحاط بالمكذبين.
٥ - وأنها تُحاق كل مبطل وتغلبه.
٦ - أنها تُحِقُّ كلَّ إنسان بعمله من خير وشر.

٧ - ولاستحقاق ما كان من وعد ووعيد؛ فكل يجد حقيقة عمله ويستحق جزاءه عليه.

الحُبك

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧].

(الْحُبُكِ) الحَبْك: هو الشدّ والإحكام والإتقان.

يُقْسم الله تعالى بالسماء المتشابكة بالطُرق والمنسوجة بالمجرات والأفلاك، ولكل فلك فيها طريقه ومساره؛ فترى السماء في الظلماء كأنها محبوكة ومنسوجة كنسيج الثوب، مطرزة بالكواكب والنجوم، فسبحان الخالق العظيم!

وفي العصر الحديث قد صُوّرت السماءُ بصور مقرَّبة أظهرت الطرق والأفلاك بشكل أوضح وكأنها نسيج كوني؛ مما يستثير في النفس عظمة الخالق، ولكنّ المعنى الذي خاطب اللهُ به العرب في كتابه يتضح من رؤية السماء بالعين المجردة.

حجابًا

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورا﴾ [الإسراء: ٤٥].

(حِجَابًا مسْتُورًا) أي: حجاب من خصائصه أنه مستور عن أنظارهم، فلا يرونه ولا يشعرون به؛ فهو مستور عن أعين الناس ومستورٌ به.

وهذا الحجاب نوعان:

١ - حجاب من الجهل وعمى البصيرة ساتر لقلوب الكفار عن فهمه وتدبره، فلا يصلهم شيء من نوره؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرا﴾ [الإسراء: ٤٦].

٢ - حجاب ساتر للنبي ﷺ عن رؤيتهم له والإضرار به والتعرض له من قِبَلهم.

ومن ذلك لمَّا نزلت تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، جَاءَتِ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا امْرَأَةٌ بَذِيئَةٌ، وَأَخَافُ أَنْ تُؤْذِيَكَ؛ فَلَوْ قُمْتَ! قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي» فَجَاءَتْ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي. قَالَ: لَا؛ وَمَا يَقُولُ الشِّعْرَ. قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي مُصَدَّقٌ. وَانْصَرَفَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ تَرَكَ! قَالَ: «لَا؛ لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا بِجَنَاحِهِ» حسنه الألباني في صحيح ابن حبان (٥٦١١).

حِجرًا

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورا﴾ [الفرقان: ٢٢].

(حِجْرًا محْجُورًا) الحَجر: هو المنع والتحريم.

وهي هنا لها معنيان:

المعنى الأول: أن الملائكة تقول لهم: حرام عليكم الجنة.

المعنى الثاني: هي كلمة تعَوّذ دارجة عند العرب قبل الإسلام؛ فكان الرجل إذا أراد شرًّا بغيره في الأشهر الحُرُم قيل له: (حجر محجور) أي: حرام محرم عليك الإيذاء في هذا الشهر، فهم يستعيذون بها من الملائكة، كأنهم يقولون: حرام عليكم أن تُدْخِلُونا النارَ؛ وذلك لأنهم ينكرون سوء فعلهم، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨] فمعنى (حِجْرًا مَّحْجُورًا) هنا: حرامًا مُحرّمًا للتأكيد.

* ومثلها: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورا﴾ [الفرقان: ٥٣].

(حِجْرًا محْجُورًا) أي: مانعًا وحاجزًا عن الاختلاط.
ومعنى (حِجْرًا مَّحْجُورًا) هنا: مانعًا ممتنعًا من الاختلاط للتأكيد.
* ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٨].
(وحرثٌ) الحرث: الزرع.
(حِجْر) أي: محجورة وممنوعة إلا لمن يخصونهم بها.
والمعنى: أن المشركين كانوا يحرِّمون ويحللون لأنفسهم؛ فجعلوا أنعامًا وزروعًا محتَكَرة وخاصة لآلهتهم، فحرموها على أنفسهم؛ فلا يركبونها ولا يشربون ألبانها ولا يأكلون لحومها ولا ينتفعون بها البتة، بل يجعلونها قربانًا للأوثان يذبحونها عند الوثن، ويذكرون اسم الوثن عليها افتراءً على الله.
* ومنها في أصل المعنى قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥].
و (الحجر) هنا: هو العقل.
ولكن أصل المعنى مأخوذ من المنع؛ لأن العقل يمنع صاحبه ويحجزه عن قبيح الأقوال والأفعال، والسؤال هنا استنكاري.
ومعنى الآية: بعد أن أقسم تعالى بالفجر والليالي العشر والشفع والوتر والليل إذا يسر، فهل القَسَم بهذه كلها كافٍ ومقنع لكل ذي عقل، يمنعه من المكابرة، والعناد ويردّه إلى النظر في آيات الله والانصياع للحق؟!
[حديد]
قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].
(حَدِيد) من الحِدّة.
(فبصرك اليوم) أي: عند الموت يُكشف للعبد غطاء الغيب، وتظهر له حقائق الأمور، ويرى عيانًا كل ما كان غائبًا عنه من وعد ووعيد؛ فيكون بصره أكثر حدّة ووضوحًا.
فالمراد بالحديد: حدّة البصر ودقته، وليس من عنصر الحديد.
والعرب تعبّر في وصف قوة الجوارح بالحديد؛ فتقول: (فلان حديد البصر) أي: قوي أكثر من غيره، و (لسان حديد) أي: حادٌّ صارم.
الخطاب للإنسان في الدنيا، وقيل: هو خطاب للكافر.
ومعنى الآية الكريمة: لقد كنت في غفلة عن الموت وأحداث الآخرة، فلما جاءك الموت كُشفت لك أمور الغيب، وأصبح بصرك نافذًا وأكثر حدّة؛ فيتجلى لك كل ما كان غائبًا عنك:
- فترى عالم الملائكة والشياطين.
- وتظهر لك أعمالك وتقصيرك فيها.
- وترى الجنة والنار وأحوال القبر وفتنته ... إلخ.
﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرا﴾ [الأحزاب: ١٩].
(سلقوكم بِألسِنَةٍ حِدَادٍ) أي: حادّة سليطة.
وعبّر بالسّلق: لبيان مدى سلاطة ألسنتهم وبذاءتها، وأصل السّلق: هو مد اللسان وبسطه بالأذى. وقيل: من الصّلق، وهو: الصوت الشديد.
والآية الكريمة تبين حال أهل النفاق: ففي حال الأمن والطمأنينة فإنهم يتكلمون معكم كالشجعان بكلام حديد ودعاوى غير صحيحة، فإذا جاء القتال والخوف كانوا أجبن الناس.

[حرد]

قال تعالى: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥)﴾ [القلم: ٢٣ - ٢٥].

(على حَرْدٍ) على منع وحرمان المساكين، و (الحرد): هو المنع بشدة وعزم وإصرار على تنفيذ فكرتهم.

والآية تصور الخطة التي تخافتوا عليها بالليل أن يمنعوا أي مسكين من دخول جنتهم، فلما وصلوا إليها عازمين على تنفيذ ما فكروا فيه؛ تفاجئوا وتحطمت نواياهم وآمالهم حينما رأوا جنتهم حطامًا؛ فظنوا أنها ليست هي، فقالوا: (إنا لضالون) أي: أنهم أخطأوا الطريق إليها.

ثم اتضح لهم الأمر، وفاقوا من هول الصدمة؛ ليجدوا أنهم هم الذين حُرموا وليس المساكين.

والآية فيها درس عظيم في الحض على الإنفاق وبيان عاقبة الشح والإمساك.

حسبانًا

قال تعالى: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠].

(حُسبَانًا) الحسبان لها معنيان لا يتعارضان:

١ - بِمَعْنى الحِسابِ؛ أي: مِقْدارًا من العذاب للإحاطة بها وتدميرها.

٢ - جمع حُسْبانَةٌ، وهي: الصَّاعقة. فهو دعاء بصواعق ترسل عليها فتهلكها.

* ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، (حُسبَانا) لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - أي: حسابًا تُعرف بهما الأوقات: الأيام والليالي، والشهور والسنون.

٢ - أي: يجريان في أفلاكهما بحساب مقدَّر من الله تعالى.

* ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

(بِحُسبَان) بحسابٍ دقيق يجريان كما أمرهما الله ، منذ خلقهما الله إلى أن يفنيهما.

[الحسنة]

الحسنة والسيئة في القرآن الكريم لها معنيان بحسب السياق؛ فإما أن يكون المعنى:

١ - الحسنة: الرخاء والسعة وسائر النعَم. والسيئة: هي الشدة والكَرْب والنِّقم.

٢ - الحسنة: الإيمان والعمل الصالح. والسيئة: معصية الشرك.

ومن المعنى الأول قوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥].

(بَدَّلنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ) أي: أبدلناهم مكان الضراء والبأساء الرخاءَ والسعةَ.

(حتى عَفَوا) أي: تكاثروا وكثرت أموالهم وأولادهم.

* ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

(الحَسَنَةُ) الغنى والسعة والنعمة ...

(سَيِّئَة) البلاء والجدب وغيره مما يسوء ...

* ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

(بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ) بالنِّعم والنِّقم.
* ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].
(بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ) بحصول العذاب قبل الرحمة.
- أما ما جاء بالمعنى الثاني فقوله تعالى: ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠].
* ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].
* ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص ٨٤].
الحسنة: الإيمان والعمل الصالح.
والسيئة: معصية الشرك.
* ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].
الحسنة: العمل الصالح؛ كالعفو، والحلم.
والسيئة: المعاصي.
- ومنها ما يحتمل المعنيين بلا تعارض؛ مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].
(بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ):
١ - لِمَ تبادرون بفعل السيئات وتحرصون عليها قبل فِعْل الحسنات؟!
٢ - لِمَ تبادرون بطلب العذاب قبل الرحمة؟!
فائدة:
- سميت النعمة حسنة؛ لأن الناس يستحسنونها، وسمّيت الحسنة الأُخروية التي تحصل بالعمل الصالح حسنة: لأن لها حُسن أثر، وحُسن عاقبة.
وسميت النِّقمة سيئة: لأنها تسوء الناس، وسميت السيئة التي تحصل بالعمل السيئ سيئة؛ لأن لها سوء أثر، وسوء عاقبة.

حسومًا

قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].
(حُسُومًا) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - أي: تباعًا متتالية لا تتوقف حتى تُنهِي ما أمرت به.
تقول العرب: (حسمت الدابة) إذا تابع كيّها من المرض مرة بعد مرة حتى ينحسم مرضها وتشفى.
٢ - من الحسم والقطع؛ تقول العرب: (حَسَمَت الريح كل شيء مرت به) أي: قطعته.
والمعنى: سلط الله تعالى الريح العاصفة الشديدة البرودة أيامًا متتالية على عاد قوم هود حتى لم تترك لهم فرصة للحياة، فحسمتهم واستأصلتهم عن آخرهم، وحسمت كل شيء لهم مرت به؛ فلم تبق لهم باقية، نسأل الله السلامة، ونعوذ به من غضبه وعقابه!

حَصَبُ

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].
(حصَب) أي: حجارة تشعلها.
فالحصب: أصلها من الحَصْباء والحصى؛ فهي الحجارة. والحطب من الشجر، ومن خصائص الحجارة أنها تبقى في النار ولا تتآكل كالحطب.
فجهنم والعياذ بالله وقودها الناس والحجارة، فكذلك البشر فيها كالحجارة دائمة الاشتعال لا تفنى، وليست كالحطب تفنى وتذوب؛ ليذوقوا العذاب.
والحكمة من حرق الآلهة مع الكفار في جهنم - وهي جمادات لا تعقل- ليراها مَنْ عبدها واستغاث بها؛ فتزداد حسرته، بل ويصيبه من لهيب اشتعالها فيزداد عذابه، نسأل الله العافية!

[حصرت]

قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ [النساء: ٩٠].
(حَصِرَتْ) الإحصار: من المنع والحبس.
فمعنى (حصرت) أي: ضاقت صدورهم، وضمائرهم تمنعهم أن يقاتلوكم؛ للعهد الذي بينهم وبينكم.
* ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].
(أحصروا) أي: حبسهم ومنعهم الجهادُ والمرابطة في سبيل الله عن التّكسب.
* ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].
(أُحْصِرْتُمْ) أي: فإن حبسكم حابسٌ ومنعكم من إتمام الحج.
* ومن أصل المعنى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].
(وَحَصُورًا) الحصور: هو الذي يُحجم عن الشيء ويمتنع عنه، أو يُحبس عنه. ويسمى الذي لا يشتهي النساء حصورًا.
وقيل في يحيى أقوال:
١ - أنه ليس له شهوة في النساء، واستبعده بعض المفسرين؛ لأن المقام هنا مقام مدح وثناء عليه، والمدح لا يكون إلا على أمر مُكتسب يقدر على خلافه.
٢ - أنه حصر نفسه ومنعها عن الشهوات -ومنها النساء- فهو متفرغ للعبادة.
٣ - أنه منع نفسه عن مساوئ الأخلاق.
(مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ):
أي: مصدقًا بعيسى ابن مريم .
* ومثلها في أصل المعنى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].
(حَصِيرًا) لها معنيان:
١ - من الحصر والحبس؛ أي: محبسًا وسجنًا لهم.
ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورا﴾ [الفرقان: ١٣]، ونَحْوُ ذَلِكَ من الآيات.

٢ - من الْحَصِيرِ الَّذِي يُبْسَطُ وَيُفْرَشُ؛ والمعنى: فراشًا يجلسون عليها، فهي من فوقهم ومن تحتهم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿لَهُم مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ الآيَةَ [الأعراف: ٤١]، ونحو ذلك من الآيات؛ فاللفظ يشتمل على المعنيين بلا تعارض.

[حصيد]

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠].

(قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) أي: القرى التي أهلكت منها ما هو قائم؛ أي: بقيت حيطانها قائمة يراها الناظر إليها، ومنها ما هو حصيد؛ أي: كالزرع المحصود إذا صار هشيمًا وحُطامًا.

أي: مُحِي أثرُها وصارت أنقاضًا، وتفرّقت فلم يبق منها شيء.

* ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ [ق: ٩ - ١١].

(وَحَبَّ الْحَصِيدِ) أي: حبوب الزرع الذي يحصد؛ كالبُرّ والشعير، وما شابه ذلك.

ففي الآيات يُعدّد الله]. نعمه على العباد، ومنها إنزال الماء؛ فينبت به جنات من الأشجار المختلفة التي تثمر ويؤكل ثمرها من خضرة وفاكهة، وينبت به الزروع المختلفة التي تُحصَد ويؤكل حصيدها، والنخل الطوال التي يتدلى ثمرُها المتراكب؛ كل هذه الأصناف طعامًا طيبًا، ورزقًا منه]. لعباده؛ فله الحمد وافيًا!

حِطَّة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

(حِطَّةٌ) أي: احطط عنا ذنوبنا.

والمعنى: ادخلوا الباب -وهو باب المسجد- وأنتم راكعون، أو منحنون انحناء الخشوع، وقولوا: (حِطّة) أي: رب حط عنا خطايانا.

ولكن اليهود دخلوا الباب يزحفون على أدبارهم وهم يقولون: حنطة في شعير. وقيل باللغة العبرية: (حِطَّا سمقاتا) أي: حنطة حمراء؛ استهزاء ومخالفة؛ فأنزل الله]. عليهم الرجز والعذاب المذكور في الآية التالية لها.

[الحق]

(الحق) في القرآن الكريم له معان مختلفة بحسب السياق:

- ففي الآيات التالية ورد بمعنى (العدل)؛ فإذا كان السياق يتضمن معنى: (الحكم، والوزن، والظلم والبغي) فيكون معنى مفردة (الحق) هو العدل:

*﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] أي: بغير سبب عادل، بل هو الجور والظلم.

*﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] أي: بالعدل.

*﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧] غير العدل: وهو الظلم والشرك.

*﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] أي: إلا بالعدل واستحقاق الجزاء.

*﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] هو: العدل والقسط.

*﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] أي: يحكمون بالعدل ويدعون إلى الدّين، وهم العلماء.
*﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٣] غير العدل: وهو الجور والظلم.
*﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٢] أي: بالعدل، وهو دعاء من النبي أن يا رب، احكم بيني وبين قومي المكذبين لي المحاربين لدعوتك وعبادك المؤمنين، احكم بيننا بالحق والعدل، وبنصري عليهم.
*﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٤١] بالعدل؛ فلم يكن الله ظالمًا لهم سبحانه.
*﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] أي: جزاءهم العادل.
*﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦] أي: يحكم بيننا بالعدل.
*﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [٢٢] أي: بالعدل.
*﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠] أي: بالعدل.
*﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨] أي: بالعدل.
* ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] أي: ينطق بالعدل والصدق، فلا يزيد ولا ينقص.
* وفي كتاب الله آيات أخرى مشابهة لما سبق، ولها نفس المعنى.
- وجاءت مفردة الحق بمعنى (الصدق) في الآيات التالية:
الآيات التي تأتي على صيغة الخبر، فكلمة (الحق) فيها على الغالب تعني: الصدق:
فبالعموم: جملة (أنزلناه بالحق) وكذلك: (جاء بالحق) و (قوله الحق) و (إنه الحق) وما في معناها، كلها تعني: الصدق.
*كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٣٠] أي: الصدق واليقين.
*﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣] أي: بالصدق فيما دعوا إليه.
*﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥] الصدق.
*﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨] الصدق المشتمل على نبوة موسى.
*﴿أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩] الصدق.
*﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٧] الصدق.
*﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥] صدق محقق.
*﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١] الصدق.
*﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] الصدق.
*﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٥] بالصدق، وهو إنجاب الولد.
*﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحجر: ٦٤] بالصدق والجد.
*﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣] بالصدق.
*﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] الصدق، والرسالة التي أرسلت بها.
*﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨] صدقًا منجزًا لا محالة.
*﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧] الصادق وقوعه، وهو القيامة.

*﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢] بالصدق؛ وهي صحيفة الأعمال، أو اللوح المحفوظ؛ فليس فيه إلا الصدق.
*﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ [القص ٣] بالصدق.
*﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الصدق.
* ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] الصدق الثابت.

- وجاءت مفردة الحق بمعنى (الحكمة) في الآيات التالية -وسياق الآيات في الغالب متعلق بخلق السماوات والأرض-:
* ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣] أي: بالحكمة، وليس بالعبث والعشوائية.
* ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].
* ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].
* ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٩].
* ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥].
* ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨].
* ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤].
* ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].
* ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٣].
* ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]. جميع الآيات السابقة تعني: بالحكمة وليس بالعبث والعشوائية.
*﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥] أي: بالحكمة.
* ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥] أي: بحكمةٍ وتقديرٍ يرضاه الله؛ فقد أخرجه من المدينة لقتال المشركين يوم بدر.

وإذا جاءت كلمة (الحق) في سياق الإنزال والإرسال ومجيء الحق واتباعه أو التكذيب به؛ فهي تشيرُ إلى أحد المعاني التالية:
القرآن، أو الصواب، والدّين الصحيح، والإسلام؛ كما في الآيات التالية:
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].
(بما جَاءَكُم منَ الْحَقّ) أي: القرآن والإسلام.
*﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] أي: القرآن.

*﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] أي: بالتّمسك بالإيمان والدِّين بعامة.

*﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩] أي: القرآن والدِّين.

*﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٠] أي: القرآن الكريم.

*﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨] أي: بالدِّين الصحيح الذي فيه نجاتكم.

*﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: ٣] أي: الإيمان والتوحيد، وهو الصواب.

*﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] بالقرآن والرسالة وما فيهما من صدق.

*﴿قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠] الصواب والدِّين الصحيح.

*﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٤] يظهر الدِّين الصحيح؛ وهو الإسلام.

*﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجا﴾ [المائدة: ٤٨] أي: من الدِّين والرسالة.

*﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] أي: الإسلام ومحمد الذي بشرت به كتبهم.

*﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٤] أي: من الإسلام.

*﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] وهو الإسلام.

* ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤] أي: الصواب؛ وهو التوحيد لله.

*﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦] ومثلها في سورة [غافر: ٥] الصواب؛ وهو الدين الذي جاءت به الرسل.

*﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨] أي: بالحجة والعلم والدِّين الصحيح.

*﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩] الصواب والدِّين الصحيح الواضح.

*﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الصف: ٩] الدِّين الصحيح المتضمن لتوحيد الله تعالى.

* ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧] يظهر الحق؛ وهو الإسلام.

- وجاءت مفردة الحق بمعنى (الإله الحق المتحقق وجوده):

ففي الآيات الآتية (الحق) جاء إما اسمًا لله أو صفة له ﷻ، أو قريبًا من ذلك فهو (الحق) بمعنى: الإله الحق المتحقق وجوده، الذي لا مرية فيه، المستحق للعبادة وحدة، وهو الإله العدل في حكمه وأفعاله.

*﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] صفة لله؛ فهو المستحق للألوهية وللعبادة وحده.
*﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢] صفة لله؛ فهو المتحقق وجوده، والمستحق للألوهية وللعبادة وحدة. و (الحق) الثانية بمعنى: الصدق، والحقيقة الثابتة.
*﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] صفة لله؛ أي: الوَلاية لذِي الْحَقِّ؛ فهو المستحق للسلطان والنصرة. ويجوز كذلك صفة للولاية؛ فهي المستحَقَّة لله وحده.
*﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦] اسم لله تعالى؛ فهو المستحِق للمُلك، الدائم الذي لا يزول، ولا مُلك على الحقيقة سوى مُلكه.
* ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾
[الحج: ٦٢] اسم له جل وعلا، المتضمن معنى أن لا إله على الحقيقة سواه؛ فهو المستحِق للألوهية وللعبادة وحده]..
وقد تكرر صدر الآية في آيات أخر ولها ذات المعنى.
* ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١] الحق من أسمائه جل وعلا، والمعنى يحتمل:
١ - لو اتبع الله الذي هو الواحد لا شريك له أهواءَهم في جعل الشركاء معه، لفسدت الأرض.

٢ - ويجوز كذلك تفسير الحق بالدِّين الصحيح الذي نزل عليهم؛ فيكون المعنى: لو نزل الدِّين الصحيح بما يحبون وما يوافق أهواءهم، لفسدت الأرض.
*﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ [الرعد: ١٤] له دعوة التوحيد (لا إله إلا الله) المستحِق للألوهية وحده.
* ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القص ٧٥] أن الألوهية والعبادة مستحَقَّة وواجبة له وحده.
- وجاءت مفردة الحق في الآيات التالية بمعنى (اليقين، والحقيقة الثابتة):
* ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]
الخبر اليقين.
*﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤] الخبر اليقين.
*﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦] لَا يُغْنِي مِنَ الْيقين والحقيقة الثابتة.
*﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الرعد: ١٧] يبدد باليقين والحجة الواضحة زيفَ الباطل.
* ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨] أنها الخبر اليقين، ومحققة الوقوع.
-وجاءت مفردة الحق في الآيات التالية بمعنى (النصيب المستحق):

*﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩] نصيب معين وواجب مستحق.
*﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤ - ٢٥] نصيب واجب مستحق.
*﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٢٨٢] ليبين المدين المبلغَ المستحق للدائن.
* ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٩] أي: إن كانت الحكومة في صالحهم وكان لهم منها نصيب أو حاجة.
-وجاءت مفردة الحق في الآيات التالية بمعنى (وجَب):
*﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] أي: وجب.
*﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [غافر: ٦] أي: وجبت.
* ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦] أي: وجبت عليه.
* ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ [الصافات: ٣١].
من الاستحقاق؛ أي: وجب وثبت في حقنا.
* ومثلها في أصل المعنى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٥].
(وحُقَّت) أي: حقٌ وواجب عليها أن تسمع وتطيع.
* وكذلك قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥].
(حَقِيقٌ) جدير بي وواجب عليَّ ألَا أقول على الله إلا الصدق.
وانظر مفردة حاق ص ١٠٦ وارتباطها بالمعنى
- وفي الآية التالية جاءت مفردة الحق بمعنى (القتال):
* ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦] في القتال والنفير بعد بيان حكم الله فيه.
- وجاءت في الآية التالية مفردة الحق بمعنى (حاجة أو رغبة):
* ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] من حاجة أو رغبة وشهوة.

حكمًا (١)

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧)﴾ [الرعد: ٣٧].
(حُكْمًا) لها معان لا تتعارض:
١ - أي حاكمًا على الناس بما فيه من شرائع.
٢ - أي: مُحْكَمًا مُتقنًا لا اشتباه فيه.
٣ - حَكَمًا وفرقانًا يفصل بين الحق والباطل.
(عربيا) أي: بلسان العرب.
والمعنى: يقول الله تعالى ردًا على إنكار الأحزاب كما جاء في الآيات السابقة: -ومن الأحزاب من ينكر بعضه- وهم اليهود والنصارى والمشركون، كلهم تحزّبوا عليه وناصروا الكفر.

فالمشركون أنكروا بعض ما جاء في القرآن، واليهود والنصارى كذلك أنكروا ما خالف كتبهم منه، فبيَّن الله تعالى مؤكّدًا أنه أنزل هذا القرآن:

- حاكمًا بما ضمّنه من شرائع وأحكام على الناس كافة.
- وحكَمًا فاصلًا بين الحق والباطل.
- وحاكمًا على الكتب السابقة كلها ومهيمنًا عليها.

وأنزله عربيًّا، على رسول عربي، بلسان العرب، وهو أوضح الألسنة وأفصح اللغات؛ لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليُتبع وحده، فلا تدخله أهواء المضلين من ديانات أخرى.

حكمًا (٢)

قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣].

(حُكما) الحُكم هنا قيل هو: الحكمة التي تُمَكّنه من فهم الأحكام ومعرفة الحلال والحرام وتبليغ الرسالة، وليس طلب المُلك.

ذهب بعض المفسرين إلى أن الحُكم هو: العلم، وقال بعضهم: إنها النّبوة، ولقد اقترن في بعض الآيات الحكم مع العلم، والحكم مع النبوة؛ مما يبين أنها قدرٌ زائد على العلم.

فهي الحكمة والفهم؛ كما ذكر كثير من المفسرين والله أعلم.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص ١٤]، وتكررت الآية في أكثر من سورة.

(حُكما) حكمة وفهمًا بما يَعرف به الأحكام الشرعية، ويحكم بها بين الناس.

* ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] أي: الحكمة.

* ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

(الحُكمَ) الحكمة والفهم.

وقد تكرر في غير آية إيتاء الحكم للأنبياء، وكلها بمعنى: الحكمة؛ ليفهم بها مراد الله تعالى.

* ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

(حُكمًا) أي: مشتملًا على الحكمة والتشريعات والتكاليف والأحكام. انظر: المفردة السابقة.

* ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

الحكم هنا هو: الأحكام والتشريعات؛ فأهل الجاهلية كانوا يحكّمون الضلالات والجهالات بالآراء والأهواء الفاسدة.

حِلّ

قال تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢].

(حِلّ) لها معنيان:

١ - أُقسِم بهذا البلد حال كونك يا محمد حالًّا فيه؛ لأن حلول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ووجوده في مكة يزيدها شرفًا إلى شرفها.

٢ - أُقسِم بهذا البلد حالَ كونها حِلًّا لك يا محمد.

وذلك عام الفتح؛ لأن مكة عامَ الفتح أُحِلَّتْ للرسول ﷺ، ولم تحلَّ لأحدٍ قبله، ولا تحلُّ بعد ذلك لأحد؛ كما قال ﷺ: «وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ» صحيح البخاري (١٨٣٢)، ومسلم (١٣٥٤).

لأنها عام الفتح ازدادت شرفًا إلى شرفها؛ حيثُ طُهِّرتْ من الأصنام، وهُزِم المشركون، وصارت هذه البلد بلاد إيمان بعد أن كانت بلاد كفر.

[حللتم]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

(حَلَلتُم) تشتمل على معنيين:

١ - إذا أصبحتم في حِلٍّ من الإحرام.

٢ - إذا خرجتم إلى الحِلّ؛ لأنه لا يجوز الصيد في مكة، سواء للمُحرم وغير المُحرم.

فالآية تبين إباحة صيد البرّ بشرطين:

١ - التحلل من الإحرام.

٢ - الخروج إلى الحلّ.

فائدة:

الأمر في قوله: (فاصطادوا) للإباحة؛ أي: اصطادوا إن شئتم.

* ومنها: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣)﴾ [الحج: ٣٣].

* ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ [الفتح: ٢٥].

* ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦].

(المحل) في الآيات يشتمل على الزمان والمكان، بخلاف ما لو قلنا: (بلغ فلان محله) أي: بلغ مكانه، أما الآيات هنا فتدل على أمرين:

١ - الحِلّ؛ أي: حتى يبلغ الهدي زمان حِلّه واستحلاله.

٢ - المحل الذي هو المكان؛ أي: حتى يبلغ مكان حِلّه.

- ومن المعنى الأول:

* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١].

(مُحِلِّي): من الحلال؛ أي: غير مستحلين للصيد أثناء إحرامكم وفي الحرم.

* ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢)﴾ [التحريم: ٢].

(تحِلَّةَ) أي: تحليل الأيمان بالكفارة.

[حمولة]

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

(حَمُولَةً وَفَرشا) يَمتنُّ الله على عباده بأن سخر لهم الأنعام:

- فمنها ما هو حَمُولة، وهي: الأَنْعَام التي يُحمل عليها؛ مثل: الناقة، والجمل، والثور، وكل ما يُحمل عليه؛ سواء كانت حمولته بضائع وأغراضًا متنوعة، أو حملت الناس.

- ومنها ما هو فَرْشٌ، ولها معنيان محتمَلان:

١ - أنها صغار الأنعام؛ كالضأن والماعز والعجول الصغيرة ... إلخ، سميت كذلك: لأنها تُفرَش على الأرض للذبح والأكل.
٢ - وقيل: هي جميع الأنعام التي يُتَّخَذُ مِنَها الوَبَرِ والصُّوفِ والشَّعْرِ فِراشًا يفترشه الناس.

حَمِئة

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنا﴾ [الكهف: ٨٦].
(عَيْنٍ حَمِئَةٍ) المراد بها: البحر، أو المحيط يميل للسواد من أشعة الشمس، أو ماء طينته سوداء.
والمعنى: أن ذا القرنين لما وصل إلى نهاية الأرض من جهة المغرب؛ حيث لا يستطيع أن يتجاوز لوجود البحر، فتراءى له هذا البحر والشمس من بعيد كأنها تغرب في داخله، كما يبدو لكل ناظر، وإنما هي في الحقيقة تغيب خلفه كما نراها في البحر.
* ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].
(الحمأ) الحمأ: الطين إذا تغيَّر لونه للسواد. وقد تقدم شرح: (حمأ مسنون) في حرف اللام في (لازب).

[الحنث]

قال تعالى: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤٦].
(الْحِنثِ الْعَظِيمِ) الإثم العظيم، وهو: الشرك بالله وإنكار البعث.
ويطلق لفظ (الحِنْث) كذلك على الحِنْث في اليمين؛ لأن صاحبه يأثم به.
* ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [٤٤].
(تَحْنَثْ) أي: حتى لا تحنث في يمينك وتأثم بعدم الوفاء بها.
وقيل: إن أيوب قد حلف أن يضرب زوجته مائة ضربة، فأمره الله أن يجمع ضِغْثًا -وهو: مجموعة أعواد خفيفة من الزرع- بعدد الضربات كلها، ويضربها بها ضربة واحدة؛ ليبَرّ بقسمه ولا يأثم، ولكن لم يرد في هذه القصة حديث صحيح.

[حنيذ]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩].
(حَنِيذ) تقول العرب: (حَنذ فلان اللحم) أي: شواه.
والحَنِيذ: هو اللحم المشوي على الحجارة المُسخنة، يوقد عليها بالحطب، فإذا حميت واشتد حرُّها وُضع اللحم على تلك الصفائح من الحجارة، ثم يغلق عليها بصفائح أخرى حتى ينضج في داخلها.

حُوبًا

قال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرا﴾ [النساء: ٢].
(حوبًا) الحوب: هو الإثم.
أي: إثمًا عظيمًا ووزرًا جسيمًا، ومنه دعاء النبي ﷺ: «رب تقبّل توبتي، واغسل حَوبتي ... » صحيح الجامع (٣٤٨٥) أي: امسح ذنبي، واغفر لي.

[حرف الخاء]

[خالصة]

قال تعالى بعد ذكر مجموعة من الأنبياء: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [٤٦].
(أخلصناهم) التخلي هو التنحية من الشوائب، والتصفية من الأخلاط.
ومن مشتقات اللفظ: الإخلاص.
والمعنى: زكّاهم وشرّفهم وأعلى منزلتهم.
(بخالصة) أي: بسبب مزية تميزوا بها، وخصهم بها ﷻ، فتفرّدوا بها عن غيرهم.
(ذكرى الدار) وهي تَذَكّرُهم للآخرة، وجعلها في قلوبهم يعملون لها ويُذكِّرون غيرهم.
فائدة:
هذه الآية الكريمة تدل على أن من أحبه الله أخلصه واصطفاه، وجعله خالصًا له من بين الناس؛ فالأنبياء هم خلاصة عباده وأصفاهم له.
* ومثلها قوله تعالى عن عزيز مصر في شأن يوسف : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٤].
(أَسْتَخْلِصْهُ) أي: أجعله من خُلصَائي المقربين لي، الذين أصطفيهم لخاصّة نفسي لا يشاركني فيه أحد.
ومن مشتقات اللفظ كذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠].
(خَلَصُوا) أي: تخلصوا من الآخرين غيرهم ليكونوا بمفردهم، وتنحوا جانبًا للتشاور في الأمر سرًّا.

خبالًا

قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا﴾ [آل عمران: ١١٨].
(خبالًا) من الخبَل: وهو الفساد والشر.
(لا يألونكم خبالًا) أي: لا يقصرون في الفساد والشر؛ والعرب تقول: (ما ألوته جُهْدًا) أي: ما قصرت فيه.
* ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالا﴾ [التوبة: ٤٧] أي: فسادًا وضررًا عليكم.

ختّار

قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].
(خَتَّارٍ) أي: غدّار. و (الخَتْر) عند العرب: أقبح الغدر؛ لأنه عاهد ربه إن نجاه من البحر سيكون من الشاكرين، فغدر بالعهد ونقضه ولم يف به.

الخرّاصون

قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].
(الْخَرَّاصُونَ):
من هم الخراصون؟ وما هو الخرص؟
يجوز فيها معنيان:
١ - الخَرْص في اللغة: هو الكذب؛ تقول العرب: (رجلٌ خرَّاص) أي: كذاب.
فيكون المعنى: هَلك أو قاتل الله الكذابين.
٢ - الخَرْص أيضًا: هو الظن والتخمين؛ تقول العرب: (خرصْتُ النخلَ) أي: حَزَرْتُ ما عليه من التمر بالتخمين.
فيكون المعنى: قاتل الله أهل الظن والشك والارتياب.
- من هم أهل الظن وأهل الكذب؟

هم الذين عناهم الله في الآية السابقة على وجه الخصوص، وهي عامّة في كل من هم على شاكلتهم؛ حيث قال: (إنكم لفي قول مختلف) أي: أقوال متعارضة.
﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: ٨ - ١٠].
فهم تخرَّصُوا بالظن في رسول الله ﷺ وكتاب الله؛ فقالوا: شاعر، وساحر، وكاهن، وأساطير الأولين، فهذه الظنون جرَّتهم إلى الكذب وقلب الحقائق وتزييفها؛ حتى يبتعدوا ويصدوا الناس عن الإيمان بالله.
فائدة:
قال ابن عاشور في تفسير الآية: «اعْلَمْ أنَّ (الخَرْصَ) -بمعنى: الظن والتخمين في أُصُولِ الاعْتِقادِ- محرم؛ لِأنَّها لا تُبْنى إلّا عَلى اليَقِينِ، وهو أصْلُ مَحَلِّ الذَّمِّ في هَذِهِ الآيَةِ.
وأمّا الخَرْصُ في المُعامَلاتِ بَيْنَ النّاسِ فَلا يُذَمُّ كله؛ إذ قد تكون هناك حاجة إليه».
وقد تكرر في عدة آيات لفظ (يخرصون) كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦].
* ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].
(يَخْرُصُونَ) أي: يتقوَّلون ويفترون الكذب وظن السوء بلا دليل ولا علم صحيح.

خرجًا

قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢)﴾ [المؤمنون: ٧٢].
(خَرْجًا): أي عطاءً وأجرًا، وأصل (الخراج) ما يخرج من الأرض من غلة وثمر، والمقدار الذي يُعْطَى للعامل نظير عمله.
والمعنى: في الآية تهكمٌ وتعريض بالمشركين وبما ركبهم من جهل وإعراض.
أي: هل من دواعي إعراضهم -يا محمد- عن الخير الذي تقدِّمه لهم، أنك تسألهم عليه أجرًا وعطاءً وتشح عليه أموالهم؟!
فخراج ربك وعطاؤه الذي ينتظرك خير من عطائهم، إنما يُقدم لهم ذلك بغير ثمن، فلا يريد الرسول منهم عليه خراجًا، ومع ذلك يرفضونه؛ ففاتهم الخير وخسروا كنزًا يجعلهم ملوكًا ويرفعهم أعزة يوم القيامة، فأبوا إلا الذلة والخزي.
* ﴿قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤)﴾ [الكهف: ٩٤].
(خرجًا) أي: عطاءً وأجرًا.
فائدة:
خراج الحيوان: نسله ودرّه.
وخراج الأرض: ثمرها وغلتها.
وخراج العامل: ما يكسب نظير عمله.
وخراج الله تعالى: ثوابه وأجره.

خصيمًا

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيما﴾ [النساء: ١٠٥]، (خَصِيمًا) الخصيم: الذي يجادل بالباطل في الخصومة.
والمعنى: لا تكن لِأجْلِ الخائِنِينَ خَصِيمًا؛ أي: مُخاصِمًا عَنْهم مُجادِلًا لِلْمُحِقِّينَ بِسَبَبِهِمْ.

وفِيهِ دَلِيلٌ عَلى أَنَّهُ لا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُخاصِمَ عَنْ أحَدٍ إلّا بَعْدَ أنْ يَعْلَمَ أنَّهُ مُحِقٌّ.
وفي الآية دليل على عصمة النبي ﷺ؛ فهو مأمور من الله ومؤيد منه ألا يحكم بين الناس بهواه ورأيه، بل (بما أراك الله).
ولا تكن لأي خائن أو مدّع ما ليس له خصمًا تدافع وتجادل عنه، والآية عامة؛ سواء كانت حقوقًا دنيوية أو دينية، فلا تُعن الخائن على خيانته بالدفاع عنه.
ومثلها في المعنى:
* ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ٤].
(خَصِيمٌ) أي: بعدما كان نطفة لا حياة فيها ولا قوة، فإذا هو إنسان مميز ذو عقل ورأي ينكر البعث ويجادل، ونسي ما كان عليه من الضعف والعجز.
* ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].
(في الْخِصَامِ) أي: في الجدال والاحتجاج.
والمقصود: أن الإناث الغالب عليهن أنهن ضعيفات الحجة، فكيف ينسبونهن لله.
فالخصيم: هو أحد طرفي الخصام، أو المدافع عن الخصم.
والخصام: هو حالة الجدال والاحتجاج.
ويختلف المعنى بحسب تعْدِيَتِه بحرف الجر بعده:
- (خصيم لفلان) أي: مدافع عنه.
- (خصيم على فلان) أي: ضده.

خِلال

قال تعالى: ﴿قُل لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].
(ولا خِلال) الخلال من (الخُلَّة) وَهي: الصداقة والصحبة.
والمعنى: أن الله]. أمرهم بطاعته وأهمها إقامة الصلاة، وأمرهم بالإحسان إلى الناس والإنفاق سرًا وجهرًا قبل أن يأتي يوم القيامة، فلا تنفع فيه تجارة ولا بيع؛ فلا يفادي أحد نفسه بمال، ولا يستطيع شراء ما فاته من الجنة، ولا تنفع الصحبة والصداقة؛ فلن ينصره صاحب، ولن يدافع عنه صديق بأي حال.
* أما الموقف الذي تنفع فيه صحبة المتقين: كما قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] هو: شفاعة المؤمنين لأصدقائهم ومعارفهم من عصاة المسلمين إذا دخلوا النار.
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] أي: لا تنفع فيه صحبة صاحب ينصره أو يرد عنه السوء، ولا شفاعة شافع عند الله إلا بإذنه.

[خليفة]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].
(خليفة) لها ثلاثة معان:
١ - خليفة يخلف اللهَ في إبلاغ شرعه لعباده، وليس المعنى: خليفة عن الله في الأرض؛ فالله تعالى لا يغيب بإحاطته وعلمه وتدبيره حتى يخلفه أحد، بل هو الذي يخلف العبدَ؛ ففي دعاء السفر قوله ﷺ: «أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل» صحيح النسائي (٥٥١٦).

وهذا المعنى يؤيده قوله تعالى: ﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [٢٦].
(خليفة) تقيم حكم الله في الأرض.
٢ - خليفة لمن سبقه من كائنات في الأرض، قيل: إن الأرض كانت معمورة بالجن قبل آدم فأفسدوا فيها، فأرسل الله عليهم من يقاتلهم؛ فجعلهم في البحار والجبال، وجعل آدمَ وذريته يخلفونهم في الأرض؛ ولذلك قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠].
٣ - أي: خلائف يخلف بعضهم بعضًا ويتناسلون، وهذا المعنى كما في قوله تعالى:
* ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف: ٧٤].
* ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥].
* ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].
* ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [يونس: ٧٣].
* ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورا﴾ [الفرقان: ٦٢] (خِلفة) أي: كلما ذهب أحدهما خَلَفَهُ الآخر. انظر تفسير العثيمين للآية، وتفسير أضواء البيان.

[الخير]
قال تعالى ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [٣٢].
مفردة (الخَير) في القرآن الكريم لها معان مختلفة بحسب السياق:
- فجاءت بمعنى: (الخيل) في الآية السابقة، والمراد: أن الخيل ألهتْ سليمان عن الصلاة.
- وجاءت بمعنى: (المال) في قوله تعالى:
*﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] أي: لحب المال.
*﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١] أي: إذا آتاه الله مالًا تجده منوعًا شحيحًا.
* ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] أي: ترك مالًا، والمراد عُرفًا بالخير هنا: ترَك مالًا كثيرًا.
وقد اختلف المفسرون في الوصية في هذه الآية الكريمة؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا وصية لوارث» صحيح الجامع (٧٥٧٠) فكيف تكون للوالدين والأقربين؟!
ويحسم الخلاف ما جاء في الصحيح: عن ابن عبّاسٍ ، قال: «كان المال للولد، وكانت الوصيّة للوالدين، فنسخ اللّه من ذلك ما أحبّ؛ فجعل للذّكر مثل حظّ الأنثيين، وجعل للأبوين لكلّ واحدٍ منهما السّدس، وجعل للمرأة الثّمن والرّبع، وللزّوج الشّطر والرّبع» صحيح البخاري (٢٧٤٧).
فالآية على هذا منسوخة، وتبقى على الاستحباب في حال الأبوين اللذين لا يرثان بسبب الكفر أو الرق، وفي حال الأقرباء الذين لا نصيب لهم في الميراث.
* كذلك تكرر في كتاب الله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ فإذا اقترن (الخير) بالإنفاق أو الصدقات والفقر والشحّ فهو المال؛ ومن ذلك:

* ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

*﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨)﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: من تطوع من الصدقة فزاد على القدر الواجب.

*﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤] بنعمة وسعة ومال.

*﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي: بخلاء بالمال والنفقة.

* ﴿مَّنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥)﴾ [ق: ٢٥] بخيل بالمال لا يؤدي حقه.

* ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [الحج: ١١].

*﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [الحج: ١١] أي: مال وعافية ورزق.

* ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)﴾ [القص ٢٤] أي: فقير إلى المال وغيره.

- ومنها ما جاء بمعنى (الطاعات والعمل الصالح) ومن ذلك:

* ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

* ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرا﴾ [آل عمران: ٣٠].

* ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥] أي: من كل طاعة وعمل صالح.

- ومنها ما جاء بمعنى (المنافع والمصالح) مثل:

*﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرا﴾ [الأنعام: ١٥٨] أي: إذا طلعت الشمس من مغربها، أو ساعة الاحتضار لن ينفع نفسًا إيمانُها ولا كسبُها من العمل الصالح.

*﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] إيمانًا وصلاحًا.

*﴿وَلْتَكُن مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] إلى الصلاح والرشد.

* ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرا﴾ [البقرة: ٢٦٩] فضلًا عظيمًا يقود لخَيْرَي الدنيا والآخرة.

*﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرا﴾ [النساء: ١٩] جميع المصالح والمنافع، ومنه الولد الصالح.

*﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٣٦] منافع الدنيا وثواب الآخرة.

* ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] أي: من خيري الدنيا والآخرة.

* ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

- وجاءت (ضد الشر):

* ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] الخير المطلق وخزائنه من كل شيء.

* ﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩].

(الخيرِ) ضد الشر؛ فهو: الخير، والعافية، والمال، والزوجة، والأبناء، والرزق بعامة.

* ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

*﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [النساء: ١٤٩] كل خير من الأقوال والأفعال.
*﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١] أي: لا ينقل من سماعه لكم إلا ما فيه الخير لكم لا الشر والفساد.
* ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١] يشمل كل نِعَم الدنيا.
- وجاءت بمعنى (الظفر والنصر):
* ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].
- وبمعنى (الثواب والأجر):
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء: ١١٤] لا ثواب، بل على العكس منه.
- وبمعنى (القدرة والرشد والعقل):
﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣] أي: قدرة على التّكسب ورُشدًا.
* ومثلها: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] أي: عقلًا وفهمًا، ولكنهم صمٌّ بكمٌ لا يعقلون!
- ومن الآيات ما جاء بصيغة التفضيل، وهي كثيرة وجليّة منها:
* ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].
* ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].
* ﴿فَئَامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].
* ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].
* ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] أي: خيرٌ حِفظًا؛ فحِفظُه خيرُ حِفظ.

[حرف الدال]

[داخرين]

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].
(دَاخِرِينَ) تقول العرب: (دَخِرَ الرجل) إذا ذلَّ وصَغُر. و (الشخص الداخر): هو المُهان الذليل الذي ينقاد ويفعل ما يُؤمر به.
فمعنى (داخرين) أي: صاغرين، شاءوا أم أَبَوْا؛ مسلوبِي الإرادة ومنقادين رغمًا عنهم لأمر الله.
* ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].
(دَاخِرِينَ) أي: حقيرين عليهم الذُّل والصَّغار، فيجتمع عليهم العذاب والإهانة جرَّاء استكبارهم عن عبادة الله]..
* ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].
(دَاخِرُونَ) مقهورون خاضعون.
* ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٨].
(دَاخِرُونَ) حَقِيرُونَ أذلاء مقهورون تحت قدرة الله]..

[دائمون]

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣].

(دَائِمُونَ) الدوام على الصلاة له معنيان:
١ - دوام على أدائها والمواظبة عليها مدى العمر حتى يتوفاه الله.
٢ - دوام على شروطها وأركانها وسننها والطمأنينة فيها، وإقامة وجوههم نحو القبلة؛ فلا يلتفتون يمينًا ولا شمالًا.
وينتج عن ذلك الخشوع؛ كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] فهو حضور القلب والطمأنينة، واستشعار أفعال الصلاة.
قال ابن القيم : «هُما أمْرانِ: الدَّوامُ عَلَيْها، والمُداوَمَةُ عَلَيْها» مدارج السالكين (١/ ٣٦٥).
فالدوام عليها: أداؤها على وجهها، والمداومة عليها: عدم تركها، اللهم اجعلنا منهم!
* وكذلك المعنى في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].
* ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].
* ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤].
(يحافظون) لها معنيان:
١ - المحافظة على أدائها: بالمواظبة وعدم التهاون على مدى الحياة؛ لأن تركها كفر.
٢ - حفظ أركانها وشروطها ومواقيتها، فتؤدَّى على الوجه الصحيح.

دحورًا

قال تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٨ - ٩].
(دحورًا) أي: طردًا وقذفًا، من (دَحَر) أي: دفع وأبعد وطرد؛ تقول العرب: (دحرته فاندحر) أي: طردته فانطرد.
* ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورا﴾ [الأعراف: ١٨].
* ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورا﴾ [الإسراء: ١٨].
* ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩] أي: مُبْعَدًا مطرودًا.

[دخان]

قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠].
(بِدُخَانٍ): اختلف المفسرون في حقيقة هذا الدخان وزمنه، وظنّ بعضُهم أنه الدخان الذي هو من علامات الساعة.
والراجح -كما رجحه ابن عاشور- لدلالة السياق، وأيضًا فإن له دليلًا من السنة بما لا يدع مجالًا للخلاف: أنه دخان أصاب قريشًا في سِني القحط التي دعا بها رسول الله عليهم.
فالخطاب في قوله: (فارتقب) يعني: يا محمد، ولو كان هذا الدخان من أشراط الساعة، لما كان الخطاب له .
- والدليل من السنة:
(إن قريشًا لما غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه، قال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف؛ فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، قالوا: ﴿رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله

تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] إلى قوله جل ذكره: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]). صحيح البخاري (٤٨٢٢).

دَخَلًا

قال تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢].
(دَخَلًا) الدَّخَل: ما يدخل في الشيء فيفسده.
أي: لا تدخلوا الفساد والخديعة عن طريق الحلف والأيْمان؛ فتكون أيْمانكم وسيلة للغدر والخداع.
* أما قوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢].
(أربى) أي: أكثر.
والمعنى: لا يصح أن تتخذوا الأيْمان المؤكدة بينكم وبين من عاهدتم وسيلة للغدر، فإذا كان العاقد ضعيفًا انتقلتم إلى من هو أربى وأكثر لينفعكم، وأخللتم بالعهد مع الأول.
* ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤].
(دَخَلًا) أي: وسيلة للغدر والخديعة؛ لتقطعوا بذلك حقوق الغير، أما قوله: (فتزل قدم بعد ثبوتها): فهو تحذير من نقض العهود؛ لأنه سبب زلة الأقدام على الصراط والسقوط إلى شر حال.

دسّاها

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].
(دَسَّاهَا) من الدَّس: وهو الإخفاء.
والمعنى: خاب مَنْ أخفاها؛ فأخفى فطرة الإيمان التي فطره الله عليها، وطمس معالم النور التي كان بالإمكان أن تسطع في جوانبه بتزكيتها، ولكنه دسها وغمرها في مستنقع الشرك والضلال.
فالتّدْسِية: عكس التزكية؛ (التّدْسِية): فساد وخسارة وإخفاء. و (التزكية): زيادة وبركة ونماء.
* ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٩].
(يَدُسُّهُ) أي: يخفيه ويدفنه في التراب.
ولكن المعنى في الآية الأولى معنوي، وفي الآية الثانية مادي محسوس.

دعّا

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].
(يُدَعُّونَ) من الدَّع: وهو الدفع بعنف في القفا.
والمعنى: يوم تدفعهم ملائكة العذاب بعنف من خلفهم في النار، وكلما أرادوا الخروج تعيدهم إلى النار دفعًا على وجوههم وهم بالأغلال مقيدون، عياذًا بالله.
* ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢] أي: يدفعه بغلظة وشدة؛ ليمنعه من أخذ حقوقه.

[دلوك]

قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودا﴾ [الإسراء: ٧٨].
(لِدُلُوكِ الشمس) أي: عند زوالها ومَيلانها إلى جهة الغرب؛ تقول العرب: (دلكت الشمس) أي: زالت ومالت عن مكانها.

والمعنى: زوالها عن كبد السماء، وهو وقت الظهر، ويدخل فيه وقت العصر.
(غسق الليل) أول الليل، وغياب الشمس تمامًا، وهو وقت المغرب ويدخل فيه وقت صلاة العشاء.
(وقرآن الفجر) هي صلاة الفجر؛ فهذه الصلوات الخمس المفروضة بأوقاتها.

[دمدم]

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤].
(فَدَمْدَمَ) دمدم الشيءَ أي: ألصقه بالأرض.
فالدمدمة: هي الهلاك والرجفة التي أرسلها عليهم فهلكوا جميعًا.
(فَسَوَّاهَا) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - جعل العقوبة نازلة عليهم جميعًا على السواء؛ فلم ينج منهم أحد.
٢ - سوّى بلادهم عليهم بالأرض.

دِهاقًا

قال تعالى: ﴿وَكَأْسا دِهَاقا﴾ [النبأ: ٣٤].
(وَكَأسًا) الكأس المراد بها: الخمر؛ خمر الجنة التي لا تشبه خمر الدنيا إلا في اسمها، فهي لا تُذهِب العقلَ، ولا تصدع الرأس.
(دهاقًا) دهق: من الأضداد؛ تقول العرب: (دهَقتُ الكأسَ) أي: ملأته لآخره فلم يبق فيه فراغ. و (دهقت الماءَ) أي: أفرغته لآخره فلم يبق منه قطرة.
فلعلّ اللفظ إذا ارتبط بالإناء دلّ على امتلائه، وإن ارتبط بالسائل دلّ على إفراغه؛ لذلك جاء اللفظ مع الكأس ليدل على امتلائه، فلو جاء اللفظ: (وخمرًا دهاقا) لدل على عكس المعنى؛ أي: خمرًا منسكبة على آخرها، والله أعلم.
وجاء في وصف الخمر في القرآن الكريم كذلك قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥].
(رّحِيق) الرحيق: خلاصة الخمر.
(مختوم) لها معنيان:
١ - بقيَّته وآخره بنكهة المسْك الخالص.
٢ - خُتم على فم الكأس بالمسك زيادة في اللذة، فلا يفتحه إلا صاحبه. وهذا خلاف أنهار الخمر الجارية.
وجاء الخمر كذلك باسمه؛ قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥] فجاء التعبير عن الخمر في القرآن بهذه الأسماء الثلاثة: (الخمر، الكأس، الرحيق).

الدِّين

مفردة الدِّين لها ثلاثة معان في القرآن الكريم، وجميعها من الفعل (دان):
١ - الملة والشريعة، أو التوحيد أو الدين؛ سواء الإسلام أو غيره؛ يقال: (دان بدين كذا).
٢ - الجزاء والحساب؛ كما في الأثر: «الكيِّس من دان نفسه» أي: حاسبها.
٣ - الخضوع والطاعة؛ يقال: (دانت له الجبابرة) أي: خضعت له.
- فما جاء بمعنى: (الدِّين والملة) كثير وبيّن؛ ومنه قوله تعالى:
* ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

* ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] دين التوحيد لله لا شريك له.
* ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].
* ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].
* ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤] أي: في ملّتهم.
* ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦].
* ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينا﴾ [المائدة: ٣].
* ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفا﴾ [الأنعام: ١٦١].
* ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].
*﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩] الدِّين الصحيح الذي شرعه الله.
*﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] جميع الأديان.
*﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥] اتَّبع شرائعه.
*﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦]: دِينِ الْمَلِكِ: شريعته الحاكمة؛ والمعنى: ما كان يوسف ليطبّق حكم عزيز مصر على أخيه بنيامين؛ لأن حكمه: أن يغرّم السارق ضعف ما سرق ثم يخلّى سبيله، ولكنه بدهائه وإلهام من الله حكم عليه بحُكم إخوانه، وهو الحكم الذي عليه شريعة يعقوب ؛ فقد كان الحكم: أن يؤخذ السارق بسرقته عبدًا يُسترقّ.
*﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] في حكمه وتشريعه.
* ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] دين فرعون وتشريعاته.
- ومنها ما جاء بمعنى: (الجزاء والحساب) وهي كل ما جاء مضافًا إلى يوم (يوم الدين):
* ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].
* ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات: ٦] يوم الجزاء والحساب.
- ومنها ما جاء يحتمل معنيين معنى الملة والدين ومعنى الجزاء والحساب كقوله تعالى:
* ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩].
(بِالدِّينِ) لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - الملة؛ وهي الدِّين الذِي جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.
٢ - الدِّين: الجزاء والحساب.
* ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧].
١ - الدِّين: الملة والشريعة.
٢ - الدِّين: الجزاء والحساب.
وحرف (ما) في قوله: (فما يكذبك) له معنيان:
١ - الضمير عائد على الإنسان؛ أي: ما يحملك أيها الإنسان بعد هذه النعم على أن تكذب بدين الله وبالجزاء والحساب؟!

٢ - الضمير عائد على الرسول ﷺ، و (ما) هنا بمعنى (مَنْ) أي: فَمَنِ الَّذِي يُكَذِّبُكَ يا محمد بَعْدَ هَذا البَيان وهذه النعم؟! وانظر نظائر هذه الآية في معاني حرف (ما).
* ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: ١].
(بالدّين):
١ - بالحساب والجزاء فلا يؤمن به.
٢ - بالملة والشريعة -وهي الإسلام- فلا يطيع الله في أمره ونهيه.
- ومنها ما جاء بمعنى: (التوحيد) وبمعنى: (الطاعة والخضوع والعبادة):
* ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].
١ - الِّدين والتوحيد خالصًا لله لا شرك فيه.
٢ - الطاعة والعبادة له وحده.
* ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢].
١ - التوحيد خالصًا دائمًا لله لا شرك فيه.
٢ - الطاعة والعبادة له وحده دائمة ثابتة.
* ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].
١ - التوحيد له لا شرك فيه.
٢ - الطاعة والعبادة له وحده.

* ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].
١ - الدِّين والتوحيد خالصًا لله لا شرك فيه.
٢ - الطاعة والعبادة لله لا شِرْكَ فيها لغيره؛ وذلك هو الدِّين المستقيم.

[حرف الذال]

ذَرْوًا

قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوا﴾ [الذاريات: ١].
(الذَّارِيَاتِ) الرياح.
فالذاريات: جمع ذارية؛ لأنها تذرو الترابَ وبخارَ الماء وغيره فتفرّقه في الهواء.
(ذروًا) أي: هبوبًا وتفريقًا بلين ولطف، أو بقوة وشدة.
والمعنى: أقسم اللهُ بالرياح في هبوبها حاملة معها ما تذروه وتفرقه هنا وهناك.
* ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥].
(تَذرُوهُ) تنثره وتفرقه.

[ذكر]

مفردة (الذكر) لها عدة معان في القرآن الكريم:
١ - الشرف والثناء.
٢ - الكتب، أو القرآن والتوراة.
٣ - ذكر الله بأنواعه، والصلاة.
٤ - الوحي.
٥ - الخبر.

٦ - اللوح المحفوظ.
٧ - موعظة وتذكير.
- فجاءت مفردة الذكر بمعنى (الشرف):
* في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].
(لَذِكرٌ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - الذكر من التذكير.
فالمعنى: فيه تذكير لكم وموعظة وتفصيل للدِّين.
٢ - الذكر من الشرف والحسَب.
والمعنى: فيه شرف لك ولقومك؛ لنزوله بلغتكم، ولكونه نزل على واحد منكم.
(وَسَوفَ تُسألونَ) تُسألون عن القيام بحقه في العمل به وإبلاغه للناس.
*﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١] أي: بما فيه الشرف لهم.
* ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] أي: فيه شرفكم ورقيُّكم إن عملتم بما فيه.
- وجاءت مفردة الذكر بمعنى (الكتب السماوية، أو القرآن):
* ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].
(ذِكرُ مَنْ معِي وَذِكرُ مَنْ قَبلِي) ذكر من معي: هو القرآن. وذكر من قبلي: هو كُلُّ كِتَابٍ أُنْزِلَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ، نَاطِقٌ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.
* ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ١٦٨ - ١٦٩].
يخبر تعالى أن هؤلاء المشركين يُظهرون التمني، ويقولون: لو جاءنا من الذكر والكتب ما جاء الأولين، لأخلصنا لله العبادة.
* ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] أي: اسألوا أهل الكتب السابقة -وهي التوراة والإنجيل- يخبرونكم بما عندهم من العلم، وأنهم كلهم بشر من جنس المرسل إليهم.
- وجاء بمعنى (القرآن الكريم) في الآيات التالية:
* ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].
* ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].
* ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢].
* ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥].
* ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]. انظر تفسير الآية في باب الجمل، (سورة الزخرف، آية: ٥).
* ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [٨].
* ﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].
* ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣] أي: الملائكة تتلو القرآن الكريم.
- وجاءت مفردة الذكر بمعنى (الذكر باللسان، أو الصلاة):
*﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرا﴾ [البقرة: ٢٠٠] ذكر اللسان.
*﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرا﴾ [الأحزاب: ٤١] ذكر اللسان.

*﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧] ويشمل جميع أنواع الذكر.

* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩] الصلاة وجميع أنواع الذكر.

* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

(فَاسعَوا إِلَى ذِكرِ اللَّهِ) إلى صلاة الجمعة.

- وجاءت مفردة الذكر بمعنى (الوحي):

* ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٥].

* ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [المرسلات: ٥] الملائكة تلقي الوحي على الرسل.

- وجاءت مفردة الذكر بمعنى (الخبر):

*﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣] أي: سأقصُّ عليكم منه خبرًا.

* ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا﴾ [الكهف: ٧٠] حتى أعطيك خبرًا بحاله.

- وجاءت مفردة الذكر بمعنى (اللوح المحفوظ):

* ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] أي: كتبناه في الكتب المنزلة، بعدما كتبنا في الكتاب السابق، الذي هو اللوح المحفوظ.

- وجاءت مفردة الذكر بمعنى (الموعظة والتذكير):

* ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣].

* وقد تكرر في كتاب الله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤].

* ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [١] ولها معنيان:

١ - أن القرآن ذو ذِكر؛ أي: ذو بيان للناس، يذكرهم ويتذكرون به.

٢ - ذو شرف؛ لشرفه وشرف مَنْ يعمل به.

* ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَئَابٍ﴾ [٤٩]:

١ - ذكر وثناء جميل على الأنبياء السابق ذكرهم في الآيات.

٢ - تذكير وموعظة لجميع الناس.

* ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

(لذكري) تحتمل معانيَ عدة بناء على معنى (اللام) في قوله: (لذكري)، وهذا من بلاغة القرآن الكريم واتساع معانيه:

١ - اللام تعليلية؛ أي: أقم الصلاة لكي تَذكُرَني بها؛ لأن الصلاة كلها ذكر لله، فجعلت هنا إقامة الصلاة عِلة الذكر وسببه. وتحتمل كذلك معنى آخر: أقم الصلاة لتقصد بها ذكري وحدي لنفي الشرك.

٢ - أن اللام للتوقيت؛ أي: أقم الصلاة عند الوقت الذي جعلته لذكري. وهذا يشمل أوقات الصلوات المفروضة.

ولها معنى آخر كذلك؛ أي: أقم الصلاة متى ذكرتني إذا نسيت.

ففي الصحيح: «إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ أَوْ غَفَلَ عَنْهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا؛ فإنَّ اللَّهَ يقولُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، صحيح مسلم (٦٨٤).

ذلولٌ

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١].

(لَا ذَلُولٌ) أي: لم تذلل وتستخدم لحراثة الأرض.

(وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ) ولا لسقاية الحرث.

والمعنى: هي بقرة برّية، لم تذلل قبل ذلك للعمل، ولا لحراثة الأرض، ولا لسقاية الزرع.

(مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا) (مسلمة) أي: سالمة من العيوب. (لا شِيَة فيها): شية من: الوشي، وهي العلامة واللون والأثر. تقول العرب: (وشيتُ الثوبَ) أي: نقشته بألوان ونحوها.

والمعنى: أن البقرة لا لون فيها أو أثر من بياض أو سواد غير لونها الأصفر الفاقع.

ذنوبًا

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات: ٥٩].

(ذنُوبًا) الذنوب: النصيب، والآية فيها تهديد ووعيد؛ أي: للذين ظلموا -والظلم: الكفر وعدم اتّباع النبي- نصيبًا من العذاب، مثل ما فُعل بأصحابهم في الكفر؛ وهم من سبقهم من أهل الظلم والتكذيب.

فائدة (١):

ورد التعبير عن النصيب في كتاب الله بعدة ألفاظ على اختلاف دقيق بحسب السياق، نذكر منها

الآيات التالية:

١ - (كِفل): ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

(كِفْلٌ) أي: نصيب.

٢ - (خلاق): ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠)﴾ [البقرة: ٢٠٠].

(خلاق) أي: نصيب.

٣ - (السهم) وهو النصيب؛ ومنه ما جاء في قوله تعالى عن يونس : ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١)﴾ [الصافات: ١٤١] أي: فاقترعوا وتساهموا فوقع نصيبه، أوكان سهمُه أن يُلقَى في البحر.

٤ - (شِرك): ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠] أي: حصة أو نصيب وشراكة في خلق السموات؛ ليستحقوا بذلك الاشتراك في الألوهية.

٥ - (القِطّ): القسم والنصيب: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦)﴾ [١٦].

(قِطَّنَا) أي: نصيبنا وقسطنا.

٦ - (حظ): ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت: ٣٥] أي: نصيب.

٧ - (جزء): ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤)﴾ [الحجر: ٤٤] أي: نصيب منهم.

٨ - (نصيب): ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣)﴾ [النساء: ٥٣].
فائدة (٢):
ورد في السنة (الذَّنوب) بمعنى (الدلو):
ومنه الحديث: «جاء أعرابيٌّ فبال في المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «أهريقوا عليه ذنوبًا أو سجلًا من ماءٍ» أخرجه الإمام أحمد، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح (١٢٠٨٢).

[حرف الراء]

[رابية]

قال تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠].
(رَابِيَة) من (رَبَا) أي: زاد وكثر وعلا.
(رابية) أي: شديدة الزيادة عن حد إهلاكهم، ورابية من العلو فوقهم؛ فهي غامرة لهم جميعًا.
* ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيا﴾ [الرعد: ١٧].
(زَبَدًا رَابِيًا) رابيًا: من الزيادة والكثرة، والطفو فوق الماء.
فالمعنى: مَثَلٌ ضربه الله للحق والباطل؛ فهذا الزَّبد يعلو على الماء بصفة مؤقتة ثم يتبدد، هكذا الباطل يعلو ويطفو على الحق ثم يتبدد ويتلاشى.
* ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٦٥].
(بِرَبْوَةٍ) سميت الربوة ربوة؛ لأنها ارتفعت وعلت.
واختيرت الجنة أن تكون على ربوة؛ لزيادة الحسن.
* ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩].
(ربت) أي: زادت ونمت.

[راعنا]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].
(رَاعِنَا): كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمور الدين: (رَاعِنَا) فيقصدون بها معنى صحيحًا؛ أي: راعِ أحوالنا.
فانتهز اليهود الفرصة فصاروا يخاطبون الرسول بها، ويقصدون بها معنى فاسدًا؛ فيقولون: (راعنا) ويقصدون بها سب الرسول : إما بمعنى سيّئ في لغتهم، أو من الرعونة والحُمق.
فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سدًّا لهذا الباب، ولأن فيهم المنافق الذي قد يستعمل هذا اللفظ إساءة للنبي.
* من فوائد الآية الكريمة:
- النهي عن الأمر الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم.
- وفيه الأدب مع الرسول، والكبير، والمعلم، وغيره.
- من الأدب استعمال الألفاظ التي لا تحتمل إلا الحَسن من المعاني، وترك الألفاظ المشتبهة التي تحتمل معنى غير لائق.
فقد أمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسَن فقال: (وَقُولُوا انْظُرْنَا) أي: انتظرنا وتأنَّ معنا حتى نفهم عنك؛ فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور.
(وَاسْمَعُوا) من الاستجابة والطاعة؛ أي: أطيعوا ما أمركم الرسول به.

ولم يذكر المسموع؛ ليعمَّ كلَّ خير، فيدخل فيه القرآن والسنة وكل نافع.

رَاغَ

قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: ٩١].

(فَرَاغَ) الرَّوْغ: هو العودة السريعة بخفة وخفية، ومنها (المراوغة) وهي: العودة السريعة مرة بعد مرة.

والمعنى: بعد أن خرج القوم من عند آلهتهم عاد هو إليهم خِفْيَة.

* ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩٣].

فعاد إليهم خِفْيَة مغتنمًا خلو المكان من الناس، فمال عليهم ضربًا وتحطيمًا.

* ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦] أي: عاد إلى أهله بخفة وخِفية؛ كي لا يستأذن ضيوفه فيشعروا به، وهو زيادة في الإكرام حتى لا يشعروا بالتكلف لهم فيستحيوا منه.

رِبِّيّون

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

(رِبِّيُّون) لها معنيان لا يتعارضان:

١ - من الرِّبَّة: وهي الجماعة.

وقيل: (الرِّبَّة) الواحدة هي الجماعة، أو الأتباع المكونة من عشرة آلاف فرد. فمعنى (ربيون كثير): آلاف كثيرة من الأتباع.

٢ - وقيل: من (الرَّب)؛ فالربيون: هم الرَّبانيون الذين يعبدون الرب.

وقد رَبَّتْهم أنبياؤُهم على الإيمان والأعمال الصالحة؛ فالمعنى: أتباع ربانيّون كثير.

ومعنى الآية العام: يخبر الله تعالى نبيه الكريم بما حصل للأنبياء السابقين، وكيف كان صبر أتباعهم ليقتدوا بهم؛ فقد قتل من أتباعهم جماعات كثيرة، فما وهَنَ من بقي منهم ولا ضعفوا ولا ذلوا، بل بقوا على قوتهم وعزتهم وصبرهم وثباتهم.

[رجالا]

قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

(رِجَالًا): جمع راجِل؛ أي: مُشاة على أرجلهم، ولكن المراد: مشاة وركبانًا. وقدم المشاة؛ إظهارًا لشوقهم إلى إجابة الداعي لحج بيت الله.

(ضامر) الضامر: هي الناقة أو البعير؛ سواء كان ذكرًا أو أنثى. وسمي ضامرًا؛ لهزاله بسبب قطع المسافات الطويلة، وذَكَرَهُ الله تعالى هنا كناية عن الركبان.

فكأن المعنى: ورُكْبانًا عَلى ضَوامِرَ يَأْتِين، وإضافة (كُلّ) هُنا لِلتَّكْثِير في العدد.

(مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيق) أي: من كل طريق ومكانٍ ومسلكٍ بعيد.

و (فجّ) جمعها فِجاج؛ كما قال تعالى: ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠].

* ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١] أي: طرقًا واسعة ومنافذ ومسالك.

[رجز]

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: ٥].

(رجْز) اختلف العلماء في معنى الرجز، وأظهر الأقوال: أن الرجز هو: كل ما تضطرب له القلوب من السوء والعذاب.
(من رجْز) أي: من سوء العذاب.
* ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].
(رجْزًا) أي: عذابًا يسوؤهم وتضطرب له قلوبهم.
* ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١].
(رجز الشيطان) سمي رجْزًا؛ لأنه يوسوس في صدورهم بما يسوؤهم، وينشر الاضطراب بينهم.
* ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤].
(الرجز) السوء والبلاء.
و (الرِّجز) -بكسر الراء- غير الرُّجز -بضمها- فقوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥].
(الرُّجز) بضم الراء المراد بها: الأوثان وكل باطل، وإن كانت كذلك داخلة في معنى السوء.

[رحمته]
قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].
(رحمته) المقصود بالرحمة هنا: هي المطر.
والمعنى العام: أن الله يمتن على عباده بإنزاله المطر الغزير، وينشره بواسطة الرياح على الأرض بعد الإياس من نزوله؛ فيحيي به الأرض، ويغيث به البلاد والعباد.
* ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].
(رَحْمَتِه) أي: المطر.
والمعنى: يمتن الله على عباده بأنه هو الذي يرسل إليهم الرياح مبشرة بقدوم رحمته، وهي المطر.
* ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦].
(وَلِيُذِيقَكُمْ من رَحْمَتِهِ) ولتذوقوا من رحمته الجالبة لأرزاقكم؛ فيهطل المطر بالرياح، وتجري الفلك بالرياح فتتمكنون من السفر والتجارة؛ فتشكرونه بكثرة الأعمال الصالحة الفاتحة لمزيد خزائن رحمته.
وقد تكرر في القرآن الكريم لفظ (الرحمة)، والمقصود به: المطر تسبقه الرياح المبشرة بقدومه.
فائدة:
إذا كان المطر عذابًا أو فيه أذًى: فالآيات تشير إليه بلفظ: (المطر) وليس الرحمة:
كقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣].

* ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

وهذا هو أسلوب القرآن الكريم، إلا أنه لا حرج في استخدام لفظ (المطر) عمومًا؛ وقد جاءت السُّنَّة به ولغة العرب، وفي الصحيح: «مُطِرنا بفضل الله ورحمته» صحيح البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

رُخاء

قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [٣٦].

(رُخَاءً) رُخاء من (الرَّخْو والليونة) فقد سخر الله لسليمان الريح الرَّخْوة اللينة؛ يقال: (أرخيت الستر) أي: أسدلته؛ لأن السِّتْر ليّن، ومنه أيضًا: (رَخَاء العيش) أي: لِينه وسعته.

ف (الريح الرخاء) هي: الريح الطيّبَة الطَيّعَة له حيثما يريد، ولا منافاة بينها وبين قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

فيتبين أن الله]. سخر لسليمان الريح إن أرادها تعصف وتشتد، أو أرادها تلين وتهدأ؛ فهي طوع أمره.

ردءًا

قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القص ٣٤].

(ردْءا) الردء: هو العون؛ تقول العرب: (ردأته على عدوه) أي: أعنته عليه.

والمعنى: معينًا ومساعدًا، وهي كما قال].: ﴿وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ [طه: ٢٩] أي: وزيرًا يؤازرني ويعينني.

رَدِفَ

قال تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢].

(رَدِفَ لَكُمْ) والرِّدْف: هو التابع.

فالمعنى: تَبِعَكم وأوشك أن يلحقكم ويقع بكم العذاب.

* ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧].

(الرّادفة) سميت النفخة الثانية بالرادفة؛ لأنها تتبعها من ورائها.

* ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

(مُرْدِفِينَ) أي: يتبع بعضهم بعضًا، ومنه ما جاء في الأثر: «كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ» أي: كنت راكبًا خلفه .

الرِّفْد

قال تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩].

(الرِّفْد المَرْفُود) الرفد: من (الرّفادة) وهي الزيادة في العطاء.

والآية في قوم فرعون؛ فهي على سبيل الذم، فبئس العطاء وبئست الزيادة، فهم بعد لعنة الدنيا -وهي العقاب بالغرق- أُتْبِعوا بلعنات يوم القيامة، فالمقصود ب (الرِّفد المَرْفود) بئس العطاء المتتابع؛ فهي لعنات متلاحقة بعضها خلف بعض يوم القيامة إلى الأبد والعياذ بالله.

رفرفٍ

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

(رَفْرَفٍ) نوع من البُّسط والوسائد المنسوجة توضع فوق الفراش، وهي هنا منسوجة من حرير الجنة الأخضر.
(وَعَبْقَرِيٍّ) العبقري: وصف لصنف من الفرُش المنقوشة فائق الجمال؛ كانت العرب تصف الشيء النادر في جماله ووجوده بهذا الوصف.

[الرقيم]

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].
(الرَّقِيمِ) اختُلف في تفسيره، وأظهر الأقوال: أن الرقيم من (المرقوم)؛ أي: المكتوب. فكأنه لوح على باب الكهف كتب عليه أسماؤهم أو قصتهم ذلك الزمان، أو صَخْرَةٌ نُقِشَتْ عليها أسْماؤُهم.
وقيل: هو الجبل الذي فيه الكهف، أو الوادي المطل عليه، والله تعالى أعلم.

ركزًا

قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].
(رِكْزًا) الركز: هو ما خفي من صوت أو حس.
والمعنى: أن الله أهلكهم بالكلية، فلم يَبْقَ منهم أثرٌ ولا عين ولا خبر.
* فائدة:
ومن ذلك سمي (الركاز)؛ لأنه مال مخفي ومدفون في باطن الأرض. وتقول العرب: (رَكَزَ الرمح) أي: غيّبَ طرفه في الأرض.

[رهطك]

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].
(رَهطُكَ) يخبر الله تعالى عن قبيلة شعيب بعد تكذيبهم له قولهم: ولولا رهطك لرجمناك؛ أي: ولولا أنك في منَعَة من عشيرتك لقتلناك رجمًا.
والرَّهْطُ إذا أُضِيفَ إلى رَجُلٍ قد يُراد به القَرابَةُ الأدْنَوْنَ، أو ربما كانوا فَخِذًا من قبيلة؛ فَلِذَلِكَ وقَّرُوهم بِكَفِّ الأذى عَنْ قَرِيبِهِمْ.
* ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨].
(رَهْط) الرهط: هم مجموعة دون العشرة، وقيل: أكثر. وهم هنا: تسعة من الأصحاب، منهم: عاقر الناقة.

الرُّوح

معاني (الروح) في القرآن الكريم:
- جاءت الروح بمعنى (الوحي) في الآيات التالية:
* ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].
(بِالرُّوحِ) بالوحي.
* ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].
(يلقي الرُّوحَ) يلقي الوحي.
- وجاءت الروح بمعنى (جبريل في الآيات التالية:

* ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].
(الرُّوحُ) من الملائكة، وقيل: جبريل .
* ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].
(وَالرُّوحُ) جبريل .
* ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابا﴾ [النبأ: ٣٨].
(الرُّوحُ) جبريل .
* ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].
(رُوحَنَا) جبريل ، وأضافها إليه تشريفًا.
وكذلك الآيات المشتملة على (روح القدس، والروح الأمين) المراد بها: جبريل .
- وجاءت الروح بمعنى: (روح الإنسان، أو المخلوق):
* ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا﴾ [الإسراء: ٨٥].
(الرُّوح) الروح التي يحيا بها بدن المخلوق.
- وجاءت الروح بمعنى: (روح عيسى خاصة):
* ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].
(وَرُوح منهُ) روح عيسى ، خلقها الله وأضافها إليه تشريفًا.
* ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].
(من روحنا) روح عيسى ، خلقها وأضافها إليه تشريفًا.
- وجاءت الروح بمعنى: (روح آدم خاصة):
* ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].
(رُوحِي) روح آدم المخلوقة، ونسبها الله تعالى إليه تشريفًا.
- وجاءت بمعنى: (القرآن):
* ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].
(رُوحًا) القرآن؛ لأنه تحيا به القلوب.

رَوْحٌ

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩].
(رَوْحٌ) أصل الكلمة من السعة والامتداد؛ تقول العرب: (قصعة رَوْحَاء) أي: واسعة. وتقول: (تَرَوّحَت البقول) إذا امتدت وطالت.
فالمعنى: كل ما يدل على السعة المعنوية للنفس والقلب: من الرحمة، والسعادة، والفرج، والراحة، والانشراح، وطيب العيش.
والمراد: البشرى للمقربين عند الاحتضار بهذه البشارة التي تسعد بها الروح، وتطير فرحًا عند سماعها.
* ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَايْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَايْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].
(روْحِ اللَّهِ) رحمته وفرجه.
أما قوله تعالى: (وَرَيْحَانٌ) فالريحان له معان لا تتعارض:

- أنه ريحان الجنة.
- أنه كل لذة بدنية، وروائح طيبة.
وكما قال تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢].
(وَالرَّيْحَانُ) هو الريحان المعروف، أو جميع الروائح الطيبة.
وبذلك جمع الروح والريحان بين طيب العيش وطيب الرائحة، وبين كل لذة نفسية: من راحة، ورحمة، وسعادة ... وكل لذة بدنية: من مشموم، ومأكول، ومشروب، ومنكوح، وملبوس ...

[ريب]

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].
(رَيْبَ الْمَنُونِ) أي: مصائب الدهر المؤدية إلى الموت، وهو المنون.
وقيل: سمي ريبًا؛ لأنه مشكوك في وقت حدوثه، لا في حقيقة حصوله.

ريشًا

قال تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)﴾ [الأعراف: ٢٦].
(وَرِيشًا) الريش: ما يُتجمّل به من الثياب.
(قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا) عبّر عنه بالإنزال؛ لأنه أنزل أسبابه؛ فكله مستخرج من نبات الأرض الذي نما من الأمطار.
* فائدة:
والرّيش يطلق أيضًا على جميع أصناف الرزق: من مال، ولباس، وأثاث، وغيره؛ يقال: (تَريّش فلانٌ) أي: اغتنى في معاشه.

[ريع]

قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨].
(رِيع) تطلق العرب معنى (الرِّيع) على:
- المكان المرتفع من الأرض.
- وعلى الطريق، وجمعها: رِياع.
وقيل: إن قوم عاد من براعتهم في البناء كانوا يبنون أبراجًا فوق المرتفعات، ومباني عالية على وجه المفاخرة والعبث.
* فائدة لغوية:
- (الرِّيع) بكسر الراء وتشديدها: هو الطريق أو المكان المرتفع. وهو المراد في هذه الآية.
- (الرَّيع) بفتح الراء وتشديدها: هو الغلة، والفضل، والناتج من الشيء.
تقول العرب: (نما الزرع وكثُر رَيعُه). وكما نقول: (رَيع هذا العمل لله) أي: يُصرف ربحه وما يرجع منه لله. ونقول في (رَيع الشباب ورَيعان الشباب) أي: أوله وأفضله.

الزّبر

قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].
(الزُّبُرِ) بضم الزاي والباء، ومفردها: زبور.
ومعناها بحسب سياق الآية: فهي هنا بمعنى: الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء.

* ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].
(الزُّبُرِ) الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء.
* ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥].
(وَبِالزُّبُرِ) الكتب السماوية.
و (الكتاب المنير) وصف للكتب على سبيل التأكيد أنها مضيئة واضحة بالحجج والبراهين.
* ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣].
(الزُّبُرِ) أي: أم أن الله أنزل لكم الأمان في الكتب السماوية المتقدمة؟!
والخطاب لكفار مكة؛ يذكّرهم بأنه أهلك الأقوام السابقة المكذبة، فهل أنتم في أمان؟! وهل أنزل الله براءتكم من العقوبة في الكتب السابقة؟!
* ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢].
(الزُّبُرِ) أي: مكتوب في الكتب القدرية، وهي: كتب الحفظة، وكل أعمالهم مسجلة في صحائفهم.
* ومن أصل اللفظ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].
(في الزبور من بعد الذكر) الزبور: هو الكتاب. والمزبور: هو المكتوب. و (زبرت الكتاب) أي: كتبته.
و (الزبور) في الآية هي: كتب الأنبياء كلها.
(الذكر) هو: اللوح المحفوظ، هو القول الذي عليه أكثر المفسرين.
فالمعنى: يخبر الله أنه كتب في الكتب المنَزّلة التي أنزلها على رسله -وهي منسوخة مما كتب سابقًا في اللوح المحفوظ- أن الأرض -والمقصود بها هنا: أرض الجنة- أنها لعباده الصالحين؛ وهو المعنى الراجح كذلك.
* أما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورا﴾ [الإسراء: ٥٥].
ف (الزبور) هنا: هو الكتاب الذي أُنزل على داود .

زخرفًا

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣ - ٣٥].
(وَزُخْرُفا) الزخرف عند العرب: هو الذهب -إذا جاءت الكلمة غير مضافة- ويجوز في الآية أن يكون الزخرف: هو زينة كل شيء.
فيكون المعنى:
- ونجعل لهم مع ما سبق ذهبًا وغنًى.
- وبمعنى الزينة؛ أي: ونجعل لهم زينة في كل شيء بأنواع الزخارف.
* ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولا﴾ [الإسراء: ٩٣].
(مِنْ زُخْرُفٍ) أي: من ذهب.
أما إذا جاءت كلمة زخرف مضافة فتعني (الزينة):

(زخرف القول): هو الكلام المزين والمنمق بالباطل؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].
(زخرف الأرض) أي: زينتها؛ كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤].

[زكاها]

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].
(زَكَّاهَا) التزكية لها معنيان:
١ - التنقية والتخلية من الشرك والكفر والفسوق والعصيان.
٢ - التنمية والتحلية بزيادة الإيمان والأعمال الصالحة.
* ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٣].
(وَزَكَاة) أي: طهارة من الذنوب، وزيادة في الإيمان والأوصاف المحمودة.
* ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ [النازعات: ١٨].
(تَزَكَّى) تتطهر من الكفر والذنب، وتتحلى بالإيمان بالله والاستسلام له.
وهكذا جميع آيات التزكية.

زُلفًا

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].
(وَزُلَفًا) أصل الكلمة من (الزَّلَف) ومفردها: (زُلفة) وهي القرب.
(زُلَفًا منَ اللَّيْلِ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - من القُرب زمانًا؛ أي: ما قَرُب من النهار من ساعات الليل؛ وهي المغرب والعشاء، فهي مع قوله].: (طرفي النهار) وهي الصبح والظهر والعصر؛ فيكون المقصود بالآية: الصلوات الخمس المفروضة جميعها.
٢ - من التَّزَلّف: وهو التقرب إلى الله عبادةً؛ فيكون المعنى: (زُلفًا من الليل) أي: تقربًا إلى الله بصلاة القيام، ويدخل في المعنى: المغرب والعشاء، والنافلة.
* ومثلها في أصل المعنى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].
(أُزلفت) أي: قُرّبَتْ وأدنيت منهم.
* ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤].
(أزلفنا) أي: قربناهم من بعضهم، وجمعناهم ليقترب بعضهم من بعض في البحر، فأغرقناهم فيه؛ وهم آل فرعون.
* ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [٤٠].
(زلفى) أي: قربة وحُظْوَةً عند الله تعالى.
* ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧].
(زلفة) أي: فلما رأوا العذاب قد اقترب وعاينوه أمامهم، ساءهم ذلك، وبان السوء في وجوههم فتغيرت.
ومن هذا المعنى سميت (مزدلفة) بهذا الاسم؛ من التَّزَلف والتقرب إلى الله، ومن الازدلاف: وهو الاجتماع والاقتراب بعضهم من بعض.

[زنيم]

قال تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣].
(زَنِيمٌ) لها معان، والراجح قولان مشهوران:
١ - زنيم: وَهُوَ الدَّعِيُّ -الْمُلْصَقُ- بِالْقَوْمِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ.
٢ - زنيم: من له زَنمة -مأخوذة في اللغة من (زنمة العنز) المتعلقة تحت حنكه- وهي هنا بمعنى: علامة وصفة لازمة فيه، وهي: الشر والعناد والاستكبار. تقول العرب: (فلان زَنَمَة خير، وزَنَمَة شر) أي: من سماته اللازمة فيه.
و (العُتل): على أشهر الأقوال أنه الشرس الفظ الغليظ.

[زهق]

قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)﴾ [الإسراء: ٨١].
(زهق): تقول العرب:
(زهق الفرس): إذا مضى وتقدم.
(زهق السهم): إذا جاوز الهدف.
(زهقت نفسه) أي: خرجت.
والمعنى: جاء الحق والإسلام بظهوره وعلوه، وذهب الباطل والكفر واضمحلّ وتلاشى، إنّ الباطل ذاهبٌ مُضمحل كلما ظهر الحق في كل زمان ومكان.
وفي الصحيح: عن عبد الله بن مسعودٍ قال: «دخل النّبيّ ﷺ مكّة، وحول البيت ستّون وثلاثمائة نُصُبٍ، فجعل يطعنها بعودٍ في يده، ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩)﴾ [سبأ: ٤٩]» صحيح البخاري (٤٧٢٠).
* ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)﴾ [التوبة: ٥٥]، وقد تكررت الآية بلفظ قريب في السورة ذاتها.
(تزْهَقَ): تخرج من بين جوانبهم بالموت.
* ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨)﴾ [الأنبياء: ١٨].
(زاهق) أي: ذاهب مضمحل:
(فيدمغه): أصل اللفظ من إصابة الدماغ أو شَجّه بضربة، ويستعملها العرب مجازًا للتعبير عن العلو على الشيء وقهره والغلبة عليه، والمعنى: يُذهبه ويُبطله.
يقال: (حجة دامغة) أي: مُفحِمة قاطعة بالبرهان، ومنه (الدمغة) أي: العلامة أو الشعار الذي يعلو الشيء لتوضيح مواصفاته.

[زوج]

مفردة (زوج) تطلق على ثلاثة معان:
١ - الفرد إذا اقترن بآخر يسمى كل فرد منهما: زوجًا.
٢ - الأصناف والأنواع.
٣ - النُّظراء والأشباه.
فبالمعنى الأول -وهو المعنى المعروف؛ وهو: اقتران فرد بآخر- وردت العديد من الآيات وهي واضحة المعنى؛ نذكر منها:

* ﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].
(وَزَوْجُكَ): قرينك من الجنس الآخر.
* ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].
(زَوْجًا) أي: قرينًا من الجنس الآخر.
* ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينا﴾ [النساء: ٢٠].
(زَوْج) أي: قرينًا من الجنس الآخر.
* ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: ٥٦].
(وأزواجهم): الزوج وقرينته.
- أما ما جاء يفيد المعنى الثاني -وهو الأصناف والأنواع- ففي الآيات التالية:
* ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠].
(يُزَوِّجُهُمْ) أي: يجمع للمولود له النوعين -الذكور والإناث- فيهب له منهما معًا.
* ومثلها: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣].
(أَزواج): أصناف أو أنواع.
* ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣)﴾ [طه: ٥٣].
(أَزْوَاجًا): أصنافًا.
* ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨)﴾ [٥٨] أي: أصنافًا وأنواعًا شتى من العذاب.
* ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].
(زَوْج): من كل صنف ولون.
* ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧)﴾ [الشعراء: ٧].
(زَوْج): من كل صنف حسَن، وقد تكررت في كتاب الله.
* ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢)﴾ [الرحمن: ٥٢].
(زَوْجَانِ): صنفان؛ قيل: رطب ويابس، أو حلو وحامض، أو غير ذلك.
* ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥)﴾ [النجم: ٤٥] أي: الصنفين.
* ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾ [الذاريات: ٤٩].
أي: نوعين أو صنفين؛ كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والذكر والأنثى، والبر والبحر، والليل والنهار.
* ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠)﴾ [هود: ٤٠].
(زَوْجَيْنِ): من كل صنفين: ذكر وأنثى؛ ليبقى النسل.
- وما جاء بمعنى (النظراء والأشباه) ففي قوله تعالى:

* ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].
(وأزواجهم) أي: أشباههم الذين عملوا من جنس أعمالهم.
* وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧].
(زُوِّجَتْ) أي: قرنت بأشباهها ونظرائها في الأعمال.

زيّلنا

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].
(زيّلنا) من: (أزلتُ الشيء عن الشيء) أي: فرّقته.
فهي من التّزايل والتباعد، وليس من زوال الشيء بالكلية.
والمعنى: أزلنا بعضهم عن بعض، وميّزنا وفرقنا بينهم.
والآية تدلّ على أن المشركين يوم الحشر يُجمعون مع ما كانوا يعبدون من دون الله، ثم يؤمَرون بالثبات في أماكنهم، فيباعَد بينهم وبين شركائهم الذين كان بينهم في الدنيا مودة وعبادة، وهذه المباعدة في الحقيقة بدنية وقلبية؛ فيلعن بعضهم بعضًا، ويفرَّقون عن الموحّدين؛ ليواجهوا سوء المصير، والعياذ بالله!
* ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥] (تزيّلوا) أي: لو زالوا من بينهم وتميز بعضهم عن بعض وتفرقوا.
ومعنى الآية: لو تميّز المشركون وتفرقوا عن المؤمنين من رجال ونساء في مكة المكرمة، لأذِنّا لكم في حربهم وقتالهم.

[حرف السين]

[سائحات]

قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارا﴾ [التحريم: ٥].
(سَائِحَاتٍ) اختلف في معنى (السياحة) وأكثر المفسرين على أن السياحة: هي الصوم.
وسمي الصائم سائحًا: لأنه يسيح في النهار بلا زاد. وقيل: (سائحات) أي: ذاهبات في طاعة الله، فإن خرجن وذهبن كان خروجهن للطاعة والعبادة؛ كالهجرة، والحج، والعمرة، وطلب العلم الشرعي.
* ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].
(السَّائِحُونَ) الصائمون أو الذاهبون في طاعة الله كالمعنى السابق: الهجرة، والحج، والعمرة والجهاد، والصلاة في المساجد، وطلب العلم الشرعي ...

[سابغات]

قال الله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١].
(سَابِغَاتٍ) السابغات: هي الدروع الطويلة الواقية للبدن؛ تقول العرب: (سَبَغَ الشعرُ) إذا طال وكثُر. و (سَبَغَ المطرُ) إذا امتد وسال على الأرض.
ومنها حديث: «أسْبِغُوا الوُضُوءَ» مسلم (٢٤٢) أي: أبلغوا مواضعه، وأوفوا كل عضوٍ حقه.

(السَّرْدِ) السرد في الأصل: هو نسج الأشياء الغليظة مثل الحديد. وهي غالبًا تنسج بالمسامير والحلقات؛ ويسمى صانع الدروع: سرّاد.

وقيل: السرد من التتابع؛ يقال: (سردت الكلام) أي: تابعته. فالمسامير مسرودة بعضها خلف بعض؛ لتنسج الحديد بالحلقات.

والدروع مسرودة؛ أي: مسمورة بمسامير وحِلَق.

ومعنى: (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) أي: ضع المسامير المناسبة؛ فلا تكون دقيقة فتتخلخل، ولا غليظة فتكسر الحلقة.

وهو إرشاد من الله تعالى لنبيّه داود في تعليمه صناعة الدروع بعدما ألان له الحديد؛ كما قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

(صَنعَةَ لَبُوس) صناعة الدروع ونسجها؛ لتكون سابغة ومُحكمة للوقاية في القتال والحرب، وهو أول من صنعها، وسرَتْ صناعتُه لمن بعده وتوارثها الناس.

[سارب]

قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

(سَارِبٌ): لها معنيان:

١ - تقول العرب: (سَرَبَ الدمع) أي: سال وجرى. وتقول: (جمل سارب) أي: مهمل يرعى حيث شاء؛ فيكون المعنى: كل من دب على الأرض ومشى في مكان.

٢ - من السِّرْب؛ وهو: ما يختفي ويتوارى فيه الشيء، أي: كل من توارى في سربه عن الأنظار.

والمعنى: كل من تَخفَّى بظلام الليل، أو توارى في سربه، أو دبَّ على الأرض بالنهار؛ وبهذا تجمع الجملة المباركة جميعَ الكائنات.

وقد جاء في الحديث الشريف: «من أصبحَ منكم آمنًا في سربِهِ، مُعافًى في جسدِهِ، عندَهُ قوتُ يومِهِ؛ فَكَأنَّما حِيزت لَهُ الدُّنيا» رواه ابن ماجه، وقال الألباني: حسن (١٤١٤) (في سربه) أي: في بيته، أو في طريقه ومسلكه؛ فهو يحتمل المعنيين.

والخلاصة: تبين الآية الكريمة إحاطة الله بعلمه لكل صغيرة وكبيرة؛ سواء من تَخَفَّى في مكان، أو استتر بالليل، أو ظهر وبان.

* ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١].

(سَرَبًا) أي: انسرب في طريقه، وسلك سبيله في البحر.

[سامدون]

قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١].

(سَامِدُونَ) السُّمُود: هو اللهو والباطل، والسّامد: هو اللاهي.

والمعنى: أفمن هذا القرآن تعجبون منكرين له، وتضحكون استهزاء به، وأنتم غافلون ولاهون عن تدبره وعما فيه من العبر، بدلًا من البكاء خشية وخوفًا مما جاء فيه من الوعيد؟!

سامرًا

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦ - ٦٧].

(سَامِرًا): وَحّدَ سامرًا وهم سُمّار؛ لأن المقصود هو اجتماعهم في وقت واحد، وهو السمر ليلًا على التكذيب والكفر؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا﴾ [الحج: ٥] ولم يقل: (أطفالًا)؛ لأن المقصود هو المرحلة وليس العدد.

ويقال: السامر لجماعة الحي يسمرون ليلًا، ويقال أيضًا للموضع الذي يجتمعون فيه.

(تهجرون): لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - من الهُجْر والإهجار، وهو فحش الكلام.

٢ - ومن الهَجْر؛ والمقصود: تفارقون رسولي وما أرسلت إليكم.

والضمير في (مستكبرين به) يشير إلى البيت الحرام؛ مما يضاعف الجرم والظلم.

والمعنى: تتخذون استهزاءكم وتكبركم على رسولي وما جاء به، مادةً لمجالس السمر والاستهزاء به والطعن فيه مع بعضكم البعض عند بيت الله الحرام ليلًا.

سباتًا

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتا﴾ [النبأ: ٩].

(سُبَاتًا) أي: جعلناه لكم راحة وسكونًا.

ف (السُّبَات) هو السكون. و (سبات العقل) خموله. و (سبات الجسد) راحته. وتقول العرب: (أسبتت الحية) إذا توقفت عن الحركة.

* ومثله في أصل المعنى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

(السَّبْتِ) قيل: سُمي يوم السبت سبتًا: لأنه يوم الراحة والتوقف عن العمل عند اليهود بنص التوراة. ثم شاع هذا الاسم عند العرب.

(وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ) أي: في غير يوم السبت.

سبْحًا

قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا﴾ [المزمل: ٦ - ٧].

(سَبْحًا) أصل (السّبح) من السباحة، وهي: حرية التنقل والتقلب.

فكأن وقت النهار واسع يسبح فيه الإنسان لأداء مهامّه؛ فمعنى (سَبْحًا) أي: وقتًا وسعة.

والمعنى في قوله: (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) أي: إنّ لك يا محمد في وقت النهار متّسعًا تتنقل فيه لقضاء حوائجك وأمور معاشك، ولمهام الدعوة والرسالة؛ فلن تتفرغ فيه التفرغ التام للقرآن مثل الليل.

فجعل أوقات النهار للسبح؛ أي: التحرك والتنقل والعمل، وجعل ساعات الليل للسكون ونافلة العبادة بعيدًا عن الشواغل.

* ويشترك في أصل المعنى: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحا﴾ [النازعات: ٣].

(فالسابحات) هي الملائكة.

(سبحًا): تسبح وتتنقل في الهواء صعودًا ونزولًا لأداء ما كلفت به من أعمال؛ فالأُولَى: سبْحًا في الوقت ومتسعًا فيه. والثانية: سَبْحًا في الهواء وتردّدًا فيه.

[سبحان]

قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧ - ١٨].
(سبحان) أي: أُسَبّحُ الله]., والمراد بالتسبيح عمومًا: تنزيه الله مما ينسبه له المشركون، وتقديسه عن كل سوء.
ولكن الآية السابقة لها دلالات أكثر شمولًا؛ فالمراد بها عدة أمور داخلة في التنزيه والتعظيم والعبادة:
١ - المراد بها: الصلاة؛ فهي تدل على أوقات الصلوات الخمس المفروضة.
٢ - تدل على دوام واستمرار التسبيح لله من جميع خلقه في كل زمان؛ فهو المستحق لذلك جل وعلا.
٣ - وتدل كذلك على المعنى الأول؛ وهو التنزيه له سبحانه عن كل نقص وعيب.
فائدة:
فمن آيات التسبيح الدالة -مع التنزيه لله تعالى- على الصلاة أيضًا، وعلى تخصيص أول الصباح والمساء بفضيلة الأذكار؛ قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨ - ٤٩].
﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠].
﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

سُجّدًا

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)﴾ [البقرة: ٥٨].
(سُجَّدًا): تكررت في كتاب الله، وتحتمل ثلاثة معان؛ لتعذّر حمل المعنى على ظاهره، إذ من غير الممكن الحركة والمشي على وضع السجود:
١ - أن يكون المراد: الخضوع والتذلل.
٢ - أو يُقصد به: الانحناء والركوع.
٣ - أو أن الأمر بالسجود متأخر بعد الدخول؛ أي: فور دخولهم يخرون ساجدين شكرًا لله]. على هذه النعمة.
وبموجز القول: فإن بني إسرائيل حينما عادوا من التيه، أمرهم الله -والأمر للإباحة- أي: أبحنا لكم دخول القرية، والمراد بها: بيت المقدس؛ ليكون لكم فيها عيشٌ هنيءٌ ووطنٌ آمنٌ.
والباب الذي أمروا بدخوله قيل: هو باب (حِطّة) من أبواب بيت المقدس.
وأمروا أن يقولوا: (حِطّة)؛ ليحط عنهم خطاياهم، فبدّل الذين ظلموا القولَ والفعلَ؛ فمنهم من قال استهزاء: حنطة، ومنهم من قال: حبة في شعيرة.
وبدلًا من الدخول سُجّدًا خاضعين، دخلوا زاحفين على أستاهم رافعي رؤوسهم؛ فاستحقوا غضب الله، فأنزل عليهم رجزًا -أي: عذابًا- من السماء، قيل: أرسل عليهم الطاعون فأهلكهم.
وقد جاء في الصحيح قوله ﷺ: «الطّاعون رجسٌ أُرسل على طائفةٍ من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم». صحيح البخاري (٣٤٧٣).

سِجّين

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين: ٧ - ١٠].

(سِجِّين) من المبالغة في السجن والحبس، والضيق الشديد. على وزن (فِعِّيل) كسِكِّير، وخِمِّير.

وسجين تحتمل معنيين:

١ - قيل: هو ديوان أعمال الكفار في سجين تحت الأرض السابعة.

٢ - وقيل: هو مستقر أرواح الكفار أسفل الأرض السابعة هم وأعمالهم؛ لأن جهنم هناك في أسفل سافلين.

ثم فسره بقوله: (كِتَابٌ مرقُوم)؛ أي: كتاب مَكْتُوبٌ: كَالرَّقْمِ فِي الثَّوْبِ، لَا يُنْسَى وَلَا يُمْحَى، مكتوب فيه أعمالهم الخبيثة وأسماؤهم.

سريّا

قال تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

(سَرِيًّا) السّريّ: هو النهر الصغير، أو الجدول الذي يسري فيه الماء.

والمعنى: ناداها جبريل من تحتها، وقيل: المولود عيسى هو الذي ناداها؛ يطمئنها: ألا تحزني، قد جعل الله لك جدولًا من الماء فاشربي، وقد أجرى الله الماء فيه لمريم بعد أن كان جافًّا.

سُعُر

قال تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤].

(وَسُعُر) السُّعُر: لها معنيان:

١ - من السُّعار؛ تقول العرب: (كلب مسعور وناقة مسعورة) أي: مجنونة. فالسُعُر هو الجنون؛ فكأنهم يقولون: كيف نتبع بشرًا مثلنا؟! لو فعلنا ذلك لكنا في ضلال وجنون. كأنهم يقولون: مجنون غير عاقل من يفعل ذلك!

٢ - من السعير؛ وكأنهم حين وعدهم النبي باتباع الهدى وأن لهم الجنة، قالوا على سبيل التهكم: بل لو نحن اتبعناك لكنا في جهل وعذاب السعير، وهذا من أشد المُحَادة لله ورسوله والعياذ بالله!

سَفَرة

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١ - ١٦].

من هم السفرة البررة؟

(سَفَرَةٍ) السفرة: لها ثلاثة معان يحتملها النص المبارك ولا تتعارض:

١ - من السفير، وهو: الواسطة بين الناس، وهو الماشي بالإصلاح بين الناس؛ فهؤلاء الملائكة هم سفراء الله إلى أنبيائه، يحملون كُتبه ووحيه إليهم.

٢ - من السِّفْر، وهو: الكتاب، فهم: الكتبة الذين بيدهم نسخة مما كُتب من القرآن والكتب المنزلة من اللوح المحفوظ، والله تعالى أعلم.

٣ - من السِّفار، وهو: الكشف والبيان؛ فهذه الملائكة تُسفر بالوحي وكلام الله وتكشفه وتبلّغه لرسله.

والمعنى: أن هذه الآيات القرآنية نزلت إليكم تذكرة وموعظة، فمن شاء تذكّر واتعظ.

ثمّ بين شرف هذه الآيات المنزلة؛ ليعرف الإنسان قدرها فلا يوليها ظهره.

فهذه الآيات مدوّنة في صحف معظّمة لها قدر وشرف عند الله وملائكته؛ فهي بأيدي ملائكة كرام شرفاء مطهرون من كل دنس، وهم وسطاء وسفراء الله لخلقه.
فائدة:
في الحديث الشريف: قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» صحيح البخاري (٤٦٥٣).
- فمعنى أن الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة: هو أنه يكون في منزلة هؤلاء الملائكة الأطهار يوم القيامة؛ لأن عمله شبيه بهم، فهو ماهر بالقرآن، ويحمل في صدره صفحاته، يتعبد الله تلاوة وتبليغًا، فيمشي بين الناس به.
وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨)﴾ [عبس: ٣٨].
(مُسْفِرَةٌ): تشترك هذه المفردة في المعنى الثالث مع سابقتها، وهو الكشف والبيان؛ فهي وجوه مشرقة مضيئة؛ بسبب ما عملت من طاعات.
يقال: (أسفر الصبح): إذا أضاء وانكشف نهاره.
و (امرأة سافرة) أي: كاشفة الوجه.
و (حياءٌ سافر) أي: حياء منزوع الخجل غير محتشم.
سُلالة
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢].
(سُلَالَة) السلالة: هي كلّ ما سُلّ من شيء واستُخرج منه؛ فالسلالة هنا: خلاصةٌ منسولة من طين الأرض؛ فحين خلق الله آدم خلقه من خلاصة استُلت من جميع طين الأرض، ومن جميع ألوانها وأنواعها.
لذلك جاء بنو آدم منهم الطيّب والخبيث، والسهل والقاسي، والأبيض والأسود.
* ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨].
(سلالة من ماء مهين) السلالة هنا تعني: ماء استُل من صلب الرجل وترائب المرأة، ثم (جعل نسله) أي: ذريته من ذلك الماء؛ فمعنى السلالة في الآيتين واحد، ولكن:
- السلالة الأولى: خَلْق آدم مما استل من طين الأرض المتنوع الصفات.
- والسلالة الثانية: خَلْق الناس مما اسْتُل من ماء الرجل والمرأة الذي يحمل كذلك أنواعًا من الصفات الوراثية، فسبحان الخالق.
سلسبيلًا
قال تعالى: ﴿عَيْنا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨)﴾ [الإنسان: ١٨].
(سَلْسَبِيلًا) صفة للعين أنها في غاية السلاسة واللين، ولها معنيان:
١ - أي: سلِسة الجريان، يصرّفونها ويفجرونها حيث شاءوا.
٢ - أي: سلِسة الشرب طيبة الطعم، يجدون لها لذة في الحلق.
سُلطانًا
قال تعالى: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥].
(سُلْطَانًا) السلطان هنا: هو البرهان والحجَّة.
والمعنى: الآية فيها استفهام استنكاري على الكفار؛ لثباتهم على شركهم واستكبارهم وشدة تمسكهم به، فينكر الله تعالى عليهم ذلك، ويسألهم توبيخًا: هل أنزلنا عليكم حجة من كتاب أو غيره فهو ينطق بهذا الضلال الذي أنتم فيه، ويقول لكم: اثبتوا على شرككم ويُقرُّكم عليه؟!

فكلمة (سلطان) في القرآن الكريم لها معنيان بحسب السياق وهما:
١ - الحجة والبرهان.
٢ - القدرة والسُّلطة.
فالآية السابقة، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الصافات: ١٥٦ - ١٥٧].
(سُلْطَان مبِين) أم لكم حجة على قولكم وافترائكم على الله بأن الملائكة بناته؟! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.
* ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠ - ٢١].
(بِسُلْطَانٍ) بحجة وبرهان على سبب تأخيره.
وكذلك جميع كلمة (سلطان) الواردة في القرآن الكريم -وهي كثيرة- تعني (الحجَّة والبرهان) ما عدا الآيات التالية؛ فتعني: (القُدرة والسلطة والتمكّن).
*﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا﴾ [الإسراء: ٦٥] أي: ليس لك عليهم قُدرة ولا تسلّط.
*﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورا﴾ [الإسراء: ٣٣] أي: قدرة وسُلطة لولي المقتول على القاتل.
*﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سبأ: ٢١] أي: من قدرة وقهر وسُلطة.
*﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ [الصافات: ٣٠] أي: من قدرة وسُلطة.
*﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] أي: إلا بقدرة وسُلطة وأنَّى لكم ذلك.
* أما قوله تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٩] فيجوز فيها المعنيان:
- هلكت عني حجّتي؛ أي: ليس لديّ حجة أحتج بها.
- وهلك عني سلطاني، وذهبت قدرتي وتسلّطي.

سَمكها

قال تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات: ٢٨].
(سَمْكَهَا) أي: رفع سقفها وبناءها في الهواء.
فالله تعالى رفع السماء بغير عَمَد، وجعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى العلو مديدًا رفيعا إلى مسافات فلكية مذهلة.
فائدة:
تقول العرب: (سَمكت الشيء) أي: رفعته. فالسَّمك هو الرفع؛ قال تعالى: (أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها) فبناء السماء يشمل أمرين:
١ - رفعُها وتسويتها: فالله تعالى رفع سقفها بغير عَمَد تُرى.
٢ - والتسوية: تعديلها وإتقان صنعها، وكثافتها البالغة السُّمك، وتزيين السماء الدنيا منها بالنجوم والكواكب، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا هو سبحانه.

سَموم

قال تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٢ - ٤٣].
(سموم) السموم: هو الفَيْح والريح شديدة الحرارة.
(حميم) الماء الشديد الحرارة لا يبرد أبدًا، عياذًا بالله.

(يَحْمُوم) تقول العرب: (أسود يحموم) أي: شديد السواد. و (ظل من يحموم) أي: من الدخان الأسود. وقيل: بخار أسود من فيح جهنم، نسأل الله السلامة!
* ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].
(نارِ السَّمُومِ) أي: من لهبٍ شديد الحرارة.
السُّوأَى
قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠].
(السُّوأَى) مؤنث سيِّئ: (سوأى) ومع إضافة (أل) التعريف يصبح معناها: العقاب الأسوأ (السُّوأَى).
مثل: مؤنث حسن: (حُسنى) ومع إضافة (أل) التعريف يصبح معناها: الثواب الأحسن (الحسنى).
والمعنى: أن عاقبة الذين أساءوا أسوأ العقاب، من جنس ما عملوا؛ بسبب تكذيبهم بآيات الله]. والاستهزاء بها.
ومنها: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]، (سيئت) أي: ظهرت سِمَاتُ السوء على وجوههم؛ من قبح وسواد. انظر: مفردة (زلفًا) في حرف الزاي.
[سوط]
قال تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣)﴾ [الفجر: ١٣].
(سوْطَ عَذَابٍ) لها معنيان:
١ - من السوط المعروف، وجمعه: سياط؛ فالعرب تعبر عن الضرب والعذاب الشديد بالسياط.
والمعنى: صب عليهم سياط العذاب المتتابعة.
٢ - السوط من فعل سَاطَ؛ أي: خَلَط؛ فالسوْط هو الخلْط.
والمعنى: صب عليهم خليطًا من العذاب الشديد المتنوع. وهذا المعنى هو الأنسب للتعبير بالانْصِباب.
ويؤيده قوله تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨)﴾ [٥٧ - ٥٨].
فائدة:
سُمّي السوط الذي يُضرب به سوطًا؛ لأنه يُضفر من جلود مختلطة، ولأنه عند الضرب به بشدة يخلط اللحم والدم؛ فالمعنى الأول يعود في أصله إلى المعنى الثاني.
[سيئة]
﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].
(سَيِّئُهُ) هاء الضمير في (سيئه) تعود على الصفات السابقة المذكورة في الآية.
أي: كل ما عددنا عليك من الصفات السابقة من قوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ...) فالسيئ منها مبغوض عند الله، مكروه كراهة تحريم.
فقد تضمنت الآيات صفاتٍ منها السيئ والحسن: فمنها إفراد الله بالعبادة، وبر الوالدين، وإيتاء الزكاة.

ثم هناك أيضًا: التبذير، والبخل، وقتل الأبناء، والزنا، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وتطفيف الميزان والقول بغير علم كشهادة الزور، والكذب على الله ورسوله، والكبر، والاختيال.

[حرف الشين]

[شاطئ]

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القص ٣٠].

(شاطئ) الشاطئ هنا: هو طرف الوادي، وليس شاطئ البحر.

والعرب تسمي (جانبي الوادي): شاطئ. و (جانبي النهر): شاطئ. وكذلك (ساحل البحر): شاطئ.

شُرّعا

قال تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

(شُرَّعًا) جمع شارع، وسمي الشارع شارعًا؛ لظهوره وقربه؛ تقول العرب: (دارٌ شارِعة) أي: ظاهرة قريبة من الطريق.

والمعنى: إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ظاهرة على وجه الماء قريبة ينظرون إليها، فإذا انقضى السبت اختفت حتى السبت الذي يليه؛ ابتلاء ليختبرهم الله بالسمع والطاعة.

وللفائدة عن أصل يوم السبت:

أن اليهود وغيرهم أُمِروا بتعظيم يوم الجمعة، فتركوه واختاروا يوم السبت بزعمهم أن يوم السبت هو اليوم الذي استراح فيه الرب بعد خلقه السماوات والأرض -تعالى الله عما يقولون- وأنه كذلك يوم خروجهم من مصر إلى أرض كنعان.

قال النبي ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا» رواه مسلم (٨٥٦).

وبناء على اختيارهم يوم السبت شدّد الله عليهم في تعظيمه، وحرّم عليهم الصيد فيه. انظر: كشف المشكل (١/ ٣٩٦)، شرح النووي على مسلم (٦/ ١٤٤).

[شرك]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

(شِرْك) أي: نصيب وحصة.

والمعنى: أم لهم نصيب أو شراكة مع الله في خلق السماوات والأرض؟! فيكون لكم بذلك حجة في
عبادتكم لهم!

* ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠].

(شِرْك) نصيب وحصة مع الله، تعالى سبحانه.

[شروه]

قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠].

(وَشَرَوْهُ) فعل (شرى) من الأضداد؛ فهو بمعنى باع، وبمعنى اشترى.

- وهذه المفردة يجوز فيها المعنيان:

١ - أي: باع إخوة يوسف أخاهم للسيّارة من المسافرين بثمن بخس قليل.
٢ - أي: اشتراه السيارةُ بثمن بخس قليل.
(وكانوا فيه من الزاهدين) الضمير في (كانوا) يحتمل عوده على إخوة يوسف أو على السيارة.
فعلى القول الأول: إخوة يوسف كانوا زاهدين فيه؛ لأنهم لا يعلمون نبوَّته، ولم يكن لهم نية في بيعه.
وعلى القول الثاني: السيارة زهدوا فيه بعد أن علموا أنه عبد آبق.
قال السعدي في تفسير الآية: «أن السيّارة لما وجدوه عزموا أن يُسِرُّوا أمره ويجعلوه من جملة بضائعهم التي معهم، حتى جاءهم إخوته فزعموا أنه عبد أبق منهم فاشتروه منهم بذلك الثمن، واستوثقوا منهم فيه لئلا يهرب، والله أعلم».
- وبمعنى (البيع) وحده قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيما﴾ [النساء: ٧٤].
(يَشْرُونَ) أي: يبيعون الحياة الدنيا، والثمن كسب الآخرة.
* ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].
(يشري) أي: يبيع نفسه، والثمن كسب مرضاة الله.

- أما (اشترى) فالأرجح أن تبقى على معناها بمعنى الشراء، وهو التملّك بالعوض.
* ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].
(وَاشْتَرَوْا بِهِ) أي: استعاضوا عن النفيس بالخسيس؛ اشتروا الرشوة والرئاسة والأموال الحقيرة في مقابل التمسك بالعهد.
* وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].
(اشْتَرَى) على معناها هنا بمعنى الشراء، وليس البيع؛ أي: اشترى الله منهم أنفسهم ببذلها في سبيله، والثمن هو الجنة.
- وقد تكرر لفظ (اشتروا) وألفاظ تقاربه في القرآن الكريم، وكلها بمعنى (الشراء): وهو التملك بالعوض، شراء الخسيس في مقابل النفيس؛ ولذلك شُبهت بالتجارة الخاسرة؛ كقوله تعالى:
*﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] اشتروا الضلالة عوضًا عن الهدى.
*﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦] اشتروا الدنيا وزينتها في مقابل ذهاب الآخرة.
* ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٧] اشتروا الكفر عوضًا عن الإيمان.
* وفي قوله جلَّ من قائل: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

فسرها أكثرهم بمعنى: (باعوا)، ورجّح ابن عثيمين في تفسيرها أن تبقى على معناها وهو (الشراء)؛ فيكون المعنى: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) أي: بئس المقابل الذي أخذوه لقاء إنقاذ أنفسهم؛ فاشتروا الكفر فخسروا بذلك أنفسهم ونجاتها يوم القيامة.

* ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩].

(اشتروا بآيات الله) أي: اشتروا الكفر واعتاضوا به عن آيات الله.

* وفي الآية التالية مفردتان: الأولى بمعنى الشراء، والثانية بمعنى البيع:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾ [البقرة: ١٠٢].

(عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ) أي: علموا أن من اشترى السحر وَالْكُفْرَ واختاره بالتفريط في الدِّين ثمنًا لذلك، فليس له في الآخرة من نصيب في الجنة.

(وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا) أي: بئس البيع بيعهم؛ لأن عملية اشتراء الكفر والسحر نتج عنها التخلي عما يحفظ النفس؛ فكأنهم باعوها في المقابل.

شَطْأه

قال تعالى: ﴿ ... كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

(شَطْأَهُ) أخرج شطأه؛ أي: أخرج فراخه، ف (الزرع المشطئ) هو الذي خرج منه فراخه وصغاره.

والمراد في الآية: تشبيه الصحابة رضوان الله عليهم بالزرع؛ فهم ابتدأوا في الدخول إلى الإسلام ونفع الأمة، ثم بدأوا يتزايدون ويخرج شطؤهم -وهي ذريتهم- فآزروهم ولحقوا بهم في قوة الإيمان، وعاونوهم على الحق وإقامة الدِّين.

[شططا]

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطا﴾ [الجن: ٤].

(شَطَطًا) الشطط: هو مجاوزة الحد في كل شيء. والمقصود هنا: كذبًا وجورًا وافتراءً على الله.

* ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

(شَطَطًا) أي: لئن دعونا إلهًا غير إله السماوات والأرض، فإننا إذن بذلك نقول كذبًا وجورًا، وبعدًا عن الصواب، وميلًا عن الحق.

[شعائر]

قال تعالى: ﴿١ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانا﴾ [المائدة: ٢].

(شَعَائِرَ اللَّهِ) هي أعلام دينه عامة وفرائضه؛ كالصلاة، والزكاة، ومناسك العبادة كلها.

وهي هنا: مناسك الحج والعمرة خاصة، وما فيه من الهدي والطواف والسعي وأوامر الدين.

(لَا تُحِلُّوا) أي: لا تستحلوها، ولا يتعرض لها أحد بسوء.
فالآية الشريفة تَنْهى عن التعرّض لخمسة أشياء، وعن اعتقاد حلّها، وما ينبغي للمسلم أن يلتزمه ويتوقّف عن حدوده:
(شَعَائِرَ اللَّهِ): وهي هنا جميع محرّمات الإحرام للمحرِم، ومحرمات الحَرَم.
(ولا الشهر الحرام): وهي الأشهر الحُرُم عامة، وشهر الحج خاصة؛ فلا تنتهكوه بقتال، ولا بغيره من أنواع الظلم للغير وللنفس بالسيئات والمعاصي.
(ولا الهدي): وهو ما يُهدى لبيت الله]. في حج أو عمرة؛ فلا يتعرض له أحد بسرقة، أو يصدّه عن الوصول.
(ولا القلائد): هي نوع من الهدي معلَّم بقلادة توضع في عنق الإبل والبقر؛ ليُعلم أنها هدي؛ أي: هدية للحرم فلا يتعرّض لها أحد؛ تعظيمًا لبيت الله. للمزيد: انظر مفردة (القلائد) في حرف القاف.
(وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا)؛ أي: ولا قاصدين البيت الحرام (يبتغون فضلًا) سواء بالتجارة والمكاسب المباحة (ورضوانًا) بالعبادة؛ كحجٍّ أو عمرة، أو غيره.
وقد ذكرت (شَعَائِرَ اللَّه) في أربع مواضع في القرآن الكريم؛ منها الآية السابقة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].
(من شعائر الله) أي: من مناسك دينه، وقد نزلت الآية ردًّا على من سأل من الصحابة رضوان الله عليهم عنها، وظنها ليست من مناسك الحج.
* وقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٣٦].
(من شعائر الله) أي: من علامات دينه، وفي نحرها والصدقة منها ثواب وقُربة إلى الله.
* ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].
(شعائر الله) أي: تعظيم شعائر الله بعامة، ومنها مناسك الحج؛ برهان على تقوى القلب وصحة إيمانه.
فائدة حول المعنى:
الشِّعار: هو العلامة التي توضع لشركة أو مؤسسة أو غيره لتُعرف بها. ومنه أن نقول: (أرسلت إشعارًا لفلان بشأن كذا) أي: إعلامًا له.
وقيل: ما سمي الشاعر شاعرًا إلا لتفطنه لما لم يتفطنه غيره. وقولنا: (ليت شِعْري) أي: ما يدريك، و (لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ فلان؟) أي: ليتني أعلم، أو من يعلمني بما فعل فلان؟

[الشعرى]

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ [النجم: ٤٩].
(الشِّعْرَى) نجم مضيء يتميز بكبر حجمه وشدة سطوعه، كان يُعبد في الجاهلية، يظهر في أول الصباح بينما تختفي سائر النجوم.
وتُطلق العرب اسم (الشِّعرى) على نجمين، والمقصود هو: النجم الأكثر سطوعًا وحجمًا.
لذلك بيّن الله تعالى أنه هو رب (الشِّعرى) وخالقه ومالكه؛ فكيف تعبدونه وتتركون ربه؟!

الشّقّة

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].
(الشُّقَّةُ) الشقة: هي السفر البعيد المسافة. سمي شُقَّة؛ لأنه يشق على الإنسان.

والمعنى: يبين الله]. حال المنافقين حينما عرض عليهم النبي ﷺ المشاركة في غزوة تبوك ضد الروم، فتعذّروا بالأعذار الواهية؛ فأخبر الله]. نبيه ﷺ حقيقة حالهم وما كانوا عليه من الكذب والخديعة:

(لو كان عَرَضًا قريبًا) أي: لو كان الخروج معك لنيل منافع الدنيا أو غنيمة حاضرة.

(وسَفَرًا قاصِدًا) وسفرًا قريبَ المسافةِ لا مشقة فيه.

(لاتبعوك) لذهبوا معك.

(ولكن بَعُدَتْ عليهم الشقة) ولكنك طلبت منهم السفر إلى مكان بعيد -وهو تبوك- فاستبعدوا المسافة؛ فسألوك التخلف عن الذهاب، وحلفوا الأيمان الكاذبة.

(يهلكون أنفسهم) أي: بالأَيْمان الكاذبة.

وفي الآية فائدة:

وهي أن هؤلاء المنافقين أرادوا الراحة لأنفسهم؛ فعصوا الرسول وكذبوا عليه، وهم في الحقيقة أهلكوا أنفسهم بالتخلف والكذب، وعرّضوها لمقت الله وعقابه.

[شهد]

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

(شَهِدَ اللَّهُ) معنى شهادة الله: وهو أجلّ شاهد على أجلّ شهادة وأعظمها وأصدقها.

وتتضمّن: أنه أَعْلمَ وبيّنَ وحكمَ وقضى؛ فهي:

- شهادة إعلام لجميع خلقه.
- شهادة إثبات صدقِها وبطلانِ ما سواها.
- شهادة إخبارٍ بمقتضاها.
- شهادة بيان لآياته الدالة عليها.
- شهادةٌ تكلم بها، ونطقَ بها كتابه.
- شهادة إقرار وحجة على خلقه.
- شهادة حُكم وقضاء وإلزام؛ يترتب عليها فوز كلّ شاهد عابد، وبوار كلّ مُعرض جاحد -والله أعلم بمراده- ربنا شهدنا وآمنا؛ فاكتبنا مع الشاهدين.

[شهيد]

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

(شَهِيد) أي: حاضر القلب.

والمعنى: في الآيات السابقة -بل وكتاب الله كله- نفع عظيم، وعبرة وعظة لنوعين من الناس:

١ - لمن كان له قلب حي، ذكي، زكي: فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله تذكر بها، وانتفع فارتفع.

٢ - وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها استماعًا يسترشد به: فإن الله يرشده بها.

(وهو شَهِيدٌ) أي: وقلبه حاضر واع غير غافل، وحاضر الفهم والتدبر؛ فهذا له أيضًا ذكرى وموعظة، وشفاء وهدى.

[شوى]

قال تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦)﴾ [المعارج: ١٦].

(للشوى): اختلف فيه المفسرون وأهل اللغة:

- فقيل: هي أطراف الإنسان.
- وقيل: (الشواة): جلدة الرأس، وجمعها شوى.
فالمراد: أن جهنم من شدة الحرارة تُسقط فروة الرأس، وتقتلع الأطراف والأعضاء من أماكنها، والتعبير بالنزع وبصيغة المبالغة: يصور شدة الجذب والاقتلاع، نسأل الله السلامة!!

[شوبا]

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧].
(لَشَوْبًا) الشوب هو: الخليط والمزيج، ومنه: الشوائب، وهي: الأقذار تختلط بالعسل أو غيره، وسُمّي الشَّيْب شيبًا: لأنه يخالط سواد ولون الشعر.
والمعنى: أن أهل النار إذا أكلوا الزّقوم، فإنهم يشربون على إثرها شرابًا ممزوجًا من الحميم، وهو: ماء بالغ الحرارة، نسأل الله السلامة!!

[شياطينهم]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].
(شَيَاطِينِهِم) أي: رؤوس الكفر من الإنس. وليس الشياطين المعروفة.
وصفهم بالشياطين: لتشبّههم بهم في التّمَرّد والعُتُو.
فائدة:
(وإذا خلوا إلى) لم يقل: خلوا بهم؛ لأن (خلوا ب) لها معنيان أحدهما لا ينطبق مع الآية؛ فربما عُدّيت ب (إلى) دفعًا للتّوهّم:
- فالمعنى الأول: تقول العرب: (خلوت بفلان) أي: اختليت به للسخرية والنيل منه.
- والمعنى الثاني: من الخلوة المجردة؛ أي: انفردت به.
أما إذا عُدّيت بإلى (خلوا إلى) جمعت بين معنيين:
١ - تأخذ معنى (خلا) المجردة بمعنى: مضى، وهو معنى زماني؛ أي: مضوا وذهبوا، كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] أي: مضت.
وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤] أي: مضوا، وقوله: ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] أي: الماضية.
٢ - معنى مكاني؛ أي: إذا انفردوا بهم.
وبجمع المعنيين يعطي صورة مكتملة ومزيدًا من الخصوصية للمعنى؛ فهم قد مضوا إليهم (مما يرسم صورة الخيانة)، ثم انفردوا بهم (مما يرسم صورة التستّر والخوف الذي ملأ قلوبهم)، وقصدوهم لحاجة خاصة ولأمر محدد؛ ليعلنوا الولاء لهم، وأنهم إنما أقروا بالإيمان لأهله على سبيل الاستهزاء.
* ومثلها: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩] تحتمل المعنيين:
١ - من المضي والعودة؛ أي: إذا مضوا عنكم بحيث لا ترونهم.
٢ - أو من الخلوة؛ أي: إذا انفردوا بأنفسهم.
وهذا من بلاغة القرآن الكريم أن يتضمن المعنى أكثر من فعل؛ فهو فعل ترك المؤمنين، وفعل الانصراف إلى الشياطين والخلوة مع رؤسائهم في الضلالة؛ ليرسم النص صورة في مخيلة القارئ، تبين مدى قبح سلوكهم، وترددهم بين الكفر والإيمان.

شِيَعا

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

(شِيَعًا) أصل الشيعة: هي الجماعة والقوم، أو الأنصار والفرقة المتفقة على طريقة أو مذهب، كلها معانٍ صحيحة بحسب سياقها في الجملة.

(أو يلبسكم شيعًا) أي: يخلطكم فرقًا وطوائف مختلفة الأهواء؛ فيحصل اللبس والاختلاط: كل فرقة متشيعة لأهوائها.

(وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ) بالنزاع والخلاف، والقتال والفتن بينكم.

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

(شيعًا) أي: فرقًا وطوائف وأحزابًا.

* ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] أي: فرقًا وأحزابًا.

* ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٠].

(شيع الأوّلين) أي: فرق وأمم الأولين؛ فقد أرسل في كل قوم منهم رسولًا ليتابعوه على ما جاء به.

*﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩] أي: من كل فرقة وكل قوم.

*﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القص ١٥] أي: من قومه وجماعته.

* ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣] أي: من أنصار ملته وصنفه الموافق في الملة والدين.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ [القص ٤].

(شيعًا) أي: جعلهم فرقًا وطوائف يتصرف فيهم بشهواته وقهره، ويستعمل كل طائفة منهم في مصالحه وأهوائه.

[حرف الصاد]

[الصابئون]

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

(والصّابئون):

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

(وَالصَّابِئِينَ):

أصل الصابئ: هو الذي خالف دين آبائه وأجداده؛ يعني: خرج عن دين قومه، فما المراد بهم هنا؟

هناك أقوال كثيرة لأهل العلم، وقد رجح ابن عثيمين -في آية البقرة (٦٢) - أنهم فرقة مستقلة عن اليهود والنصارى، وهم قَوْمٌ باقون على فطرتهم، ولا دين لهم يتبعونه.

[صابروا]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

(صابروا) صيغة مفاعلة من معانيها المشاركة؛ فهم صابرون والعدو صابر ومقاوم.
فالمصابرة هي:
- تقوية النفس وتمثّل المزيد من الصبر والاحتمال.
- والوقوف في وجه العدو.
- منافستهم في الصبر ومقابلة الصبر بمثله وأكثر.
وتخصيصها بعد الصبر -وهي منه- لأنها أشق وأشد؛ فالصبر عام على المكاره وعلى الطاعات، والمصابرة على أعداء الله.
فائدة:
الشيطان ألد أعداء الله وأقواهم مصابرة؛ فينبغي الاستعانة بالله والمصابرة عليه.
صافّات
قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].
(صَافّات) صافّات: جمع (صافَّة) وهي: التي تبسط جناحها للطيران في الهواء.
(ويقبضن) القبض: هو ضم الجناحين للتوازن أو النزول؛ فتظل هذه الطير سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها.
فائدة:
لم يقل: (قابضات) لأن الصف -وهو بسط الجناحين- هو الأصل، وذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته. وأما قبض الجناحين: فإنما يفعله الطائر قليلًا للاستراحة والاستعانة.
* ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].
(صَافَّات) باسِطات أجْنِحَتهنَّ.
* أما قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١] فهو قَسَمٌ منه تعالى بالملائكة الكرام.
وفي معنى الصفّ قولان لا يتعارضان:
١ - الملائكة تصُف أنفسها للعبادة.
٢ - تصف أجنحتها في الهواء تَنْتَظر ما تُؤْمَر به.
فهي صافّات إذا صفّت للعبادة، وهي صافّات إذا صفت أجنحتها في الهواء، وإن كان اللفظ يحتمل القَسمَ بجميع من له هذا الوصف؛ من طير، أو ملائكة، أو المقاتلين صفًّا في سبيل الله، ولكن الراجح: أن السياق يدور حول الملائكة.
* ومثلها: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ [الصافات: ١٦٥].
١ - الملائكة تصُف أنفسها للعبادة.
٢ - تصف أجنحتها في الهواء تَنْتَظر ما تُؤْمَر به.
* ومنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].
* ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤].
* ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدا﴾ [الكهف: ٤٨]. (صَفًّا) أي: صُفوفًا، وصفًّا صفًّا.
[الصافنات]
قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ [٣١].

(الصَّافِنات) الصافنات: جَمْع صافِنَة: وهِيَ الخيل القائِمَة عَلى ثَلاث قوائم، وإقامَة الرابعة عَلى طَرَف الحافِر. تقول العرب: (صَفَنَ الفرس) إذا رفع إحدى قوائمه على طرف الحافر.
(الجياد): جَمْع جَواد: وهُوَ الخيل السريعة.
فالآية الشريفة تَصِفُ صفوف الخيل التي عُرضت على سليمان ، وهي من جياد الخيل. وقيل: إنها أُعدت للجهاد وكانت في منظر رائق وعرض جميل؛ رافعة أحد حوافرها كأنها تستعد للانطلاق.

[الصدع]

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١١ - ١٢].
(الصَّدْعِ) الصدع من: الانشقاق والتفرق. فالأرض بعد نزول الرَّجع تتصدع وتتشقق، وتتفرق جزيئات تربتها وتتشقق بالنبات.
ويدخل في المعنى: جميع التصدّعات التي تحصل للأرض.
أما (الرَّجْعِ) فهو: المطر؛ لأنه يرجع ويعود ويتكرر رجوعه للأرض، ومن المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨] أي: على بعث الإنسان وإعادته بعد موته.
ولعل معنى الرجوع كذلك يتجلى في دورة المطر؛ سواء كان مبدؤه من البحار أو من السماء، ثم يتكوّن سُحبًا ويتساقط مطرًا مرة بعد مرة.
فائدة:
يقول خبراء علوم الأرض: لولا التصدعات ما كانت حياة في الأرض؛ فهي التي خرج منها النبات، ولها علاقة بتكوّن الغلاف الغازي والمائي والسلاسل الجبلية والجزر وغير ذلك.
وكلما زاد نزول الرّجْع ازداد التشقق والصدع .. فسبحان الله العظيم!
ومن مشتقات معنى (الصدع) قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣].
(يَصَّدَّعُونَ) أي: يتفرقون أشتاتًا؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤].
فيوم القيامة يفترق أهل الإيمان وأهل الكفر، فريق في الجنة وفريق في السعير، عياذًا بالله!
* ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].
(فاصدع) أي: بلّغ رسالة ربك، وشقَّ جماعاتهم بالتوحيد، وفرِّق بين الحق والباطل بما أمرك الله بتبليغه، ومنه اشتُقَّ (الصداع) الذي يصيب الإنسان؛ وكأنه مع الألم يصدع الرأس ويفلِقه؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩].
(لَا يُصَدَّعُونَ) من الصداع، واستُعير الصداع من نفس المعنى؛ لأنه يفلق الرأس مجازًا.
أي: لا يصيبهم ما يصيب شارب خمر الدنيا من الصداع مهما شربوا، ولا تنزف وتُذهب عقولهم.
* ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].
(مُتَصَدِّعًا) أي: متشققًا متفتتًا.
والمعنى: هو مثل ضربه الله تعالى للتفكُّر؛ ليحثُّ الناس على الانصياع لمواعظ القرآن الذي نزل عليهم، ولتتأثر به قلوبهم من الخوف والخشية لربهم؛ وهو: أنه لو أنزله على الجبال الصلبة الرواسي لتشققت وتفتت من خشيته.

فالتّصدّع للجماعة من الناس: تفرّقهم وتشتتهم، والتّصدّع في الشيء -كالجدار أو الجبل-: تشقّقه وتفتّته.
- فالتصدّع للجماعة من الناس: هو تفرقهم وتشتتهم.
- والتصدع في الشيء -كالجدار أو الجبل-: هو تشققه وتفتته.

صِرّا

قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].
(صِرٌّ) الصر: هو شدة البرد.
والمعنى: ريح شديدة البرودة مهلكة. وهو مَثَلٌ ضربه الله في تشبيه نفقة الكفار؛ كمثل هذه الريح التي تُتلف الزرع والمحاصيل؛ فهو مثلٌ على إبطال أعمالهم وعدم قبول نفقاتهم؛ فلا يجنون إلا التعب والعناء.
* وقريب منها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].
(صَرْصَر) أي: ريح عاصفة شديدة البرودة، ذات صوت مفزع، نسأل الله السلامة!

[صرة]

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩].
(فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) لطمت وجهها من شدة دهشتها وفرحتها، وهو ما يجري عند النساء عادة.
(فِي صَرَّةٍ) الصرة: هي الصيحة؛ كقول: (أوه)، أو كما فسرها قوله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢] فصيحتها كقولها في دهشة: (يَا وَيْلَتَى).

صُرْهن

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].
(فَصُرْهُنَّ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - الصُّرُّ: هو الضّم وشد الشيء إلى بعضه؛ ولذلك يقال للصُّرَّة: صُرّة. ومنه كذلك سميت صُرّة النقود أو الثياب: لأنها مضمومة ومشدودة إلى بعضها.
٢ - من الصِّر -بكسر الصاد-: وهو القطع؛ بناء على قراءة أخرى متواترة: (فصِرْهن).
وبجمع المعنيين: ضم الطيور، ثم تقطيعها.
والمعنى: أن الله أمر إبراهيم بأخذ أربعة من الطيور فيضمهن إليه؛ حتى يرى بنفسه وأمام ناظريه قدرة الله، فيجمعهم بيديه ويمزقهم ويخلط بعضهم ببعض، ثم يضع على كل جبل من الجبال القريبة منه جزءًا من هذا الخليط، ثم ينادي الطيور لتُقْبِل عليه، فتجتمع أعضاءُ كل طير وتعود لهم الحياة، ويطير كلٌّ منهم كما كان عائدًا إلى إبراهيم ، فسبحان القادر المقتدر!

صَعدا

قال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدا﴾ [الجن: ١٧].
(صَعَدًا) تدل على ثلاثة معان لا تتعارض:
١ - من الصعود: ويدل على الشدة والمشقة؛ فلا يجد الراحة والعياذ بالله!
٢ - من التّصَعُّد والعلو: فالعذاب يغلبه ويعلوه فلا يطيق فِكَاكًا.

٣ - من التّصاعد وازدياد وتيرة العذاب: فلا يفتر عنه، نسأل الله السلامة!
ومعنى (يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا): تدل على الانخراط والدخول في سلك العذاب الأليم المتصاعد، وسلوك طريقه، فلا قدرة له على الخروج منه.
* ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].
(صعودًا) بفتح الصاد: هو اسم مرادف للمشقة وشدة العذاب المتصاعد. وقيل: اسم لجبل من نار، وعقبة شاقة يصعدها في جهنم؛ وهو: الوليد بن المغيرة.
فالصُّعود -بضم الصاد-: مصدر للفعل (صَعَدَ). والصَّعود -بالفتح-: اسم مرادف للمشقة، أو اسم للمكان الشاق صُعوده.
* ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].
(يَصَّعَّدُ) من تكلف الصعود بمشقة، وما يحصل من ضيق صدره وأنفاسه.
والمعنى: أن من فسدت فطرته بالشرك والضلال يضيّق الله تعالى عليه منافذ هدايته؛ فيجد في صدره ضيقًا ومشقة من الاستجابة لداعي التوحيد، وكأنما يتكلف الصعود في طبقات السماء؛ فتكون استجابتُه للإيمان ثقيلة وبعيدة، وكأنه يتكلف ما لا يطيق.
فائدة:
من ذلك قول العرب: (تنفَّس الصعداء) إذا تنهَّد بعد مشقة أو همٍّ أو تعب وتنفس؛ أي: ذهب عنه ذلك.
[صغت]
قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].
الخطاب في القصة المعروفة لزَوْجَتَي الرسول عائشة وحفصة ؛ لأنهما كانتا سببًا لتحريم النبي ما يحبه؛ فعاتبهما الله تعالى في الآيات وعرض عليهما التوبة.
(صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) صغت وتُصغي من (الصغو) وهو: الميل.
والفرق بين (صغى) و (أصغى) مثل الفرق بين: مالَ، وأمالَ: صغى بنفسه، وأصغى غيره؛ مثال: صغت قلوبكما. وأصغيت بسمعي.
والمعنى: زاغت قلوبكما ومالت عما ينبغي لهن تجاه رسول الله ﷺ.
* ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الأنعام: ١١٣].
(وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ) أي: تميل إليه قلوبهم ويحبونه فتزيغ.
والمراد: تصغى وتميل إلى زخرف القول المذكور في الآية التي تسبقها.
[صفصفا]
قال تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧].
(قاعًا صَفْصَفًا) القاع: الأرض المستوية.
والصفصف: التي لا نبات فيها ولا بناء.
(أَمْتًا) الأمْت: هي المرتفعات الصغيرة كالتلال.
والمعنى: يصف الله تعالى أرض المحشر يوم القيامة بأنها مَلْساء مستوية، لا نبات فيها ولا بناء، ولا علم ولا راية لأحد، وليس فيها اعوجاجات وانعطافات، ولا انخفاض ولا ارتفاع.

[صفوان]
قال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].
(صفوان - وابل - صلدًا):
- الصفوان: هو الحجر، أو الصخر الأملس.
- الوابل: المطر الغزير.
- صلدًا: أملسَ ناعمًا لا تراب عليه.
وهذا مَثَلٌ ضربه الله للكافر والمرائي بنفقته؛ فهي كالتراب المنثور على ذلك الصفوان، فنفقته وصدقاته كطبقة التراب السطحية على الصفوان، وهو حقيقة قلبه الصخري؛ فرياؤه كالوابل الذي جرف التراب كله من فوق الصفوان، فبقيت نفقاته لا ثواب فيها، وظهر قلبه كالصخر الذي لا يمسك ماء ولا يحمل خيرًا.
[صنوان]
قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].
(صِنْوَانٍ) الصنوان: هو الاجتماع في أصل واحد. فصنوان؛ أي: نخلتان أو نخلات أصلها واحد.
والمعنى العام: يبين الله تعالى عظيم قدرته؛ ففي الأرض ترى قطعًا متجاورة تسقى بماء واحد، ولكنها متفاوتة في خصوبتها: فمنها التي تنبت الجنات والبساتين من الأعناب وأشكال الزرع والثمار، وترى النخل منها ما يجتمع نخلتان وثلاثٌ وخمسٌ وستٌّ في جذع وأصل واحد، ومنها نخل متفرق كل نخلة منفردة في أصلها.
وتلك الثمار المختلفة متفاوتة في الألوان والأشكال والمذاق؛ فهذه أمور دقيقة لفتَ الله إليها انتباهنا على دلائل قدرته؛ ولنعلم أنه الخالق جل وعلا، وأنه الفاعل لما يشاء سبحانه.
فائدة:
مثل هذا المعنى قوله : «عمُّ الرجل صِنو أبيه» صحيح مسلم (٩٨٣) أي: مِثْله؛ لأنهما خرجا من أصل واحد وأب واحد.
[صواف]
قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦].
(صَوَافَّ) أي: صفت أطرافها.
والمعنى: قائمات.
(والبُدْن) هي الإبل -الجمال- وقيل: البقر كذلك.
أي: انحروا البُدْن قائمة على أطرافها الأربع، ثم تُعقَل يدُها اليسرى فتسقط وتنحر.
(وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) وجبتْ أي: سقطت جوانبها، وخرّت بعد النحر على الأرض.
وفي الصحيحين: يَحكِي زيادُ بن جبير أن عبد الله بن عمر أتى على رجل قد أناخ بَدَنَته ينحرها، فقال: «ابعثها قيامًا مقيدة -أي: أوقفها مقيدة من قائمتها اليسرى- سنة محمد ﷺ». صحيح البخاري (١٧١٣)، ومسلم (١٣٢٠).

[صياصيهم]
قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقا﴾ [الأحزاب: ٢٦].
(صياصيهم) الصياصي: هي الحصون، وكل ما يُمتَنع به ويتحصن به.
ومفردها: (صيصة) وأصل اللفظ مأخوذ من قرون الحيوانات؛ تسمى: (صياصي) وشوكة الديك في رجله تسمى (صياصي)؛ لأنه يمتنع بها، ويدافع بها عن نفسه.
وذكر لفظ (الصياصي) في الحديث الشريف الذي يتحدث عن يوم المحشر، وكَبْكَبَة كل قوم ومعبوداتهم في نار جهنم: ثم (... يبقى محمد وَأُمَّتُهُ، فَيَتَمَثَّلُ الرَّبُّ لَهُمْ فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ: مَا لَكُمْ لا تَنْطَلِقُونَ كَمَا انْطَلَقَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلامَةٌ فَإِذَا رَأَيْنَاهُ عَرَفْنَاهُ، فَيَقُولُ: مَا هِيَ؟ فَيَقُولُونَ: يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَخِرُّونَ، وَيَبْقَى قَوْمٌ ظُهُورُهُمْ كَصَيَاصِيِّ الْبَقَرِ يريدون السجود فلا يستطيعون). إسناده حسن، انظر الحديث بتمامه في: مختصر العلو للذهبي، بتحقيق: الألباني (ص ١١٠).
والمعنى: تبقى ظهورهم صلبة عصية على السجود كقرون البقر؛ لأنهم ما سجدوا لربهم]. في الدنيا.

[حرف الضاء]
[ضحكت]
قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].
(فَضَحِكَت) الراجح: أنه الضحك المعروف، أما ما ورد في كثير من التفاسير: من أن ضحكت بمعنى: (حاضت)، فتفسير استبعده كثيرٌ من أهل العلم؛ فهي ضحكت تعجبًا وسرورًا بالبشارة بالولد.
* ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩] أي: صاحت تعجبًا وفرحًا بالبشرى، ولطمت وجهها من شدة الدهشة. وانظر المفردة في حرف الصاد (صرة).
[ضريع]
قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦].
(ضَرِيعٍ) قيل: هي شجرة شوك تنبت في جهنم والعياذ بالله، سماها الله باسم شجرة تنبت عند العرب في الحجاز، ذات أشواك يابسة لا ترعاها حتى الإبل من قسوتها، فهي ليست بطعام للبهائم فضلًا عن الإنس؛ لأنها لا تؤكل.
وسميت ضريعًا: لأن آكلها يضرع من يبسها ومرارتها ونتن ريحها، وتقف في حلقه من صعوبة الأكل؛ فيزداد ألمًا وعذابًا.
* وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦].
(غِسْلِينٍ) قيل: مشتق من غُسالة أبدانهم؛ فهو عُصَارة أهل النار وما يخرج منهم من صديد.
فائدة:
قد يسأل سائل عن النفي في الآيات، فكيف نوفّق بين قوله: لا طعام لهم إلا من ضريع، وبين: لا طعام لهم إلا من غِسْلين؟ ثم يظهر في آيات أخرى أن مِنْ طعامهم الزقوم وغيره ..
والجواب من وجهين:

١ - أن النار دركات؛ فربما يكون الغسلين طعام في بعضها، والضريع في البعض الآخر.
٢ - ويحتمل أن يكون المراد: ليس لهم إلا هذه النوعية من الطعام؛ كالضريع والغسلين، والله أعلم.

ضِغثًا

قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [٤٤].

(ضِغْثًا) الضغث: هو مجموعة، أو قبضة أو حزمة تملأ الكف من حشائش أو عيدان زرع مختلطة.

* ومثلها في أصل المعنى على سبيل الاستعارة قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤].

(أَضْغَاثُ) أي: أحلام مختلطة ملتبسة المعاني لا تُعرَف حقيقتها، ولا يصلح تأويلها.

فائدة:
- ضِغْثُ الأحلام أو الكلام: هو خَلْطُه والتباسه.
- ضِغْثُ الشيء: جمع حزمة منه.

[ضللنا]

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠].

الضلال له ثلاثة معان:

١ - معنى حسي ومعنوي: من التّيه والغياب والاضمحلال، ومنه الآية الكريمة السابقة؛ أي: إذا غِبنا في داخل الأرض وهلكنا، وتمزقت أجسامنا واختلطت بترابها.

فالضلال هنا من: التغيب في داخل الأرض والاضمحلال بعد أن أصبحت أجسادهم رميمًا.

* وقد تكرر في غير آية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [هود: ٢١].

(ضَلَّ): اضمحل دينهم المفترى الذي كانوا يستحسنونه.

* ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٨٧].

(وضَلَّ) أي: غابَ عَنْهم واضْمَحَلَّ ما كانُوا يَفْتَرُونَهُ مِنْ أنَّ شُرَكاءَهم تَشْفَعُ لَهم وتُقَرِّبُهم إلى اللَّهِ زُلْفى.

* ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨].

(وضَلَّ): غاب وزال ادِّعاؤهم.

* ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

(وضَلَّ): غاب وزال ما اغتررتم به من هذا الزعم الباطل الذي لا حقيقة له.

٢ - معنى معنوي: يفيد الخطأ ومجانبة الصواب؛ كما قال تعالى في قصة يوسف : ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٨].

(لفي ضلال) أي: لفي خطأ واضح.

* ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠].
(لفي ضلال) أي: لفي خطأ واضح.
* ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥].
(ضلالك) أي خطئك في الإفراط في محبة يوسف.
* ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].
(يضل) أي: لا يخطئ؛ فالله تعالى لا يخطئ في تدبيره ولا ينسى في علمه جل وعلا.
٣ - معنى معنوي: يفيد الزيغ والانحراف والغواية، كما في جميع الآيات المقترنة بالإيمان والكفر وعبادة غير الله.
ومنها على سبيل المثال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)﴾ [البقرة: ١٦].
(الضلالة): هي الكفر والعقائد الفاسدة.
* ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].
(ضلال) أي: في انحراف عن طريق الهدى؛ فقد كان العرب قبل البعثة جهّالًا وغُواة عن طريق الحق.

[ضنين]

قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤].
(ضنين) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - بضنين: من الضَّن والإمساك، والبخل بالشيء النفيس؛ فمعنى ضنين: بخيل.
أي: ما هو (وهو: نبينا محمد ﷺ بكتوم لما أُوحِيَ إليه، وغير بخيل بما علمه الله.
ويستعمل الضن بالعلم أكثر، أما البخل فيستعمل للمال.
والمعنى: أن النبي ﷺ ليس ببخيل عليكم بما يأتيه من الوحي، ولا يكتمه عنكم؛ فهو حريص على تبليغه لكم لكي تؤمنوا وتهتدوا.
فكما نفى عنه آفة العقل والجنون فقال: (وما صاحبكم بمجنون)، نفى كذلك عنه نقص التلقي والشح بالعلم الذي تلقاه من الوحي؛ كما قال تعالى: (وما هو على الغيب بضنين).
وأثبت له كمال الخُلُق في قوله تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم) ومنه الصدق والأمانة؛ فاجتمع له ﷺ الكمال في تبليغ الرسالة تامة من غير نقص ولا آفة.
٢ - بضنين: هناك قراءة صحيحة: (بظنين)؛ فيكون معنى (ظنين) أي: متّهم.
والمعنى: ليس بمتهم فيما يخبركم به؛ فهو الصادق المصدوق ، فلا يتهم في تبليغه، ولا يتهم في قُواه وصفاته.

[ضيزى]

قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم: ٢١ - ٢٢].
(ضِيزَى) تقول العرب: (ضاز في الحكم) أي: جار فيه، و (قسمة ضَأزى) أي: جائرة وناقصة؛ فأصل الضَيْز: هو الاعوجاج، أو النقصان.
وضيزى وصف للقسمة على وزن: حُبْلَى، وعَطْشَى، وصُغْرى، وكُبْرَى.

والمعنى: أتجعلون لله البنات؟ فهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ويختارون لأنفسهم البنين؛ تلك إذًا قسمة جائرة ظالمة.
وذلك كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩]، ولم يقل: (قسمة ضأزى) أي: جائرة، بل قال: (قسمة ضيزى) والفرق:
أن الأخيرة جاءت بصيغة (فعلى) لتدل على أقصى الوصف؛ فلو قلنا مثلًا: الأخت الكبرى؛ أي: أكبرهن لا أكبر منها. وكذلك الصغرى لا أصغر منها. والعظمى لا أعظم منها ...
فالمعنى: ضيزى لا تدل على أنها قسمة جائرة فقط، بل تدل على أن ذلك أشد الجور؛ وهو أنهم ينسبون لخالقهم ورازقهم ما يكرهون لأنفسهم.

[حرف الطاء]

[الطاغوت]

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧].
(الطاغوت) الطاغوت اشتُقّ معناه من (طغى) وهو المبالغة في الطغيان، وتجاوز الحدّ. مِثْل المبالغة في التجبّر تسمى: جبروت، والمبالغة في العز والسلطان: ملكوت، والمبالغة في الرهبة: رهبوت.
ومعنى الطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حدَّه؛ من معبود، أو متبوع، أو مطاع من شيطان أو إنسان، أو حجارة وأوثان.
(من متبوعٍ) أي: باتباعه على ضلالة.
(من مطاعٍ) أي: بطاعته فيما لا يجوز طاعته فيه.
والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة:
١ - إبليس الرجيم.
٢ - ومَنْ غَيّر أحكام الله.
٣ - ومَنْ حكم بغير ما أنزل الله.
٤ - ومَنْ دعا إلى عبادة نفسه.
٥ - ومَنْ عُبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.
وهو في القرآن بهذا باللفظ -سواء في المفرد والجمع، وفي التذكير والتأنيث- لا يتغيّر.
وشرّ الطواغيت: إبليس، ثم الحاكم بغير ما أنزل الله، والسحرة والكهنة، ودعاة الضلالة.

[طائره]

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].
(طَائِرَهُ) أي: حظه ونصيبه المكتوب له مما عمل من خير وشر.
وسُمِّي طائرًا: من الطِّيَرة؛ لأنهم كانوا يتفاءلون به ويتشاءمون. وقيل: من الطيران؛ لأن الإنسان يعلو به أو يسقط.
والمعنى: كل إنسان يجعل الله عمله المكتوب عليه أنه سيعمله ملازمًا له يوم القيامة من خير أو شر؛ فهو صائر إليه لا محالة.
ومعنى (في عنقه) أي: ملازم له، لا يفارقه ولا يتعداه لغيره. وقيل: يُربط في عنقه على الحقيقة لا ينفصل عنه بحال.

فيوم القيامة يُخرِج له كتابًا مفتوحًا قد سُجّلت فيه كلُّ هذه الأعمال من حسنات وسيئات.
* ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].
(يطيّروا) أي: يتشاءموا.
(طَائِرُهُمْ) أي: شؤمهم العظيم؛ وهو عملهم وكفرهم محسوب عليهم عند الله، وهو الذي سوف يتشاءمون به حقًّا، وسيجدون آثاره السيئة.
وكل ما قدر الله عليهم وقضاه فهو بسبب ذنوبهم، وليس لموسى دخلٌ فيما يصيبهم.
* ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧].
(اطَّيَّرْنَا) أي: تشاءمنا بك وبمن معك.
(طَائِرُكُمْ) قال: طائركم؛ وهو حاصل أعمالكم وما تشاءمتم به عند الله، وسوف يجازيكم بها.
* ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩].
(طَائِرُكُم) أي: شؤمكم معكم، وأثره ملازم لكم بسبب كفركم وتكذيبكم؛ فالحقيقة أن الشرك والمعاصي شؤم على صاحبها.

[طرائق]

قال تعالى: ﴿مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١)﴾ [الجن: ١١].
(طَرَائِقَ) جمع طُرق؛ سواء كانت حسيّة، أو معنوية.
والمعنى: كنا مذاهب وفرقًا مختلفة قبل سماع القرآن.
* ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].
(طَرَائِقَ) لها هنا معنيان:
١ - من الطرُق السماوية، والله أعلم بها. قيل: هي طرق الملائكة في العروج والنزول.
٢ - من التطارق: وهو التطابق فوق بعضها البعض؛ وهي السماوات السبع.
(قِددًا) أصلها من (القدّ) وهو القطع والفصل. ومنه الطعام المعروف: (القديد) وهو اللحم المُقَدَّد؛ لأنه يتفتت ويتفرق بعد تماسكه.
ومُفرد قددًا: قِدّة؛ وهي الفِرَق والأجزاء؛ تقول العرب: (ولّت الخيل قِددًا) أي: تفرقت في كل مكان.
والمعنى: كنا فرقًا وأهواء مختلفة متفرقة؛ فمنا الصالحون، والفاسقون، والكفار.
وهذا كان حالهم قبل استماع القرآن، فلما سمعوه آمن كثير منهم.

[طلح]

قال تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩].
(طلح) الطلح له معنيان:
١ - قيل: هو شجر الموز؛ لأن ثمرها متراكب بعضُه فوق بعض.
٢ - وقيل: هي شجر شوك، شوكها متقارب متراكب، يجعل الله مكان كل شوكة ثمرة.
وهذا ما يرجحه الحديث الشريف: عن عتبة بن عبد السلمي قال: كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله، أسمعك تذكر شجرة في الجنة لا أعلم في الدنيا أكثر شوكًا منها - يعني: الطلح- فقال رسول الله ﷺ: «فإن الله يجعل مكان كل شوكة -يعني: من شجرة الطلح في الجنة- مثل خِصْية التّيس الملبود -يعني: المخصي- فيها سبعون لونًا من الطعام لا يشبه لونه لون الآخر». الأحاديث الصحيحة (٢٧٣٤).

وشجرة الطلح معروفة باسمها وشوكها المتراكب في جزيرة العرب.
(منضود): انظر المفردة ومشتقاتها في حرف الميم (منضود).

طوْلا

قال تعالى: ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥].
(طولًا) أصل معنى الطوْل: من سعة الغنى والفضل، والاستطالة به على الغير؛ تقول العرب: (الفلان على فلان طَوْلٌ) أي: له عليه فضل.
والمعنى هنا: من لم يملك الغنى والسعة في المال لمهر النكاح والقدرة على النفقة للزواج من الحرائر، فليتزوج من الإماء المسلمات.
* ومثلها في المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦].
(أُولُو الطَّوْلِ) أصحاب الغنى والسعة وفضل المال من المنافقين.
* ومثلها في أصل المعنى قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].
(ذِي الطَّوْلِ) وهو وصف لله تعالى؛ أي: واسع الغنى والقدرة والتّفضل والإحسان.

[حرف الظاء]

ظِلالهم

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥)﴾ [الرعد: ١٥].
(وظلالهم) أي: يسجد لله حتى ظلال الأشياء، فإذ سجد المؤمن سجد معه ظله، حتى الذي لا يسجد لله ويكفر به، فإن ظله يسجد وإن لم نره؛ فظلال كل الكائنات منقادة ساجدة لله صباحًا ومساءً.
* ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].
أي: ألم ير هؤلاء المرتابون في ربهم كيف أن جميع المخلوقات وظلالها التي نراها تميل جهة اليمين واليسار، هي مسخرة منقادة لحكم ربها ساجدة لجلاله.
فالسجود له معنيان: شرعي ولغوي، والآية تشتمل عليهما معًا:
- فالسجود الشرعي للناس: هو وضع الجبهة على الأرض. وللكائنات: لا نعلم كيفيته.
- والسجود اللغوي: هو الانقياد والخضوع.
وبجَمْع المعنيين وحَمْل النّصوص على ظاهرها، فكل الكائنات تسجد بالكيفية التي لا يعلمها إلا الله، وكلها تخضع له.

[ظهر]

مفردة ظهر لها معان عدة منها:
١ - العلو المعنوي والعز والنصر.
٢ - العلو المادي والارتقاء فوق مُرتفع.
٣ - الظهور والكشف والبيان.
٤ - المعونة والتأييد.

- فبمعنى العلو والعزة والنصر:
قوله تعالى:
* ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨)﴾ [التوبة: ٤٨].
(ظَهَرَ أَمْرُ اللَّه): علا وعزّ دينه.
* ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾ [التوبة: ٣٣].
(لِيُظْهِرَهُ): ليعليه ويعزه ويرفع شأنه.
* ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾ [الصف: ١٤]
أي غالبين منتصرين.
* ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]
أي: تمكنوا منكم وعلو عليكم وانتصروا.
- وبمعنى العلو المادي:
قال تعالى:
* ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾ [الكهف: ٩٧]
(يَظْهَرُوهُ): من الظهور، وهو العلو؛ أي: ما استطاعوا العلو عليه والصعود فوقه.
* ومثلها: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)﴾ [الزخرف: ٣٣].
(يَظْهَرُونَ): يرتفعون ويصعدون.
- و بمعنى الكشف والبيان:
*﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ [الكهف: ٢٠] أي: إن يرونكم ويكشفوا أمركم.
*ومثلها ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١] إلا ما بدا منها.
*﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾ [الجن: ٢٦] فلا يبدي.
* ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١]
أي: لم يطّلعوا عليها.
ومما جاء يشتمل على المعنيين اسم الله في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].
(الظَّاهِرُ):
١ - من العلو والعزة؛ أي: العالي على خلقة علو الذات والصفات، وعلو الغلبة والقهر ﷻ.
٢ - ومن الظهور والبيان: فهو الذي ظهر لخلقه، وبدى لهم بأسمائه وصفاته، وحججه وبراهينه.
- والمعنى الرابع المعونة والتأييد:
هو ما ذُكر في المفردة التالية (ظهير)
وقد اكتفينا بهذه المعاني والشواهد على تعددها، وربما نتناولها في نسخة قادمة بإذن الله.
ظهيرًا

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرا﴾ [الفرقان: ٥٥].
(ظَهِيرًا): أي: عونًا ومُواليًا.
والمعنى: كان الكافر معينًا للشيطان بكفره؛ لأنه ظَاهَرَ الباطلَ وأيّده ضد الحق، وأظهر العداوة لربه، والخروج عن عبادته وأمره.
* ﴿قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا﴾ [الإسراء: ٨٨].
(ظَهِيرًا) أي: معينًا.
* ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القص ١٧].
* ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].
* ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٤].
(تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) أي: تعاونا عليه.
* وفي سورة الأحزاب: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٦].
(ظَاهَرُوهُم) أي: عاونوهم.
* وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ [القص ٤٨].
(تَظَاهَرَا) أي: تعاونا في سحرهما.
فائدة:
بحسب تعديتها بنوع حرف الجر يختلف المعنى:
- (ظهيرًا على) معينًا ضده.
- (ظهيرًا ل) معينًا له.
فالكافر ظهير وعون للشيطان (على) ربه بالشرك والمعاصي، والمؤمن ظهير للحق ولطاعة ربه.
[حرف العين]
[العاديات]
قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ١ - ٥].
اختلف المفسرون على أقوال، والذي رجحه بعضهم: هو أن القَسَم في الآيات كلها بالخيل في أحوال مختلفة:
(وَالعَادِيَاتِ): الْخَيْلُ حِينَ تُغِيرُ فِي الحرب على أرجح الأقوال.
(ضَبحًا): صوت يخرج من صدور الخيل عند شدة العَدْو.
(فَالمُورِيَاتِ قَدحًا): هي الخيل؛ لقوَّةِ ركضها وشِدَّته إذا ضربت الأرض بأرجلها، احتكت الحجارة بعضها ببعض؛ فينقدح الشرر.
(فالمُغِيرَاتِ صُبحًا): الخيل تُغير على العدو صباحًا.
(فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) أي: أَثَرْنَ بهذا العَدْوِ والركض النَّقْعَ -وهو الغُبار- من شِدَّة الكرّ والفر.
(فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا): فتوسطتْ بهذا الكرّ والفرّ جموعَ الأعداء.
[عاقبتم]

قال تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ [الممتحنة: ١١].
(فعاقبتم) لها معان متقاربة لا تتعارض:
١ - من الفعل (عَقّب) وهو هالرجوع عليهم بالغزوة بعد الغزوة.
والمعنى: فعقّبتم بغزوة أخرى.
٢ - من العُقبى: وهي النوبة والدور.
والمعنى: فكانت العُقبى لكم، والغلبة لكم عليهم فغنمتم.
ومن المعنى الأول: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠].
(وَلَم يُعَقِّب): من التعقيب، وهو الرجوع. والمعنى: ولم يرجع ولم يلتفت.
* ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١].
(لَا مُعَقِّبَ) أي: لا أحد يردّ حكمه وقضاءه ويؤخّره، ولا أحد يَرجع بعد حكم الله بتعديل أو نحوه.
- ومثلها كثير من الآيات منها:
* ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].
(فِي عَقِبِهِ) فيمن خلّفه من ذريته.

*﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبا﴾ [الكهف: ٤٤] أي: خير عاقبة، ومآل وخاتمة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق: ٨]، ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].
* ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥] أي: عاقبتها وجزاءها.
* ومن المعنى الثاني: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].
(معقبات): الملائكة يتعاقبون على الناس ليلًا ونهارًا؛ أي: يتناوبون عليهم.

عِتيّا

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨].
(عِتِيًّا) كل مُبالغ فيه -من الكبر أو الكفر أو الفساد- يقال له: عتَا عُتوًّا، ويعتو عِتيًّا.
والمعنى: بلغ من الكبَر نهايته.
* ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩].
(عِتِيًّا) أي: أشد وأعظم افتراء. أو: أيهم بلغ من الكفر أشده.
* ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٧٧].
(وَعَتَوْا) تمردوا وبالغوا في عصيانه.
* ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)﴾ [الأعراف: ١٦٦].
(عَتَوْا) أي: فلما تمردوا وعصوا.
* ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرا﴾ [الفرقان: ٢١].
(وَعَتَوْا عُتُوًّا): تجاوزوا الحد في الاستكبار، وبلغوا أشده وأعظمه.
* ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤)﴾ [الذاريات: ٤٤].
(فَعَتَوْا) أي: تمردوا أشد التمرد، وعصوه أشد العصيان.

* ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١].
(فِي عُتُوٍّ): في شدة عناد ومكابرة.
[العتيق]
قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].
(العَتِيق) سُمي البيت الحرام بالعتيق؛ لعدة أسباب، والله أعلم بمراده:
١ - العتيق؛ أي: القديم؛ لأنه أقدم مواضع التعبد، وأول بيت وُضِع للناس.
٢ - أن الله أعتقه وحماه من الجبابرة؛ كأبرهة الحبشي.
٣ - أنه أعتقه من طوفان نوح؛ فقد كانت قواعده موجودة منذ ذلك الزمن.
٤ - أنَّ المُرادَ بِالعِتْقِ فِيهِ: الكَرَمُ. والكرم من النَّفاسة؛ كما نقول حجر كريم.
تقول العرب: (فرسٌ عتيق) أي: بلغ النهاية في الجودة والسباق. و (عِتاق الخيل) أي: كرائمها. و (العتيق من كل شيء): أفضله.
وكذلك البيت العتيق: لما فيه من الحجر الأسود الذي أُنزِل من الجنة، ورُوِيَ كذلك عن الرّكن اليماني أنه ياقوتة من الجنة؛ قال ﷺ: «نزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضًا من الثلج، فسودته خطايا بني آدم» الصحيحة (٢٦١٨).
وقال: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة» صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٥٩).

[العرجون]
قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].
(كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ): قدَّر الله تعالى القمر من حيث سَيْره إلى منازل يتغيَّر كلَّ ليلةٍ عن الأُخرى، فكل ليلة له منزل (ثمانية وعشرين منزلًا)؛ ولهذا يبدو صغيرًا ثم يكبر، ثم يعود يصغر بحسب قُربه من الشمس، كلَّما قَرُب من الشمس ضَعُفَ نوره -لأن نوره مستمدٌّ منها- حتى يصبح (كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ).
والعرجون: هو عود العذق في طلع النخلة، ووصفه بالقديم: لأنه مع القِدم ييبس ويتقوَّس ويَصْفَرُّ، فشبَّه الله تعالى القمر في صفرته وتقوسه بهذا الْعُرْجُونِ القديم. انظر تفسير الآية في تفسير العثيمين.
[العرش]
قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].
(ذُو العَرشِ) أي: صاحب العرش المستوي عليه ﷻ.
وهناك تفسيرات خاطئة في بعض كتب التفسير تنكر العرش والاستواء؛ كأن يفسر بقول: (من له الملك) أو: (ذو السلطان والقهر) وهو سبحانه كذلك بلا شك، ولكن ليس هو المعنى المراد هنا، وقد سبق الحديث عن العرش.
* ﴿قُل لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلا﴾ [الإسراء: ٤٢].
(ذِي العَرشِ) أي: صاحب العرش.
والآية لها تفسيران محتملان عند أهل التفسير:
١ - لو كان مع الله آلهة أخرى -كما يزعم الكفار- لابتغت هذه الآلهة المزعومة سبيلًا إلى مغالبة صاحب العرش، وإزالة ملكه سبحانه !

٢ - لو كان مع الله آلهة أخرى، فكما تتقربون أنتم إليهم أيها الكفار لعرفوا هم -أي: الآلهة- فضل الله وسلطانه؛ لأنهم دونه، ولابتغوا السبيل إلى مرضاته والتقرب إليه؛ فكيف تعبدون من هو فقير إلى إله معه؟!
وقد رجح بعض المفسرين القول الأول؛ ومنهم صاحب أضواء البيان؛ لأن الآلهة إذا تعددت تتنازع ولا تتقارب؛ كما قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].
* ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠].
(ذِي العَرشِ): عند صاحب العرش، وهو الله تعالى.
* ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥].
(ذُو العَرشِ) أي: صاحب العرش وهو الله .
(المجيد): فيها قراءتان تدل على اتساع المعنى:
١ - (الْمَجِيدِ) بكسر الدال؛ فتكون وصفًا للعرش.
٢ - (الْمَجِيدُ) بضمها؛ فتكون وصفًا للربِّ .
وكلاهما صحيح؛ فالعرش مجيدٌ، وكذلك الربُّ هو المجيد، ومجده يليق بجلاله.

عرّفها

قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦].
(عَرَّفَهَا) لها معان كلها لا تتعارض:
١ - من التعريف؛ أي: وصَفَهَا ونَعَتَها لهم؛ فعرفوها في الدنيا وعملوا لها.
٢ - من التعريف كذلك؛ أي: يوم القيامة يعرفون الطريق إليها، وإلى بيوتهم فيها؛ وكأنها مساكنهم التي اعتادوا عليها في الدنيا.
ففي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُبِسُوا بقَنْطَرَةٍ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بيْنَهُمْ في الدُّنْيَا، حتَّى إذَا نُقُّوا وهُذِّبُوا أُذِنَ لهمْ بدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بمَسْكَنِهِ في الجَنَّةِ أدَلُّ بمَنْزِلِهِ كانَ في الدُّنْيَا» صحيح البخاري (٢٤٤٠).
من العَرْف: وهو الطِّيب؛ فالمعنى: طيَّبها لهم. والتَّطْيِيبُ مِنْ تَمامِ حُسْنِ الضِّيافَةِ.

عِزين

قال تعالى: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج: ٣٦ - ٣٨].
(عِزِينَ) أصلها من العزوة والعِزَة: وهي الجماعة المتعاضدة من الناس.
أي: أنهم جماعات وفرق معرضون عنك.
وكلمة (مهطعين) سبق ذكرها؛ أي: مسرعين.
والمعنى: ما لهم يا محمد (أسلوب تعجّب) مسرعين، يستمعون إليك شأنهم كمن يريد أن يطلب الهدى، ثم يتفرقون يمينًا وشمالًا في حِلقٍ حِلقٍ معرضين عنك، كل جماعة تخوض في باطل، يقولون في استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنّها قبلهم.
ومنها ما جاء في الحديث الشريف: دخل رسولُ اللهِ ﷺ المسجدَ وهم حِلقٌ، فقال: «ما لي أراكم عِزينَ؟!» صحيح أبي داود (٤٨٢٣).
(عِزينَ) أي: حِلقًا حِلقًا متفرقين.

[العسرة]
قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].
(سَاعَة العُسرَةِ) أي: فِي وَقْتِ الْعُسْرَةِ، وَلَيس المقصود سَاعَةً بِعَيْنِهَا؛ فقد كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ تُسَمَّى: غَزْوَةَ الْعُسْرَةِ، وَالْجَيْشُ يُسَمَّى: جَيْشَ الْعُسْرَةِ.
وَالْعُسْرَةُ: من العسر والشِّدَّة، وهي أيام الخروج إلى غزوة تبوك؛ لشدة الحر والجوع والعطش.

[عسعس]
قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧].
(عسعس) هذه الكلمة من أضداد اللغة؛ تعني: أقبل، وتعني: أدبر.
ويحتمل المعنى الجمعَ بينهما؛ فيكون القَسَم بالليل حال إقباله وإدباره، ودرجات ظلمته.
وللفائدة في علاقة هذا القَسَم بجوابه، كما بيَّنَ صاحب أضواء البيان:
فقد كان القَسَم بحالات الكواكب المتغيرة؛ في ظهورها واختفائها، وتنفُّسِ الصبح ودرجات نوره، وعَسْعَسَة الليل ودرجات ظلامه.
جاء جواب القَسَم: (إنه لقول رسول كريم) أي: هذا القرآن تبليغ رسول كريم، ولكنه في قلوب الناس
في الإيمان به بين ثبوت وظهور، وشروق وغروب، ونور وظلمة؛ كحالات تلك الكواكب، وعتمة الليل
وشروق الصبح.
فقلوب تتفاوت بين العمى والظلمة، وقلوب تتفاوت بين الإشراق والنور. انظر: تفسير الآية في أضواء البيان.
[عسى]
قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القص ٦٧].
عسى في القرآن الكريم لها عدة معان:
١ - الوجوب والتحقق.
٢ - الرجاء والتمني.
٣ - التوقع والاحتمال.
ففي الآيات التي يكون الخطاب فيها من الله تعالى تكون واجبة التحقق؛ لأن الرجاء لا يجوز في حقه ؛ فهو المتصرف المدبر للأمور، والرجاء إنما يكون من المخلوق؛ لأنه لا يملك من أمره شيئًا فيرجوه من غيره.
فكلمة عسى في الآيات التالية تفيد تحقق الوقوع، إما بشرط أو بدونه.
فالتي تفيد تحقق الوقوع بشرط هي قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القص ٦٧].
(فَعَسَى أَنْ يَكُونَ) تفيد تحقق الموعود به إذا تحقق الشرط، وهو الإيمان والعمل الصالح.
* ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].
(عَسَى رَبُّكُمْ) عسى موجبة التحقق، فلو أنهم أخْلَصُوا الإنابَةَ، وأحْسَنُوا الأعْمالَ، وأقَامُوا الكِتابَ بصدق؛ لفازوا به، ولكنهم أعرضوا عنه، وعاشوا على التمرد على الشرع والعصيان لله ورسله.

* ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥].
(عَسَى) التبديل مشروط بأن يطلِّق، ولم يفعل .
* ﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩)﴾ [النساء: ٩٩].
(عَسَى اللَّهُ) عسى هنا تفيد تحقق الموعود به؛ فمن صبر ابتغاء وجه الله على ما يكرهه واحتسابًا لثواب الله بأن يجعل الله فيه خيرًا كثيرًا؛ فإنه يتحقق له هذا الوعد.
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨].
(عَسَى) هي من الله واجبة لمن صدَق التوبة لله.
* ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤)﴾ [النساء: ٨٤].
(عَسَى الله) تفيد وجوب التحقق؛ فإنك إذا قاتلت وحرَّضت المؤمنين وقاتلوا؛ فحينئذٍ يكون النصر.
* ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].
(عَسَى رَبُّكُمْ) هذا رجاء وحض من موسى لهم على الصبر والشكر، وهو وعد مبني على وحي من الله إذا شكروا النعمة، وقد تحقق لهم واستُخلفوا فِي مِصْرَ فِي زَمَانِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ، وَفَتَحُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ مَعَ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ .
* ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].
(فَعَسَى) واجبة التحقق؛ فإنَّ المَوْصُوفِينَ بِتِلْكَ الصِّفاتِ يهديهم الله تعالى.
- أما ما جاءت تفيد التحقق بناء على ما يعلمه الله من صلاح العبد وامتثاله، فهي قوله تعالى في الآيات التالية: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].
(فَعَسَى الله) عسى من الله تفيد تحقق الوقوع؛ فهي بشرى لرسول الله والمؤمنين بقرب النصر والفتح.
* ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧].
(عسى) وعسى من الله موجبة التحقق لما رأى منهم الامتثال والصدق، ولَقَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ سُبْحانَهُ وعْدَهُ الكَرِيمَ حِينَ أتاحَ لَهُمُ الفَتْحَ فَأسْلَمَ قَوْمُهم؛ فَتَمَّ بَيْنَهم ما تمنَّوا مِنَ التَّحابِّ والتَّصافِي.
* ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودا﴾ [الإسراء: ٧٩].
(عَسَى) فيها وعد وبشرى لرسوله بأن يقيمه المقام المحمود يوم القيامة.
* ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢].
(عَسَى أَنْ يَكُونَ) عسى من الله للوجوب، وقد حصل لهم القتل يوم بدر، وباقي العذاب يأتيهم يوم القيامة.
* ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبا﴾ [الإسراء: ٥١].

(قُلْ عَسَى) وعسى من الله واجبة؛ فهو جزم بأنه حاصل، وقريب على اعتبار أن كل ما هو آت قريب.
* ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].
(عَسَى اللَّهُ) هم عدد من الصحابة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فربطوا أنفسهم بالسّواري في المسجد حتى يتوب الله عليهم، وعسى من الله واجبة الوقوع؛ وتعني: التوبة عليهم. فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله ﷺ، وعذرَهم، وتجاوز عنهم.
- عسى في الآيات التالية تفيد الترجي:
* ﴿وَاذْكُر رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدا﴾ [الكهف: ٢٤].
(عَسَى) عسى هنا رجاء من المخلوق إلى خالقه بأن يهديه.
* ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القص ٢٢].
(عَسَى): رجاء من المخلوق إلى خالقه وطلب الهداية منه.
* ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّا﴾ [مريم: ٤٨].
(عسى) هنا من المخلوق للترجي.
أي: أرجو الله أن لا أكون بدعائه شقيًا، بل يجيب دعائي ويعطيني مسألتي.
* ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].
(عَسَى اللَّهُ): رجاء من النبي يعقوب وحسن ظن بربه، وقد استجاب الله له.
* ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢].
(عَسَى رَبُّنَا): عسى هنا رجاء من المخلوق بإبدالهم خيرًا منها.
* ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠].
(فَعَسَى) من المخلوق تحتمل هنا معنيين:
١ - للترجي؛ فهو يتمنى أن يهلك الله جنة صاحبه، ويدعو عليه بسبب فخره وتكبره.
٢ - أو للتوقّع بأن الله تعالى سيعاقبه على سخريته، ويُزيل عنه ما عابه به.
وجاءت مفردة عسى في الآيات التالية بمعنى: التوقع والاحتمال:
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرا﴾ [النساء: ١٩].
(فَعَسَى أَنْ تَكرَهُوا شيئًا): تفيد التوقع والاحتمال؛ أي: فَعَسَى أن يؤول الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يَرْزُقَه اللَّهُ مِنْهَا
أَوْلَادًا صالحين.
* ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].
(عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا): للتوقع والاحتمال؛ فقد ينفعنا للخدمة والقيام بالمهمات.

* ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].
(وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ) تفيد التوقع والاحتمال بقرب الأجل.
* ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].
(وَعَسَى أَنْ تَكرَهُوا)، (وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا) عسى هنا للتوقع، ويحتمل أن تكون للترجي: ليحمل المؤمنين على توقّع المنفعة مما يكرهون وترجي الخير من ورائه؛ ففي القتال في سبيله: توقّع النصر والغنيمة والأجر، وفي تركه وإيثار الراحة: المذلة والهزيمة وذهاب الأمر.
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].
(عسى) للتوقع والاحتمال؛ أي: لعل المستهزَأ به يكون خيرًا من المستهزِئ عند الله.
* ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القص ٩].
(عَسَى) للترجي، وبمعنى: لعل؛ أي: لعله ينفعنا، أو نرجو أن ينفعنا.

[العصف]
قال تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢)﴾ [الرحمن: ١٢].
(العصف): هو ما على الزرع من قشور أو أوراق يابسة تفتت وتتساقط؛ تقول العرب: (عصفتُ الزرع) أي: جززتُ أطرافه.
* ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥].
(كعصف مأكول) أي: كزرع أكلته البهائم وداسته بأقدامها حتى تفتت.
* ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفا﴾ [المرسلات: ٢].
(العاصفات): سميت الملائكة بالعاصفات: لسرعة طيرانها كالرياح وتنفيذها لأوامر الله.
وقيل: هي الرياح الشديدة، وسميت بالعاصفات: لأنها تعصف بالزرع وغيره فتثيره وتنشره.
* ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].
(يوم عاصف): رياحه شديدة تعصف بالزروع والأتربة وكل ما مرّت عليه.
[العفو]
العفو في القرآن الكريم له ثلاثة معان:
١ - المغفرة والصفح.
٢ - الفضل والزيادة.
٣ - الترك والتجاوز.
- فبمعنى: المغفرة والصفح:
قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] أي: من صَفَح وغَفَر وتجاوز.
* ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٤] أي: يعفو ويصفح عن كثير من الذنوب.

- وبمعنى: الفضل والزيادة:
* ﴿وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].
(العَفوَ) العفو هنا: هو الفضل والزيادة. أي: أنفقوا العفو من أموالكم، وهو مما عفا وزاد عن قدر الحاجة، وليس العفو؛ أي: التجاوز والمغفرة.
- وبمعنى: الترك والتجاوز:
﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥].
(ويعفو) من عفا؛ أي: ترك وتجاوز، كما في حديث: «اعفوا اللحى» صحيح البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩).
ومعنى (أعفوا اللحى) أي: اتركوها لتنمو وتطول.
(ويعفو عن كثير) أي: يُعرض ﷺ ويسكت عن كثير مما أخفيتم من كتابكم، ويترك بيان ما لا تقتضيه الحكمة، وإذا لم يكن فيه مصلحة ولا فائدة سوى فضيحتكم وبيان زيف مقالتكم وأفعالكم؛ فلا يتعرض له ﷺ.
* أما ما جاء يحتمل معنيين: فقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].
(العَفوَ):
١ - عاملهم باللين والتجاوز والرفق.
٢ - خذ الزيادة والفائض مما تجود به أنفسهم.

[عقيم]

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥].
(عَقِيمٍ): اختلف المفسرون فيه على قولين:
١ - أنه يوم القيامة: وهو عقيم من الخير؛ فلا خير فيه ولا رحمة للكفار. وعقيم لا ليل بعده لسكون أو راحة لهم. وعقيم لأنه آخر يوم، لا يوم بعده إلا الجنة والنار.
وقد رجحه جمع من المفسرين؛ وذلك لوجود قرينة قرآنية تدل على ترجيحه: فقد أَتْبَعَ الله ذكر اليوم العَقِيم بِقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الآيَةَ [الحج: ٥٦] فدل على أنه يوم القيامة.
٢ - أنه يوم بدر: ورجحه كثيرون -ومنهم ابن جرير- وحجتهم: أنه لا وجه لأن يقال: (لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة) وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضًا هو يوم القيامة، فذلك تكرار لا معنى له.
والحقيقة أنه لا تكرار؛ فالآية تبين أن الكفار ما يزالون في شك من الدين والرسالة، حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تحين ساعتهم، أو يأتيهم فوق ذلك عذاب لا قِبل لهم به؛ وهو ما ينتظرهم من أهوال يوم القيامة.
أما قوله تعالى: (تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ) فلها هنا معنيان كذلك لا يتعارضان:
١ - الساعة: ساعة موت كل أحد.
٢ - الساعة: يوم القيامة.

وعلى أي حال، فيوم بدر كان عقيمًا على الكفار، ويوم القيامة كذلك؛ فلا إشكال.
* ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١].
(الريح العقيم) ريح عقيم: لأنه لا خير فيها؛ فهي لا تَحمِل المَطَر ولا تُلَقِّح الشَّجَر، وإنما هي ريح مُهلكة؛ كما قال تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢].
فهي (ما تَذَر مِنْ شَيْء) أي: من نَفْس أوْ مال أَتَتْ عَلَيْهِ إلّا دمرته وأهلكته.
* وأما قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩].
(عجوز عَقِيمٌ) أي: عجوز عقيم لا تلد. فمعنى العُقم في اللغة: هو المنع؛ فيقال: (امرأة عقيم) أي: لا تلد. و (ريح عقيم): لا نفع فيها. و (يوم عقيم): لا خير فيه. و (حرب عقيم): لا جدوى وراءها، وهكذا.
[عنت]
قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْما﴾ [طه: ١١١].
(عنت): من الفعل «عنا، يعنو»؛ أي: ذلَّ وخضع.
(وعنت الوجوه) أي: ذلّتِ الوجوه جميعها، وخضعتْ ذلك اليوم للحيّ القيّوم، وخسر وخاب من جاء بالظلم، والمراد به هنا: الشرك.
وفسرها البعض بالنَّصَب والتَّعب؛ أي: نصبتِ الوجوه، ولكن الأول أظهر؛ ومن هنا ترتبط هذه المفردة بالمفردة التالية:
عنتّم
قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
(عزيز عليه ما عنتم) تقول العرب: (يَعِزّ علي كذا) أي: يصعب علي.
(عنتم): من العنت، وهو المشقة والشدة.
والمعنى: يصعب عليه ويعز عليه أن يسبب لكم المشقة والحرج؛ فهو مبعوث لرحمتكم والحرص على مصلحتكم.
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا
مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].
(ودّوا ما عنِتّم) أي: تمنوا لو يصيبكم العَنَتُ والحرج والمتاعب والآلام.
* ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].
(لَعَنِتُّمْ) أي: لوقعتم في الجهد والعَنَت والمصاعب.
* ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ
نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥].
(خشي العَنَتَ) أي: خاف المشقة وعدم القدرة على مغالبة الشهوة.

فائدة:
الفرق بين المفردة السابقة وهذه المفردة:
مفردة (عنتم) وقوله: (لمن خشي العنت منكم) من العناء؛ وهو: التعب والمشقة.
أما (عنتِ الوجوه): فمن الفعل «عنا، يعنو» من الخضوع والذل.
فنقول: فُتحتِ البلاد عُنوة؛ أي: خضعت قهرًا.
ومنها: العاني، وهو الأسير؛ لأنه خاضع ذليل تحت سلطان الغير.

[عوج]

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسا﴾ [طه: ١٠٨].
(يومئذ) أي: يوم القيامة.
(الدَّاعِي) الداعي: هو المَلك يناديهم للاجتماع والحضور لموقف الحساب يوم القيامة، ويكون ذلك بعد البعث من القبور.
(لَا عِوَجَ لَهُ) لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - لَا عِوَجَ لدعوة الداعي: فهي دعوة حق وصدق لا ميل فيها ولا زيف، وهو داعٍ لا يحيد عمّا أُمر به، ولا يُفرط في دعوته.
٢ - لَا عِوَجَ لاستجابة دعوته: فجميع الخلق يحضرون للموقف ملبِّين دعوته، لا يحيدون ولا يميلون يمينًا ولا شمالًا.
فسبحان ذي الملك والجبروت: حينما دعاهم في الدنيا لعبادته عن طريق أنبيائه، ترك لهم الإرادة والاختيار، فانحرف واعوجَّ عنها كثيرون، لكنَّ دعوتهم للحساب يوم القيامة لم يترك لهم فيها حُرية اختيار؛ فسيلبّون الدعوة مُذعنين مسلوبيّ الإرادة، ولن يتخلَّف منهم أحدٌ!!

[حرف الغين]

[الغابرين]

قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١].
(الغابرين) أي: الباقين في العذاب؛ تقول العرب: (غبر في العذاب) أي: بقي فيه. وسمي الغبار غبارًا؛ لأنه مما بقي من التراب على الأشياء.
وردت هذه الكلمة سبع مرات في القرآن، وكلها تدل على هذا المعنى؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمل: ٥٧] أي: كتب عليها أن تبقى فيمن هلك، ولا تنجو مع نبي الله لسوء فعلها.
فائدة:
هذه الكلمة في اللغة من الأضداد؛ فتأتي بمعنى: الذين مضوا، والذين بقوا:
فإن قلنا: (إلا عجوزًا في الغابرين) أي: الباقين.
وإن قلنا: (في الغابرين من الأمم) أي: الماضين من الأمم. و (في الزمن الغابر) أي: في الزمن الماضي.

[غاسق]

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)﴾ [الفلق: ٣].
(غاسق): هو القمر، أي: غار في السماء ودخل مستقره، وانتشر الظلام.

وفي الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ قال لعائشة : «استعيذي باللهِ من هذا -يعني: القمرَ- فإنه الغاسقُ إذا وقب» السلسلة الصحيحة (٣٧٢).
ويطلق كذلك على الليل (غاسق): للآية السابقة؛ فكل شيء اسودّ فقد غسق.
(إذا وقب) أي: إذا دخل في الشيء؛ تقول العرب: (وقبت الشمس) إذا غارت ودخلت في مستقرها.

غَدَقا

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقا﴾ [الجن: ١٦].
(غَدَقًا) الماء الغَدَق: هو الكثير. يقال: (أغدق عليه من المال) أي: أعطاه الكثير.
والمعنى: لو أن الإنس والجن استقاموا على شريعة الله، لوسّع اللهُ عليهم في الرزق وفتح عليهم البركات، ولسقاهم الماء الكثير الذي ينمو به الزرع وتحيا به الأرض؛ ليختبرهم أيشكرون أم يكفرون.
وذكر الماء بخاصة من بين سائر النعم؛ لأنه سبب الحياة والخصب والرخاء.

[الغرور]

قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤)﴾ [الحديد: ١٤].
(الْغَرُورُ): بفتح الغين: لفظ مبالغة -كالصَّبور والشكور- لكثرة ما يتسبب في الاغترار؛ وهو كل ما يغر
ابنَ آدم ويخدعه، والغالب أنه الشيطان؛ لعِظم دوره في هذا الشأن.
فغروره متنوع ومستمر:
- يزين الباطل والدنيا.
- يغري بارتكاب المعاصي.
- يُنسِي عقاب الله، ويُطمع في رحمته بلا عمل.
- يطيل الأمل ويُنسِي الموت.
وقد تكررت في القرآن وهي بنفس المعنى.
- أما قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)﴾ [آل عمران: ١٨٥].
(الْغُرُورِ): هو متاع وزينة خدّاعة مضمحلة زائلة.
فائدة:
الغُرور -بضم الغين- هو المادة التي يستخدمها الشيطان للخداع؛ وهي تزيين الدنيا وتحسين الباطل.
والغَرور -بفتح الغين- هو الفاعل.

غُلبا

قال تعالى: ﴿وَزَيْتُونا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبا﴾ [عبس: ٢٩ - ٣٠].
(غُلْبًا) مفردها: أغلب، وغَلباء؛ ككلمة (غُلف) مفردها: أغلف، وغلفاء.

وكلمة (غلب) أصلها وصفٌ للرقبة العظيمة، وتستعمل كذلك لوصف الحديقة العظيمة الشجر؛ فهو وصف للشجر بكونه عظيم الجذوع ملتف الفروع والأغصان؛ وهذا مما يزيده جمالًا وبهاءً وزينة في
عيون الناظرين.

[غمرة]

قال تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣].

(غَمْرَةٍ): الغمرة من الانغمار والتغطية والانغماس في الشيء؛ فهؤلاء قلوبهم غمرها الهوى والاستكبارُ، وغمرها الضلال والجهل، غمرتها الظلمة وحب الدنيا؛ فلم يعد للقرآن ونوره مكان فيها.

(وَلَهُمْ أَعْمَالٌ من دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُون) هذه الآية تفسير لسؤال: لماذا لا يعجل الله أخذ الظالمين؟! لأنهم لم يستوفوا مدتهم، ولم يستكملوا أعمالهم المكتوبة والمقدّرة عليهم؛ فلهم أعمال سيعملونها، ومدة يستكملونها سيمهلهم الله إليها حتى نهاية آجالهم.

* ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١١].

(غَمْرَةٍ) أي: في ضلالة وغفلة غالبة عليهم، غامرة لعقولهم وقلوبهم.

* ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤].

(غَمْرَتِهِمْ) أي: في ملهياتهم والأحوال التي هم فيها مغمورون، والباطل الذي هم فيه منهمكون.

* ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

(فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ) أي: حين يغمرهم الموت ويغشاهم بسكراته.

والمعنى: ولو ترى يا محمد حال هؤلاء الكفار عند الاحتضار، حينما يغالبون لجج الموت وسكراته، والملائكة ماذا تفعل بهم: فهي باسطة أيديها إليهم بالإهانة والضرب على وجوههم وأدبارهم؛ لتنتزع أرواحهم المتشبثة بأجسادهم خوفًا من الخروج، نسأل الله العافية!!

فائدة:

ومن ذلك تقول العرب للرجل الشجاع المقدام: (مُغامر)؛ لأنه يغشى الموت، ويغشى الأهوال ويُغَالبها في شجاعة وإقدام.

الْغَوْا

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

(وَالغَوا فِيهِ) اللَّغْوُ: هنا من اللغط؛ وهو الكلامُ المختلط الذِي لا يُعْتَدُّ بِهِ.

والمقصود: الْغَطُوا فِيهِ، وأكثروا التشويش على القرآن والشغَب ورفع الصوت؛ كي لا يُسمع ولا يُفهم.

* ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] و [المائدة: ٨٩].

(باللَّغوِ) أي: اليمين التي لا يقصدها الإنسان.

وأما اللغو في باقي الآيات فهو بمعنى: الباطل؛ قال تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَة﴾ [الغاشية: ١١].

(لَاغِيَة) أي: لا تسمع فيها كلمة لغو وباطل، بل كلامهم كلام حسن نافع.

* ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما﴾ [الفرقان: ٧٢] أي: مروا بالباطل من الكلام أيًّا كان نوعه أعرضوا عنه ولم يخوضوا فيه.
* وكذلك باقي الآيات في اللغو فهي بمعنى: الباطل.

[غواش]

قال تعالى: ﴿لَهُم مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].
(غَوَاش) أصلها: غواشي، ومفردها: غاشية.
وهي الأغطية تغطيهم من فوقهم من النار؛ كما قال تعالى: ﴿لَهُم مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].
(فالمهاد): يكون من تحتهم، (والغواش): كاللحف من فوقهم، عياذًا بالله!
* ومثلها في أصل المعنى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١].
(الغاشية) لأنها تجلل الخلق وتغشاهم أجمعين بأهوالها.
* ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ﴾ [الأعراف: ١٨٩].
(تغشاها) أي: علاها، كناية عن الجماع.
* ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤].
(يغشاها) أي: يغطي الأرض بظلامه كأنه عباءة سوداء.
* ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارا﴾ [نوح: ٧].
(استغشوا): تغطوا بها؛ كي لا يسمعوا كلام الله ولا يروا نبيَّه.
* ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].
(غشاوة): غطاء؛ فلا يرى نور الهدى.
* ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦].
(يَغْشَى) أي: يغطيها من عظيم خلق الله ومن البهاء والحُسن ما يغطيها وما يبهر العقول، وما لا يعلم حقيقته إلا الله.
* ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ [النجم: ٥٤].
(فَغَشَّاهَا) أَلْبَسَهَا اللَّه وغطاها (مَا غَشَّى) من الْحِجَارَةِ الْمَنْضُودَةِ الْمُسَوَّمَة والعذاب الأليم -وهم قوم لوط- وجعل عالِيَها سافلَها.

غيّا

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].
(غَيًّا): الخسران والهلاك؛ أي: سوف يلقون جزاء ذلك، وهو الخسران والهلاك. وقيل: اسم وادٍ في جهنم.
* ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢].
(غَوَى): اقتران كلمة (غوى) مع كلمة (ضل) يفيد المغايرة في المعنى؛ فالضلال هو البُعد عن الحق، والغواية هي نتيجته وهي الخسران.
فالمعنى: ما ضل عن طريق الحق ولا خاب سعيه. وإن كان اللفظ يترادف إذا أُفرِد مع الضلال والباطل والشر.

* ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُنَ﴾ [الشعراء: ٩٤].
الذين كُبْكِبُوا في جهنم صنفان لا صراط لهم، بل يقذفون فيها جماعات، يتقدم كل جماعة إلهُهَا المعبود من دون الله.
(هم): الضمير يعود للآلهة المعبودة من دون الله؛ من الجمادات ومن الذين عُبدوا بإرادتهم كفرعون؛ فلا يدخل فيهم الملائكة، وعيسى، وعُزَير]..
(الغاوون): العابدون لهم من الإنس والجن. ومعنى (الغاوون): الخاسرون باتباع طريق الضلال.
* ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].
نسب إبليسُ الغواية بسوء أدبه إلى ربه، والحقيقة أنه هو الذي غوى برسوبه في الامتحان.
(أغويتني) أي: تسببت في خسارتي وهلاكي؛ فالله تعالى لم يُضله وهو يريد الهداية، بل أضله لأنه اتبع طريق الضلال باستكباره وعناده.
* ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].
(وَلَأُغوِيَنَّهُم) فإبليس لم يُغو البشرية على الحقيقة، بل وسوس لهم وأغراهم بالشهوات؛ فضلوا بمحض إرادتهم، ووقعوا في الغواية والخسران بسبب طاعتهم له.
وهذا رد لشبهة من يقولون بأن إبليس مظلوم وأن الله أغواه. وعلى تصديق ذلك جدلًا: فقد ارتكب إبليس جُرمًا أفظع؛ وهو غواية البشرية جمعاء إلا القليل منهم.
فالصواب: أن إبليس رسب في الامتحان فغوى وخسر، والبشرية رسبت في الالتزام بأمر ربها بأن يتخذوا الشيطان عدوًّا ولا يتبعوه؛ فخسرت وغوت إلا من رحم الله وعصم.
*﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ [الصافات: ٣٢] أي: نحن موصوفون بالغواية لضلالنا، ولما دعوناكم استجبتم لنا فأصبحتم مثلنا، وسرتم في طريقنا طريق الغواية والخسران.
* ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] تدُلُّ الآية عَلى تَكْذِيبِ الكُفّارِ في دَعْواهم أنَّ النَّبِيَّ ﷺ شاعِرٌ؛ لِأنَّ الذينَ يَتْبَعُهُمُ الغاوُونَ لا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ مِنهم؛ فالشعراء من صفاتهم المبالغة في الكلام وعدم المصداقية، فلا ينبغي اتباعهم ولا أخذ أقوالهم على الحقيقة، وعلى الأخص شُعَرَاءُ الكُفَّارِ الذِينَ كَانُوا يَهْجُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ويتبعهم الغاوون من الإنس والشياطين؛ ففي الآية تبرئة للرسول ﷺ من الشعر، وإدانة لشعراء الكفار.
لذلك استثنى في الآيات بعدها شعراء المؤمنين الذين يوافق شعرُهم الكتابَ والسنة؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].
* ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].
(الرُّشدُ مِنَ الغَيّ) أي: اتضح الإيمان من الكفر، والحق من الباطل، والهدى من الضلال.

[الغيب]

قال تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣].
(بالغيب) لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - من خشي الرحمن مع أنه لم يره، وإنما رأى آياته الدالة عليه.
٢ - من خشي الرحمن في خلوة وغيبة عن الناس؛ لأن ذلك أقرب إلى الصدق والإخلاص في الطاعة بعيدًا عن رؤية الناس، ومثلها الآيات التالية.
* ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩].

* ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤].

[حرف الفاء]

[فارض]

قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨].

(لا فَارِضٌ) أي: لا هَرِمَة عجوز؛ تقول العرب: (فَرَضَتِ البقرة) أي: هَرِمَت، (ولا بكر) أي: لا صغيرة، (عَوَانٌ) العوان: النصف؛ لا هي كبيرة ولا صغيرة.

فالمعنى: أنها بقرة لا صغيرة ولا كبيرة، بل متوسطة السن.

[فاقرة]

قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤ - ٢٥].

(فَاقِرَةٌ) أصل الفاقرة: هي الداهية الشديدة التي تكسر فَقَار الظهر.

والمعنى الإجمالي للآيتين الكريمتين: يبين الله فيهما حال الكفار ومَن آثروا العاجلة على الآخرة يوم القيامة، حينما عاينوا العذاب ورأوا نتيجة معصيتهم وجحودهم لرب الأرباب؛ فجاءوا بوجوه أكْلَحَهَا الكفرُ وسوّدتها الخطايا، وجوه باسرة عابسة لِمَا رأت من العذاب.

فالظن هنا بمعنى: اليقين، والعلم اليقين بأنها أمام داهية عظيمة، ومُقْدِمَة على مصيبة المصائب التي لم تكن تحسب لها أي حساب.

انظر: مفردة (بسر) في حرف الباء.

[الفتح]

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٨ - ٢٩].

(الفتح) الفتح في كتاب الله له عدة معان بحسب سياق الآيات.

- الفتح يراد به: يوم القيامة.
- أو: صلح الحديبية، أو فتح مكة، أو فتح المسلمين لبلاد الكفر.
- والفتح بمعنى: النصر والظَّفر.
- والفتح بمعنى: السعة والفرج.
- والفتح بمعنى: الفصل والقضاء والحكم.

* وفي الآيات التالية جاء بمعنى: الفصل والحكم والقضاء:

ففي الآية الكريمة السابقة: (متى هذا الفتح) الفتح: الفصل والحكم. يسأل كفارُ قريش على سبيل الاستهزاء والتكذيب: متى يكون يوم الفصل والحكم بيننا وبينكم الذي تدّعون أن الله يعذبنا فيه؟!

فجاءهم الرد في الآية التالية، ولكنها ليست إجابة لسؤالهم (متى هو)؟ بل جاءهم رد يبين لهم كيف هو وما حالهم فيه؛ ليستعدوا له ويحذروه؛ فيوم الفتح يعني: يوم الفصل والحكم؛ وهو يوم القيامة.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينا﴾ [الفتح: ١].

(فَتَحنَا) أي: حكمنا لك وقضينا. و (الفتح المبين) المراد به: صلح الحديبية.

* ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

(قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا) أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، (يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) أي: يَحْكُمُ بَيْنَنَا ويقضي ويفصل بِالْعَدْلِ؛ فَيَجْزِي بالثواب لمستحقِّه وبالعقاب لمستحقه. (وهو الفتاح العليم) اسم الله متعلق بالمعنى. ينظر ص ٥١٩ - ٥٣٥.
* ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].
(تَستَفتِحُوا) تطلبوا الحكم والفصل بهلاك الظالم، والفصل بينكم وبين المؤمنين، والخطاب لكفار مكة.
(فَقَد جَاءَكُمُ الفَتحُ): فقد جاءكم الحكم والفصل بينكم؛ وهو هزيمتكم يوم بدر.
* ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].
(فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالفَتحِ) لها معنيان لا يتعارضان: (الفتح) أي: النصر. وتحتمل: الفصل والحكم.
والخطاب في شأن المنافقين الذين يوالون الكفار؛ خوفًا من الحاجة إليهم يومًا من الأيام على حدِّ زعمهم، فقد تدور الأيام ويكون النصر لهم.
فقال تعالى ردًّا عليهم: (عسى الله أن يأتي بالفتح) وعسى من الله تعالى واجبة؛ لأن الترجي لا يكون إلا من المخلوق الذي لا يعلم الغيب.
والمعنى: أن الله تعالى سيأتي بالنصر والحكم بينهم، وسيُعلي كلمته ويملأ قلوبهم -أي: المنافقين- حسرة، وقد حصل ذلك في فتح مكة؛ فدخل الناس في دين الله أفواجًا. وكذلك في يوم حُكْمِ اللَّهِ بِقَتْلِ مُقاتِلَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ، وسَبْيِ ذَرارِيِّهِمْ، وإجْلاءِ بَنِي النَّضِيرِ ... كما ذكر صاحب أضواء البيان.
* ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].
(وَالفَتحُ) المقصود بالفتح هنا: هو فتح مكة، وعموم لفظ (الفتح) هنا حيث جاءت مطلقة تشتمل على معاني: الفرج، والظفر، وانتشار الإسلام الذي كنتم ترقبونه كما وعدكم الله.
* ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].
(يَستَفتِحُونَ): من طلب النصر، وهم اليهود كانوا يترقبون بعثة النبي محمد ﷺ استنصارًا واستبشارًا به؛ فإذا كان بينهم وبين الكفار حروب استنصروا بقرب قدومه، وقالوا: إن نبينا قد أظلَّ زمانه، ويرجون أن يكون منهم، فلما جاء من العرب كفروا به ظلمًا وحسدًا.

[فترة]

قال تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].
(فَترَة) الفترة في اللغة لها ثلاثة معان:
١ - هي المدة من الزمن؛ كما نقول: في فترات متباعدة.
٢ - الفترة المرحلة؛ كما نقول: فترة الاختبار، وفترة الرخاء.
٣ - والفترة من الفتور والسكون والانقطاع، وهو المراد في الآية الكريمة؛ وتعني: انقطاع الوحي والبعثة.
وقد انقطعت الرسلُ بعد عيسى ، وانقطع الوحي قرابة ستمائة سنة حتى أُرسل محمد ﷺ.

* ومثلها قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].
(يَفتُرُونَ) أي: لا ينقطعون عن التسبيح.
* ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُم وهُمْ فيه مُبْلِسُون﴾ [الزخرف: ٧٥]. أي لا يسكن ولا تُخفف وتيرته عنهم، ولا ينقطع حتى أصابهم الإبلاس واليأس من الفرج.

[الفحشاء]

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].
(بِالْفَحْشَاءِ) الفحشاء في هذه الآية: البخل والحرص، ومنع الزكاة والصدقة؛ والعرب تسمي البخيل: فاحشًا.
والفحشاء بعامّة: كل شيء جاوز حدّه، وعظم قبحُه من الأقوال والأفعال؛ تقول العرب: (فَحُشَ الأمر) أي: جاوز حدّه.
فالفحشاء يختلف معناها بحسب سياق الآية:
- فالسياق هنا عن الإنفاق؛ فكان معنى الفحشاء: هو البخل.
* ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].
(بِالْفَحْشَاءِ) أي: بقبائح الأقوال والأفعال، والمراد به هنا: هو طوافهم بالكعبة عراة.
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].
(بِالْفَحْشَاءِ) أي: بالقبائح والمعاصي.
* ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].
(وَالْفَحْشَاءَ) الفحشاء هنا: هي فاحشة الزنى، ثم إن المعنى عامّ في سائر القبائح.

[فرضناها]

قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ١].
(وَفَرَضْنَاهَا) الفرض في القرآن له ستة معان:
١ - أوجب وألزم.
٢ - أحل وأباح.
٣ - قدَّر مقدارًا وقسمًا.
٤ - شرع وحكم.
٥ - أنزل.
٦ - بيَّن ووضَّح.
وفي هذه الآية الكريمة له معان لا تتعارض؛ (وَفَرَضْنَاهَا):
١ - البيان: بيناها.
٢ - الشرع والحكم؛ أي: شرع لكم فيها أحكامًا.
٣ - الفرض والإيجاب؛ أي: أوجب فيها الأحكام للعمل بها.
* ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القص ٨٥] أي:
١ - من الإنزال: إن الذي أنزل عليك القرآن.

٢ - البيان: بين لك فيه الحلال والحرام.
٣ - الإيجاب والإلزام: أوجب عليك العمل به.
* ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧].
- معنى (الفرض) في هذه الآية: هو القسْم والمقدار (فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً) أي: وقد قدَّرتم وقسمتم لهن مقدارًا من المهر.
* ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَة﴾ [البقرة: ٢٣٦].
(أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً) أي: تقدروا، أو تقسموا لهن مقدارًا من المهر.
* ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضا﴾ [النساء: ٧].
(مفْرُوضًا) قسْمًا ومقدارًا قدّره الله.
* ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضا﴾ [النساء: ١١٨].
(مفْرُوضًا) قسْمًا ومقدارًا منهم قدّره الله لمن أطاع الشيطان واتبعه.
و (الفرض) في الآيات التالية له معنيان: معنى القسْم والمقدار، ومعنى الإيجاب والإلزام:
* ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيما﴾ [النساء: ١١].
(فَرِيضَةً) أي: قسْمًا ومقدارًا قدّره الله وأوجبه.
* ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَة﴾ [النساء: ٢٤].
(فَرِيضَةً) أي: قسْمًا ومقدارًا أوجبه الله عليكم.
* ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].
(فَرِيضَةً) أي: قسْمًا مقدرًا أوجبه الله عليكم.
- و (الفرض) في الآيات التالية معناه: أوجب وألزم:
* ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].
(فَرَضَ) أي: أوجب وألزم نفسه.
* ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب: ٥٠].
(مَا فَرَضْنَا) ما أوجبنا وألزمنا.
* ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨].
فمعنى (فَرَضَ): أحل وأباح له.
* وفي الآية الكريمة: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].
(فَرَضَ) لها ثلاثة معان لا تتعارض:
١ - أحل وأباح لكم.
٢ - شرع لكم.
٣ - بيَّن لكم.

[الفرقان]
قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٣ - ٤].
وقد ذكر في القرآن الكريم ست مرات، وأصل المعنى يدل على الفصل بين الحق والباطل؛ كما هو في هذه الآية الكريمة السابقة، وكما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩].
لفظ (الفرقان) في القرآن الكريم يختلف المراد به بحسب السياق:
* ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣].
(الكِتَابَ) هو التوراة، و (الفُرْقَانَ) هو العلم والحجج المؤيدة التي يفرّق بها بين الحق والباطل.
* ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].
(الْفُرْقَانَ) هو التوراة، ويشمل ما فيه من علم، وكل ما آتاهم من الحجج والبراهين التي تفصل بين
الحق والباطل.
* ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].
(يَوْمَ الْفُرْقَانِ): هو يوم بدر؛ حيث فرّق فيه بين الحق والباطل، والكفر والإيمان.
* ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].
(الفُرْقَانَ) الفرقان هنا: هو القرآن الكريم؛ ليفصل به بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام.
* ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].
(وَالفُرْقَانِ) وَصْفٌ للقرآن الكريم وما تضمنته آياته من الهدى، وما يفصل بين الحق والباطل، والحلال والحرام.
* ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦)﴾ [الإسراء: ١٠٦].
(فَرَقْنَاهُ): وفي قراءة: (فرّقناه) بتشديد الراء؛ ليتسع المعنى فيكون:
- فرقناه؛ أي: وضّحناه وبيّناه.
- وفرقنا فيه بين الحق والباطل.
- وأنزلناه مُفرّقًا بحسب الوقائع والأحداث.
* ومنها: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾ [الأنفال: ٢٩].
(فُرْقَانًا) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - نصرًا وفرجًا ومخرجًا.
٢ - فصلًا بين الحق والباطل.
[الفسق]
الفسق: هو الخروج عن الطاعة، وهو درجات متفاوتة، وله في القرآن الكريم ثلاثة معان:
١ - الكفر.
٢ - الشرك.

٣ - كبائر الذنوب.
ففي الآيات التي ورد بها لفظ الإيمان، أو معنى الهداية، أو التولي والإعراض؛ فإن الفسوق فيها بمعنى: الكفر؛ مثل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].
* وكذلك: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].
* وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣].
ومع ورود لفظ (الهداية) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].
ومع لفظ (التَّولّي) قوله تعالى: ﴿فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨٢].
وقد يكون الخطاب معنيًّا به اليهود أو المنافقين أو المشركين، فيكون كذلك بمعنى الكفر؛
كقوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]، الفاسقون هنا: هم اليهود.
* ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤] والمراد كذلك: المنافقون.
- كذلك ورد (الفسق) بمعنى: الكفر في سياق الآيات التي جاء فيها الأنبياء مع أقوامهم الذين لم يتبعوهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].
* وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].
- أما إن كان الخطاب لأهل الإيمان، فيكون تحذيرًا لهم من المعاصي أو الشرك؛ كقوله تعالى:
﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].
وهذه الآية تحتمل معنيين:
١ - بئس الاسم أن تتنابزوا وتتسمَّوا بأسماء الفسوق التي تتعارض مع وصف الإيمان. قيل: كأن يعيّر أحدُهم الآخر: يا يهودي، أو يا نصراني .. وقد كان كذلك فيما سبق.
٢ - أنّ التنابز بالألقاب فاسق وعاصٍ فاعلُه، وبئس أن يكون كذلك بعد أن كان مؤمنًا صالحًا.
* ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧] الفسوق: هو كبائر الذنوب.
* ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].
* أما في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣] الفسق: هنا هو الشرك، والخروج عن الدِّين.

فَصَلَ

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].
(فصَل) فصل من الانفصال والمفارقة.
أي: خرج ومضى بهم من البلد متوجِّهًا للقتال.

* ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ [يوسف: ٩٤].
(فَصَلَتِ) أي: خرجتْ ومضتْ قافلة الجمال من مصر، متوجهة إلى أرض كنعان التي بها يعقوب
.
* ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].
(فِصَالُهُ) أي: فطامه وانفصاله عن أمه.
ومن أولاد البقر والإبل (الفصيل) وهو: الذي انفصل عن أمه.
* ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].
(فِصَالًا) أي: فطامًا للرضيع قبل الحولين.
[فواق]
قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [١٥].
(فَوَاق) من الإفاقة والانتظار، وأصلها من: (فُواق الناقة) وهو مقدار راحتها بين الحلبتين.
والمعنى: أن الصيحة إذا بدأت فليس هناك فرصة للرجوع إلى الدنيا، أو الإفاقة والراحة منها؛ لسرعتها وتتابعها.
[حرف القاف]
القالِين
قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].
(القَالِينَ) أي: المبغضين؛ فالقِلى: هو البغض.
وفي الآية الكريمة فائدة عظيمة ذكرها ابن عاشور في تفسيره للآية:
حيث قال لوط : (إني لعملكم من القالِين) أي: من المبغضين له، وهو أبلغ مما لو قال لهم: (إني لعملكم قالٍ)؛ فالتعبير القرآني ينبّه على أن هذا الفعل القبيح الشنيع موجبٌ لبغض الكثير من الناس، وهو منهم.
* ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣].
(ما ودَّعَك) أي: ما تَرَكَك يا مُحَمَّد رَبّك منذ اعتنى بك.
(وَمَا قَلَى) وما قَلاك؛ أي: ما أبغضك منذ أحبك.
وذلك لمَّا فتر الوحي وأبطأ جبريل ، قالت امرأة من المشركين -قيل: هي أم جميل-: (يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ...) انظر: صحيح البخاري (٤٩٥٠).
فأقسم ربنا جل وعلا بالضحى والليل ردًّا على افترائها.
انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور/ محمد جبل (٤/ ١٨٢٤).
[قاموا]
قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٩ - ٢٠].
(قَامُوا) أي: توقّفوا عن المشي مُتَحَيِّرين.
وهو مثل ضربه الله لموقف المنافقين من هذا الدِّين؛ فهو كالصيّب والمطر الغزير؛ لأن فيه حياة الأرواح.
(فيه ظلمات): وهي الشكوك التي تعتريهم منه.

(ورعد): ما يخلع قلوبهم من وعيده.
(وبرق): ما يلمع لمعانًا خاطفًا في قلوبهم من الإيمان.
كلما نالوا من عِزِّه وخيراته اطمأنوا إليه ومشوا فيه، وإذا أصابتهم نكبة توقفت حالهم وارتكسوا إلى الكفر.

[قانت]

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].
(قانت) أصل القنوت هو الطاعة؛ تقول العرب: (قنتت المرأة لزوجها) أي: أطاعته. ويشمل المعنى في الآية مُختَلف الطاعات.
ويأتي القنوت بمعنى: طاعة القهر والاستسلام، ويأتي بمعنى: طاعة العبادة فيشير إلى الصلاة، وبمعنى: الدعاء، وبمعنى: طول القيام.
فالمعنى في الآية الكريمة: يَعْرِض الله تعالى مقابلة بين صنفين من الناس: صنف عامل بطاعته؛ فهو قائم بصنوف العبادات من صلاة ودعاء ومتحرٍّ لأفضل أوقات العبادة وهو الليل، ووصف حاله بالمخافة من الآخرة ورجاء رحمته.
وصنف ساهٍ لاهٍ؛ فهم لا يستوون: فالأول عالم به طالب للنجاة من الآخرة ساع في مرضاته، والثاني جاهل بالآخرة غافل عنها.
* ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].
(وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ) أي: والطائعين والطائعات طاعة عبادة.
* ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارا﴾ [التحريم: ٥].
(قَانِتَات) أي: مطيعات.
* ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].
(من القَانِتِينَ) من الطائعين.
* ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].
(قَانِتِينَ) أي: طائعين.
* ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].
(قَانِتَاتٌ) مطيعات لأزواجهن.
* ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].
(قَانِتًا) دائم الطاعة لله.
* أما في معنى طاعة القهر والاستسلام فقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦].
(قَانِتُونَ) مطيعون طاعة ذل وقهر لا إرادة لهم فيها، كلهم عبيد مسخّرون تحت تدبيره، وتكررت في سورة البقرة.

قُبُلا

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

(قُبُلا) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - من المقابلة؛ أي: معاينة أمام أعينهم.
٢ - جمع قبيل؛ أي: أحضرنا كل شيء فوجًا فوجًا.
والمعنى: الآية تبين أنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة؛ من تنزيل الملائكة إليهم، وتكليم الموتى وبعثهم بعد موتهم، وحشر كل شيء أفواجًا وقبائل إليهم حتى تكلمهم بصدق ما جاء به الرسول؛ ما حصل منهم الإيمان إذا لم يشأ الله إيمانهم؛ فالهداية بيد الله وحده.
وفي الآية رد على كذبهم في الآيات السابقة: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٩].
فقد أخبر الله تعالى أن المشركين أقسموا بالله أشدَّ أيْمانهم وأقصاها، أنهم إذا جاءتهم آية - كتحويل جبل الصفا إلى ذهب- آمنوا عن آخرهم بنبوة محمد ﷺ ورسالته واتبعوه على دينه، وهم كاذبون.
* ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلا﴾ [الكهف: ٥٥].
(قُبُلا):
١ - من المقابلة؛ أي: معاينة أمام أعينهم.
٢ - جمع قبيل؛ أي: جاءهم العذاب فجأة من كل نوع.
والمعنى: ما منع هؤلاء الناس من الإيمان بالله ورسله والحق الذي أنزل إليهم بعد أن قامت عليهم حجة الله]،، إلا ما منع مَنْ قبلهم من الظلم والعدوان؛ فلم يبق إلا أن تأتيهم سنة الله] وعادته في الأولين: من أنهم إذا لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب الشديد والاستئصال، أو أن يروا العذاب قد أقبل عليهم مواجهةً من كل نوع.
* ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [يوسف: ٢٦].
(مِنْ قُبُل) أي: من جهة الأمام.

[قبلة]

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧)﴾ [يونس: ٨٧].
(قِبْلَةٍ) أي: مسجدًا تصلون فيه.
والمعنى: اجعلوا بيوتكم مكانًا للعبادة، واستقبلوا فيها القبلة وأقيموا فيها الصلوات؛ فقد كان بنو إسرائيل يخافون فرعون، وحين ذلك امتنعوا عن الصلاة في كنائسهم وبِيَعهم؛ فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها.

[قترة]

قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠ - ٤١].
(قَتَرَةٌ) أصل القُتَار والقتر: هو الدخان والغبار.
والمعنى: غبار الكفر والكذب ودخان المعاصي.
* ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦].
(قَتَرٌ) أي: غبار الكآبة والحزن، ولا تسودّ وجوههم أبدًا.

قُتِل

قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠)﴾ [الذاريات: ١٠].
* ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠)﴾ [المدثر: ٢٠].
* ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧)﴾ [عبس: ١٧].
(قتل): القتل في الآيات السابقة له معنيان:
١ - معنى الهلاك؛ أي: هلك الخرَّاصون، وهلك الإنسان الجاحد لربه باعتبار نهايته يوم القيامة؛ فهو صائر إلى الهلاك والبوار.
٢ - دعاء على صاحب الصفة، كما يقال: (قاتله الله - وأخزاه الله) يبيّن التعجّب من شدة كفره مع إحسان الله إليه.

[قرح]

قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠].
(قَرْحٌ) القرح: هو الجرح.
والمعنى: إنْ أصابتكم الجراحُ، فقد أصابت المقاتلين من أعدائكم جراحٌ مثلها.
* ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] أي: الذين استجابوا لله ورسوله فلم توهنهم الجراح، ولم توقف عزيمتهم من الوقوف مع رسول الله في قتاله.

[قروء]

قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].
(قُرُوء) جمع قُرء، واختلف العلماء في القُرْء: هل هو الحيض، أم الطهر؟
والصواب: أن القُرْء هو الحيض؛ لقول النبي ﷺ في المستحاضة: «تَدَعُ الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَائِهَا» صححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٣٥٣).
أي: حيضها، ف (ثلاثة قروء) أي: ثلاث حيضات، ومدتها في الغالب ثلاثة أشهر، قد تزيد أو تنقص بحسب كل امرأة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤].

[القسطاس]

قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢].
(بالقِسطَاسِ): هو الميزان. والقسطاس المستقيم: هو أعدل الموازين؛ ومنه اشتُق: القِسط.
وقد خاض بعض أهل التفسير واللغة في الفرق بين: (القسط)، و (العدل) فالقسط له معنيان:
١ - الحصة والنصيب والمقدار.
٢ - العدل وإعطاء الحق.
فتارة يشتمل اللفظ على المعنيين، وتارة ينفرد بأحدهما؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢] أي: بالقسمة الصحيحة العادلة، فاشتمل على كلا المعنيين؛ ولذلك فإن جميع آيات الوزن والميزان اقترنت بالقِسْط وليس العدل.
* وفي قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].
ومما يجلّي المعنى: قوله : «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ القِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ» صحيح مسلم (٢٩٥).
فاللفظ هنا يشمل المعنيين:

١ - القسط: هو ميزان العدل؛ فيرفعه ويخفضه بحسب أعمال العباد.
٢ - القسط: هو النصيب من الأرزاق؛ فيزيده وينقصه، ويضيق ويوسع على العباد بحكمته]. وعدله وفضله.

فائدة:

هناك فرق بين:

- (القِسْط): هو العدل، واسم الفاعل منه: (مُقسِط)؛ أي: عادل، فيقال: أَقسط يُقسِط مُقسِط.

قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

(المُقسِطِين): هم العادلون.

وذكر ابن عاشور في تفسير الآية حكمة اقتران القسط والعدل في قوله (بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا) وأنه ليس التغاير في المعنى، وإنما هو من باب المطلق والمقيد فجاءت (بالعدل) أمرًا في سياق الإصلاح بين الطائفتين بخاصة، ثم أعقبها بالأمر العام تذييلاً للأمر الخاص وكأنه يُراد به: أن هكذا فليكن ديدنكم هو القسط في سائر المعاملات.

- و (القَسْط): الجور والظلم، واسم الفاعل منه: (قاسِط)؛ أي: ظالم، فيقال: قسَطَ يَقسِط قاسط.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبا﴾ [الجن: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدا﴾ [الجن: ١٤].

[قسورة]

قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَة﴾ [المدثر: ٥٠ - ٥٢].

(قَسْوَرَة) لها معنيان في العربية، كلاهما يحتمله النص كما ذكر ابن تيمية :

١ - القَسوَرَة: هو الأسد.

فيكون المعنى: كأنهم حُمُر نافرة فرّت من أسد.

٢ - القَسوَرَة: الرماة؛ تقول العرب للرجال الغلاظ والصيادين: قسورة، وهي لفظة لا مفرد لها، وقيل: هي قسور، وتجمع على (قسورة، وقساور، وقساورة).

فيكون المعنى: كأنهم حمر نافرة فرت من الرماة. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٣٤٠).

قُصِّيه

قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القص ١١].

(قُصِّيهِ) أصل القَصّ: اتباع الأثر؛ قُصيه؛ أي: اتبَعي أثره، وتَطَلَّبي خبره، وانظري ماذا يفعلون به.

(فبَصُرَت به عن جنب) أي: تقصّتْ أخباره عن بُعد وعن حذر ومجانَبة؛ حتى لا يُكشف أمرُها، فعلمت أن حاشية فرعون التقطوه.

* ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصا﴾ [الكهف: ٦٤].

(قَصَصًا) من القصّ، وهو تتبُّع الأثر.

والمعنى: رجع موسى وفتاه في الطريق الذي سلكاه يتتبّعان المكان الذي نسيا فيه الحوت، حتى لقيا الخضر .

ومن ذلك جاءت تسمية: (القَصص) بهذا الاسم؛ لأنها تتبُّع لخبر بعد خبر.

وقد تكررت في القرآن الكريم؛ ومنها قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

وقوله: ﴿يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥] فالقصص في اللغة: هو تتبع الأخبار، وسردها خبرًا بعد خبر.

فالله تعالى يعلم أحوال الناس وأخبارهم، ويقصهم على نبيه ﷺ، ويُسمى الخبر الطويل قصصًا؛ لأن بعضه يتبع بعضًا.

فائدة:

تقول العرب: (قصَّ أثره)، و (قصَّ خَبره) فالقصُّ يكون للأثر وللخبر.

قضبًا

قال تعالى: ﴿وَعِنَبا وَقَضْبا﴾ [عبس: ٢٨].

يمتن الله تعالى على عباده بأن رزقهم من أنواع الثمار، ومنها العنب والقضب.

(وقضبًا) القضب: هو كل ما يُقضب؛ أي: يُقطع ويؤكل غضًّا، وينمو مكانه غيرُه كبعض الخضروات؛ مثل الجرجير، والكراث، والبرسيم وغيره.

وقيل: كذلك البقول والفصافص، فسمي قضبًا لأنه يُقضب؛ أي: يقطع مرة بعد مرة.

[قضى]

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

مفردة قضى في القرآن الكريم لها معان متعددة بحسب السياق؛ فتأتي بمعنى:

١ - قدَّر.

٢ - أمر وحكم وشرع.

٣ - أعلمَ وأخبرَ.

٤ - أراد.

٥ - الفراغ والانتهاء.

٦ - جعل وصيّر.

- تأتي مفردة (قضى) بمعنى: أراد، كما في الآية السابقة:

* ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

(قضى) أي: أراد شيئًا، أو أراد فِعل شيء.

* ومثلها قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

(إِذَا قَضَى): إذا أراد فعل شيء.

* ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

(إِذَا قَضَى): إذا أراد فعل شيء.

- وتأتي مفردة قضى بمعنى: الحكم والأمر والقضاء:

* ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

(إِذَا قَضَى): إذا شرع وحكم أمرًا.

* ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فالقضاء هنا بمعنى: الأمر الشرعي؛ أي: شرعَ وحكم.
*﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] أي: حكم عليها بالموت، وهو الحكم الكوني.
*﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨] أي: إذا حكم بوجوده، فلا راد لحكمه الكوني.
*﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠] أي: يحكم به.
*﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ٤] قضاءً وحكمًا كونيًّا؛ بسبب بغيهم ومعاصيهم.
* ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢] أي: فاحكم بما تريد.
- وتأتي مفردة (قضى) بمعنى: الفراغ والانتهاء:
*﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْما﴾ [طه: ١١٤] أي: لا تبادر بتلقف القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه.
*﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي: فلما فرغ من حاجته لها وفارقها باختياره.
*﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القص ١٥] أي: أنهى وأجهز عليه.
*﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦] أي: لا يُجهَز عليهم وينتهي أمرهم بالموت؛ فهم باقون في العذاب.
* ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ [الأحزاب: ٢٣] أي: فَرَغَ مِنْ نَذْرِهِ، وَوَفَّى بِعَهْدِهِ، وانتهى أجله بصبره عَلَى الْجِهَادِ حَتَّى اسْتُشْهِد.
*﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمّى﴾ [الأنعام: ٦٠] أي: لينقضي الأمر، وينتهي الأجل الذي قدّره لكم.
*﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارا﴾ [القص ٢٩] يعني: لما انتهت مدة العقد بينه وبين شعيب .
*﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القص ٢٨] يعني: أي الأجلين فرغت وانتهيت منه.
* ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ [الجمعة: ١٠] أي: فرغتم منها.
- مفردة (قضى) بمعنى: قدَّر:
* ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢] أي: قدّر لمدة إقامتكم في هذه الدار أجلًا.
- وتأتي مفردة (قضى) بمعنى: أخبر وأعلم:
*﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦] أي: أخبرناه بما سيحدث لهم.

* ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرا﴾ [الإسراء: ٤]
أي: أعلمناهم.
- وتأتي مفردة (قضى) بمعنى: صيّر وجعل:
* ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].
(فَقَضَاهُنَّ) أي: صيّرهن وجعلهن سبعًا. ويحتمل كذلك: فرغ منهن حال كونها سبعًا.

[القطر]

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].
(عَينَ القِطْرِ) القطر: هو النحاس، وهو في الأصل معدن قاسٍ يحتاج إلى إخراج بالمعاول، ثم صهر بالنار.
فأَسَالَ الله لنبيه سليمان النحاسَ، وأجراه له عينًا تسيل نحاسًا مذابًا كأنها ماء، سبحان الله!
* ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرا﴾ [الكهف: ٩٦].
(قِطْرًا) أي: أفرغ عليه القطر -وهو النحاس المذاب- ليشتبك النحاس مع قطع الحديد؛ فيكون أكثر قوةً وتماسكًا.
* ﴿سَرَابِيلُهُم مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠)﴾ [إبراهيم: ٥٠].
(قَطِرَان) اختلف أهل العلم في ماهية القطران؛ فقيل:
- هو مادة مذابة شديدة الحرارة، قد تكون مشابهة للقطران الأسود المعروف اليوم، وحتمًا فإنّ التشابه يكون في الأسماء وتقريب المعاني؛ فما في الآخرة ليس هو ذاته الذي في الدنيا!
- وقيل: (قَطْرٍ آنٍ) أي: نحاس مذاب بالغ الحرارة.
- وقيل غير ذلك، والله أعلم بمراده.

[القلائد]

قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].
(القلائد): جمع قلادة؛ وهي ما يوضع في العنق من حليّ ونحوه. وهي في الآية قلادة توضع في عنق الدابة لتميّزها عن غيرها.
(الهَدْي): مشتق من الهديّة؛ وهي ما يُهدى للبيت الحرام من بهيمة الأنعام -سواء كان في موسم الحج، أو غيره- ليُذبح تقرّبًا إلى الله تعالى.
فالهدي ثلاثة أنواع باعتبار علامته وتمييزه:
١ - هدي مُقلّد؛ أي: معلّم بقلادة توضع في عنق الإبل والبقر، تصنع من لِحَاء الشجر أو غيره ليُعلم أنها هدي؛ أي: هدية للحرم فلا يتعرّض لها أحد تعظيمًا لبيت الله.
وتقليد الهدي كان متّبعًا في الجاهلية وأقره الإسلام؛ فحكمه سنة لمن احتاج إليه.
٢ - هدي مُشعَر: وهي طريقة أخرى في وضع علامة على الهدي من الأنعام، وهو إشعارها؛ أي: جرح سَنَام الإبل أو ظهر البقرة ليسيل الدم قليلًا حول الجرح؛ ليكون بذلك علامة على أنها مخصصة للهدي، فلا تُمس بسوء ولا يُتعرض لها.

٣ - هدي غير مقلد ولا مُشعر: وهو ما يسوقه المحرم معه ويذبحه في الحرم؛ فلا يقلده لأنه لا يخشى ضياعه فهو معه.
والهدي نوعان باعتبار الزمان:
١ - هدي التطوع: وهو في أي وقت، وهو سنة منسية عن النبي ﷺ، يجوز أن يرسله لمكة أو يسوقه معه إذا اعتمر أو إذا حجّ؛ زيادة عن الواجب.
٢ - هدي واجب للحجاج، وهو أربعة:
- هدي التمتع أو القِرَان.
- هدي كفّارة: للفدية عن فعل محظور.
- هدي النذر: وهو ما ينذره الحاج تقربًا لله.
- هدي الإحصار: عند منع إتمام العمرة أو الحج لأي سبب؛ سواء من عدو، أو مرض أو غيره .. وهذا الهدي يُذبح خارج الحرم.
والمعنى الإجمالي للآية الأولى: جعل الله هذه الأربعة: (البيت الحرام وهو الكعبة)، (والشهر الحرام؛ ويُراد به: الأشهر الحرم بما فيها شهر الحج)، (والهَدْيَ، والقلائد) صلاحًا ومعاشًا للناس تقوم بها حياتهم ومصالحهم.
فجعل الكعبة -وهي البيت الحرام- مكان أمن يقصده الناس يتم به إسلامهم وتُحط فيه أوزارهم، وأمّنهم كذلك في الأشهر الحرم من الاعتداء، وشرع الهَدْي والقلائد للانتفاع بطعامها، وينال بها أصحابها عظيم الثواب .. وفي هذا الموضوع تفصيل عند أهل الفقه!

قمطريرًا

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرا﴾ [الإنسان: ١٠].
(قَمْطَرِيرًا) القمطرير: هو اليوم العصيب طويل البلاء والشدة. وأصل الكلمة من الالتفاف والتجمع والانقباض؛ تقول العرب: (اقْمَطَرَّت الناقة) إذا رفعت ذيلها وجمعت بدنها. و (اقْمَطَرَّ اليوم) إذا كان كريهًا شديد الصعوبة. فاليوم القمطرير: يوم القيامة تتقطب فيه جباه المقصرين، ويجتمع فيه الفزع والرعب، والأمم فيه تجثو على الركب من شدة الهول.

[قوارير]

قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤].
(قَوَارِيرَ) أي: زجاجًا.
قال سليمان لبلقيس ملكة سبأ: ادخلي ساحة القصر، وكان مُمَرّدًا -أي: أن بلاطه من الزجاج الشفاف يجري تحته الماء- فلم تر بلقيس الزجاج لشفافيته ظانة أنها ستخوض ماءً؛ فشمرت ثيابها.
* ومنها: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥)﴾ [الإنسان: ١٥].
* ﴿قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦)﴾ [الإنسان: ١٦].
(قَوَارِيرَا): القوارير: الزجاج الشفاف، لكن الآية الثانية وصفت تلك القوارير بأنها من فضة، ولكنها شفافة في صفاء الزجاج يُرى لون الشراب الذي بداخلها، وهذا مما ليس له مثيل في الدنيا.
(قدّروها) أي: مقدرة من قِبل الخدم الطائفين.
(تقديرًا) على قدر رِيّ الشاربين؛ للتنعّم بألذ الشراب من غير زيادة تُرمى وتُسكب، ولا نقص يُشتهى أن يضاف إليه فيُشرب.

[قوامون]
قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].
(قَوَّامُونَ) لهم القوامة.
- والقِوامة: المسؤولية والرعاية، والقيام بشؤون النساء والأسرة.
- والقِوامة ولاية؛ ففيها إلزام الزوجة وأفراد الأسرة بحقوق الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعليهم جميعا الطاعة.
والمعنى: يخبر الله عن أدوار ووظائف الأزواج والزوجات التي ينبغي أن تكون لتنجح الحياة الزوجية، وتسير على النهج الرباني السليم:
فالرجال لهم القِوامة والولاية على النساء؛ بناء على ما اختص الله به جنس الرجل وأهّله بصفات القوة والحكمة والقدرة على إدارة دفة الحياة.
فالقِوامة تكليف ووقوف على أحوال الأسرة بما فضَّل الله الرجل، وبما خصّه من صفات الرجولة؛ لأنه تكليف يستدعي الحزم والقوة والحكمة.
(حَافِظَاتٌ للغَيبِ) أي: تحفظ زوجها في غيبته.
(بِمَا حَفِظَ اللَّهُ): بسبب حفظ الله لهن وتوفيقه.
والمعنى: يخبر الله تعالى عن وظيفة الزوجة المؤمنة؛ فوصف الزوجات بأنهن قانتات -أي: طائعات - وحافظات لأزواجهن في غيبتهم، فتحفظه في نفسها وفي ماله وبيته والأبناء، وذلك (بِمَا حَفِظَ اللَّهُ): فهو منَّة من الله على المؤمنات وليس من عند أنفسهن؛ فالنفس أمارة بالسوء، فالحفاظ على الطاعة والاستقامة من الله تعالى.
[قوموا]
قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].
(قُومُوا): تشمل المعاني التالية:
١ - قوموا وقوفًا على القدمين في كل الصلوات إلا لعذر؛ ومن هنا يستدل الفقهاء على ركنية القيام في الصلاة.
٢ - وقوموا؛ أي: امتثلوا لأمر الله وأطيعوه.
٣ - وقوموا لله؛ أي: لأجله وحده مخلصين له لا شريك له.
(قَانِتِينَ) القنوت يطلق لعدة معانٍ، وهو في الآية يعني: ساكنين خاشعين.
وقد نزل قوله تعالى: (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) توجيهًا للصحابة؛ فقد كانوا يتكلمون في الصلاة: فعن زَيْدِ بْنِ أَرْقَم قال: «إِنْ كُنَّا لَنَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يُكَلِّمُ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ بِحَاجَتِهِ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ» صحيح البخاري (١٢٠٠).
أما (الصلاة الوسطى) فقد وردت فيها أقوال كثيرة، والراجح: أنها صلاة العصر؛ لقول النبي ﷺ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ: «مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا؛ شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ» صحيح البخاري (٢٩٣١).
فائدة:
قوله تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ...) حافظوا: تدل على العموم؛ فلم يحدد المحافظة على خشوعها، أم على أركانها، أم على ماذا؛ مما يدلُ على أن معنى الآية الكريمة: حافظوا على كل ما

يقيمها صحيحة تامة؛ فحافظوا على أوقاتها، وعلى وضوئها، وعلى أركانها وواجباتها، وعلى القيام والخشوع فيها، وعلى أدائها جماعة للرجال.
ولمزيد الفائدة انظر: تفسير ابن عثيمين للآية.

قيّضنا

قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥].
(قيضنا) أي: هيّأنا وأتَحْنَا وسَلّطنا.
والمعنى: ذكر اللهُ في الآية الجاحدين للحق أنهم كلما أوغلوا في الجحود والمعاصي قيض الله لهم الشياطين وسلَّطَها عليهم، وتركهم فريسة لها، وأتاحها لهم تغريهم بالخطايا، وتزخرف لهم المعصية من حيث لا يشعرون، فتحثهم على المزيد؛ جزاء غفلتهم عن الله والدار الآخرة.
* ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].
(نُقَيِّضْ) أي: نتيح له التسلط عليه، ونتركه فريسة له.

[قيعة]

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].
(بِقِيعَةٍ): جمع قاع؛ أي: في قاع من الأرض، وأرضٍ مستوية؛ لأن الأرض المستوية يظهر فيها السراب في ضوء الشمس.
وهو مَثلٌ ضربه الله تعالى في بيان بطلان أعمال الكفار؛ فقلوبهم كالأراضي الجدباء غير الصالحة للزرع، فلا يثمر فيها الخير ولا يزكو فيها العمل.
وأعمالهم كذلك يوم القيامة؛ حينما يكونون في أشد الحاجة إليها كحاجة الظمآن للماء، يجدونها لا شيء؛ كالسراب في تلك القيعان.
وقال ابن القيم في التفسير المنسوب إليه: «إذا حُشِرَ النّاسُ واشْتَدَّ بِهِمُ العَطَشُ بَدَتْ لَهم أعمالهم -يعني: الكفار- كالسَّرابِ، فَيَحْسَبُونَهُ ماءً، وإذا أتَوْهُ وجَدُوا اللَّهَ عِنْدَهُ، فَأخَذَتْهم زَبانِيَةُ العَذابِ فعتلوهم إلى نارِ الجَحِيمِ ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، انظر: بدائع التفسير (٢/ ٢٤٤) بتصرف يسير.
* ومثلها في أصل المعنى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦ - ١٠٧].
(قَاعًا) أي: أرضًا منبسطة مستوية.
(أَمْتًا) الأمت: الارتفاع؛ أي: لا ترى انخفاضًا فيها ولا ارتفاعًا.
وهو يوم القيامة؛ حيث تسوَّى الأرض ليس فيها منخفض ولا مرتفع، ولا مَعْلَمٌ لأحد.
فائدة:
ورد في الحديث الشريف: «رأيتُ إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمّتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قِيعان وغراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله» صحيح الجامع (٣٤٦٠).
(قِيعَانٌ): جمع قاع؛ وهي: الأرض المستوية الخالية من الشجر.

وأرض الجنة قيعان طيبة مباركة يُثمر فيها العمل ويزكو ويكثر، فيزرع فيها المؤمن بأعماله ويبني أمثال البساتين والحدائق والمُدن؛ فقصورها وأشجارها وغراسها وجميع نعيمها يحصل بالعمل - بفضل الله وكرمه وزيادته- فغراسها هذه الأذكار الواردة والتسبيح؛ وذلك مما يجعل المسلم يحرص ويُكثر.

قِيلِهِ

قال تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨ - ٨٩].

(وَقِيلِهِ) فيها تأويلات كثيرة، وأكثر المفسرين على قولين محتملين:

١ - أن الواو للاستئناف؛ أي: وقال النبي قوله. أي: قال محمد ﷺ قوله شاكيًا إلى ربه من عَدَمَ إيمانِ قَوْمِهِ قائلًا: (إِنَّ هَؤُلَاءِ قَومٌ لا يُؤمِنُونَ) كما جاءَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورا﴾ [الفرقان: ٣٠] ففيها التجاء إلى اللَّهِ، وتفويض أمره إليه؛ ليقضي فيهم بحُكمه.

٢ - أن الواو للعطف على (وعنده علم الساعة) أي: وعنده علم ما قاله محمد وشكواه لربه كذلك.

فائدة:

في مدّ الهاء في (وَقِيلِهِ) مع اقتران النداء بالياء حيث لم يقل: (ربّ) مباشرة، كأنها مصحوبة بزفرة طويلة تُشعر بمدى الهمّ والحزن الذي يحمله النبي ﷺ من إعراض الكفار وصدودهم.

ثم يوجّه الله تعالى نبيّه لما ينبغي فعله معهم بقوله: (فاصفَح عَنهُم وَقُلْ سلام فَسَوفَ يَعلَمُونَ).

(الصفح) هنا معناه: عدم مقابلة إيذائهم بمثله، إلى أن يأتيه الأمر بقتالهم. و (السلام) سلام مُتَارَكَةٍ وهجر، لا سلام تحية؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاما﴾ [الفرقان: ٦٣].

ثم طمأن الله نبيه الكريم بأن الحق سيظهر ويعلو.

(فسوف يعلمون) يعلمون أنه على حق، وأنهم على باطل، ويعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم.

القَيّمة

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

(الْقَيِّمَة) لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - أنها وصفٌ للدين؛ فهو دين الاستقامة لأنه:

- قام بالقسط والحق.
- قام على الصراط المستقيم.
- قام بمصالح العباد.
- قام عليه أمر الدنيا والآخرة.

٢ - أنها وصفٌ للقائمين به؛ فهم القائمون بالعدل والحق، كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ [المائدة: ٨].

فالمعنى يجمع بين:

- دين الأمة القيِّمة بالعدل والاستقامة.

- ودين الملة القيِّمة المعتدلة.

[حرف الكاف]

[كاشفة]

قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٧ - ٥٨].
(كَاشِفَةٌ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - مانعة؛ أي: لا أحد يمنعها أو يوقفها، أو يكشف ضررها إذا غشيت الأرض بأهوالها إذا شاء الله وقوعها.
وذلك مثل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢] فالكشف هنا بمعنى: الإزالة ومنع الضرر.
٢ - أي: علامة تبيّنها؛ فهي مستترة إذا جاءت وقعت فجأة، فليس لها علامة تكشفها؛ كما قال تعالى:
﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] فالكشف هنا بمعنى: البيان والظهور.

[كبد]

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].
لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - الكبَد: الشدة واعتدال القامة؛ تقول العرب: (تكبَّد اللبن) إذا غلُظ. و (تكبدت الشمسُ السماءَ) إذا توسطتها.
فالمعنى: خلقه في قوة وشدة واعتدال قامة؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وهذا المعنى يوافق سياق الآيات التي تليها: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٥]؛ حتى لا يأخذه الغرور بقوته وشدته.
٢ - الكبَد؛ أي: في مشقة ومكابدة لأمور الدنيا وسبل العيش ومجاهدة النفس لطلب الآخرة؛ فها هو النبي يتكبد مشاق الدعوة، ويلاقي من قريش وغيرها ما يلاقي؛ كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].
وكذلك يوافق سياق الآيات: فبداية القَسَم بمكة وحلول نبي الله فيها، والقَسَم بكل والد ومولود؛ وهو نوع من المكابدة للخروج إلى الدنيا.
ثم قال: (لَقَدْ خَلَقنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ) وكأن فيها مواساة للمكابدة التي يلاقيها النبي ﷺ بسبب صدود الناس، ومنهم ذلك المعتدّ بقوته، ويحسب أن لن يقدر عليه أحد. ثم يستطرد في المكابدة لاقتحام العقبة؛ فإما إلى جنة وإما إلى نار.
ولا تعارض مِنْ جمع المعنيين؛ فقد خلق الله الإنسان في شدة وقوة وحُسن قامة، وخلقه في شدة يكابدها على مدى حياته في الأرض، أيّد ذلك ابن عثيمين والسعدي وغيرهم.

[الكبر]

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٥ - ٣٦].
(الْكُبَرِ) الكبر: جمع كُبرى؛ أي: إحدى العظائم الكبرى.
والمعنى راجع إلى قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر: ٢٦ - ٢٧] فالنار التي يكذبون بها إحدى العظائم، وداهية تفوق الدواهي في العظم؛ وهو إنذار من الله تعالى لتتخذوا الأسباب الواقية من عذابها.
فائدة:

- كُبَر: جمع كُبرى.
- صُغَر: جمع صُغرى.
- طُوَل: جمع طولى.

[الكتاب (١)]

وردت مفردة (الكتاب) بمعانٍ شتى بحسب السياق:

- فجاءت بمعنى: الكتب المنزلة؛ ومرة تكون بمعنى: التوراة، أو الكتب السابقة، أو القرآن، أو بمعنى: اللوح المحفوظ، أو ديوان الأعمال بيد الحفظة، أو حكم الله وقضائه، أو الكتابة أو المكاتبة:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦].

(الْكِتَابِ) أي: اذكر لقومك في هذا القرآن الكريم قصة مريم.

* ومثلها قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

* ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيّا﴾ [مريم: ٥١].

* ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيّا﴾ [مريم: ٥٤].

* ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيّا﴾ [مريم: ٥٦].

- ويأتي الكتاب بمعنى (التوراة) في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرا﴾ [الإسراء: ٤].

* وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

(الْكِتَابِ) أي: في اللوح المحفوظ.

* ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورا﴾ [الأحزاب: ٦].

(كِتَابِ اللَّهِ) أي: في حُكمِه وشَرعِه.

(الْكِتَابِ) أي: في اللوح المحفوظ.

* ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)﴾ [ق: ٤].

(كِتَابٌ حَفِيظٌ): هو اللوح المحفوظ؛ فهو كتاب محفوظ من التغيير والتبديل، وهو كتاب حفيظ لكل شيء مما قدر الله وقضى إلى قيام الساعة.

* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦)﴾ [الروم: ٥٦].

(في كتاب الله): في حكم الله وقضائه الذي قدره في اللوح المحفوظ.

* ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤)﴾ [الحجر: ٤].

(كتاب معلوم): أجل محدد مقدر لا يتقدم ولا يتأخر.

* ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِايءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩)﴾ [الزمر: ٦٩].

(ووُضع الكتاب): كتاب الأعمال للعباد بما فيه من حسنات وسيئات.

* ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢)﴾ [المؤمنون: ٦٢].

(كتاب ينطق بالحق): كتاب الأعمال بيد الحفظة شاهد عليهم، وقيل: اللوح المحفوظ.
ومثلها:
* ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)﴾ [الجاثية: ٢٩].
(كتابنا): كتاب الأعمال؛ وهو ديوان الحفظة الذي سجلت فيه جميع أفعال العباد من خير وشر؛ شاهد عليهم.
* ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١)﴾ [النمل: ١].
(كتاب مبين): وصف للقرآن الكريم؛ لأنه مقروء بالألسن ومكتوب في اللوح المحفوظ، ولما سيؤول إليه من الكتابة في المصاحف أيضًا.
* ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾ [الشورى: ٥٢].
(الكتاب): القرآن الكريم. وانظر لشرح الآية: باب الجمل (سورة الشورى، آية: ٥٢).
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران: ١٦٤].
(الكتاب): القرآن الكريم.
(والحكمة) تشمل: السنة التفصيلية والتشريع، والصواب بوضع الأمور في نصابها.
* ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧].
(نَصيبهم من الكتاب): مما قُدّر لهم في الدنيا. وانظر مفردة: (نَصيبهم) في حرف النون.
* ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)﴾ [الرعد: ٣٨].
(لكل أجل كتاب): لكل وقت قدره المحدد له، وقضاؤه المكتوب فيه؛ لا يتقدم ولا يتأخر.
* ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩].
(كتاب مكنون): القرآن الكريم؛ مستور محفوظ في اللوح المحفوظ، وقيل: في صحف مع الكرام البررة؛ كما جاء في سورة عبس. وانظر: مفردة (مكنون).
* ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣].
(الكتاب): مكاتبة العبد والأمة على قدر من المال لطلب الحرية:
* ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨)﴾ [آل عمران: ٤٨] هذه الآية اقترن فيها الكتاب بالتوراة والإنجيل فانظر المعنى في (الكتاب ٣) ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

[الكتاب (٢)]

* قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧].
* ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣].
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

(الكِتَابَ) يتساءل البعض: لماذا عبّر الله تعالى عن الرسالات التي أُنْزلت على الأنبياء بالكتب، وكثيرًا ما عبّر عن القرآن الكريم بالكتاب مع أنه نزل وحيًا على قلب نبيه ﷺ، ولم ينزل كتابًا مكتوبا؟

الجواب:

الكتاب مصدر من (كتَب) وأصل معنى الكتْب: هو الضمّ والجمع؛ فكل نظم للحروف بعضها لبعض ولو لم يكن مكتوبًا على ورق يسمى كتابًا.

ويقال للشيء إذا اجتمعت أجزاؤه لهدف معين: (كتابًا)، ومنه يقال للجُند: (كتيبة)؛ لاجتماعها على هدف معين.

ويقال لمكان تَجمّع الصِّبْية للتعليم: (الكتاتيب)، ومنه يقال لتجمّع الشركات والمساهمين: (اكتتاب). وجمع الكلام وتقييده في سجل يسمى: (كتابة).

فسميت جميع الرسالات المنزلة -ومنها القرآن- كتبًا -والله أعلم بمراده -:

١ - لأنه كلام ورسالة منظومة مجموعة، وإن لم تنزل مكتوبة بين يدي الناس.

٢ - لأنه مكتوب حقيقة عند الله في اللوح المحفوظ.

٣ - لأنه جمع فيه الأخبار والأحكام والشرائع؛ كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

٤ - ولما سيؤول إليه من الكتابة في المصاحف بين أيدي الناس.

[الكتاب (٣)]

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

(الكِتَابَ):

ما هو الكتاب المراد في الآية، خاصة أنه ذَكر بعدها التوراةَ والإنجيلَ؟

الكتاب المذكور يحتمل معنيين:

١ - الخط والكتابة، وعليه كثير من المفسرين.

٢ - أحكام الكتاب وتشريعاته.

٣ - جنس الكتاب، والمقصود به الرسالة؛ سواء كانت القرآن أو التوراة أو الإنجيل بحسب السياق

والحكمة: إصابة الحق والصواب في القول والعمل.

وذكرَ بعدَ الكتابِ التوراةَ والإنجيلَ: للتميز والتخصيص وللتعظيم والتشريف؛ كما في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)﴾ [البقرة: ٢٣٨].

فقد ذكر بعد الصلاة الصلاةَ الوسطى -وهي منها- تعظيمًا وبيانًا لمكانتها.

وهي صلاة العصر، وقيل: الفجر.

كِسفًا

قال تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧)﴾ [الشعراء: ١٨٧].

(كسَفًا) جمع كِسفة، وهي: القطعة؛ أي: أَنْزل علينا من السماء قطعًا من العذاب لتستأصلنا؛ تهكمًا واستهزاءً.

وقد تكررت بفتح السين وسكونها وكلها بنفس المعنى؛ كما في قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤)﴾ [الطور: ٤٤].
(كسْفًا) أي: قِطعًا.
والمعنى: يبين الله تعالى حال الكفار المعاندين أشد العناد؛ فلو أسقط الله عليهم من السماء قطعًا من العذاب لقالوا: هذا سحاب متراكم، ولمَا آمنوا كعادتهم.
[الكلالة]
قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦].
(الْكَلَالَة):
* ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ﴾ [النساء: ١٢].
(كَلَالَةً) أصل الكلالة فيه قولان:

١ - مشتقة من الإكليل الذي يحيط بالرأس؛ والمقصود هنا: الورثة الذين يحيطون به من الولد؛ سواء من أبناء، أو بنات.
والوالد سواء الأم أو الأب؛ لذا تقول العرب: (تكَلّله النسب) أي: أحاط به. فإن لم يوجد منهم أحد فهو: كلالة؛ أي: فقد إكليله.
٢ - أنها مشتقة من الكلل، وهو التعب والضعف؛ فالكلالة: هو من فقد الورثة الذين يتقوى بهم الشخص؛ ولذلك تقول العرب للشخص الأبتر الذي ليس له عقب: (رجلٌ كَلٌّ).
والكلالة: وصف لحالة الميت الذي ليس له ولد ولا والد، وقد يطلق وصف الكلالة على الورثة للميت الذي لا ولد له ولا والد؛ فيقال: (ورَثَتهُ كلالة) أي: ورَثَتهُ ليس فيهم ولد له ولا والد.
ولكنها في القرآن الكريم وردت وصفًا للميت.
[كلمات]
قال تعالى: ﴿قُل لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدا﴾ [الكهف: ١٠٩].
كلمات الله تعالى لا نهاية لها، والله تعالى في جميع الأوقات يحكم، ويتكلم، ويقول، ويفعل ما يريد.
وكلماته لعباده نوعان:
١ - كلمات كونية قدرية: وهي أحكامه وقدره وقضاؤه في خلقه، والكون كله داخل تحت هذه الكلمات، وهي الكلمات التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر، ولا أحد يستطيع تغييرها أو تبديلها.
ومن كلماته القدرية كلمة:
- الوعد بالنصر لرسله وأوليائه.
- وكلمة العذاب والشقاء على المكذبين.
- وكلمة الإمهال للعاصين.
٢ - كلمات دينية شرعية: وهي كتابه الكريم، وما أوحى به إلى أنبيائه وخاتمهم نبينا محمد .
وفي الآيات التالية فسّر العلماء الكلمات أنها اشتملت على النوعين: الكلمات القدرية، والشرعية؛ لأنها جاءت عامة.

* ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].
* ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٤].
(بِكَلِمَاته) بكلماته الشرعية المنزلة لإظهار الحق، والكونية التي لا تتغير ولا تتبدل.
* ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].
وهي كلمات الابتلاء التي امتحنه بها وهي كونية؛ كذبح ابنه. وشرعية؛ ككل عبادة أمره بها.
* ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].
(وَصَدَّقَت بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا) أي: كلماته الكونية ومنها خلق عيسى ، وكلماته الشرعية وكتبه المنزلة، والتصديق بها يقتضي العلم والعمل.
* ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧].
(يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) أي: يظهر الاسلام بكلماته الشرعية التي فيها أمرٌ لكم بالقتال ومحاربة العدو، وبكلماته الكونية التي تقتضي تحقيق الوعد بالنصر للمؤمنين.
* ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢] كلماته القدرية الكونية وآياته وبراهينه؛ فالآية جاءت في سياق سحرة فرعون. وكلماته الشرعية التي أنزلها على أنبيائه.
- أما في الآيات التالية ف (الكلمات) لها تفسيران كذلك: القرآن تحديدًا من الكلمات الشرعية، أو الكلمات الكونية القدرية.
* ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].
جاءت في سياق الحديث عن القرآن فلها تفسيران:
١ - أنه القُرْآنَ فهو الصّادِقُ في أخْبارِهِ، العادِلُ في أحْكامِه
٢ - أنها كلماته الكونية القدرية: المشتملة على أحكامه وقضائه، ولا رادّ لها ولا خُلْف لما أراد.
* ﴿فَئَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].
(وَكَلِمَاته) أي: كلماته الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وكلماته القدرية الكونية.
- وجاءت مفردة (الكلمات) بمعنى: الكلمات الشرعية:
* ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].
(كَلِمَات) كلمات شرعية؛ وهي كلمات التوبة ليتوب بها إلى الله، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].
* ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدا﴾ [الكهف: ٢٧].
(لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِه) كلمات شرعية؛ وهي القرآن وما فيه من أحكام ووعد ووعيد، لا محرّف ولا مغير فيه.
- وجاءت مفردة (الكلمات) بمعنى: الكلمات القدرية الكونية التي تتعلق بالقضاء والقدر:
* ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤].

(لَا تَبدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) أي: كلماته القدرية؛ بالوعد بالجنة، والبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لأهل الإيمان؛ لا خُلفَ لوعده ولا تبديل ولا تغيير لكلماته.
* ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].
(وَتَمَّت كلمة رَبِّكَ الحُسنَى) كلمات قدرية: وهي الوعد بالنصر لبني إسرائيل على فرعون؛ كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القص ٥].
- ومفردة (الكلمات) في الآيات التالية هي: كلمات الوعد بالنصر لرسله:
* ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١].
(كَلِمَتُنَا): الوعد بالنصر والتأييد؛ وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢]، وكما قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].
* ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].
(وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) كلمات الله: كلماته القدرية التي يكون بها النصر لأنبيائه.
- وتأتي مفردة (الكلمات) بمعنى: كلمته التي تقتضي إمهال العاصين وتأخير الجزاء إلى يوم القيامة، وعبّر عنها ب (كلمة سبقت)، (وكلمة الفصل):
* قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩].
(كَلِمَةٌ سَبَقَت) تكررت في القرآن خمس مرات، وكلها تفيد ذات المعنى:
﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠].
* ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩].
* ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فصلت: ٤٥].
* ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤].
* ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].
* ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١].
- وجاءت مفردة (الكلمات) وهي: كلماته التي تقتضي وجوب الشقاء الأخروي لأهل الكفر:
* ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣].
(حَقَّت كَلِمَة) أي: وجبت عليهم كلمة: (أنهم لا يؤمنون) فهي تقتضي الختم والطبع لتمردهم؛ فلن يدخل الإيمان إلى قلوبهم.
- وجاءت مفردة (الكلمة) وهي: (كن) التي خُلق بها عيسى ؛ فعيسى ليس هو الكلمة؛ لأن كلام الله من صفاته، ولكنه خُلق بها.
قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].
(مُصَدِّقًا بِكَلِمَة منَ اللَّهِ) هو عيسى، سمي كلمة الله: لأنه خلق بها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

* ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].
(وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَريَمَ) قَوْلُهُ: «كُنْ» فَكَانَ بَشَرًا مِنْ غَيْرِ أَب.
انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٣٢٢).

[كنتم]

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].
ما معنى (كنتم)؟ وهل زالت الخيرية عنكم؟
الجواب: أن ل (كان) في القرآن الكريم معان مختلفة:

١ - معنًى يفيد الماضي المنقطع؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٤٨]، أي: كانوا فيما مضى من الزمن.
٢ - بمعنى الاستقبال؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرا﴾ [الإنسان: ٧] أي: سيكون ... فهي تدل على أمر سيحدث في المستقبل.
٣ - بمعنى صار؛ كقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].
٤ - وتأتي للدلالة على الوصف مجردة من الزمن؛ وهي كل ما يتصل بصفات الله تعالى؛ كقوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرا﴾ [الفرقان: ٥٤]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، أي: أن الله متصف بكذا، وتحتمل كذلك معنى لم يزل على الدوام.
٥ - تدل على الحال، أو بمعنى: أنتم، أو ما زلتم؛ كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] (كنتم) هنا تعني: لا زلتم خير أمة.
وكذلك تأتي بمعنى: أنكم في علم الله خير أمة.
وقيل: أي: منذ آمنتم بالله؛ فالخيرية ملازمة لكم طالما أنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.
* وكذلك: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولا﴾ [الإسراء: ١١] أي: إنه ما يزال هكذا؛ فقد خلقه الله]. على هذه الصفة.
* ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينا﴾ [الإسراء: ٥٣] أي: ما يزال عدوَّ الإنسان منذ أمر بالسجود لآدم .

الكُنّس

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ - ١٦].
(الخنَّس): من الخنس؛ وهو التأخر في الظهور.
(الجوار): من الجري؛ وهي جمع: جارٍ.
(الكنَّس): جمع كانِس؛ وهي الوحوش أو الظباء التي تختفي في كِنَاسها.
والكِناس والمَكْنِسُ: هو بيت الوحش أو الظبي بين الأشجار.
وللمفسرين في الآية معنيان محتملان:
١ - أنها الكواكب والنجوم تتأخر في ظهورها، وتجري ثم تختفي في ضوء الشمس نهارًا، وتَكنِس في
أبراجها وأفلاكها.

٢ - أنها الظباء وبقر الوحش والوحوش بعامة، تجري ثم تختفي وتأوي إلى كِناسها وهو مأواها؛ تقول العرب: (دخل الظبي كِنَاسه) أي: أوى إلى مأواه الذي يختفي فيه بين الأشجار.
فائدة:
أما من فسّر (الجوار الكُنّس) من أصحاب الإعجاز العلمي بأنها: الثقوب السوداء التي توجد في السماء، أو المذنبات وهي تكنس السماء من جميع الغبار وبقايا النجوم المندثرة، فهي بعيدة عن المعنى وقد ناقشها أستاذ التفسير الأستاذ الدكتور/ مساعد الطيار في كتابه: (الإعجاز العلمي إلى أين؟) وهو مدرج في
المكتبة الشاملة لمن أراد الرجوع إليه والاستزادة.

[حرف اللام]
[لازب]
قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١].
(لازِبٍ) أي: لاصق؛ فالتراب إذا خلط بالماء لزب، وأصبح لَزِجًا متلاصقًا شديد التماسك والثبوت مع بعضه البعض.
وهذه مرحلة من مراحل خلق الإنسان:
* فالمرحلة الأولى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].
فبداية الخلق من تراب؛ قال النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض؛ فجاء بنو آدم على قدر الأرض: فجاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وبين ذلك. والخبيث والطيب، والسهل والحَزَن، وبين ذلك» صحيح الجامع (١٧٥٩).
* المرحلة الثانية -الآية التي سبق ذكرها-: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]
والطين: هو التراب المخلوط بالماء؛ فقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥].
* المرحلة الثالثة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].
(الحمأ المَسْنُون) الحمأ: الطين إذا تغير لونه للسواد. والمسنون: إذا تغيرت رائحته؛ كالماء الآسِن يَأْسَن من طول المكث -وهو الراجح - فإذا طال مُكْث الطين تغير لونه ورائحته.
* المرحلة الرابعة: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤].
(صَلْصَالٍ) إذا أصبح صلبًا ويبس وجفَّ يكون صلصالًا، قيل: وسمي (صَلصَالًا)؛ لأنه إذا نُقر عليه يُسمع له صوتُ صَلِيل كالفخار.
ثم خلق ذريته من سلالة من ماء مهين، ثم كانت بداية خلقه في رحم الأم من نطفة.
لِبَدًا
قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدا﴾ [الجن: ١٩].
(لِبَدًا) من اللبدة: وهي الكومة الملتصقة بعضها ببعض؛ أي: كادوا يتراكبون من كثرة التجمع عليه والتزاحم.
والمعنى: أنه لما قام النبي ﷺ يصلِّي، كاد الجنُّ لازدحامهم عليه يركب بعضهم بعضًا؛ حرصًا على سماع القرآن وما جاء به من الهُدى.
* ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد: ٦].
(لُبَدًا) من التلبُّد والاجتماع؛ أي: أتلفت مالًا كثيرًا، وأنفقته في الشهوات والملذات.

لجّوا

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١].
(لَجُّوا) اللجاج: هو المكابرة والعناد، والتمادي في الباطل ومجاوزة الحد فيه.
والمعنى: لو أمسك الذي يمدّكم بالرزق رزقه عنكم (وهو الله تعالى) فلم يطعمكم ويسقكم ويرزقكم؛ كيف يكون حالكم؟!
ثم يبيّن الله]. أنهم لن يخضعوا للحق، بل سيزدادون عنادًا وكفرًا ونفورًا، وهذه حال أهل الكفر والاستكبار: التمادي فيه حتى لو حرموا من الرزق؛ فقد عشعش الكفر والعناد في عقولهم، فلا يردعه رادع.
* ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥].
(لَلَجُّوا) أي: لتمادوا واستمروا في طغيانهم حائرين مترددين.
* ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ [النور: ٤٠].
(لُجِّيٍّ) أي: تمادت أمواجه، وارتفعت وتلاطمت.
* ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ [النمل: ٤٤]، (لجة) أي: حسبته ماءً له عمق؛ فكشفت عن ساقيها وحسرت ثيابها لخوضه، ولم تتفطن للزجاج الذي يغطيه.

[اللذان]

قال تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٦].
(واللذان يَأتِيَانِهَا) من هم المشار إليهما ب (اللذان)؟
فيها عدة أقوال، منها:
- القول الأول: في تفسير العثيمين : (اللَّذَانِ) يراد بهما اللائطان؛ الرجل يلوط بالرجل -والعياذ بالله- لأن الآية السابقة تحدثت عن النساء: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ١٥]، وفي هذه الآية قال: (واللذان يَأتِيَانِهَا مِنْكُمْ) أي: منكم أيها الرجال، ولم يقل: (من نسائكم) فدل على أن الفاحشة ذكورية: فعل قوم لوط عياذًا بالله!
بقي سؤال: لماذا عبَّر في حق النساء بالجمع (اللَّاتِي) وفي حق الذكور بالمثنى (اللَّذَان)؟
والجواب: لأن فُشُو الزنا في النساء أكثر من فشو اللواط في الذكور.
- القول الثاني -وهو قول أكثر المفسرين-: (واللَّذَان) أنهما الرجل والمرأة إذا ارتكبا الفاحشة.

[لظى]

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴾ [المعارج: ١٥].
(لَظَى) قيل: هو اسم لنار جهنم؛ وأصل كلمة لظى من (اللزوم)؛ تقول العرب: (ألَظَّ بكذا) أي: لزمه وألح فيه. و (رجل مِلْظَاظ) أي: ملحاح؛ ومن ذلك سميت النار (لظى): للزوم العذاب، ودوام الاشتعال.
* ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤].
(تَلَظَّى) أي: تشتعل وتتوهج؛ فهي دائمة الاشتعال لا تفتر، وملازمة للكَفَرة لا يخرجون منها، نسأل الله السلامة!
ومن ذلك ما جاء في الحديث الشريف: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» صحيح الجامع (١٢٥٠) أي: الزموا هذا الدعاء وألِحّوا به.

لُعن

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

(عَلَى لِسَانِ داوود وَعِيسَى) أي: بلسانهما وشهادة منهما وإقرار.

ولكن لماذا؟

(بِمَا عَصَوا وكانوا يعتدون): لتكرار العصيان منهم والعناد، واعتدائهم على حق الله تعالى:

- ففي عهد داود اعتدوا في يوم السبت الذي حرّم الله عليهم فيه الصيد؛ فلعنهم داود: فمسخهم الله قردة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

- وفي عهد عيسى كفروا بعد نزول المائدة عليهم؛ فلعنهم عيسى. وقيل: إن الله مسخهم خنازير بسبب ذلك، والله أعلم.

وقد ورد مسخهم خنازير في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

ولكن تعيين سبب المسخ غير معلوم؛ فقد يكون لكفرهم بعد نزول المائدة، أو لسبب آخر.

[لمسنا]

قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبا﴾ [الجن: ٨].

(لَمَسنَا) أي: أتيناها وطلبنا خبرها، كما جرت بذلك عادتنا قبل بعثة النبي ﷺ، فوجدناها محروسة حراسة شديدة.

فاللمس هنا بمعنى: معالجة الأمر وفحصه، وليس اللمس على الحقيقة.

أما معنى اللمس على الحقيقة: فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

(فَلَمَسُوهُ بِأَيدِيهِم) فقيد اللفظ بقوله: (بأيديهم)؛ لتأكيد المعنى أنه باليد، وليس مجرد استخبار واستعلام.

لوّاحة

قال تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩].

هذه الآية ذكرها الله في وصف جهنم أنها (لوَّاحة)، وهو لفظ مبالغة من (لوَّح)، وله معنيان، والأول أظهر:

١ - من اللفح والتلويح: لأنها تلفح مَنْ يدخلها بشدة لهبها وحرارتها؛ فتغيّر لونه وتحرقه.

٢ - أي: تَلُوح وتظهر لأنظارهم في أرض المحشر لعظمها من مسيرة خمسمائة عام، فهو كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات: ٣٦].

(للبشر) يجوز فيها كذلك معنيان:

١ - البشَر: جمع بشرة، وهو الجلد؛ فهي مسوِّدة للجلد فتجعله أسود محترقًا.

٢ - والبشر: هم الناس بأنفسهم؛ فتجعلهم محترقين بلا موت، نسأل الله السلامة والعافية!

لِواذًا

قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

(لِوَاذًا) يتسللون لِوَاذًا: (اللواذ) هو الاستتار.

والمعنى: ينصرفون من المجلس خِفْية مستترين خلف بعضهم، أو بشيء يحجبهم لئلا يراهم أحد عند انصرافهم، وهؤلاء هم المنافقون: إذا حضروا مجلس رسول الله ﷺ تسللوا بالخروج خِفْية؛ لئلا يراهم أحد.

فائدة:

قوله تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا) أي: لا تنادوه كما تفعلون مع بعضكم بالاسم المجرد: يا محمد، بل وقروه وشرفوه بقولكم: يا رسول الله، أو: يا نبي الله.

[حرف الميم]

مأتيّا

قال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم: ٦١].

(مَأْتِيًّا) لم يقل: «آتيا» بل قال: «مَأْتِيًّا» وفيها مزيد توكيد وزيادة معنى من وجوه:

١ - أن الوعد مأتيٌّ، أي: محقَّق الإتيان وحاصل لا محالة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

٢ - أن الجنة -وهي وعده المراد في الآية- مأتيّة، أي: مذلّلة الإتيان، فسيُؤتى بها وتقترب يوم القيامة فيراها المتقون فيستبشرون بها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]، وقوله].: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣]، أي: قُرِّبت وأُدنيت.

٣ - أنها مأتيٌّ إليها: فسوف تأتون إليها وتدخلونها يا أولياء الله.

٤ - أنها ميسّرة الإتيان لمن أراد أن يأتيها؛ وذلك بتيسير أسبابها وارتقاء درجاتها لأوليائه الصالحين.

[مبصرة]

قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

(مبصرة) من الوضوح والنور، وأصل المعنى من البصر؛ أي: ليراها الناس ويبصروها.

والمعنى: أعطينا قوم صالح الناقة آية واضحة بينة لا لبس فيها.

*﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [النمل: ١٣] أي: بينة واضحة.

* ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] أي: منيرة مضيئة للناس ليسعوا في مصالحهم.

[متاع]

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: ٢٩].

(متاع) المتاع هنا لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - متاع: من المتعة والمنفعة؛ أي: لكم حق دخولها للمتعة، والمنفعة بنزولها أو قضاء حاجة.

٢ - متاع: من الأمتعة؛ أي: لكم فيها أمتعة وهي غير مسكونة كبيوت مهجورة، أو يؤجرها التجار.

وقد كانوا إذا وقفوا أثناء تنقلاتهم ببيوت خربة غير مسكونة، يضعون بعض رحالهم ليعودوا إليها، فقد أباح الله تعالى رفع الاستئذان في دخول الأماكن العامة التي أعدت سبيلًا للناس؛ لأن الاستئذان إنما هو لخوف كشف العورات، والاستئذان في ممتلكات الغير لحفظ الحقوق والخصوصيات.

متحرّفًا

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)﴾ [الأنفال: ١٦].

(متحرِّفًا) من الانحراف؛ وهو الميل من جهة لأخرى.

والمعنى: إلا أن يكون فراره من الأعداء خدعةً يريد به الانحراف والميل إلى جهة أخرى، وليس انحراف الهزيمة والتراجع.

(متحيِّزًا) الانحياز: هو كمَنْ رأى نفسه منفردًا وحده فانْضم إلى جماعة من المسلمين؛ ليتقوّى بهم أو يعينهم، وليس بهدف التخلّي عن مكانه أو الفرار.

مَتْرَبة

قال تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦].

(ذَا مَتْرَبَةٍ) تقول العرب للرجل إذا افتقر: (تَرِبَ الرّجُل).

و (مسكينًا ذا مَتْرَبَةٍ) أي: مسكينًا شديد الحاجة والفقر.

وأصل وصف المسكين بالمتربة؛ لأنه ينطرح على التراب لشدة الحاجة، أو ليس له مأوى إلا التراب.

ومن ذلك ما ورد في الحديث الشريف: «فاظفر بذات الدِّين تَرِبَتْ يداك». صحيح البخاري (٥٠٩٠).

أصل معناه: امتلأت يدك ترابًا من الفقر والحاجة. وهو قول دارج لا يقصد به الدعاء على الشخص بالفقر، ولكن يقصد به الخسارة.

والمعنى: اظفر بذات الدين فتركها خسارة.

وذلك كقول: (ثَكِلَتْك أمُّك) فإنه لا يقصد منه الدعاء بالفقد، ولكنها أقوال دارجة قديمًا تشير إلى أهمية ما يدعو إليه.

فوائد:

- (تَرِبَ الرّجُل) أي: افتقر فليس له إلا التراب.
- (أترب الرجل) أي: اغتنى وكثر ماله حتى صار كعدد التراب.
- (وتَرِبَ الرّجل بعدما أَتْرَب) أي: افتقر بعد الغنى.

[المتوسمين]

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

(لِلْمُتَوَسِّمِينَ) أي: للمعتبرين الناظرين؛ فالتوسم من: العقل والفطنة، والفراسة وحِدّة الفكر، والتأمل المؤدي إلى الاعتبار وأخذ العظة؛ فالتوسم: هو معرفة الشيء بِوَسْمِه؛ أي: بآثاره.

فالمسلم مطالب أن يتفكر وينظر في آثار الشيء وعواقب الأمور، فيأخذ منه المواعظ والدروس.

[متوفيك]

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

(متوفيك) لها عدة معان:

١ - من استيفاء الشيء؛ يعني: مستوفٍ مدة إقامتك بين قومك.

٢ - أي: مستلمك وقابضك حيًّا بروحك وجسمك.

٣ - أي: رافعك وافيًا سليمًا لم ينالوا منك.

٤ - أي: متوفيك وفاة النوم.

وكلها لا تتعارض، أما متوفيك الوفاة الحقيقية فليس هو المقصود.

(مطهرك) أي: مخرجك من بين رجس الكفار.

[مثابة]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنا﴾ [البقرة: ١٢٥].

(مَثَابة) تقول العرب: (ثاب إلى رشده) أي: رجع إلى عقله.

ومعنى (مثابة) أي: مرجعًا يثوبون إليه، ومنه: (تثويب المؤذن) أي: ترديده وتكراره لجملة معينة.

ومعنى قوله: (مثابة للناس وأمنًا) أي: مرجعًا للناس يتردّدون إليه ويتحصلون على منافعهم، ومَعَاذًا يأمنون فيه وتسكن إليه أرواحهم، يأتونه كل عام ويرجعون إليه مرة بعد مرة، ويشتاقون للعودة في كل مرة.

وقيل: مثابة كذلك تدل على كثرة الثواب والأجر فيه.

فائدة:

في كلمة (مثابة) دلالة تكرار وكثرة؛ أي: هذا المكان جُعِلَ للإثابة؛ فيدل على:

- كثرة مَنْ يثوب إليه للعبادة.
- وكثرة مَنْ يأتيه مِنْ أقطار الدنيا.
- وكثرة المثابة إليه مرة بعد مرة.
- وكثرة الثواب فيه ومضاعفات الأجور.
- وكثرة الاجتماع فيه لمنافع شتَّى.
- وفي كلمة (أمنًا) مدلول واسع أيضًا، انظر: حرف الألف (أمنًا).

مثبورًا

قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

(مَثْبُورًا) الثبور: هو الهلاك.

والهلاك هنا: هو لعنة الله التي ستلحق فرعون؛ فيُحرَم الخير كله.

* ومثلها في أصل المعنى كلمة: (ثبور) في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورا﴾ [الانشقاق: ١١].

(ثُبُورًا) أي: يدعو على نفسه بالهلاك كعادتهم عند المصائب فيقولون: (واويْلاه)، (واثبوراه) من شدة الهم والغم والألم، نسأل الله السلامة!

* وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرا﴾ [الفرقان: ١٣ - ١٤].

(ثُبُورًا كَثِيرًا) أي: أن أهل النار إذا أُلْقُوا فيها يدعون بالثُّبور والعياذ بالله؛ كما قال تعالى: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورا﴾، فيقولون: واهلاكنا، واثُبورنا ... وما أشبه ذلك.

فيقال لهم: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرا﴾، على سبيل التوبيخ؛ لأن العادة أن الرجل إذا دعا بالثُّبور في الدنيا قد يُرحَم، ولكنهم هناك لا يُرْحَمون.
فيقال لهم: إنّ دعواكم بالثُّبور لا تفيدكم ولا أحد سيرحمكم، فادعوا ثبورًا كثيرًا؛ فالعذاب سيستمر، فيجتمع عليهم العذاب النفسي والعذاب البدني، نسأل الله العافية!

المَثُلات

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ [الرعد: ٦].
(الْمَثُلَات) أي: العقوبات، ومفردها: مَثُلَة؛ يقال: (أمثل السلطان فلانًا) أي: قتله عقوبة.
والمعنى: ويستعجلونك -أي: كفار قريش- بالسيئة قبل الحسنة؛ أي: يستعجلونك بطلب العذاب والعقوبة قبل العافية والرخاء.
فالسيئة هنا تعني العذاب؛ فهم يستهزؤون ويطلبون تعجيل العذاب (وقد خلت من قبلهم الْمَثُلَات) أي: وقد سبقت من قبلهم العقوبات للمكذبين مثلهم بما فيه العظة والعبرة.

المِحال

قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].
(شَدِيدُ الْمِحَالِ) لها معان كلها صحيحة لا تتعارض:
١ - المحال: من الحول.
أي: وهو شديد الحول والقوة والقدرة؛ فلا حول لأحدٍ إلا بحوله تعالى وقوته.
٢ - من المَحْل: وهو الأخذ والشدة.
أي: شديد الأخذ والعقوبة للظالمين، لا يستعصي عليه شيء سبحانه، ولا يفوته هارب.
٣ - من المماحلة والمكايدة، والحيلة والتدبير.
أي: شديد المكر بمن يمكر، والكيد بمن يكيد.

المُحْتَظِر

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١].
(هشيم) الهشيم: يابس الشجر والحطب.
(المحتظر): صاحب الحظيرة التي يربي فيها الماشية.
والمعنى: بعد أن أهلك الله قوم ثمود بالصيحة أصبحوا كالهشيم المتفتت الذي يجمعه صاحب الحظيرة ويستخدمه في حظيرته أو علف ماشيته ... نسأل الله السلامة!

[المحراب]

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقا﴾ [آل عمران: ٣٧].
(المحراب) في اللغة يطلق على عدد من الأماكن:
- المحراب: مكان مخصص لإمام المسجد يتقدم فيه الناس للصلاة، وهو المعروف.
- والمحراب: حُجرة في المعبد أو المسجد مخصصة للخَلوة والعبادة، وهي المقصودة في آية مريم هذه، ومثلها قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّا﴾ [مريم: ١١] أي: من مُصلّاه، أو مكان خلوته للعبادة.
- والمحراب: كل بناء مشرف ومرتفع.
- وكذلك: صدر البيت، وأكرم موضع فيه يسمى: المحراب.
﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

يحتمل المعنى في الآية جميع المساجد والأبنية المرتفعة؛ كالقصور والمساكن والأبراج.
محرّرًا
قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].
(مُحَرَّرًا) أي: خالصًا من أي قيد من أعمال الدنيا، متفرغًا للعبادة ولخدمة بيت المقدس، لا يُسخَّر لشيء سوى ذلك، والمقصود بها: مريم الصديقة .
[محصنين]
قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].
(مُحصِنِينَ) من الإحصان، والإحصان يحصل للرجل وللمرأة بالزواج.
(غَيْرَ مُسَافِحِينَ) من السِّفاح: وهو الزنا؛ أي: غير مرتكبين لفاحشة الزنا.
(وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) من الخِدن، وهو: الصّاحب والصّاحبة.
أي: غير منفردين بصاحبات في الخفاء يعاشرونهن بالزنا.
والمعنى الإجمالي: اليوم: هو يوم اكتمال الدِّين وإتمام الشريعة وبيان الحلال والحرام، وهو يوم نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾ [المائدة: ٣].
فبين الله تعالى الطيبات التي أحلها لهم، ومنها: ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى دون باقي الكفار.
ومما أحلّ لهم كذلك: المحصَنات، وهنّ: الحرائر العفيفات من المسلمات. وأيضًا الحرائر العفيفات من اليهود والنصارى، وشرط هذا الزواج بالمسلمات الحرائر والكتابيات هو: إيتاؤهن مهورهن. طالبين بزواجكم بهن الإحصان والعفة لكم ولهن من كل أشكال الزنا: العلني منها، أو اتخاذ الخليلات بالسر.
فزواج الكتابيات قد يُغري البعض ويؤدي إلى الانحراف وتجاوز الحدود؛ لذلك قال تعالى معقبًا بعدها ومحذِّرًا: (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله).
* ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [النساء: ٢٤].
(محصِنِينَ غَيرَ مُسَافِحِينَ) تبين هذه الآية الكريمة -مع ما قبلها- المحرَّمات من النساء، ومنهن النساء الحرائر العفيفات المحصنات؛ أي: المتزوجات.
إلا الإماء المملوكات بالسّبي والشراء، فيحل وطؤهن بعد الاستبراء ولو كنّ متزوجات.
(كتاب الله عليكم) أي: فرضٌ حكَم الله به عليكم، فاسمعوا وأطيعوا.
(وأحل لكم ما وراء ذلكم) أي: أحل لكم نكاح ما سواهن بطريق شرعي.
(أن تبتغوا بأموالكم) أي: بالعقد ودفع المهر.
(محصِنِينَ غَيرَ مُسَافِحِين) أي: طالبين بذلك الإحصان والعفة، لا الزنا والفجور.
* ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥].

(مُحصَنَاتٍ غَيرَ مُسَافِحَات وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخدَان) كالمعنى السابق، ولكنه شرط في حق الإماء المملوكات، بأن يتم الزواج بهن في حال كونهن محصنات غير طالبات للزنا والفجور علنًا، ولا مع الأخلاء سرًّا.
وقد بين مطلع الآية شرط نكاح الأمة: فالرقيقات من الإماء المسلمات لا يباح نكاحهن للأحرار المسلمين إلا بشرطين:
١ - عدم توفّر المال.
٢ - الخوف من العَنَت والوقوع في الحرام.

مَحِيص

قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [الشورى: ٣٥].
(محِيصٍ) وأصل الكلمة من: حاص، ومحاص.
والمعنى يدل على صعوبة التخلص والروغان، ومحاولة التّفلّت من الورطة؛ ولذلك تقول العرب: (وقعوا في حَيْصَ بَيْص) أي: في ورطة يصعب التخلص منها.

ومعنى الآية الكريمة: وليعلم الذين يجادلون في آيات الله ليبطلوها بباطلهم، أنهم وقعوا في عقاب سيحل بهم، ولن ينقذهم منه منقذ.
- ومثلها في المعنى الآيات التالية:
* ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصا﴾ [النساء: ١٢١].
(محيصًا): ما لهم من مفر ومهرب.
* ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].
(محيص): لا سبيل إلى الخلاص منه.
* ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨].
(محيص) أي: لا مفر من العذاب.
* ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [ق: ٣٦].
(محيص) أي: لا مهرب ولا خلاص؛ أي: بحثوا وسلكوا كل طريق ليبقيهم بعيدًا عن الموت الذي لا مفر منه، فلم يجدوا.

[مخضود]

قال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨].
(السدر) هو: شجر النَّبْق.
(مخضود): لها معنيان لا يتعارضان:
١ - من (خَضَد الشوكَ) أي: ثناه لئلا يؤذي.
والمعنى: منزوع شوكه، أو لا شوك فيه، فالله تعالى يجعل مكان كل شوكة ثمرة.
٢ - من (خَضَد الغصن) أي: انثنى من شدة حمله، فهو موقر ثقيل بحمل الثمار.
وفي الحديث الشريف: أقبلَ أعرابيٌّ يومًا فقال: يا رسولَ اللهِ، ذكرَ اللهُ في الجنَّةِ شجرةً مؤذيَةً، وما كنتُ أرَى أنَّ في الجنَّةِ شجرةً تؤذي صاحبَها! قال رسولُ اللهِ، وما هيَ؟ قال: السِّدرُ؛ فإنَّ لهُ شَوكًا مؤذيًا! قال رسولُ الله ﷺ: «أليسَ اللهُ يقولُ: (في سِدْرٍ مَخْضُودٍ) خَضَدَ اللهُ شَوكَهُ، فجعلَ مكانَ كلِّ شَوكةٍ ثمرةً؛ فإنَّها لتُنبتُ ثمرًا تفتَّقُ الثَّمرةُ منها عن اثنَينِ وسبعينَ لَونًا من طعامٍ، ما فيها لَونٌ يُشْبِهُ الآخرَ». صححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٣٧٤٢).

[مخمصة]

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

(مَخْمَصة):

تقول العرب: (خَمَصَ البطن) أي: خلا وفرغ وضمَر من الجوع، و (المخمصة): المجاعة؛ ومنه الحديث الشريف: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خماصًا وتروح بطانًا» صحيح الجامع (٥٢٥٤).

(خماصًا) أي: جائعة ضامرة فارغة البطن.

[المدحضين]

قال تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١].

(فَساهَمَ) أي: اقترع مع أهل السفينة.

(فكان من المُدحضين):

أصل معنى (الدحض) هو: الزلق وعدم الثبات والإزالة، ويستعمل معنويًّا للخسارة والزوال؛

تقول العرب: (دَحَضت قدمه) أي: انزلقت ولم تثبت، وأُزيحتْ عن مكانها.

ومنها ما جاء في الصحيح في وصف الصراط أو الجسر يوم القيامة بأنه: «دحضٌ مزلة» أي: مزلقة للأقدام لا تثبت عليه.

والمعنى في الآية الكريمة يشمل المعنى المادي والمعنوي معًا؛ فيونس كان من المغلوبين في القرعة فلم تكن له حجة في الرفض، ومن المُزالين من السفينة.

* ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦)﴾ [الشورى: ١٦].

(دَاحِضَةٌ) أي: باطلة زائلة لا تثبت.

* ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].

(لِيُدْحِضُوا) أي: ليزيلوا الحق ويبطلوه.

مدهامّتان

قال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢ - ٦٥].

(مُدهَامَّتَانِ) أي: شديدتا الخضرة.

ف (الدُّهْمَةُ): السوَاد. و (الخيل الأدهم): هو الأسود. و (الحديقة الدهماء): هي الخضراء تضرب إلى السواد من شدة الاخضرار والريِّ.

والمعنى: اشتدت خضرتهما وأصبحت داكنة من كثرة الري.

فائدة:

في الحديث الشريف حينما سئل كيف يعرف أفراد أمته يوم القيامة؟ فقال: «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» الموطأ (٢٨).

(دُهْمٍ بُهْمٍ) أي: سوداء داكنة السواد.
والمعنى: يعرف أمته ببياضهم ونورهم من أثر الوضوء بين سواد الناس.

[مدهنون]

قال تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: ٨١].
(مدهنون) من المداهنة: وهي النفاق والمصانعة.
والمعنى: أَبَعْدَ ظهور براهين صدق هذا الحديث أنتم تكذبون؟! فليس إصراركم على التكذيب بعد ذلك إلا مداهنة ومصانعة لقومكم؛ تخشون إن صدّقتم بهذا الحديث أن تزول رئاستكم ومصالحكم.
* ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] أي: يود كفار قريش لو أنك تُدهن وتلين لهم وتصانعهم في الدِّين، فتترك ما أنت عليه من الحق؛ فيلاينونك ويصانعونك ويراؤونك، فتعبد الله]. وتعبد آلهتهم حتى يفعلوا مثلك.

[مدينين]

هذه المفردة تتعلق بالمفردة السابقة بمعنى: (الحساب والجزاء):
قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦ - ٨٧].
(غَيْرَ مَدِينِينَ) أي: غير محاسبين وغير مَجْزِيِّينَ بأعمالكم.
فالله تعالى هو الديَّان؛ أي: المجازي والمحاسب. و (يوم الدين): هو يوم الجزاء والحساب.
والمعنى: فلو كنتم غير محاسَبين وتنكرون الحساب والرجوع إلى البعث، فهلّا أعدتم هذه النفوس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول في أجسادها إن كنتم صادقين.
﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣].
(لَمَدِينُونَ) لمحاسبون ومجزيُّون على أعمالنا بعد كوننا ترابًا وعظامًا.
فائدة:
ومنها قوله ﷺ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» والحديث ضعفه الألباني في سنن الترمذي (٢٤٥٩).
(دان) أي: حاسب نفسه.
ومنه كذلك: (كما تدين تدان) أي: كما تعامِل غيرك تُجازى، وكما تفعل يفعل بك.

مُراغَمًا

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].
(مُرَاغَمًا) أصل الكلمة من (الرُّغْم) وهو الذل، و (راغم قومه) أي: نبذهم وهجرهم، والمراد: متنفّسًا يتحول إليه، وفُسحة من الأرض يسكنها على رغم أنوف أعدائه الذين آذوه؛ فيهجرهم ويجد بديلًا خيرًا من البقاء معهم، ففي هجرته مُراغمة للأعداء وإغاظة لهم.

مِرَّة

قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم: ٥ - ٧].
(ذُو مِرَّةٍ) أي: ذو قوة وشدة؛ تقول العرب: (أمْرَرْتُ الحَبْل) أي: فَتَلْتُه بإحكام. وكما في الحديث الشريف: «لا تَحِلُّ الصَّدقة لغنيٍّ، ولا لِذي مِرَّةٍ سَويٍّ» صحيح الجامع (٧٢٥١) (ذي مِرَّةٍ) أي: لذي قوة قادر على الكسب.

(فَاسْتَوَى) الاستواء في اللغة له معنيان:
١ - الكمال؛ كقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْما﴾ [القص ١٤].
٢ - العلو: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٢ - ١٣].
ومنه قوله تعالى فيما وصف به نفسه: ﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أي: علا على العرش عُلُوًّا يليق بجلاله.
فمعنى قوله تعالى: (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) وهو جبريل ؛ أي: كمُل في حسن خِلْقَتِهِ وفي قوته وأدائِه، وعلا وارتفع في الأفق عندما ظهر للنبي على صورته الحقيقية.
[المرسلات]
قال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفا﴾ [المرسلات: ١].
وهو قسَمٌ من الله تعالى على البعث والجزاء، واختلف المفسرون فيه على قولين:
١ - منهم من قال: هي الرياح.
(المرسلات) وهي الرياح الطيبة يرسلها الله تعالى لعباده.
(عُرفًا) لها معنيان:
الأول: مرسلة بالمتعارف عليه عند الناس، فتجلب لهم الخير والمعروف.
الثاني: من التّتابع؛ أي: الرياح المتتابعة؛ تقول العرب: (الناس عُرفٌ واحد) إذا كثروا وتتابعوا.
ثم قال بعدها: (فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا) وهي الرياح العاصفة التي تجلب الضرر لشدتها.
ثم قال: (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) وهي الرياح تنشر السُّحُب والمطر في كل مكان.
ثم قال: (فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا) وهي الرِّيَاحُ تُفَرِّقُ السَّحَابَ وَتُبَدِّدُهُ.
فيكون الوصف في الأربعة الآيات السابقة لأنواع الرياح.
٢ - ومنهم من فسر الآيات الخمس كلها بالملائكة.
(والمرسلات) هي الملائكة التي يرسلها الله]. بشؤونه القَدَرِية لتدبير العالم، وبشؤونه الشرعية ووحيه إلى رسله.
(عُرفًا):
- بالمعنى الأول؛ أي: أرسلت بالعُرْف والحكمة والمصلحة، لا بالنُّكر والعبث.
- وبالمعنى الآخر: الملائكة يتبع بعضها بعضًا بما ترسل من أمر الله.
(فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا) الملائكة يرسلها الله ، ووصفها بالمبادرة لأمره، وسرعة تنفيذ أوامره كالريح العاصف.
(وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) الملائكة تنشر ما أُمِرت بنشره.
(فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا) الملائكة تأتي بما يُفَرِّقُ بين الحق والباطل.
(فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) الملائكة تلقِي أشرف الأوامر إلى الرسل؛ وهو الذِّكْر الذي يرحم اللهُ به عبادَه، ويذكّرهم فيه بمنافعهم ومصالحهم، والله أعلم بمراده!
مِرفقًا
قال تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقا﴾ [الكهف: ١٦].
(مِرْفَقا) أصل الكلمة من (المِرفَق) ومن (الرِّفق):

ف (المِرفق): في اليد، وهو الذي يُتّكأ عليه، ويحصل به الرفق. و (المرافق): هي الأشياء التي يُنتفع بها؛ من بناء أو غذاء أو كساء، وكما نقول: (مَرافق الدار) أي: منافعها.
والمعنى: يجعل لكم من أمركم الصعب الذي وقعتم فيه ما تنتفعون به، وما فيه الرفق بكم مخرجًا ونجاةً ورزقًا.
* ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].
(مُرتَفَقًا) والمُرْتَفَقُ: هو المجلس والمَكانُ الذي يَتكِئ فيه الإنسان ويَنتفع به.
وقيل: من المرافقة كذلك والاجتماع؛ أي: ساءت مجتمعًا.
* ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١].
(مُرْتَفَقا) كالسابقة؛ أي: حَسُنت مجلسًا ومنزلًا، وحَسُنت مجتمعًا.
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].
(المَرَافِقِ) جمع (مِرْفَق) وهو: مرفق اليد المعروف. ويقال: سُمِّي مرفق اليد مرفقًا: لأن الإنسان يحصل له به الرفق؛ فيتكِئ عليه وينتفع به.

[مرية]

قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩].
(مِريَة) تكررت هذه المفردة خمس مرات في القرآن الكريم، والمِرْيَة في اللغة -بكسر الميم وضمها- لها معنيان:
١ - الجدل والمِرَاء.
٢ - الشك والتردد.
وجاءت هذه المفردة بهذا اللفظ في القرآن كلها بمعنى: الشك والتردد.
والمعنى: فلا تكن في شك من حال هؤلاء المشركين وعبادتهم وأنهم على الباطل.
* ﴿بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٣]، أي: يشكون ويرتابون.
* أما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢].
المراء هنا بمعنى: الجدل؛ أي: لا تجادل وتحاجّ عن أمرهم وعِدَّتِهم إلا مراءً فيه علم ويقين.
* والمراء في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ [النجم: ٥٥] يصح فيه المعنيان:
١ - الشك؛ أي: بأيّ نعم ربك وفضله تشك يا ابن آدم؟!
٢ - الجدل؛ أي: بأيّ نعَم ربك وفضله تجادل وتماري يا ابن آدم؟!
* ومثلها: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ [النجم: ١٢] تحتمل المعنيين وكلاهما صحيح:
١ - أي: أفتجادلونه على ما يراه بعينيه؟!
٢ - أي: أفتكذبونه وتشكّكون في شيء يراه بعينيه؟!
وعبّر عنه بالمضارع (يرى)؛ لبيان استحضاره للرؤية، مما لا يدع مجالًا لنسيان ما رآه ﷺ في رحلتَي الإسراء والمعراج.
* وكذلك: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٦].
(فَتَمَارَوا) يصح فيها المعنيان كذلك:

١ - شككوا بالنذر، وهو إنذاره لهم بالعذاب الشديد.
٢ - تجادلوا استهزاءً مكذبين بها.

مَريج

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥].
(مريج) من مَرِجَ الناس؛ أي: اختلطوا؛ وأصل المَرْج: الخلط، وسمي المرعى مرجًا: لاختلاط النبات فيه؛ فالمروج هي الأرض ذات النباتات المختلطة.
ومعنى الآية: أنهم كذّبوا بالحق، فاختلط عليهم الأمر والتبس عليهم الدِّين؛ فاضطربوا وضلوا.
* ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥].
(مارج) أي: مختلط.
والمعنى: من لهيب مختلط بالدخان.
* ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: ٥٣].
(مَرَج) أي: خلطهما في ذهاب الماء وإيابه وحركته واضطرابه، ورغم ذلك فبينهما حاجز يمنع الامتزاج.
* ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩].
(مرج) أي: خليط ماء البحرين يلتقي ذهابًا وإيابًا بعضه ببعض، في برزخ وحاجز فلا يمتزجان، ولا يكتسب كل واحد منهما صفة الآخر.

[المساجد]

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدا﴾ [الجن: ١٨].
(المساجد) تشتمل على معنيين:
١ - جمع مسجِد: وهي الأماكن المخصصة للعبادة.
٢ - جمع مسجَد: وهي الأعضاء السبعة المخصصة للسجود.
فالمعنى: المساجد المعدة للصلاة والعبادة يجب ألا يُعبد فيها إلا الله. وأعضاء السجود يجب ألا تسجد بها لغير الله؛ كما تفعل بعض الأمم بالسجود لأمرائها.

[مسبوقين]

قوله تعالى: ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤١].
(بمسبوقين) أي: لا يفوتنا ولا يعجزنا أن نأتي بآخرين بدلًا منهم.
* ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠].
(بمسبوقين) أي: لا يفوتنا منكم أحد، ولا يعجزنا أن نعيده بعد الموت ونبعثه.
* ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤].
(يسبقونا) أي: يفوتونا ويعجزونا فلا نقدر عليهم.
* ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩].
(سَبَقُوا) أي: سبقوا الله وأفلتوا من عذابه فلا يقدر عليهم؛ وهم لا يعجزونه فهو لهم بالمرصاد.
* ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩].
(سَابِقِينَ) أي: ما كانوا ليفلتوا من عذابنا.

[مستقر]

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

(فَمُستَقَرٌّ) تشتمل على معنيين:

١ - مستقر مؤقت؛ وهو الدنيا على ظهر الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

٢ - مستقر دائم، ومنتَهَى يستقرون فيه، وغاية يُساقون إليها؛ وهي دار القرار في الجنة أو النار.

(وَمُستَودَعٌ) تشمل جميع المستودعات التي استودع الله فيها ابن آدم:

- مستودع في صلب الرجل.
- مستودع في رحم المرأة.
- مستودع في باطن الأرض بعد الموت حتى يُبعث.

* ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

(مُستَقَرَّهَا) مستقرها المؤقت في دار الدنيا، والمستقر الأخير بعد الموت.

(وَمُستَودَعَهَا) كما في الآية السابقة.

[مسجد]

قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩].

(مَسْجِدٍ) أي: صلاة.

(وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ) تشتمل على معنيين:

١ - التوجه إلى القبلة في الصلاة.

٢ - الإخلاص بالتوجه إلى الله وحده فيها.

والمعنى: توجهوا إليه في صلاتكم، وأقبِلوا على عبادته مخلصين؛ سواء في مسجد كانت، أو في أي مكان.

مَسْحًا

قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [٣٢ - ٣٣].

(فَطَفِقَ مَسْحًا) فطفق؛ أي: جعل يفعل. ومسحًا: المسح فيه قولان:

١ - الضرب بالسيف؛ يقال: (مسح القوم مسحًا) أي: قتلهم قتلًا.

والمعنى: أن سليمان عندما أَلْهَتْه الخيلُ عن ذكر ربه، تخلّص منها بالسيف قتلًا على سوقها وأعناقها؛ ندمًا منه على التهائه عن ربه.

ولا يقاس ملك سليمان وما أبيح له بعصرنا اليوم، فنستنكر ونستبشع قتله الخيل؛ فربما كان ذلك جائزًا في شريعته، كما هدد الهدهد بالذبح، وهو ما يرجحه السياق كذلك: فسياق الآيات يدور حول التحسر والندم والتوبة من فوات وقت الذّكر؛ لذلك تخَلَّصَ مما كان سببًا فيه.

وقال بهذا: ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والشيخ السعدي، وابن عثيمين، وغيرهم.

٢ - والقول الآخر: هو المسح باليد.

والمعنى: فلما عُرِضَتْ على سليمان بعضُ خيول جيشه المتميزة، وألهاه النظر إليها؛ تركها وقام إلى ذكر ربه، ثم عاد وأمر بِرَدِّ الخيل وجعل يمسح سوقها وأعناقها إعجابًا وإكرامًا لها؛ لأنها خيل الجهاد، وليس فرحًا بالدنيا.

وقال مثله: الطبري في تفسيره، والشيخ أبو بكر الجزائري، وغيرهم.
وفي الآية فائدة عظيمة وهي: سرعة الرجوع إلى الله، وترك كل ما يلهي عن طاعته.

المُسحّرين

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ وردت مرَّتان: في [الشعراء: ١٥٣]، و [الشعراء: ١٨٥].

(المُسَحَّرِينَ) لها معنيان لا يتعارضان:

١ - المسحور أكثر من مرة؛ ف (المسحَّر): هو الذي سُحر مرة بعد مرة، حتى تمكّن منه السحر وغاب عقله وفقد رشده؛ فلا يقبل منه قول، ولا يُسمع منه نصح.

٢ - أي: من الذين لهم سَحْر وهو الجوف؛ أي: من الناس مثلنا بحاجة إلى الطعام والشراب، لست من الملائكة؛ ولذلك جاء في الآية بعدها: (ما أنت إلا بشرٌ مثلنا).

ومن هذا المعنى ما جاء في حديث عائشة حينما قالت: (مات رسول الله ﷺ بين سَحْري ونَحْري).

سحري؛ أي: جوفي (كل ما يشمل الرئة والبطن). ونحري: وهو أعلى عظام الصدر؛ والمقصود: مات
على صدري.

فائدة من تفسير «التحرير والتنوير»:

جاء بعد الآيتين في سورة الشعراء قول المشركين لنبي الله صالح: (ما أنت إلا بشرٌ مثلنا فأتِ بآية)؛ لتفيد إبطالهم لنبوَّته لكونه بشرًا مثلهم.

وفي الآية الثانية بزيادة واو عند قولهم لنبي الله شعيب: (وما أنت إلا بشرٌ مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين)؛ لتفيد إبطالهم لرسالته ودعوته؛ فكل ما جاء به كذب لبشريته ولاتهامه بالسِّحر.

فالآيات تبيّن عِظم الجُرم الذي يُقدم عليه المشركون كلما جاءهم نبي:

- اتهامه في عقله لإبطال حجته.
- إبطال نبوته لكونه بشرًا ومحاولة تعجيزه بطلب الآيات.
- إبطال رسالته وتكذيبه بِناءً على ما سبق.

[مسكوب]

قال تعالى: ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٣١].

(مَسكُوب) مسكوب تشير إلى وصفين للماء:

١ - أنه دائم الانسكاب والانصباب. ويشمل ذلك كلَّ ماء مصبوب؛ كالشلالات التي نراها في الدنيا، والأنهار الجارية.

٢ - أنه يجري مسكوبًا على وجه الأرض من غير أخدود ولا وادٍ، على غير ما هو معروف في مياه الدنيا؛ فسبحان الله!!

[مصانع]

قال تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩].

(مصانع) كل بناء مشيّد محكم صُنْعُه؛ فيدخل فيه: القصور، والحصون، والأبراج، ومآخذ الماء من البرَك والأحواض، وغير ذلك مما كانوا يتباهون به، ومما بُني على وجه العبث والتفاخر؛ ففيه إشارة إلى ذم السرف والخيلاء، والالتهاء بالدنيا.

(لعلكم تَخْلُدون) أي: كأنكم تحسبون أنكم خالدون في هذه الأرض.

وفيها إشارة إلى ذم طول الأمل ونسيان الموت، والغفلة عما خُلقوا من أجله.

مِصرًا

قال تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١].

(مِصْرًا) لا تعني تحديدًا أرض مصر، بل تعني: أيّ مصر من الأمصار هبطتم فيها، وجدتم ما سألتم.

فالخطاب هنا لبني إسرائيل؛ فقد كانوا في التِّيه، وأنزل الله عليهم المَنّ والسَّلوى، فلما ملّوا وسئموا منها طلبوا من موسى طعام أهل الدنيا؛ كالبقول والخضرة والبصل وغيره، فقال لهم: (اهبطوا) أي: ادخلوا أيّ بلد من البلدان لتجدوا فيها ما طلبتم.

* ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١].

(مِصْرَ) مصر هنا: هي بلاد مصر المعروفة.

* ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

(مِصْرَ) أي: بلاد مصر.

* ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

(بِمِصْرَ) أي: ببلاد مصر.

* ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

(مِصْرَ) أي: بلاد مصر.

مُعَاجزين

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٥١].

(معاجزين) لها معنيان لا يتعارضان:

١ - أي: ظانين أنهم يُعجزون الله ويفوتونه فلا يقدر عليهم.

٢ - أي: يُعَجِّزون الناس ويُثبِّطونهم عن اتباع النبي .

والمعنى: الآية تبين السعي الآثم لهؤلاء الكفرة، وهو ليس سعيًا للاهتداء والإفادة، بل سعي لمنع الناس وتعجيزهم عن الوصول إليها، وهؤلاء لن يعجزوا الله، بل مصيرهم نار جهنم، عياذًا بالله!

* ومثلها في المعنى الأول: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

(بِمُعْجِزِينَ) وقد تكررت كثيرًا في القرآن الكريم؛ أي: لن تفوتوا على الله وتعجزوه عن القدرة عليكم وعقابكم إن عصيتم.

[معاذيره]

قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤ - ١٥].

(مَعَاذِيرَهُ) لها معنيان:

الأول -وهو الراجح-: من العُذر، جمع معذرة.

فالمعنى: لو جاء بكل ما لديه من حجج وأعذار يوم القيامة، فهو (أي: بدنه) بصيرة عليه، وشاهد على أفعاله؛ فأعضاؤه ناطقة بكل أعماله.

ويؤيّده قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧].

الثاني: جمع معاذِر بلغة أهل اليمن: وهي الستور والحجُب.
فيكون المعنى: لو احتال جاهدًا لستر جرائمه وحَجْبِها، لشهدتْ عليه أعضاؤه وجوارحه؛ فهي بصيرة وشاهدة عليه.
فائدة:
(ولو أَلْقَى معاذيره): عبّر بالإلقاء هنا: ليبيّن أن الإنسان لو جاء بكل ما لديه من حجة، أو استنفد كل ما بإمكانه من حيلة وحُجُب لستر جرائمه ليدفع عن نفسه العذاب، لما نفعه؛ لأن أعماله مسجّلة وجوارحه بها ناطقة ..

[المعارج]

قال تعالى: ﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٣ - ٤].
(الْمَعَارِجِ) العروج: هو الصعود. فالمعارج: جمع (مَعْرَج) وهو: المصعد، أو الطريق الذي تصعد فيه الملائكة.
ففي الآية الكريمة وصف نفسه تعالى بذي المعارج؛ أي: ذي العلو والرفعة الذي له المعارج وتكثر العارجات إليه من الملائكة والصالحات؛ فهو وصف لله على الراجح وليس اسمًا.
وبين الله في الآية أن هذه المعارج لملائكته؛ فهم يصعدون إليه حول العرش في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.
وقد عُرج برسول الله ﷺ في ليلة المعراج إلى الله]. حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وحتى سمع صَرِيف الأقلام.
وإليه يصعد الكلِم الطيب والعمل الصالح ... فالأرواح المؤمنة والأعمال تصعد إليه؛ فالآية بعمومها تدل على علو الله تعالى على خلقه وجلاله وعظمته.
* ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: ١٤].
(يَعْرُجُونَ) أي: يصعدون.
* ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾ [الحديد: ٤].
(يَعْرُجُ فِيهَا) أي: يصعد إليها ويدخلها.
وقد تكرر العروج في القرآن وهو بنفس المعنى. انظر الفرق بين (يعرج فيها) و (يعرج إليها) في باب الحروف، معنى حرف (في).

المعترَّ

قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦].
(الْمُعْتَرَّ): أصل الكلمة من الاعترار: وهو الاعتراض؛ فالمعتر: هو الفقير الذي يعتري الناس، ويتعرض
لهم بالسؤال.
أما (الْقَانِعَ): فمن القناعة، وهو الفقير المتعفف الذي يقنع بما يُعْطَى وإن قل.

المعذِّرون

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٠].
(المُعَذِّرُونَ) تحتمل معنيين:
١ - مِنْ اعتذر: فهم المعتذرون الذين لهم عذر، وقُبل اعتذارهم لأنهم محقُّون فيه.
٢ - من عَذَّر؛ أي: الذين اعتذروا بما ليس بعذر، فجاءوا بأعذار باطلة.
ولا منافاة بين القولين؛ فقد جاء أصحاب الأعذار الصحيحة وأصحاب الأعذار الكاذبة ليؤذَن لهم في القعود، فقُبل من هؤلاء، ولم يُقبل من الآخرين.
أما الفريق الثالث: فهم الذين كذبوا الله ورسوله، وهم الذين ليس لهم أعذار بالكلية، بَلْ قعدوا عن الغزو لغير عذر؛ وهم مُنافِقُو الأعْراب.

معكوفًا

قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ [الفتح: ٢٥].
(مَعكُوفًا) أصل العكف: هو الحبس. و (عكف على الشيء) أي: لازمه وحبَس نفسه عليه. و (عكف الشيء): حبسه ومنعه. (معكوفًا) أي: محبوسًا وممنوعًا.
والمعنى العام: ذكر الله تعالى في الآية الأمور الداعية لقتال المشركين؛ وهي أنهم صدّوا المسلمين أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج والعمرة.
وهم أيضًا الذين صدُّوا (الهدي) وحبسوه (أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) أي: محل ذبحه، وهو مكة؛ فمنعوه من الوصول إليها ظلمًا وعدوانًا.
* ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].
(وَالعَاكِفِينَ) أي: الحابسين أنفسهم فيه للعبادة.
* ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧].
(عَاكِفا) أي: ظللتَ مقيمًا على عبادته وملازمًا له.
* ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].
(يَعكُفُونَ) أي: يلازمونها للعبادة. وقد تكرر اللفظ في آيات أخرى جميعها لها ذات المعنى.
* ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].
(العاكف) الساكن في مكة.
(الباد) أي: البعيد الذي أقام عنده إقامة طارئة؛ سواء من الحضر أو البادية، فليس المقصود من أهل البادية تحديدًا.
والمعنى: ينكر اللهُ تعالى على كفار قريش منعهم المؤمنين من إقامة شعائر دينهم، ومن دخول المسجد الحرام الذي جعله الله للناس سواء في الحق، لا فرق فيه بين المقيم الساكن والنّائي عنه البعيد الدار، وبين أهل مكة ومن يأتيه من أي مكان.

مَعين

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)﴾ [الملك: ٣٠].

(مَعِين) لها معنيان:
١ - من العين الباصرة؛ أي: ماءً تراه العيون.
٢ - من العين الجارية؛ أي: ماءً ينبع ويجري على وجه الأرض.
- تقول العرب: (عانت الصخرة) إذا خرج منها الماء.
- و (هذا معين الماء) أي: مكان خروجه.
* ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)﴾ [المؤمنون: ٥٠].
(وَمَعِينٍ): ماء جارٍ تراه العيون.
(ذَاتِ قَرَارٍ) أي: صالحة للسّكنى والاستقرار.
[مغرمون]
قال تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥ - ٦٧].
(لَمُغرَمُونَ) أصل الغُرم: ما يلزم أداؤه.
والمعنى: لزمنا الغُرْم والخسارة، وذهبت أموالنا بغير عوض.
* ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠].
* ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أي: لازمًا كملازمة الغريم لغريمه، والمقصود: عذاب الخلود لغير الموحدين.
(مَغرَم): لزوم دفع مال مستحق. أي: هل يظنون أنك تريد أجرًا على تبليغ الرسالة؟ فهم في جهد ومشقة من التزام غرامة المال الذي تطلبه منهم!
* ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٨].
(مَغرَمًا) أي: يعتبره حِملًا وغُرمًا ثقيلًا لا يرجو ثوابه.
* ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].
(وَالغَارِمِينَ) أي: أهْل الدَّيْن الذين لزمهم أداؤه.
مفازًا
قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢)﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٢].
(مَفَازًا) لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - أي: مَنجًى ومَخلَصًا مما وقع فيه من قبلهم من الهلاك في الآيات السابقة.
ولذلك سميت الصحراء: (مفازة)؛ تيمّنًا بعبورها والخلاص والنجاة منها.
٢ - فوزًا وظفرًا بالجنان والحدائق، بعكس أولئك الذين خابوا وخسروا.
* ومثل المعنى الأول قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].
(بِمَفَازَةٍ) أي: بمنجاة من عذاب الله.
* ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١].
(بِمَفَازَتِهِمْ) أي: بما عملوه من طاعات، فكانت لهم خلاصًا ومنجاة من العذاب؛ فكأنهم عبروا مفازة الابتلاء والامتحان الشاقة على هذه الأرض، فبذلوا ما أمدهم الله به من أسباب النجاة؛ فنجوا.

وتتضمن المعنى الثاني كذلك؛ لأن النجاة من الهلاك في حد ذاته فوز وفلاح؛ أي: بما بذلوه من عدة الفوز ففازوا.

مُفْرَطون

قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

(مفْرَطُونَ) لها معنيان:

١ - من الترك والنسيان.

٢ - ومن التقديم والتعجيل.

وبجمع المعنيين: مُقدّمون ومُعَجّلون إليها، ومتروكون فيها منسيّون غير ملتَفَتٍ إليهم، والعياذ بالله!

فالمعنى الأول: من التفريط؛ تقول العرب: (أفرَط الشيء) أي: نسيه وتركه، فهو مُفرط؛ أي: متروك، واسم الفاعل: مُفرِّط، فالمعنى: منسيون متروكون كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١].

* ومن هذا المعنى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

(يُفَرِّطُون) أي: لا يضيعون شيئًا مما أمروا به، ولا يقصرون في واجباتهم؛ فلا يزيدون ولا ينقصون.

* ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطا﴾ [الكهف: ٢٨].

(فُرُطًا) من الإسراف والتضييع.

* ومن المعنى الثاني: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه: ٤٥].

(يَفْرُطَ) أي: يعجَل علينا بالعقوبة.

* ومثلها ما جاء في الحديث الشريف: قول النبي ﷺ: «أنا فَرَطُكم على الحوض» صحيح الجامع (١٤٦٩) أي: أنا سابقكم إليه، وأتقدمكم وأقودكم إليه.

إذن: (فَرَطَ) أي: تقدم وسبق، (فرّط) بتشديد الراء، وأفرط؛ أي: ضيّع وترك.

[مقاليد]

قال تعالى: ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٣].

(مقاليد) لها معنيان:

١ - جمع مِقْلاد: وهو الخزانة.

٢ - جمع مِقليد، وقيل: إقليد: وهو المفتاح.

والمعنى: أن الله تعالى ملك خزائنهما، وأحاط بهما ومَلك زمام أمرهما، ومفاتيحهما بيده تعالى؛ فله فيهما مطلق القدرة والتصرف والتدبير ﷻ.

فائدة لغوية:

من ذلك قول العرب: (استلم فلان مقاليد الحكم) أي: تولّاه وأخذ بزمامه.

[المقتسمين]

قال تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٨٩ - ٩٣].

(الْمُقْتَسِمِينَ) مِنْ قسّم؛ أي: جعلوا الشيء أقسامًا. والمراد: الذين قسّموا واقتسموا القرآن.
(عِضِينَ) أي: عَضَّهوه وجعلوه أعضاء متفرقة؛ تقول العرب: (عَضَيت الشيء) أي: فرَّقته.
وقد اختلف المفسرون في الآية على أقوال متعددة، ذكرت منها قولين هما الأقرب للنص، والله أعلم:
القول الأول: المقتسمون هم اليهود والنصارى الذين تقاسموا القرآن وقسّموه؛ فما وافق كتبهم آمنوا به، وما لم يوافقه نبذوه.
القول الثاني: أن المقتسمين هم كفار قريش، اقتسموا الأقوال الباطلة على القرآن؛ فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا: أساطير ... ووقفوا يصدون عنه بهذه الأقوال في كل مكان.
فالآية تحتمل توجيه الإنذار بقوله: (وقل إني أنا النذير المبين) إلى فريقين:
١ - إلى الكفار ألا يكونوا كالمقتسمين من أهل الكتاب.
٢ - إلى المؤمنين بعامة ألا يكونوا كالمقتسمين من الكفار ومن أهل الكتاب، الذين جزّءوا القرآن بأفعالهم، فكلهم مقتسمون.
فلا تَعَارُض بين الأقوال؛ فكلها يحتملها النص المبارك.

[مقتصد]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].
(مُقْتَصِدٌ) أي: على الاقتصاد في الشكر لله.
والآية في حق الكفار؛ فتبين أنه بعد نجاتهم من البحر كان ينبغي عليهم أن يؤمنوا بالله شكرًا على نجاتهم، لكنهم انقسموا إلى قسمين:
١ - قسم اقتصد فخفّ كفره وجحوده؛ فوازع الإيمان بعد نجاته من البحر يهزُّه، قد بقي على شيء من إخلاصه بعد نجاته، ولكنه لا زال مقصرًا؛ فالآيات الباهرة توجب رجوعه وإيمانه.
٢ - وقسم عادوا إلى كفرهم وتكذيبهم وكأن شيئًا لم يكن.
* ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].
(مُقْتَصِدَةٌ) أي: من أهل التوراة والإنجيل جماعة مقتصدة معتدلة في دينها، غير مبالغة في انحرافها؛ فلما جاء النبي ﷺ آمنوا به.
* ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].
(مُقْتَصِدٌ) هذه الآية تدل على فريق من المسلمين -وهو فريق المقتصد- وهو من اقتصر على أداء الفروض والواجبات واجتنب المنهيات.
فالآية الأولى تحدثت عن المقتصد الكافر، والثانية تحدثت عن المقتصد من أهل الكتاب، والثالثة تحدثت عن المقتصد المسلم.

[مقرنين]

قال تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].
(مقرنين)؛ تقول العرب: (أقرَن الرجل للبعير) أي: أطاقه وتحكم فيه. و (أَقْرَنْتُ مَا حَمَّلتَني) أي: أطقته.

والمعنى: ما كنا مستطيعين مطيقين؛ فلا نستطيع تسخيره وتذليله لنا من أنفسنا إلا بمعونة من الله تعالى وقدرته وتدبيره، فرزقتنا يا رب القوة والقدرة على التحكم فيها، وضبط القيادة والحركة في البر والبحر.

وهناك فائدة تربط أول الآية بآخرها: (وإنا إلى ربنا لمنقلبون).

والمعنى: حتى تذكروا بركوبكم ورحيلكم على هذه المراكب والدواب رحيلكم النهائي عن هذه الدار؛ فتعلموا أنكم منقلبون وصائرون إلى ربكم ليوم المعاد، وتذكروا بسَيْركم الدنيوي سَيْركم إلى الدار الآخرة، ولتشكروا ربكم أنْ ردّكم من أسفاركم سالمين غانمين.

[مقمحون]

قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٧ - ٩].

(مُقْمَحُون) الإقماح: هو رفع الرأس بشدة. وهذه الآية تبين صورة مرعبة لمن يُعرِض عن سماع الحق؛ فهي لا تتحدث عن يوم القيامة وأغلال جهنم، بل تتحدث عن حال هؤلاء الكفار بعد أن عُرِضَ عليهم الحق فرفضوه، فعوقبوا بهذه الأغلال المعنوية: فغُلّت أعناقهم بالقيود؛ لأنهم أعرضوا عن تدبّر الآيات والحجج، ورُفعت رؤوسهم بشدة لأنهم لم يذعنوا لقبول الحق، وجُعلت على أبصارهم غشاوة فعميت عن رؤية الحق.

فَحَقّ عليهم القول، وسبقت لهم الشقاوة، ونفذ فيهم القضاء؛ فسيبقون على كفرهم وشركهم، وسيُمنَع الإيمان من الوصول إلى قلوبهم.

فهم مقيدون بقيود وأغلال معنوية، وسيقيدون في الآخرة بالأغلال الحسية حين يساقون إلى جهنم وبئس المصير، نسأل الله السلامة!!

[المقوين]

قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣].

(لِلْمُقْوِينَ) هذه الكلمة من أضداد اللغة، وتحتمل معانٍ عِدة لا تتعارض:

١ - المقوين: جمع (مقوٍ) وهو المسافر؛ لأنه ينزل (القَوَاء) وهو الخلاء والأراضي الخالية الممتدة.

٢ - المقوين: جمع (مقوٍ) وهو المحتاج؛ يقال: (أقوى الرجل) أي: نفد زاده.

٣ - المقوين أيضًا تقال للمستمتعين والأغنياء؛ فيقال للغني: (مقوٍ) لقوته وقدرته المادية.

فبهذا يجمع المعنى المسافرين والمقيمين والفقراء والأغنياء؛ فالكل بحاجة إلى النّار، وهذا من بلاغة القرآن أن تجد المفردة الواحدة أحيانًا تجمع عدة معان.

وجمهور المفسرين على أن المعنى هو (المسافرون)، لكن لا يتعارض أن نجمع جميع المعاني فهو أوسع وأشمل، ولا غنى لأحد عن النار كما ذكر البغوي وابن كثير والقرطبي وغيرهم.

[مكانتكم]

قال تعالى: ﴿قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٣٩].

(مَكَانَتِكُم) المكانة من المكان: وهو الشيء الثابت.

وهي هنا تعني: اعملوا على طريقتكم وحالتكم التي ثبتُّم عليها ورضيتموها لأنفسكم: من عبادة من لا يستحق من العبادة شيئًا. وهذا القول لهم على سبيل التهديد، وليس إطلاق العمل لهم على ما أرادوا.

وقد تكرر هذا المعنى في عدة آيات شبيهة بها، وقريب منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٦٧].
(مَكَانَتِهِم) أي: لو شاء الله لغيّر خلقتهم وأبقاهم على ما هُمْ عليه؛ قعودًا في مجالسهم ومنازلهم لا يستطيعون الحراك.
- فالمعنى في الآية الأولى معنوي، والمراد به: المكانة والحال.
- وفي الثانية حسي، والمراد به: المكان والمجلس.
وهناك مفردة قريبة منها؛ وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا﴾ [الإسراء: ٨٤].
(شَاكِلَتِهِ) أي: مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة؛ فالشاكلة: هي الطَّرِيقَةُ والسِّيرَةُ التِي اعْتادَها صاحِبُها.
[مكنون]
قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩].
(مكنُون) أي: مستور عن الأعين، ومحفوظ عن الوصول إليه.
ما هو الكتاب المكنون؟ ومن هم المطهرون؟
اختلف المفسرون بناء على هاء الضمير في (لا يمسه) فيجوز عَودها على القرآن الكريم، وعلى الكتاب المكنون؛ ولذلك يصبح للآية معنيان كلاهما صحيح بلا تعارض.
١ - هاء الضمير تعود على الكتاب المكنون:
ف (الكتاب المكنون): هو الصحف التي بأيدي الملائكة؛ لأن معنى مكنون: محفوظ ومستور عن الأعين.
أما من قال: إنه اللوح المحفوظ؛ فاللوح المحفوظ ليس بيد الملائكة، بل هو عند الله تعالى.
(المطهرون): هم الملائكة. فالمعنى هنا: لا يمس الصحف إلا الملائكة؛ كما قال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣ - ١٦].
٢ - أن هاء الضمير تعود على القرآن الكريم:
ف (المطهرون) إذن: هم المؤمنون؛ لأنهم مطهرون من الشرك.
أما من قال: (المطهرون) هم المتوضؤون. فبعيد لغة؛ لأنه لو كان المراد المطهرون هم المتوضؤون لقال: (المُطَّهِّرون) أي: المتطهرون. انظر: تفسير العثيمين للآية.
فائدة:
كذلك اختلف المفسرون في اللام في (لا يمسه): هل هي لام الخبر، أم لا الناهية؟ وعلى هذا يختلف المعنى المراد:
- لا يمسه (الناهية) أي: لا ينبغي أن يمسه إلا كل طاهر من الشرك.
- لا يمسه (الخبرية) أي: ليس هناك أحد يمسه إلا الملائكة المطهرون.
قد يرِد تساؤل عن حكم مس المصحف لغير المتوضئ: وقد اختلف أهل العلم في ذلك لوجود ما يعضد كلا القولين من أدلة، والأفضل والأحوط: هو الطهارة.
هذا بخلاف حال الجنابة الذي تُشترط فيه الطهارة قبل مس المصحف، ويرجع في ذلك لأهل الفقه وكتب الفقهاء.
[مكين]

قال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠].
(مَكِين) من التمكُّن: وهو القوة والقدرة والسلطة، ومن المكانة: الشرف وعلو المرتبة.
وهو وصف لجبريل : بأن له مكانة عند الله راسخة، ومرتبة عالية، وسلطة وقولًا مطاعًا مسموعًا بين الملائكة؛ لذلك اختاره لتبليغ الوحي.
* ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].
(مَكِينٌ) أي: بوأناك مكانة عندنا، ومرتبة وسلطة تُمَكِّنك من أن تكون مطاعًا نافذ القول.
* ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]، وكذلك: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢١].
(مَكِينٍ) أي: مكانٍ آمنٍ حصينٍ ثابتٍ مستقرٍ.
فائدة:
(مكين) كلمة تستخدم لتفيد الرسوخ والقوة والحصانة والثبات، وتستخدم للعاقل وغير العاقل؛ فيقال: (اعتقاد مكين) أي: راسخ. و (حائط مكين) أي: ثابت. و (حِرْز مكين) أي: حصين .. وهي للعاقل تَجمع بين المكانة والتمكُّن.
ومن مشتقاتها: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٦].
(مَكَّنَّاهُم) أي: جعلنا لهم مكانًا وسُلطة وتمكينًا.
* ومنها: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤].
(مَكَّنَّا) أي: سخرنا له أسبابها؛ لتكون له القدرة والسلطة على ما فيها.

ملتحدًا

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].
(مُلْتَحَدا) أصل الكلمة من: الميل والانحراف؛ أي: لن تجد من دون ربك ملجأ تلجأ إليه، أو أحدًا تميل وتتّجه إليه لنصرتك.
فالالتحاد: هو الميل للشيء. ومن مشتقاته: (المُلحِد) أي: المائل عن الدِّين. و (اللحد): وهو الناحية أو الشق في القبر.
* ومثلها: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢].
(مُلْتَحَدًا) أي: ملجأ أميل وأهرب إليه، فيدفع عني إن أرادني الله بعذاب. وهو رسول الله ﷺ إن قصّر أو امتنع عن تبليغ رسالته، وحاشاه.
ومن مشتقاته قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠].
(يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) والإلحاد في الآيات: الميل بها عن الحق والصواب؛ بتكذيبها والصد عنها، وتأويلها بالباطل، وإلصاق ما ليس منها.
* ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].
(يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) والإلحاد في الأسماء: تعطيلها، أو تأويلها، أو تكييفها، أو الزيادة والنقصان، أو تسمية آلهتهم بها، ونحو ذلك.
* ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].
(يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ) أي: يميلون إليه؛ وهو الميل إلى الاتهام بأن النبي ﷺ كان يتعلم التوراة.

وفي هذه الآية رد على الطاعنين من كفار قريش في رسالة النبي ﷺ بأنه كان يتلقى تعاليم التوراة بالجلوس مع أحد الروم، فرد الله تعالى شبهتهم وتكذيبهم: أن كيف يتلقى تعاليم التوراة من شخص رومي لسانه أعجمي غير لسان النبي ﷺ فكيف يفهمه وكيف ينقل عنه، والقرآن الذي بين أيديكم عربي بليغ فصيح معجز؟!

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

(بِإِلْحَادٍ) أي: مَنْ أراد هذا الحرم بميل عن الحق.

واللفظ مطلق يشمل: الميل بالشرك أو المعصية فيه، أو الصد عن سبيل الله، أو منع المسلمين أو إخراجهم. وكل من أراده بأذى أو فساد وظلم، فإن الله توعده بأن يذيقه العذاب الأليم، وقد أذاق الله قبلهم أصحابَ الفيل؛ للعظة والعبرة.

فائدة:

في قوله تعالى: (ومن يُرِد) وهو ذِكْرُ العقوبة على الإرادة والقصد قبل الفعل؛ تعظيمًا لبيت الله الحرام خاصة، فمجرد إرادة الظلم والإلحاد بأي شكل فيه فهذا موجب للعذاب.

[ملوكا]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)﴾ [المائدة: ٢٠].

(مُلُوكًا) لها معنيان يحتملهما النص المبارك:

١ - جعلكم أحرارًا تملكون أمركم بعد استعباد فرعون لكم.

٢ - جعل منكم الملوك على الحقيقة لهم خدم وحشم؛ فقد ملّكهم أملاك فرعون وقرية الجبابرة، وتعاقب فيهم الملوك.

مُلِيم

قال تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢].

(مُلِيم) أي: ملام بذنبه؛ فهو فعل ما يستوجب الملامة والمؤاخذة؛ لأنه (وهو يونس ترك قومه وخرج إلى السفينة قبل أن يأذن له ربُّه.

* ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٤٠].

(مُلِيم) وهو متلبس بالإساءة والكفر والعصيان، وهو فرعون.

* ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤].

(بِمَلُوم) أي: لن تلام على الإعراض عن قومك؛ لأنك قد أدّيت ما أُمرت به.

* ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢].

(اللَّوَّامَةِ): النفس التي تلوم صاحبها: لماذا؟ ويا ليتني؟

والنفس اللوامة أقسام؛ منها المؤمن والفاجر:

- فالمؤمنة: تلوم نفسها على التقصير.

- والفاجرة: تلوم ربها، وتلوم نفسها على فوات الرزق.

والكل يلوم يوم القيامة نفسه على التقصير في حق الله، وعلى التفريط في الاستعداد لهذا اليوم العظيم.

[ممدود]

قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠].

(مَمدُود) لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - ظل ممتد امتداد المكان؛ فليس هناك ما يقطعه، وكما في الحديث الشريف: أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ؛ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]» صحيح البخاري (٣٢٥٢).
٢ - ظل ممتد امتداد الزمان بلا نهاية؛ فليس هناك شمس تُذْهِبُه.

مُنزلًا

قال تعالى: ﴿وَقُل رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩)﴾ [المؤمنون: ٢٩].
(مُنزَلًا): بضم الميم، أي: نزولًا مباركًا.
وفي قراءة صحيحة بفتح الميم (مَنزِلًا)؛ أي: مكانًا مباركًا.
وبجمع المعنيين: فإن نوحًا يسأل ربه نزولًا مباركًا ميسّرًا موفّقًا، كما أركبه مركبًا كان فيه نجاته ومن معه.
ويسأله المكان المبارك المهيأ للسكن المريح، الذي تتوفر فيه سبل الخير والمعيشة الحسنة.

[منضود]

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢].
(منضُود) النَّضد في اللغة يشير إلى معنى: التنظيم والتتابع ووضع الشيء بعضه على بعض، و (منضود) هنا؛ أي: متتابعة بعضها خلف بعض.
وال (سّجيل): حجارة من طين متحجّر بالغ الحرارة.
* ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩].
(منضُود) أي: متراكب بعضه فوق بعض.
وال (طّلح): انظر المفردة الخاصة بها.
* ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ١٠].
(نَضِيد) أي: مُتَرَاكِب بَعْضه فَوْق بَعْض.
(بَاسِقَات) أي: طِوال؛ تقول العرب: (بَسَق الرجل) إذا طال، و (بسقت النخلة) إذا طالت.

منفكّين

قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١].
(منفكين) من الفَكّ: وهو المفارقة والانفصال.
ولها معان كلها صحيحة:
- لم يكونوا متروكين هملًا حتى يَبعث فيهم رسولًا.
- لم يكونوا تاركي كفرهم حتى تأتيهم الحجة؛ وهي بعثة النبي ﷺ.
- لم يكونوا مفارقين للدنيا حتى يبين الله لهم الحق.
* ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣] فالفك: هو مفارقة الشيء.
ولها هنا ثلاثة معان لا تتعارض:
١ - فك رقبة؛ أي: مفارقتها للرق، وتعني: عتق الرقيق.
٢ - تعني أيضًا: فكاك الأسير من الأسر.

٣ - تعني كذلك: فكاك نفسك من تبعات وعذاب يوم القيامة.
فائدة:
استدل بهذه الآية بعض الدعاة على أن الإنفاق والصدقات أوّل العبادات، وأنه هو المطلوب والمقدّم على جميع العبادات ومنها الصلاة التي هي عمود الدين! ولا شك أنه استدلال خاطئ؛ فالحقيقة أن القرآن الكريم هنا يُبرز معصية الإسراف وإهلاك المال في الربا والميسر وكبار المعاصي، ويبيّن طريقة تكفيرها؛ وهو إنفاق مال ليكون التكفير من جنس المعصية.
فتكفير معصية المال: إنفاقٌ في سبيل الله]،؛ فبإتلافه المال في المعاصي، وضع أمام نفسه عقبة لن ينجيه منها ويفك رقبته من النار إلا فكُّ رقاب غيره من الأسر والعبودية والفقر وغيره، فالقرآن الكريم يسلّط الضوء في كل مرة على نوع من الأعمال الصالحة؛ وكتاب الله آياته تتكامل وترسم صورة شاملة
لأنواع الطاعات.
[منقعر]
قال تعالى: ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠].
(مُنقَعِرٍ) يقال: (انقلعت النخلة من قعرها) أي: من جذورها وأصولها.
وهو تشبيه للعذاب الذي أرسله الله لقوم عاد؛ فهي ريح اقتلعتهم من أصولهم مع شهرتهم بأنهم عمالقة وعظام الخلقة.
فالتصوير القرآني يشبه أجسادهم بجذوع النخل المنقلعة من أصولها، جذوعًا خاويةً ليس لها رؤوس؛ فكأن رؤوسهم طارت من قوة الريح، وبقيت أجسادهم ساقطة كأنها جذوع النخل المنقلعة الخاوية.
وكما قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] نسأل الله العفو والعافية!
[مهطعين]
قال تعالى: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ [المعارج: ٣٦].
(مهطعين) الإهطاع: هو الإسراع، وقيل: مع مد البصر نحو ما يسرعون إليه.
والمعنى: فمالِ الذين كفروا قبلك مهطعين؟ أي شيء لهم نحوك وحواليك، مسرعين إلى أخذ ما يسمعون منك، ثم يتفرقون به ليستهزئوا بما سمعوا؟
* ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣].
(مهطعين): مسرعين إلى إجابة الداع ليوم الحساب، بلا إرادة منهم ولا قدرة على الامتناع.
* كما قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر: ٨] أي: مسرعين إلى داع الحساب يوم القيامة.
(مقنعي): الإقناع من أضداد اللغة: فيأتي بمعنى رفع الرأس وطأطأته، ورجّح كثير من المفسرين في الآية معنى رفع الرأس لتناسبه مع السياق؛ أي: رافعي رؤوسهم في ذلة وخوف.
مَهِيلًا
قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].
(مَهِيلًا) المهيل: الرمل الناعم الرخو الذي ينهال من أعلاه مع رجفة الأرض؛ تقول العرب: (هال التراب) أي: حرّكه فانهال، فهو مهيلٌ، ويقال: المهيل هو الرمل الناعم الذي يسقط من بين الأصابع إذا أمسكته.
و (الكثيب): هو الكومة أو التل من ذلك الرمل أو التراب الناعم.

فائدة:
تصوّر الآيات الكريمة التالية حالة الجبال يوم القيامة؛ قال تعالى:
* ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].
(تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) أي: تتحرك من أصولها.
* ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدا﴾ [الكهف: ٤٧].
(نُسَيِّرُ الجِبَالَ) أي: تَسِيرُ الجبالُ فتتحرك من أماكنها؛ وكما قال تعالى: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرا﴾ [الطور: ١٠] وكذلك: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] أي: تتحرك ثم تنهار، ويبقى مكانها ليس بشيء كالسراب.
* ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّا﴾ [الواقعة: ٥].
(وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا) تتفتت الجبال وتندك صخورها، و (البَسّ): هو التفتيت، كما يُبَسّ الدقيق، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَة﴾ [الحاقة: ١٤].
* ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثّا﴾ [الواقعة: ٦] أي: تتطاير فتصبح هباءً وغبارًا منبثًّا في الكون، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفا﴾ [طه: ١٠٥]، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ١٠]، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩]، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] كالصوف الخفيف المتطاير المتفرق في الفضاء.
إذن، تكون صورة هذا المشهد المخيف: تتحرك تلك الجبال الثابتة الشاهقة العلو من أماكنها، ثم تدَك وتتفتت بكل صخورها وتذهب صلابتُها، ثم تتطاير في الهواء وتتلاشى كذرات الغبار.
[الموالي]
قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّا﴾ [مريم: ٥ - ٦].
(خِفْتُ الموالي) الموالي: جمع مولى، وهم العصبة والقرابة التي ترثه، وخوفه: إنما هو من عدم صلاحهم.
والمعنى: أن زكريا لم يجد في قومه -وهم بنو إسرائيل- من يَصْلُح أن يرث الإمامة في العلم والدِّين من بعده، فدعا الله أن يهبه من الولد من يَصْلُح أن يرثها منه ومن آل يعقوب من بعده، فطلبه الولد لم يكن لغرض دنيوي، بل لصلاح الدِّين والدار الآخرة لذريته وأمته.
[موالي]
قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣].
(موالي) أي: ورثة يرثونه، وكان الموالي في الجاهلية وبداية الإسلام نوعين:
١ - موالاة بالقرابة: وهم من الأصول والفروع؛ فلهم النصرة والمؤازرة، ولهم نصيبهم من الميراث.
٢ - موالاة بالحَلِف وعقد الأيمان: وقد كان في الجاهلية، وهو أن يتعاقد شخصان ويتعاهدا على النُّصْرة والتعاون والميراث، فيقول أحدهم للآخر: (دمي دمك، وترثني وأرثك)، وكان أيضًا في مؤاخاة المهاجرين والأنصار في ابتداء الإسلام، وكذلك عقود التَّبَنِّي.
وهؤلاء نُسخ نصيبهم من الميراث، ولهم النُّصرة والوفاء بالعهد والمعونة ونحوه.
فأبطل الإسلام حِلْف الجاهلية، وعقود التوارث على أساس المؤاخاة، وعقود التَّبَنِّي بآية:
﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى

أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفا﴾ [الأحزاب: ٦] ولكن لا حرج من إسداء المعروف لهم، أو شيئًا من الوصية دون الثُّلُث عطيةً بغير ميراث.
فقوله تعالى: (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) أي: من عاقدتم معهم قبل نزول الآية، أما بعد ذلك فلا توارث بالحِلْف، وقيل: هي محكمة وعامة في جميع العقود، تحتمل عقود الحِلْف وعقود التَّبَنِّي وعقود الزوجية، وكلٌّ يؤتى نصيبه بحسب ما تقتضيه الآية؛ سواء من النصرة فحسب، أو من الميراث.

مَوْبِقًا

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَّوْبِقا﴾ [الكهف: ٥٢].
(موْبِقًا)؛ تقول العرب: (أوبقْت فلانًا): إذا أَنْشَبْتُه في أمْرٍ يَهْلِكُ فِيه. و (الموْبق): هو مكان مُهلك؛ كالخندق أو المحبس، والحاجز الخطير المُهلك الذي يمنعه عن الوصول لغيره.
والمعنى: جَعل بين المشركين ومن يعبدونهم حاجزًا من النار المهلكة؛ جزاء لاتصالهم في الدنيا على المعاصي فرّق بينهم في النار.
* ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٣ - ٣٤].
(يُوبِقْهُنَّ) أي: يهلك تلك السفن بالغرق والفساد، ويحجزها عن سبل النجاة؛ بسبب ما كسب أصحابها من الذنوب والخطايا.
ومن مشتقاتها ما جاء في الحديث الشريف: «اجتنبوا السبع الموبقات» صحيح البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).
و (الموبقات) أي: المهلكات التي توقع صاحبها في العذاب، نسأل الله السلامة!

[موزون]

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].
(مَوْزُون) لها معان لا تتعارض:
١ - الوزن بمعنى التقدير؛ أي: كل شيء مقدَّر لحكمة ولغرض ومصلحة معينة.
٢ - بمعنى التناسب؛ يقال: (شِعر موزون) أي: متناسب، ويشمل التناسبَ من كل شيء بحسب قوانين وضعها الله في الكون، ونسب ثابتة لا تختلف؛ كمقادير المعادن في الجبال، ونسب المواد في النبات وغير ذلك.
٣ - بمعنى الوزن والنسبة والقسمة؛ أي: من كل شيء له وزنه وقسمته عند الله لكل أحد من خلقه، فلا يزيد ولا ينقص.

[الميزان]

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٧ - ٨].
(المِيزَانِ) ذكر السعدي معنى (الميزان) في تفسير الآية، فقال ما ملخصه: ليس المراد الميزان المعروف وحده، بل يدخل فيه كلُّ المقادير والمساحات والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات، ويقام بها العدل بينهم. انتهى.
إذن، وضع الله الميزان في الأرض للناس ليزنوا به كل أمورهم؛ حتى لا تميد بهم الحياة وتختل:
- ليزنوا ما في عقولهم من فكر بحسب شرعه.

- وما في قلوبهم من عقائد حسب معتقداته.
- وما تتفوه به ألسنتهم بحسب ضوابطه.
- وأخلاقهم ومبادئهم بحسب آدابه.
ليكونوا ميزان عدل وأمة وسط مع أنفسهم ومع غيرهم، وبين أقوالهم وأفعالهم بين العمل للدنيا والعمل للآخرة؛ فلن تستقر أحوالنا وتتزن أمورنا إلا به، ومن استعمل ميزانًا غير ميزانه ضل وخسر.

[الميسر]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].
(المَيسِرُ) من الفعل يَسَر؛ أي: قَسّمَ، فالتياسر: هو التقاسم.
وقد كانوا في الجاهلية يتياسرون -أي: يتقاسمون- على جَمل فيقسمون لحمه ويديرون القداح، فمنهم من يفوز بعدة أقسام منه، ومنهم من يغرم، ومنهم من لا يفوز بشيء.
وهو نوع من القِمَار، والقِمَار مأخوذ من المُغالبة؛ تقول العرب: (قَمَرْتُ الرجلَ) أي: غلبته، ويدخل فيها ما يسمى اليوم: اليانصيب.
وقيل: إن الميسر مأخوذة من اليُسر والسهولة؛ لأنها سهلة المكاسب، وقيل: لأن الفائز فيها يصبح من أهل اليسار والغنى.
(الأَنصَابُ): من رفع الشيء وانتصابه قائمًا، وهي الأوثان التي كانت تُنْصب للعبادة من دون الله.
(الأَزلَامُ): جمع زَلَم، وهي سهامٌ ثلاثة كالأعواد ليس لها رِيشٌ ولا نَصْل، قيل: إنهم يجعلونها عند سَادِن الكعبة، ويكتبون على أحدها: أمرني ربي، والثاني: نهاني ربي، والثالث: لا يكتبون عليه شيء؛ فإذا همّ أحدهم بأمر قال للسادن: أَخْرِج لي زَلَمًا، فيخرج له اختيارًا بالأمر أو النهي؛ فينفذه ويعمل به.
ومنهم من يجعل هذه الأزلام في وعاء كالقداح فيديرها للغرض نفسه، فهي استخارة جاهلية يُعتقد فيها تحديد الخير من الشر.
ما الفرق بين القُرْعة والأزْلام؟
القرعة أنواع منها المباح والمشروع؛ كالتي تكون لتمييز الحقوق بين الشركاء، أو فك التزاحم على الصف الأول مثلًا، وغير ذلك؛ فهي مشروعة.
أما القرعة التي يُؤخذ منها الفأل، أو يُطلب بها معرفة الغيب والمستقبل؛ فهي في حكم الاستقسام بالأزلام الذي حرّمه الله ﷻ.
* ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].
(تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) أي: الاستقسام بها وكل ما سبق ذكره في الآية الكريمة فسق وخروج عن طاعة الله، فهو كفر وشرك بالله؛ لأن فيه طلب الأحكام منها، والطاعة لما ينتج عنها حتى ولو لم تكن عند الأصنام، وقد شُرعت للمسلمين الاستخارة وهي خير من ذلك.
* وقال تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] ومنافع الخمر: اللذة والفرح، ومنافع الميسر: حصول المكسب للبعض. ومن منافعها: أن بعض أصحاب الثروة في الجاهلية كان ينفق هذه المكاسب على الفقراء وذوي الحاجة، وإثمهما أكبر من هذه المنافع.

[الميمنة]

قال تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨].
* ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١٨].
(المَيمَنَةِ):
- من اليُمن والبركة والخير: فهم مصدر يُمن على أنفسهم.
- من اليمين: فهم يأخذون كتابهم بأيمانهم، وكانت أرواحهم على يمين آدم في حديث الإسراء الصحيح.
* ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ﴾ [الواقعة: ٩].
* ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ﴾ [البلد: ١٩].
(الْمَشْأَمَةِ):
- من الشؤم، والمعنى: ذوو شؤم على أنفسهم، وإشْعارًا بأنَّ حالَهم حالُ شُؤْمٍ وسُوءٍ.
- مِنَ الشِّمال: لأنهم يأخذون كتابهم بشمائلهم يوم القيامة، وأن منزلة أرواحهم كانت على يسار آدم.

[حرف النون]

[النازعات]

قال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطا﴾ [النازعات: ١ - ٢].
(النازعات): هي الملائكة المُوَكَّلَة بقَبْض أرواح الكفار، تنزعها (غَرْقًا) أي: نزعًا بشدة.
واللفظ (غرقًا) وأصله: إغراقًا، من الإغراق في النزع؛ أي: تنزعها بعمق من أقصى البدن مستوفية كل جزء منها؛ وذلك لشدة تشبث روح الكافر بالبدن؛ خوفًا من الخروج لِمَا ترى من علامات العذاب .. عياذًا بالله!
بل في آيات أخرى يتضح أن الملائكة تخرج أرواحهم بالضرب والتنكيل؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].
(وَالنَّاشِطَاتِ نَشطا) الناشطات: هي الملائكة تسلّ أرواح المؤمنين، والعرب تسمي العقدة سهلة الفك والحل: أُنْشُوطة.
والمعنى: الملائكة المُوَكَّلة بقبض أرواح المؤمنين تنشطها نشطًا؛ أي: تَسُلُّها برفق ولين وسهولة، وروح المؤمن تبشّرها الملائكة بالنعيم عند قبضها؛ مما يجعلها تنساب مستبشرة عند خروجها.
- وفي الآيتين قَسَمٌ من الله تعالى؛ فقد ابتدأت السورة بالقَسَم بمخلوقات ذات صفات عظيمة، المراد منه: تعظيم جواب القَسَم، وهو يوم القيامة.
- وفي معنى النازعات والناشطات اختلف العلماء على أقوال كثيرة، وما ذكرناه هو ما رجحه كثير منهم، وهو الأنسب لسياق الآيات.

[ناشئة]

قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا﴾ [المزمل: ٦ - ٧].
(نَاشِئَةَ) أصل نشأ من: قام ونما ونهض؛ فالناشئة من القيام، وناشئة الليل؛ أي: قيام الليل؛ لأن النفس تقوم فيه من سكونها للعبادة.
* ومنها كلمة (النَّشْأَةَ) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ٤٧].
* ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢].

* ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْأخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] فالنشأة: هي القيام والبعث؛ فقد كانوا في العدم، ثم نشأوا وقاموا أحياءً للنشأة الأولى، ثم ماتوا ونشأوا للنشأة الآخرة؛ ومنها سمي الأبناء: (ناشئة)؛ لأنهم شبّوا ونموا.

ومعنى الآية: أن القيام للصلاة والعبادة في الليل وقراءة القرآن فيها، هو أكثر تواطؤًا مع القلب، وأكثر في تحصيل التدبر والخشوع لقلة الشواغل.

[ناصحون]

قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القص ١٢].

(نَاصِحُونَ) النصح هنا: من إخلاص العمل من شائبة الفساد، وليس من النُّصح والإرشاد.

والمعنى: مشفقون عليه بصدق وإخلاص، لا يقصّرون في إرضاعه وتربيته.

* ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ [يوسف: ١١].

(لَنَاصِحُونَ) أي: صادقون في إحاطته بالرعاية والحفظ.

* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

(نَصُوحًا) أي: توبة خالصة صادقة.

* ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١].

(نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) أي: أخلصوا الطاعة لهما في السر والعلن.

[الناصية]

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥ - ١٦].

(لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) السّفع في اللغة: هو اللطم واللفح؛ تقول العرب: (سفعْتُ وجه فلان) أي: لطمته، و (سَفَعَتْهُ النار) أي: لفحته.

أما إذا لحقتها باء الجر، فتدل على الجذب والجر؛ فتقول: (سفعْتُ بناصيته) أي: قبضت عليها فاجتذبته منها.

و (الناصية): هي المقدمة؛ فناصية القوم: أشرافهم، وناصية الإبل: خيارها، وناصية الشيء: مقدمته، وناصية الرجل: مقدمة رأسه.

فالمعنى: لنأخذن بمقدمة رأسه ونجذبه منها إلى النار.

وذكر ناصية رأسه في الآية دلالة على منتهى الذلة والهوان؛ فناصية الرأس هي أشرف أعضاء الإنسان، وسفعه على الناصية فيه ذلة ومهانة، وبعد أن كان في ناصية قومه ولم يحفظ تلك المكانة ويشكر الله عليها؛

يسحب يوم القيامة ويجر من ناصية رأسه، بل في الدنيا كذلك: فقد قُذف في القَلِيب يوم بدر بذلة وهوان، وأهيل التراب عليه هو وأصحابه من قتلى كفار قريش.

(ناصية كاذبة خاطئة) وصفُ ناصيته بالكذب والخطأ مناسبٌ له، وهو أبو جهل؛ فالنّاصية في الرأس هي محل اتخاذ القرار، ومحل الفكر الذي ينبغي أن يقود للتصديق والإيمان؛ فمن هنا كان من امتلأ رأسه وناصيته بالتكذيب والضلال، فهي ناصية جديرة بالسّفع والأخذ والعقاب ابتداءً منها.

* ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

(بِالنَّوَاصِي) أي: بمقدمة رؤوسهم.

والمعنى: أن زبانية العذاب يوم القيامة تأخذ المجرم فتجمع بين مقدمة رأسه وقدمه وتلقيه في النار، نسأل الله السلامة!

[نافلة]

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢].

(نَافِلَة) لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - المعنى العام للنافلة؛ أي: زيادة على ما سأل.

٢ - المعنى الأخص؛ أي: وهبنا إبراهيم حفيدًا له من ولده إسحاق.

فقد كان سؤاله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] فوهب له إسحاق، وولدًا لإسحاق وهو يعقوب]..

ولم يُذكر هنا إسماعيل: لأن البشرى متعلقة به وبامرأته سارَّة، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

فائدة:

النافلة: هي الزيادة على الأصل في كل شيء؛ وعلى هذا تسمي العرب ولد الولد: نافلة؛ لأن الأصل هو الولد، وكذلك النافلة في العبادات كلها هي: الزيادة على الفرض؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودا﴾ [الإسراء: ٧٩].

(نَافِلَة لكَ) أي: زيادة لك في علوّ القدر ورفعة الدرجات.

(مقامًا محمودًا) وهو المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، وهو الشفاعة العظمى لجميع الخلائق يوم القيامة أن يرحمهم الله من طول وهول الموقف فيبدأ الحساب.

نَتَقْنَا

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

(نَتَقْنَا الْجَبَلَ) النتق: هو الاقتلاع من الجذور؛ فقد اقتلع الملك جبل الطور من أصله، ورفعه فوقهم كالسحابة حين امتنعوا عن الالتزام بالعهد مع الله؛ كما قال ذلك في موضع آخر: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣].

[النجم]

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

(النجم): النجم في الآية تدل على معنيين، كلاهما صحيح:

١ - النجم: هو كل ما نَجَم من الأرض من نبات لا ساق له؛ فالنجم: ما لا سَاقَ له؛ ككل الحشائش والنباتات الصغيرة. والشجر: هو كل ما قام على ساقٍ.

٢ - نجوم السماء المعروفة؛ فيصبح المعنى العام: أشجار الأرض وكل ما نبت عليها، ونجوم السماء وكل ما انتشر وتلألأ فيها، جميعها تعرف ربها، وتسجد له وتنقاد له خاشعة طائعة.

نَجِيّا

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّا﴾ [يوسف: ٨٠].

(خلَصوا نَجِيًّا) أي: تخلصوا من الآخرين، وخلا بعضهم ببعض وتناجوا على انفراد؛ للتشاور في الأمر فيما بينهم.

(نَجِيًّا) من المناجاة: وهي الكلام المقصور على المُتَنَاجِين.

* ومثلها: قوله تعالى في موسى عند جبل الطور: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّا﴾ [مريم: ٥٢].

(نَجيًّا) أي: كان تَبادُل الكلام مع نبي الله موسى بصوت وحروف من الله تعالى، ويسمعها موسى ويجيب عليها.
فائدة:
قال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّا﴾ [مريم: ٥٢] فما الفرق بين المناداة والمناجاة؟
المناداة: للبعيد، والمناجاة: للقريب، وكلاهما كلام؛ فالله تعالى نادى موسى بكلامه وصوته من بعيد، ثم ناجاه لما اقترب موسى من الشجرة. انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص ٤٢٢).
وقد جاء لفظ (النّجوى) في آيات كثيرة وهي تدل على نفس المعنى: وهو الحديث الخافت بين المتناجين.

نَحْبَه

قال تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاَ﴾ [الأحزاب: ٢٣].
(نَحْبَهُ) هذه الآية نزلت في عدد من الصحابة، استشهد بعضُهم وبقي البعض على ما عاهدوا الله عليه.
وكلمة (النحب) في الآية الكريمة تحتمل عدة معان كلها صحيحة:
- فالنحب: هو النذر والعهد.
- وهو الوطر والحاجة.
- وهو الموت والأجل.
ويؤيد المعنى الأول ما جاء في الحديث: أن النبي ﷺ أشار إلى طلحة بن عبيد الله وهو داخل إلى المسجد وقال: «هذا ممن قضى نحبه». انظر الحديث في صحيح الترمذي (٣٢٠٣).
وطلحة -كما هو ظاهر الحديث- لم يزل حيًّا؛ فدل على أن المراد أنه من الذين وفوا بعهودهم مع الله.
فيكون معنى الآية: منهم من جاء أجله موفيًا بعهده مع الله مؤدّيًا لما عليه من حق؛ فنال وطره ومطلوبه، ومنهم من لم يزل على العهد، لم يغير ولم يبدل.

نِحْلة

قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئا﴾ [النساء: ٤].
(نِحْلَة) -بكسر النون-: وهي العطية؛ أي: هدية وعطية، ولكنها مفروضة من الله تعالى.
(صَدُقَاتِهِنَّ) من الصداق: وهو مهر المرأة. وسمي صداقًا: لأنه عطية تُثبِتُ صِدقَ رغبة الزوج في زوجته.
إذ ليس الصداق عوضًا عن منافع؛ فإن ما يتحقق بالزواج من المصالح وما ينعقد به من الأواصر، أغلى من أن يكون له عِوَضٌ مالي.

ويبين المعنى ويجلّيه: الحديث المتفق على صحته أن رجلًا جاء يُشهِدُ النبي ﷺ على مال أعطاه لولده فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ؟» قَالَ: لا، قَالَ: «فَارْجِعْهُ» صحيح البخاري (٢٥٨٦).

نديّا

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًا﴾ [مريم: ٧٣].

(نَدِيًّا) أي: مجلسًا ومجتمعًا، و (الندي): هو الجليس، ونحن نعرف (النادي والندوة)؛ فالندوة: هي الاجتماع لتداول الأمور، و (النادي): المكان الذي يجتمعون فيه، و (تنادى القوم) أي: اجتمعوا.

فمن كان مجلسه مُمْتِعًا يكثر رواده كان أحسن نديًّا، أما من يقوم الناس عنه فليس بنديّ مَجازًا.

والمعنى: أن الذين كفروا رأوا أنفسهم أحسن مجتمعًا، وأكثر جلساء، وأحسن هيئة ومالًا من المؤمنين؛ فاستنتجوا من هذه المقارنة الفاسدة أنهم أفضل منهم؛ فلم يتبعوا دينهم.

لذلك فإنّ المرء يجب ألا تغره كثرة الناس واجتماعهم على مجالس اللهو والبهجة والنعمة؛ فليست بمقياس للصواب، ولا هي دليلٌ على حسن العاقبة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٢٦].

* ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧].

(نَادِيَهُ) المراد به: أبو جهل حينما رأى النبي ﷺ يصلي عند الكعبة فقال له: ألم أنهك عن هذا؟ فزبره النبي -أي: لم يبال به- فازداد غيظه وقال: والله إنك لتعلم ما بها من ناد أكثر مني.

وهو افتخار بأنه أعز أهل مكة وأكثرهم ناديًا، فرد الله]. عليه ردًّا فيه تهكم به واستهزاء بليغ: فليدع جلساءه وأنصاره وجميع أهل ناديه، لعلهم ينفعونه، أو يدفعون عنه العذاب. انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول (ص ٢٣٦).

[نرثه]

قال تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدا﴾ [مريم: ٨٠].

(وَنَرِثُه) نزلت الآية في العاص بن وائل؛ فعن خباب قال كنت قينًا -أي: صانعًا وعاملًا بالحديد- في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين أتقاضاه فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تُبْعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالًا وولدًا فأقضيك. فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٧ - ٧٨]. الصحيح المسند من أسباب النزول (١٣٤).

فمعنى (نرثه) أي: نعطي ما ادّعى لنفسه في قوله، فيؤول إلى غيره نكاية فيه، وقد صار أولاده مسلمين: عمرو بن العاص، وهشام بن العاص الشهيد يوم أجنادين ، فأولاده ونصيبه الذي كان له في الجنة قد سلبه الله منه جزاءً وِفاقًا؛ لمنعه الحق وتألّيه على الله وكفره.

نُسك

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

(نُسُك) أي: ذبح، ومفردها: نَسِيكَةٌ؛ أي: ذَبِيحَةٌ، وهي المذبوحة تقربًا وتعبّدًا، ومن ذلك سمّيت مناسك الحج؛ أي: عباداته من طواف وسعي ووقوف ...

فمن كان من المحرمين بالحج والعمرة مريضًا، أو به أذًى من رأسه واضطر إلى حلق شعر رأسه، أو لبس ثوب أو تغطية رأس؛ فالواجب في ذلك فدية، وهي واحد من ثلاثة على التخيير:

- صيام ثلاثة أيام.
- أو إطعام ستة مساكين، لكل مسكين حَفْنتان من طعام.
- أو نسك؛ أي: ذبح شاة، أو سُبُع بَدَنة، أو سُبُع بقرة.

* ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧].

(مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ) أي: عبادة يتعبدون بها فرضها الله على كل أمة، فعليهم العمل بموجبها.

(فلا يُنَازِعُنَّكَ في الأمر) أي: فلا ينبغي لأحد أن ينازع ويعترض على أوامر الشرع؛ كأن يقول: لماذا فرض الله كذا ولم يفرض كذا؟! كقول: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا﴾ [البقرة: ٢٧٥] فشرْع الله ونسكُه عبادة نأخذها كما هي بالتسليم التام، بلا منازعة ولا مجادلة.

[نسلكه]

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢].

السلوك: هو النفاذ والإدخال.

ولفظ السلوك يعطي معنى أعمق من مجرد معنى الإدخال بحسب سياق الآيات.

(نسلكه) أي: نُدخله في قلوب المكذبين. وهذه سنة الله في عباده: فكل مولود جعل اللهُ في قلبه الفطرة -وهي التوحيد- فمن طمس هذه الفطرة بتكذيبه سلك الله في قلبه بدلًا منها الشرك والضلال؛ فجعل التكذيبَ بالقرآن والضلالَ ينفذ إلى قلبه بسوء فعله؛ فيمنعه من الإيمان والهداية، عياذًا بالله.

* ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] أي: ما أدخلكم فيها وأوصلكم إلى سعيرها؟! سؤال تقريع وتوبيخ.

*﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [القص ٣٢] أي: أدخلها. و (الجيب) هي فتحة الملابس التي يدخل منها الرأس ويخرج.

*﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا﴾ [النحل: ٦٩] أي: سِيرِي في الطرق التي سخرها لك ربك، واسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل منقادة مسخرة.

*﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا﴾ [طه: ٥٣] أي: وجعل لكم وسط الجبال والأودية نفاذًا تمشون من خلاله.

*﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجا﴾ [نوح: ٢٠] السّبل الفجاج: هي الطرق الواسعة؛ فالمعنى: مكّنكم من الأرض ومهّد لكم بين جبالها ووديانها الوعرة طرقًا واسعة تمشون فيها.

*﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٧] أي: أَدْخِل فيها.

*﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١] فسلكه؛ أي: أنفذه في داخل الأرض ينابيع تجري كما تجري العروق في الأجساد.

*﴿وَمَن يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدا﴾ [الجن: ١٧] أي: يدخله عذابًا شاقًّا متصاعدًا في الشدة. فاللفظ هنا يُعطي معني التكلّف في الإدخال ومشقة السلوك.

* ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] أي: أَدْخِلوه فيها ليقاسي عذاب هذا الإدخال.

قيل: تدخل من استه ثم تخرج من فمه؛ أي: يُنظم فيها كسيخ الشواء، والعياذ بالله!

* ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدا﴾ [الجن: ٢٧] أي: يجعل الوحي داخلًا في دائرة من الحفظ؛ فمن بين يديه ومن خلفه ملائكة يحوطونه بالحفظ من جميع الجهات من استراق الجن.
فائدة:
سمّي السِّلك سلكًا: لأنه ينفذ ويدخل في الأشياء كما يدخل الخيط في الإبرة.

النَّسِيءُ

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].
(النَّسِيء): هو التأخير، مأخوذ من الفعل نَسَأَ؛ أي: أخَّر، والمقصود: تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر؛ أي: تأخير حرمة شهر المحرم إلى صفر.
فالنَّسِيءُ: هو اسم يُطْلَقُ عَلى الشَّهْرِ الحَرامِ الذِي أُرْجِئَتْ حُرْمَتُهُ، وجُعِلَتْ لِشَهْرٍ آخَر؛ فقد كان العرب في الجاهلية يُحَرِّمُونَ الْقِتَالَ فِي أربعة أشهر كما هو في الإسلام، ولكن إذا احتاجوا للقتال في شهر منها أخَّروا حُرمته وجعلوها في الشهر الذي يليه؛ فيحلونه عامًا ويحرمونه عامًا بحسب ما يريدون.
وسبب تأخيرهم لحرمة الشهر وعدم إلغائها: هو كما قال تعالى: ﴿لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا في تحريمهم ما حرم الله، وهو أربعة أشهر تامَّة ادَّعاء وكذبًا.
فائدة (١) عن سبب تحريم الأشهر:
قيل: إن ذلك كان منذ أن نادى إبراهيم بالحج، فسارت عليه العرب منذ ذلك الوقت.
قالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «كانت الأشهر المحرّمة أربعةً: ثلاثةٌ سردٌ، وواحدٌ فردٌ؛ لأجل أداء المناسك - الحجّ والعمرة - فحرّم قبل أشهر الحجّ شهرٌ وهو ذو القعدة؛ لأنّهم يقعدون فيه عن القتال، وحرّم شهر ذي الحجّة؛ لأنّهم يوقعون فيه الحجّ ويشتغلون بأداء المناسك.
وحرّم بعده شهرٌ آخر وهو المحرّم؛ ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرّم رجبٌ في وسط الحول؛ لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثمّ يعود إلى وطنه فيه آمنًا». انظر: تفسير ابن كثير للآية.
* ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].
(نُنْسِهَا) فيها قراءتان صحيحتان:
(نُنْسِهَا) و (نَنْسَأْهَا) أمّا نُنْسِهَا: فهي من النسيان؛ وهو ذهول القلب عن المعلوم.
والمعنى: محوها من قلب رسول الله ﷺ.
وأما نَنْسَأْهَا: فهو من النَسَأ، وهو التأخير، والمقصود: تأخير إنزالها ثم يأتي بخير منها، أو تأخير الحكم بها، وكلاهما يشمله المعنى.
فائدة (٢):
من معاني التأخير ما هو معروف بربا النّسيئة: وهو تأخير قبض الثمن مع الزيادة فيه بسبب التأجيل؛ تقول العرب: (بعتُ الرجل بنسيئة) أي: بتأخير في قبض الثمن مع الزيادة فيه.

ومنها الحديث الشريف: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، أوْ يُنْسَأَ له في أثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» صحيح البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) وفي رواية: «في أجله» مسند الإمام أحمد (١٢٥٨٨) وكلاهما بنفس المعنى.
(يُنْسَأَ) أي: يؤخر له في أجله، ويسمى الأجل أثرًا؛ لأنه تابع للحياة، ويراد به كذلك: بقاء الذكر والثناء الجميل عليه من بعده.

نُصب

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].
(نُصُب) لها قراءتان صحيحتان:
- نُصُب: بضم الصاد.
- نَصْب: بفتح النون وسكون الصاد.
ولها معنيان:
١ - أي: إِلَى غَايَةٍ أو راية.
والمعنى: كأنهم إلى عَلَم قد نُصب لهم، فهم يسرعون إليه إسراع من ضل عن الطريق فوجد علمًا يهتدي به، أو إسراع الجند إلى راية الأمير، وهو قول أكثر المفسرين.
وفي هذا المعنى بيان لحال الناس يوم النشور.
٢ - النّصُب: الأصنام وكل ما يُنصب ليعبد من دون الله؛ وكأن الكفار كما كانوا يهرعون مسرعين إلى آلهتهم في الدنيا، سيقومون مسرعين كذلك إلى المحشر.
وفي هذا المعنى إضافة لبيان الحال، تهكّمًا بالكفار وتعريضًا بسخافة عقولهم.
* ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].
(وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) وما ذبح قربانًا لآلهتهم المنصوبة للعبادة.
* ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].
(والأَنْصابُ): هي الأصنام، وكل ما رُفع وانتصب ليعبد من دون الله.

نَصيبهم

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧].
(نصيبهم من الكتاب) أي: ينالهم نصيبهم الذي كُتب لهم في اللوح المحفوظ: من خير وشر، وسعادة وشقاء مما هو مقسوم لهم في الدنيا، ثم يوم القيامة يعاقبون بجهنم جزاء ظلمهم وبغيهم.
وهذا من رحمة الله تعالى بعباده؛ فهو خالقهم، وهو المتكفل بهم ورازقهم في الدنيا وإن عصوه، ويمهلهم ويملي لهم.
ولكن ليس بمُغن عنهم ذلك من طول العذاب بعد الموت، ممن توفّي منهم على الشرك.

نضّاختان

قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦].

(نَضَّاخَتَانِ) النضخ: هو الانتثار وشدة فوران الماء من ينبوعه؛ تقول العرب: (نضخ دم القتيل) أي: انتثر بعيدًا.
فالعين النضاخة؛ أي: الفوَّارة والجيَّاشة بالماء، فينتشر حولها ويتفجَّر من ينبوعه.
والآية تشير إلى أمرين:
١ - لم تحدد بماذا تنضخ العينان، وماذا ترشُّ وتنثر على أهل الجنة؛ مما يدل على التنوُّع: فهي تنضخ بالماء، وأطيب العطر، وبما لا يخطر على البال.
٢ - وصيغة المبالغة (نضّاختان) توحي بالقوة وشدة الفوران، كما توحي بالاستمرار وعدم الانقطاع؛ وذلك من تمام النعيم الذي وُعِد به أهل تلك المنزلة من منازل الجنة.
[نظر]
مفردة (نظر) لها معانٍ في القرآن الكريم واللغة:
١ - النظر بالعين.
٢ - النظر والتأمل العقلي.
٣ - الانتظار أو الإمهال.
- فجاءت بمعنى: (النظر بالعين) في المواضع التالية:
* ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٧)﴾ [التوبة: ١٢٧].
نظر بعضهم إلى بعض يريدون الهرب، وينتظرون بذلك الفرصة للخروج من المكان!
* ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].
يريد: النظر بالعين.
* ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣].
أي: الموت -على أرجح الأقوال- رأيتموه أمام أعينكم فرأيتم من استشهد أمامكم في غزوة أحد.
- وكذلك جميع كلمة (تنظُرون) في القرآن، بضم الظاء.
- وجميع مفردة (ناظرين) ومنها:
* ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] أي: الرائين. إلا ما جاء في [سورة الأحزاب: ٥٣] ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ فهي من الانتظار.
- وجاءت بمعنى: (النظر التأملي بالعقل) كقوله تعالى:
* ﴿ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدثر: ٢١ - ٢٢].
نظر في أمر القرآن مرة بعد مرة، وكيف يردّ عليه، وماذا يقول فيه!! على أكثر الأقوال، وقيل: نظر في وجوه القوم.
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].
* ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)﴾ [النمل: ٢٧].
سننظر في أمرك؛ حتى نتيقن من صدق قولك.
* ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤)﴾ [عبس: ٢٤].
* ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥)﴾ [الطارق: ٥].
نظر تأمل واعتبار.

* ومثلها: جميع ما جاء مقترنا ب (كيف)؛ كقوله: «انظر كيف ... ».
- أما ما جاء بمعنى: (الانتظار):
* ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].
(انظُرُونَا) أي: انتظرونا.
* ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)﴾ [النمل: ٣٥].
(فَنَاظِرَة): منتظرة.
*﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨)﴾ [الأنعام: ٨]: لا يُمْهَلون.
* ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]: ينتظرون.
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣].
(ناظرين): غير منتظرين أوان نضجه.
* ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (١٩٥)﴾ [الأعراف: ١٩٥] لا تُمهلون.
- وقد تكرر اللفظ، وكله بنفس المعنى.

[نغرينك]

قال تعالى: ﴿لَئِن لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلا﴾ [الأحزاب: ٦٠].
(لَنُغرِيَنَّكَ) تحتمل معنيين:
١ - من الإغراء: وهو التحريض والتحريش. أي: لنحرضنّك ونسلطك عليهم.
٢ - من الغراء: وهو ملازمة الشيء واللصوق به؛ تقول العرب: (غَرِيتُ بِالرَّجُلِ غَرًى) إذا لَصِقْتَ بِهِ.
والمعنى: سنسلطك عليهم ونزيل الموانع بينك وبين ما يحول دون الإمساك بهم؛ حتى تظفر بكل شيء من أموالهم وأنفسهم؛ فلا يقدروا على الفكاك.
* ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].
(فَأَغرَينَا): من الإغراء، وهو التحريض بعضهم على بعض بكثرة الجدل والخصام والأهواء المختلفة، ومن (الغِراء) أي: جعلنا العداوة بينهم متأصلة فيهم وملازمة لهم لا تفارقهم؛ جزاء نسيانهم ما ذُكّروا به.

[نفشت]

قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].
(نفَشَتْ) أصل النفش: الانتشار والتفرق، ونفش الغنم أو غيرها: هو انتشارها للرعي ليلًا بلا راع يحكمها.

والمعنى: أن غنم قوم دخلت مزرعة قوم آخرين ليلًا بلا راع، فعاثت فيها وأفسدت ثمارها ومحاصيلها؛ فاشتكى صاحبها إلى داود وسليمان .

* ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

(المنفوش): هو الصوف المنتشر المتفرق.

نقيرًا

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].

(نَقِيرًا): النقرة في ظهر النواة تنبت منها النخلة، والمقصود: لو كان شيء من الملك بيدهم ما أعطوا أحدًا أقل القليل من الخير.

* ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرا﴾ [النساء: ١٢٤].

(نَقِيرًا) أي: لا يُظلمون ولا مقدار النقرة التي تكون على ظهر النواة؛ فالله حافظ لأعمالهم لا يبخسهم شيئًا، بل ينميها ويضاعفها بكرمه وفضله.

* وقريب من ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾ [الإسراء: ٧١].

(فَتِيلًا) الفتيل: هو الخيط الذي يكون في شق نواة التمرة؛ أي: لا ينقصهم من أعمالهم شيئًا.

وقريب منه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، القطمير: لفافة النواة، والمعنى: لا يملكون شيئًا.

[نكير]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: ١٨].

(نَكِيرِ) أي: كيف كان إنكاري عليهم الكفر والتكذيب بإيقاع العذاب والعقوبة عليهم؟!

* ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ٢٦].

(نَكِيرِ) أي: فانظر كيف كان إنكاري عليهم؟! وكان إنكار الله لهم بالعقوبة الأليمة المطابقة لحكمته وبأسه؛ فكان إنكارًا شديدًا لم يُبقِ منهم أحدًا، وقد تكررت في الآيات وكلها بهذا المعنى.

* وأما في قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧].

(وَمَا لَكُمْ من نكِير) لها معنيان كلاهما صحيح.

١ - أي: ولا يمكنكم أن تُنكروا، فلا حجة لكم ولا برهان.

٢ - أي: لا أحد يُنكر ما نزل بكم ويدفعه عنكم.

[ننسخ]

قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

(نَنْسَخْ) النسخ في هذه الآية له معنيان:

١ - معنى الإزالة؛ كقولهم: (نسَخَتِ الشمس الظل) فيكون معنى الآية كقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾ [الرعد: ٣٩].

- والنسخ في القرآن له ثلاثة أوجه:

أ- نسخ الحكم مع بقاء اللفظ: كوصية الوالدين والأقربين؛ قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

ب- نسخ لفظ مع بقاء الحكم: مثل آية الرجم.
ج- نسخ لفظ وحكم معًا: مثل آية التحريم بعشر رضعات.
ومثل معنى الإزالة قوله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢] أيْ: يُزِيله.
٢ - معنى تبديل الشيء بغيره؛ أي: نسْخ الحكم؛ فيكون حلالًا بعد تحريم، أو حرامًا بعد حِلٍّ، ونسخ عبادة إلى خير منها.
والمعنى: ما بدلنا من آية نأت بخير منها؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠١].
أما النسخ بمعنى النقل من موضع لآخر مع بقاء الأصل -وهو معنى ثالث- فقد استبعده بعض المفسرين لهذه الآية، ومعناه: ما ننقل وننسخ من اللوح المحفوظ ونتزله؛ لأن القرآن كله منسوخ من اللوح المحفوظ، وهذا المعنى يفسره قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] أي: نكتب أقوالكم وأفعالكم في صحائف الأعمال، فننقل من أعمالكم وأقوالكم نُسخة في الصحائف، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩].

[حرف الهاء]

[هضيم]

قال تعالى في وصف النخل وثمره: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: ١٤٨].
(طَلْعُهَا هَضِيمٌ) الطلع: الثمر، وهضيم يعني: منضم متلاصق بعضه إلى بعض، وقيل: الهضيم يدل على لينه ورطوبته ويسر هضمه، ولا يتعارض المعنيان.
* وقال تعالى في وصف النخل كذلك: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠].
(بَاسِقَاتٍ) الباسق: هو الطويل.
(نَضِيدٌ): هو المتراكب بعضه فوق بعض كما نرى في ثمر النخل.
* وقال: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: ١١].
(الْأَكْمَامِ): الليف الذي هو كالوعاء يحتوي التمر، سميت أكمامًا؛ لأنه يتكمَّم داخلها، وكل ثمر عند بدايته يكون متكمّمًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت: ٤٨].
* ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: ٩٩].
(قِنْوَانٌ): هي عذوق النخل المتدلية التي يتهدّل منها التمر فتدنو من الأرض.
* ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤]، وهو وصف لسوق النخل وجذوعها. انظر: حرف الصاد (صنوان).

[همزة]

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].
(هُمَزَة) اختلف المفسرون في الفرق بين (الهمز) و (اللمز)، ونقول باختصار:
* الهمزة: جمع همَّاز، **وأصل الهمز: الدفع والضرب؛** <u>فهو يكون بالفعل</u>، بعكس اللمز: يكون بالقول، كما يكون بالإشارة.
تقول العرب: (همز الدابة) أي: ضربها أو غمزها ودفعها بشيء، و (همز الشيطان) هو نَغْزُه للإنسان؛ سواء بالمس أو الأذى، أو أزِّه ودفعه لهم إلى المعاصي، والعياذ بالله!
والهماز من الناس: يكون بالفعل؛ سواء باليد أو العصا أو غيره، ويطلق كذلك على من يطعن في الناس ويغتابهم من ورائهم.

* ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]
فـ (همَّاز): الذي يطعن في الناس من ورائهم ويغتابهم.
(لُمَزَةٍ) أصل اللمز: بالقول أو الإشارة بالعين، أو الإيماء بالرأس أو غيره، وقيل: الذي يعيب الناس وينتقصهم أمامهم؛ تقول العرب: (لَمَزَهُ بلسانه) أي: سخر منه، فاللمزة: جمع لمّاز، وهو الذي ينتقد الناس ويسخر منهم وينتقصهم.
* ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].
(يلمزك) أي: يعيبك وينتقدك ويتهمك في عدلك.
* ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].
(يَلْمِزُونَ) أي: يعيبونهم ويحتقرون صدقاتهم؛ لقلة ذات اليد وتصدقهم بالقليل، فيقولون: إن الله غني عن صدقة هذا. وحتمًا لم يكن اللمز هنا مواجهةً؛ فإن اللمز يكون بالقول مواجهة وبغير مواجهة.
* ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].
(تَلْمِزُوا) أي: لا يعَيِّر بعضكم بعضًا، وينتقص بعضكم بعضًا.

[حرف الواو]

واصبًا

قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢].
(وَاصِبًا) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - من وصب، يقال: (وَصَبَتْ عليهم الحُمّى) أي: دامت، فالواصب: هو الدائم.
٢ - من الوَصَب: وهو الشدة، يقال: (الوَصَب والنَّصَب) أي: الشدة والتعب.
فالمعنى: له الدِّين حقًّا ثابتًا دائمًا، وله الدِّين تكليفًا واجبًا على العباد.
* وقال في شأن الجن عند محاولة استراق السمع: ﴿دُحُورا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٩ - ١٠].
(وَاصِبٌ) أي: عذاب دائم لا ينقطع، وعذاب شديد لا يَضْعُف.

وبيلًا

قال تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا﴾ [المزمل: ١٦].
(وَبِيلًا) أي: عذابًا شديدًا ثقيلًا لا رحمة فيه.
* ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].
(وَابِلٌ) أي: المطر الثقيل.
* ومنها قوله تعالى -وقد تكررت في القرآن الكريم-: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٩].

(وَبَالَ) أي: ثِقل الأمر وسوء العاقبة؛ فالوبال في الأصل: هو الثقَل والشدة والمكروه.

[وراءهم]

قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبا﴾ [الكهف: ٧٩].

كلمة (وراء) من الأضداد؛ فتأتي بمعنى: خلف، وتأتي بمعنى: أمام، وتأتي بمعنى: بَعد، وتأتي بمعنى: الإحاطة.

وفي هذه الآية بمعنى أمام: (وكان وراءهم ملك) أي: أمامهم أو بعد وصولهم، وليس خلفهم.

* ﴿وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

(ومن ورائهم برزخ) أي: أمامهم أو بعد موتهم، وليس خلفهم.

* ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا﴾ [الإنسان: ٢٧].

(ويذرون وراءهم): أمامهم أو بعد موتهم، وكذلك المقصود: لم تبالوا به، وأعرضتم عنه وتركتموه وراءكم.

* ﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠].

(من ورائهم) أي: أمامهم أو بعد نشورهم، وليس خلفهم.

- أما بمعنى: خلف، أو بعد؛ مثل الآيات التالية:

* ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] أي: يلحقه من بعده أو خلفه.

* ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

(وراء ظهوركم) أي: خلفكم.

* وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود: ٩٢].

(وراءكم ظِهْرِيًّا) أي: خلف ظهوركم، والمراد: لم تبالوا به.

- وتأتي بمعنى: الإحاطة؛

* ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُّحِيطُ﴾ [البروج: ٢٠].

(مِنْ وَرَائِهِم مُحِيطٌ) أي: بعلمه وقدرته من أمامهم، وبين أيديهم ومن خلفهم.

- وبمعنى سِوى، أو عدا؛

* ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

(ما وراء ذلكم) أي: ما سواه أو ما عداه.

* ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ [البقرة: ٩١].

(ويكفرون بما وراءه) أي: بما سواه.

وهكذا باقي الآيات بأحد هذه المعاني الثلاثة يبينها السياق.

وِردًا

قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدا﴾ [مريم: ٨٦].

(وِرْدًا) أي: عطاشًا، وأصل معنى الوِرْد: هو الإتيان إلى الماء، ولا يردُ أحدٌ الماء إلا بعد عطش غالبًا؛ كقوله

تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القص ٢٣] أي: أتاها يريد الشرب.

وهي هنا في سياق جهنم تحقيرًا ومهانة لهم؛ فهؤلاء يساقون عِطَاشًا أعطش ما كانوا عليه قط ليردوا ويشربوا؛ لا من الماء ولكن من حميم وغساق جهنم، فيَرِدُون النار بدلًا من الماء، نسأل الله السلامة!

* ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

(فأوردهم): فهذا فرعون وأمثاله يتقدم قومه يوم القيامة، فيكون قائدهم إلى ورود نار جهنم، فبدلًا من أن يجد الظل والماء يجد الحميم والغساق؛ فبئس (الورد المورود): بئس مكان الورود لمن ورده.

* ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٩].

(مَا وَرَدُوهَا) أي: ما دخلوها واحترقوا فيها هم وآلهتهم.

وقد ذُكِرت آيات أخرى بمعنى الدخول:

* ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

(وَ ارِدُونَ) أي: داخلون.

* ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

(وَارِدُهَا) أي: داخلها ولو بالمرور على الصراط.

فائدة:

وردت هذه اللفظة في حديث الحوض، حيث قال ﷺ: «لتَزْدَحِمَنّ هذه الأمّةُ على الحوض ازدحام إبلٍ وَرَدَتْ لِخَمْسٍ» حسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٦٨).

فجميع الناس يقومون يوم القيامة عطاشًا كإبلٍ حُبست عن الماء خمسة أيام، فإذا قاموا من قبورهم عطشى فزعين كالفراش المبثوث، تُنَادِي الأنبياءُ أتباعهم للشرب والارتواء، فيشرب الصالحون من أحواض أنبيائهم شربة لا يظمأون بعدها أبدًا؛ فإن لكل نبي حوضًا يدعو إليه من اتبعه، وأوسع الأحواض وأكثرها ورودًا حوض نبينا محمد ﷺ كما قال: «إن لكلِّ نبيٍّ حوضًا، وإنَّهم يتباهَوْنَ أيُّهم أكثرُ وارِدَةً، وإنِّي أرجو أنْ أكونَ أكثرَهم واردَةً» صحيح الجامع (٢١٥٦).

[وردة]

قال تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

(وَردَة كالدِّهَانِ) يصِف الله تعالى حال السماء يوم القيامة أنها ستكون مُحْمَرة احمرار الوَرْد الأحمر، وقوله: (كالدِّهان) أكثر الأقوال أنه: الشيء المُذاب؛ كالزيت المذاب والأصباغ، والنحاس والرصاص المذاب.

فيكون المعنى: تذوب السماء فتكون كالزيت وكالأصباغ الحمراء التي يُدهن بها، وكلون الورد في شدة الاحمرار؛ وهو وصف مخيف لو تخيله السامع بعد أن كانت زرقاء جميلة.

* وقال تعالى في وصفها كذلك: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

(تَمُورُ) المَور: هو الاضطراب والدوران.

أي: أن السماء تضطرب وتتشقق وتتفتح، وتختلف ألوانها وحركتها، ويموج بعضها في بعض.

وفي معنى المَور قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

(تَمُورُ) أي: تتحرك وتضطرب بكم حتى تُهلككم.

وجاء في وصف السماء يوم القيامة كذلك: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨].

(كالمُهلِ) أي: كالزيت المغلي، وقيل: كالنحاس المُذاب، وهو ما يتوافق مع قوله تعالى: (وردة كالدِّهان).
وورد في المُهل كذلك: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٥] وهو طعام أهل النار، الزقوم يكون له في البطون أثر الزيت المغلي الذي يقطّع الأمعاء، نسأل الله السلامة!

[وزر]

قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١٠ - ١١].
(وَزَرَ) الوزر أصلها من الثِّقَلِ؛ فالمعنى (لا وزر): لا ثقل تستند إليه وتختبئ وراءه، أو ملجأ تحتمي به.
* ومنها ما جاء بمعنى: المؤازرة؛ ﴿وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ [طه: ٢٩].
(وزيرًا) فهارون وَزَرٌ لموسى ، فهو ثقل له يدعمه ويسانده.
* ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤] أي: أثقالها وآلاتها.
والثقل يطلق أيضًا على الذنب؛ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر: ١٨].
(لا تزر) أي: لا تحمل، (وازرة) أي: كل نفس مثقلة بذنبها، (وزر أخرى) أي: ذنب غيرها.
* ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١)﴾ [الأنعام: ٣١].
(أوزارهم) أي: ساء ما يحملون من أثقال الذنوب.
* ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢)﴾ [الشرح: ٢].
(وزرك) أي: حملك الذي أثقل ظهرك، والمقصود به: الذنب.
* ومنها قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].
(فَآزَرَهُ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - من الموازرة: وهو الاستواء، والمعنى: لحقوهم في قوة الإيمان. للمزيد انظر: مفردة (شطأه) في حرف الشين.
٢ - من المؤازرة، أي: شدَّ من أزره وقوَّاه وأعانه.

[وسق]

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧].
(وما وسق) أي: وما جَمَع؛ تقول العرب: (وسَقت الشيءَ) أي: جمعته وحملته.
وفي الآية الكريمة يقسم الله تعالى بالليل وما وسق؛ أي: وما جمع وما ضمّ في أجوائه المظلمة من خبايا، مما يخرج فيه من هوام ووحوش وغير ذلك، وما ستر ظلامُه من خير وشر.

[الوسيلة]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].
(الوَسِيلَة) من توسَّل؛ أي: طلب القُرب.
والمعنى: اطلبوا القرب إلى الله باتّباع ما أمركم به من جهاد وسائر العبادات.

* ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورا﴾ [الإسراء: ٥٧].
(الوَسِيلَة) أي: القرب من الله.
يخبر الله تعالى عن غريب فعل المشركين: فإن الذين اتخذوهم آلهة وعبدوهم من دون الله من ملائكة أو أنبياء وصالحين وغيرهم، في شغل شاغل عنهم بالافتقار إلى الله وابتغاء الوسيلة إليه، ويتنافسون أيّهم في ذلك أقرب من ربه، ويرجون رحمته ويخافون عذابه.
فائدة:
ليست الوسيلة كما يظن بعض الجهلة أنها: التوسل إلى الله بجاه النبي أو جاه الولي، بل الوسيلة هي ما يتوصَّل به إلى الله من الأعمال الصالحة التي تُقرِّبنا إليه.
أما ما ندعو به بعد فراغ المؤذن: (اللهم آت محمدًا الوسيلة والفضيلة) فالوسيلة: أعلى درجة في الجنة، اشتُقّ معناها من القرب؛ لأنها أقرب الدرجات إلى العرش، قَالَ رسول الله ﷺ: «سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الوَسِيلَةُ؟ قَالَ: (أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الجَنَّةِ؛ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُو) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦١٢).

وصَّلْنا

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القص ٥١].
(وَصَّلنَا) من التَّوْصِيلُ: وهو مُبالَغَةٌ في الوَصْلِ، وهو ضَمُّ بَعْضِ الشَّيْءِ إلى بَعْضٍ، يُقالُ: (وصَلَ الحَبْلَ) إذا ضَمَّ بَعْضَه إلى بَعْضٍ فَصارَ حَبْلًا.
(القَوْلُ) المُرادُ بِهِ: القُرْآنُ.
والمعنى: بالغنا في وصله متتابعًا لهم، وموصولًا بالحِكَم والمواعظ والبراهين الدالة على الرشد، ومبينة لطريق الهدى.
فائدة:
قال: (وصلنا لهم) ولم يقل: (وصلنا إليهم) فالتعدية باللام تشير إلى معنى زائد على مجرد التوصيل والبلاغ: وهو البيان والتفصيل مما يقيم الحجة عليهم.

[وصية]

قال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١].
(مِنْ بَعدِ وَصِيَّة يُوصِي بِهَا أَوْ دَينٍ):
- الوصية: هي: طلب التبرّع بقدر من المال بعد الموت، ولا تجب إلا لمن عليه حقوق للغير ولا شاهد عليها أو بيّنة.
- الدَّيْن: هو كلّ ما في الذمّة من أموال، قال ابن عثيمين في تفسيره: «فالأجرة دَيْن، والقرض دَيْن، وثمن المبيع دَيْن، والصَّداق على الزوج دَيْن، وعِوَض الخلع على الزوجة دَيْن، وأَرْشُ الجراحات دَيْن، كل ما ثبت في الذمة فهو دَيْن؛ فيقدم الدَّيْن على الميراث، فلو قُدِّر أن الدَّيْن يستغرق جميع المال، فلا شيء للورثة».
فهذه الآية الكريمة وغيرها بيَّنت أن الميراث حقٌّ مؤخَّر بعد تنفيذ الوصية والدَّيْن.
لكن الدَّيْن مقدّم على الوصية، فلماذا أخّره الله تعالى في الآيات؟
والجواب أن من حكمة ذلك:
١ - بيان أهمية الأخذ بالوصية، وحتى لا يُستهان بها.
٢ - لأن الدَّيْن له مُطالِب، فأخّره على الوصية وقدمها؛ لأنها لا مُطالِب لها.

فائدة:
الوصية لها شرطان:
١ - ألا تكون لوارث؛ فالوارث له حصته من الورث، لا يجوز أن يوصى له بأكثر من ذلك.
٢ - ألا تزيد على مقدار الثلث.
وكذلك للمُوصِي شروطٌ يُرجع فيها إلى أهل العلم.
* ومثل هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا
أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].
(مِنْ بَعدِ وَصِيَّة يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَين) هَذَا فِي مِيرَاثِ الْأَزْوَاجِ من الزوجات: فيكون بعد تقديم الدَّيْن والوصية.
(من بَعدِ وَصِيَّة تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَين) هَذَا فِي مِيرَاثِ الزَّوْجَاتِ من الأزواج: فيكون بعد تقديم الدَّيْن والوصية.
(مِنْ بَعدِ وَصِيَّة يُوصَى بِهَا أَوْ دَينٍ) وهذا في فرض الأخ الميت الموروث كَلَالة: ولا يَتِمّ إلا بعد تقديم الوصية والدَّيْن.
و (الكلالة) أي: بلا والد ولا ولد، فإخوته وأخواته لهم نصيب من ميراثه وتركته، ولكن لا يكون لهم هذا الحق إلا من بعد قضاء دَيْن الميت، وبعد إنفاذ وصاياه الجائزة، التي يوصي بها في حياته لتنفّذ بعد مماته.

[الوصيد]

قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبا﴾ [الكهف: ١٨].
(بِالْوَصِيد) اختُلف في تفسيره، والظاهر أنه: فتحة باب الكهف؛ لأن (الوَصِيدَ) من أَوْصَدَ الباب؛ أي: أغلقه. والإيصاد: هو الاغلاق. والبديل للباب هنا هو فتحة الكهف.
* ومن أصل المعنى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠]، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨].
(مُؤْصَدَةٌ) أي: مغلقة مطبقة، والعياذ بالله.

وقرًا

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورا﴾ [الإسراء: ٤٦].
﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرا﴾: الوقر هو الثِقَل، وقد تكررت في القرآن الكريم، والوقر في الأذن: هو ما يُثقلها ويسدّها عن السماع.
* ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرا﴾ [الذاريات: ٢].
الحاملات: هي السحب مثقلة ومحمّلة بالماء؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢)﴾ [الرعد: ١٢].

[وليجة]

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦].

(وليجة) أصلها من: الولوج والدخول، والوليجة هنا: هو الرجل يدخل في قوم للخيانة والتجسس وهو ليس منهم.

والمعنى: (أم حسبتم) والخطاب للمؤمنين بعدما أمرهم بالجهاد (أن تُتْركوا) دون ابتلاء وامتحان يُظهِر حقيقة الصادق من الكاذب؛ فيَتبيّن من يجاهد في سبيله حقًّا ممن يداهن، ويتخذ بطانة ودُخلاء من المشركين يوادُّونهم ويفشون إليهم أسرار المسلمين؛ لأن ذلك من النفاق والخيانة.

* ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

(يلج) يدخل. انظر تفسير الآية في حرف الجيم (الجمل).

* ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١].

(يُولِجُ) يُدخل كل منهما في الآخر، مما ينتج عنه تعاقبهما في سلاسة وانتظام؛ وينتج عن ذلك فصول السنة، وقصر أيام الشتاء وطول لياليه، وطول أيام الصيف وقصر لياليه.

[حرف الياء]

يُبتِّكن

قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

(فَلَيُبَتِّكُنَّ) من الفعل بَتَكَ؛ أي: قطع. تقول العرب: (سيفٌ باتِك) أي: قاطع. وقيل: (البتك) هو قطع الشيء من أصله.

والمعنى: قَطْعُ الأذنِ من أصلها، أو شَقُّها لتكون علامة على أنها للآلهة وتحريمها عليهم فلا ينتفعون بها بأي صورة.

والتشديد في الأفعال مع (لام القسم) دلالة على شدة التوعّد بكثرة العمل، وكثرة المستجيبين له.

يُبْلس

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢].

(يبلس) الإبلاس: هو اليأس وانقطاع الرجاء والحجة، وشدة الحيرة؛ ومنه اشتق اسم (إبليس).

*﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٩] أي: يائسين قانطين.

*﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] أي: آيسون من تخفيف العذاب، قانطون من أي خير.

*﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٧] أي: آيسون من رحمة الله..[

* ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥] أي: آيسون من النجاة، مستسلمون للعذاب.

[يبيتون]

قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].
(يُبَيِّتُونَ) أصل كلمة (يبيتون) من تبييت الأمر ليلًا، ولكن العرب تستعمل هذا التعبير للدلالة على السرية والخفاء؛ لأن الليل أكتم للسر، وأبعد عن اطلاع الناس عليه.
تقول العرب: (بيَّتَ الرجل الأمر) أي: دبَّره ليلًا، أو في الخفاء، و (بيَّت فلانٌ لفلانٍ أمرًا) أي: دبَّر ضده أمرًا في الخفاء.
والمقصود هنا: تدبير الأمر خِفْية؛ فهم يدبرون ويضمرون في قلوبهم ومع بعضهم البعض، وليس بالضرورة أن يكون التدبير ليلًا؛ فالمقصود الخفاء والسّرّيّة، فكل تدبير في الخفاء يسمى تبييتًا، والآية تتحدث عن خيانة نفر من المنافقين وكذبهم على رسول الله ﷺ.
* ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].
(بَيَّتَ) (وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ):
أي: دبروا خِفية خلاف ما قالوا، وهم المنافقون أيضًا، لكن الله تعالى مطلع عليهم، وخيانتهم الخَفيّة ومكائدهم السرية مكتوبة محفوظة، وسيجازيهم عليها.
* ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: ٤٩].
(لَنُبَيِّتَنَّهُ) أي: لندبَّرنَّ أمر قتلهم ليلًا، أو في الخفاء.
(تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) أي: أقسم كل منهم لصاحبه، وتبادلوا الحلف على ذلك.

[يتبدل]

قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨].
(يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ) التبديل يستخدم في اللغة في أمرين:
١ - التبديل بمعنى التعويض؛ أي: يستبدل الشيء بالشيء.
* كما قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].
والمعنى: ومَن يستبدل الإيمان ويجعل الكفر عِوضًا عنه.
٢ - بمعنى التغيير وتحويل الشيء نفسه إلى شيء آخر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦]، فتحولت وتغيرت الجنتان.
والمعنى: أنه مَنْ يُبدّل الإيمانَ فقد غيّر ما في القلب وما فطره الله عليه إلى الكفر، وذلك بتكلف الأسئلة المتعنتة؛ مثل: فِعل بني إسرائيل مع موسى .
فاللفظ (يتبدَّل) يشتمل على: معنى التعويض، ومعنى التغيير؛ فكلاهما صحيح.
* ومثل ذلك: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرا﴾ [النساء: ٢].
(تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ):
١ - أي: لا تستبدلوا الطيب من أموالهم وتعطوهم مكانه الرديء.
٢ - لا تخلطوا أموالكم مع أموالهم فتأكلوها جميعًا؛ فتغيّروا طيبتها حَرامًا.

يتَسنّه

قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩].
(لَمْ يَتَسَنَّهْ) اللفظ مأخوذ من (السَّنة) وهي العام؛ أي: لم يتغير ريحُه وطعمه بمرِّ السنين ومُضيّ الأعوام عليه. تقول العرب: (سَنهَتِ النخلة) أي: مضت عليها الأعوام.
* ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].
(مسْنُون) أي: متغير اللون والرائحة من طول المكث.
* ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: ١٥].
(غَيْرِ آسِنٍ) أي: غير متغير اللون والطعم والرائحة من طول المكث.

[يتنازعون]

قال تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣].
(يتنازعون) التنازع هنا بمعنى: التداول والتجاذب، فهي مداولة الكؤوس من خمر الجنة وتعاطيها، فيتناولونها من الغلمان كأسًا بعد كأس؛ فليس معنى التنازع هنا: الخصام والتدافع على الكؤوس.
*وقريب منها في المعنى قوله تعالى عن قوم أصحاب الكهف: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدا﴾ [الكهف: ٢١] أي: يتداولون الأمر بينهم، ويتجاذبون الرأي: ماذا يفعلون بجثث أصحاب الكهف؟! ويجوز أن يكون معنى (يتنازعون) هنا: يختلفون في شأنهم.
* وقريب منها في المعنى قوله في سحرة فرعون: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ٦٢] أي: تداولوا الأمر فيما بينهم وتشاوروا فيه.
* أما حينما قصد التفرق والاختلاف والتشتت، وكل يدّعي أنه على حق قال: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٣]، ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرا﴾ [المؤمنون: ٥٣].

[يتنافس]

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨].
(فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) التنافس هنا يجمع بين معنيين:
١ - تنافس مع الغير، وأصله من: النَّفَس إذا تسارع بسبب المباراة والاستباق للظفر بالشيء.
فيكون المعنى: فليتبارَ المتبارون للفوز به.
٢ - تنافس مع الذات إذا رغبت في الحصول على الشيء، وأصله من: النفيس، وهو الثمين؛ تقول العرب: (مال منفوس) أي: مرغوب فيه.
فيكون المعنى: فليرغب الراغبون؛ فهو مجاهدة النفس للوصول إلى ما ترغب.
* إذًا: الآية الكريمة فيها حث جماعي للمسابقة والتواصي للوصول، وفيها حث فردي لمجاهدة النفس في نيل النعيم الموصوف في الآيات.
فائدة:
مُجمل الآيات السابقة يصف نوعين من شراب أهل الجنة:

١ - شراب الأبرار: وهو رحيق؛ أي: خمر الجنة يجدون في ختامه وفي نهايته طعم المسك، ويُمزج لهم من عين التَّسْنِيم، قيل: سُميت بذلك لارتفاعها وتسنّمها، وتدفقها من عُلو (كما في الشلالات ربما) ولعلو مذاقها وبلوغه قمة اللذة؛ فهذا شراب الأبرار: خمرٌ مختومة بطعم المسك، ممزوجة بعين التَّسْنِيم.

٢ - شراب المقربين: وهو من عين التَّسْنِيم صِرفًا، وهي خصيصة تميَّزوا بها، وطعمٌ فريد وهو الشرب من هذه العالية حسًّا ومعنى لعلوّ درجاتهم، نسأل الله العظيم من فضله!

[يثبتوك]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

(ليثبتوك) أي: ليقيدوك ويحبسوك، من الإثبات: وهو الحبس والوِثَاق.

ومكرهم: هو القصة المعروفة حينما أرادوا قتل رسول الله ، وتآمروا عليه في دار النَّدْوة، فأطْلَع اللهُ نبيَّه على ذلك؛ فخرج إلى غار بجبل ثَوْر، وجعل عليًّا في فراشه، وذلك في قصة الهجرة إلى المدينة.

[يجمحون]

قال تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧].

(يَجْمَحُونَ) الجموح: هو السرعة التي لا يَرُدّها شيءٌ.

والآية الكريمة تبيّن حال المنافقين وصفاتهم، وهي: الجُبن، والكذب؛ فهم يعيشون بينكم بهذه الصفات من شدة خوفهم من المؤمنين أن تظهر حالهم ويفتضح كفرهم فيُقتّلوا، ولو استطاعوا لفارقوكم وهربوا منكم إلى أي ملجأ أو مغارة.

(أو مُدَّخَلًا) أي: مكانًا أو حتى شقًّا أو نفقًا في الأرض لو استطاعوا أن يدخلوه ويتخفوا فيه لفعلوا، وهم مسرعون مندفعون من شدة الخوف؛ فليس لديهم شجاعة أن يبينوا حالهم لكم.

يُحْفِكم

قال تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦ - ٣٧].

(فَيُحْفِكُمْ) الإحفاء: هو الإلمام والاستقصاء. و (يحفكم) أي: يطلب منكم كلّ أموالكم؛ فتشعرون بالحرج وثِقَل المسألة.

ومعنى الآية: أن الله لا يُلزمكم الخروج من أموالكم كلها، بل شرع لكم إنفاق بعضها؛ فإنّه إن طلب منكم إنفاقها كلها لبخلتم ولخرجت أضغانكم في كراهية أوامر الله؛ لأنه يعلم طبيعة البشر في حب المال.

* ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(حَفِيٌّ) أي: عالم بها، ملمٌّ بكل أمورها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

(حَفِيًّا): لها معنيان:

١ - حفيّ: من الحفاوة والإكرام به.

٢ - حفيّ: من العلم والإحاطة؛ أي: كان عالمًا بكل أمري.

[يحور]
قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١١ - ١٤].
(إنه ظن أن لن يحور) يحور من: الدورة والعودة والرجوع؛ تقول العرب: (لا تسخرن من شيء فيحور بك) أي: يرجع إليك.
والمعنى: إن هذا المكذِّب حَسِبَ أنّه لن يعود إلى الله في الآخرة، وأنه لن يبعث ويجازى؛ فالتهى بدنياه عن آخرته، ولم يكن يبالي بالمآثم والمعاصي؛ فسوف يفاجأ بسوء العاقبة وينادي بالويل ندمًا وحسرة!
فائدة:
جاء في الحديث الشريف: (الاستعاذة من الحَوْرِ بعد الكَوْر) أي: من تغيّر الحال للأسوأ، والرجوع بعد الإقدام.
تقول العرب: (كار الرجل) إذا أسرع. و (كار الرجلُ عمامته) أي: كوّرَها وشدها.
فهي في مجملها تعني: الاستعاذة من الرجوع عن الطريق السّوِيّ بعد المسارعة فيه، وعن النقصان والتخاذل بعد اشتداد الهمة والزيادة.

[يخصفان]
قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١].
(وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ) أي: جعلا يخصفان، والخصف: هو الضم والجمع، وإلصاق الشيء بعضه ببعض.
والمعنى: بعد أن أكلا من الشجرة بدتْ عوراتهما، فجعلا يلصقان أوراق الشجر عليهما بعضه ببعض.
ومنها ما جاء في الحديث الشريف: «كان رسول الله ﷺ يخصف نعله» صححه الألباني في هداية الرواة (٥٧٥٩).
أي: يخيط بعضه إلى بعض، أو يلصق عليه رقعة لإصلاحه.
[يد]
قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].
(عَنْ يَدٍ) لها عدة معان كلها صحيحة ولا تتعارض: وانظر مفردة (الأيد) في حرف الألف لاشتراكها معها في المعنى الأول:
١ - عن يد؛ أي: عن قوة وظهور لكم عليهم، حتى يدفعوها في طاعة واستسلام كاملة غير منقوصة.
٢ - عن يد؛ أي: عن فضل وإنعام عليهم؛ لأن الجزية فداء لأنفسهم فهي معروف في حقهم، فليشعر المسلمون بالتفضل عليهم في قبولها.
٣ - عن يد؛ أي: يسلمون الجزية نقدًا بأيديهم لاستشعار الذّل، فلا ينيبون في تسليمها أحدًا.

يزجي

قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيما﴾ [الإسراء: ٦٦].

(يزجي) من (زجا الشيء) أي: دفعه لينساق. فالتزجية هي: دفع الشيء.

(يزجي لكم الفلك) أي: هو الذي يُسَيّرُها ويجعلها تندفع وتجري في البحر.

* ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابا﴾ [النور: ٤٣].

(يُزْجِي) أي: يسوق السحاب ويسيّره.

* ﴿قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾ [يوسف: ٨٨].

(مزْجَاةٍ) البضاعة المزجاة: هي المدفوعة إلى السوق دفعًا، غير مرغوب فيها لكسادها.

والمعنى: أن إخوة يوسف قالوا له: جئنا ببضاعة كاسدة نسوقها معنا لا أحد يرغب فيها؛ فتقبلها منا وتصدق علينا بأكثر مما تستحق لظروفنا، ولِمَا رأوا من طيبته وإحسانه.

يزفُّون

قال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: ٩٣ - ٩٤].

(يَزِفُّونَ) يزفون من (الزف): وهو الإسراع في المشي. يقال: (زَفّت النعامة) أي: أسرعت.

والمعنى: أن قوم إبراهيم أسرعوا إليه حينما علموا بما صنع بأصنامهم.

يُزلقونك

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ [القلم: ٥١].

(ليُزلِقُونك) من: (الزلق والانزلاق) أي: يسقطونك ويصرعونك بأعينهم من شدة النظر إليك بعداوة، مع ما تحمل تلك النظرات من إعجاب؛ فقد كان بعضهم منبهرًا بحُجج النبي وبراهينه وفصاحة القرآن، رغم تكذيبهم حسدًا وغيظًا؛ فحفظ الله رسوله من شرهم.

وهذه الآية تبين أثر العين في الإصابة والحسد، وأثر التحصين بالذكر والقرآن في صرف العين والحسد ودرء شرهما.

[يستحسرون]

قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩].

(يَسْتَحْسِرُونَ) من: (حَسَرْتُ الدَّابَّةَ) إذا سارت حَتَّى تعبت وتوقفت عن السير، و (حسر الْبَصَرُ) عِنْدَ وصوله أقصى بُلُوغِ النَّظَرِ.

فالاستحسار: هو الانقطاع والملل والإعياء؛ فهم لا يملُّون ولا يسأمون ولا يفتُرون، ولا ينقطعون عن عبادة الله]..

ومن مشتقات اللفظ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤].

(حَسِيرٌ) الحسير: هو الذي يتوقف إعياءً وتعبًا.

فلو نظرتَ لترى عيبًا أو صدعًا لرجع إليك بصرُك كليلًا حسيرًا، وانقطع عن الوصول إلى ما تريد.

* ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

(محْسُورًا) أي: فتقعد ملومًا على تبذيرك، ومحسورًا قد انقطع بك الحال وانقطع ما عندك؛ فتصبح نادمًا على تفريطك.
فهي تحتمل المعنيين ولا تتعارض:
١ - معنى انقطاع الحال وعدم القدرة.
٢ - ومعنى الحسرة والغم على التفريط.
[يستحيون]
قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)﴾ [البقرة: ٤٩].
(يَسْتَحْيُونَ):
تكررت هذه اللفظة في كتاب الله، وهي من الحياة؛ أي: يُبقونهن أحياء؛ سواء للخدمة الشاقة، أو انتهاك الأعراض؛ لأن الله تعالى بَيّن أن إبقاءهن وقتل الذكور، كلا الأمرين بلاء عظيم.
[يستنكف]
قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعا﴾ [النساء: ١٧٢].
(يَسْتَنكِفَ)؛ تقول العرب: (نكِفَ الرجل) أي: أنِفَ وامتنع، يستنكف يعني: يأنف ويمتنع.
والمعنى: لن يأنف ويمتنع عيسى الذي تزعمون أنه إله أن يكون عبدًا لله، ولا الملائكة المقربون الذين هم أفضل وأشرف منكم أيها المستنكفون؛ فهم عابدون خاضعون لله، (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا).
فائدة:
الفرق بين (يستنكف) و (يستكبر):
قيل: الاستنكاف أشد من الاستكبار؛ فهو التكبر مع الأنفة والعزة والتطاول، فيرى -مثلًا- أنه من كبار القوم، فكيف يكون عبدًا!! فيأنف ويمتنع.
وكاستكبار إبليس عن السجود لآدم؛ فهو استكبار أنفة حين رأى أنه خُلق من نار، فكيف يسجد لمن خُلق من طين؟!
أما الاستكبار: فهو مجرد العلو والتكبر عن قبول الحق عنادًا وتمردًا، والمعنى: من يمتنع عن الإقرار بالعبودية لله ويستكبر عن الإذعان لطاعته، فسيجمعهم يوم القيامة للحساب العسير.
* ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيما﴾ [النساء: ١٧٣].
(استَنكَفُوا) أي: أمّا الذين أصروا على الأنفة والكبر، فيعذبهم الله يوم القيامة جزاء عدم إذعانهم وقبولهم الحق.
[يسحتكم]
قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦١)﴾ [طه: ٦١].
(فيُسحِتكم): من الهلاك والاستئصال؛ أي: فيهلككم ويستأصلكم.
ومنه مفردة (السحت) ففي الحديث: «المَسْأَلَةَ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يَأكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا» أي: حرامًا مهلكًا يوم القيامة، ويعني بذلك: غير الصادق في حاجته. قال الألباني: صحيح في صحيح النسائي (٢٤١٨).
[يسخرون]

قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٢ - ١٤].

(يَسْتَسْخِرُونَ) من السخرية والاستهزاء.

- لكن ما الفرق بين (يسخرون) و (يَسْتَسْخِرُونَ)؟

(يسخرون) أي: هم ذاتهم يسخرون.

وأما (يستسخرون) فلها معنيان لا يتعارضان:

١ - مبالغة في السخرية.

٢ - يدعو بعضهم بعضًا إلى السخرية، أو يتبادلون السخرية.

فائدة (١):

السين والتاء: أساسًا تدخل على الكلمة فتفيد المبالغة؛ مثل: (يهزأ ويستهزئ)، (يحقِر ويستحقر)، (أجاب واستجاب)، (أنكر واستنكر)، (تكبر واستكبر)، (اعتصم واستعصم) ويجوز في بعضها الطلب، وهو المعنى الآخر.

والمعنى: بل عجبت. والعجب هنا هو من أقوالهم وأفعالهم المُكذبة؛ لأنها تدعو النبي ﷺ للعجب، بل وكل إنسان عاقل.

(ويسخرون) يسخرون مما يدعوهم إليه النبي ﷺ، وإذا ذكّروا بالعقل والفطرة لا يذكرون: إما جهلًا، أو عنادًا، واستكبارًا.

وإذا رأوا آية فيها دلالة وحجة يبالغون في الاستهزاء، ويتداعون إلى السخرية مع بعضهم البعض.

* ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [٦٢ - ٦٣].

(سِخْرِيًّا) بكسر السين، من السخرية والاستهزاء.

والمعنى: يوم القيامة ينظر الكفار حولهم إذا دخلوا النار؛ وكأنهم يبحثون عن أهل الإيمان الذين طالما استهزءوا بهم في الدنيا، فيقول بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى رجالًا كنا نعدّهم في الدنيا من الأشرار؟! ثم يجيب بعضهم بعضًا: هل سخريتنا بهم خاطئة؛ فكنا نعدهم أشرارًا وهم ليسوا كذلك؟! أم أنهم معنا في النار لكن تجاوزوا أبصارنا فلم نرهم؟

* ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠].

(سِخْرِيًّا) اشتغلتم بالاستهزاء بالمؤمنين حتى نسيتم ذكر الله، ونِسيانُكم الذكرَ يقوّي الشيطانَ على إغوائكم، ويمدّكم بالمزيد من السخرية والضحك ونسيان الله والدار الآخرة.

فائدة (٢):

قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

(سُخريا) -بضم السين- من التسخير؛ أي: ليكون بعضهم مُسَخَّرًا لبعض في معاشهم؛ فبذلك تقوم الحياة وتستقيم.

[يسطون]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢].

(يَسْطُونَ) أي: يبطشون. من (السطوة) وهي الأخذ بسرعة؛ تقول العرب: (رجل ذو سطوة) أي: ذو قوة وبطش. و (سطا اللص على المتاع) أي: انتهبه بقوة وسرعة.
والمعنى: أن الذين كفروا إذا سمعوا الذين آمنوا يتلون كتاب الله]،، ترى وجوههم العابسة المُكْفَهِرّة؛ فتعرف منها شدة الكراهة والبغض للحق ولدين الله، ويكادون يَثِبُون على المؤمنين فيبطشون بهم.

[يصحبون]

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣].
(يُصْحَبُونَ) أي: لا يجارون منا ولا يُمنعون. تقول العرب: (أَنَا لَكَ جَارٌ وَصَاحِبٌ مَنْ فُلَانٍ) أي: مُجِيرٌ مِنْهُ.
والمعنى: سؤال استنكاري: أَلَهُمْ آلِهَةٌ تَجْعَلُهم في مَنَعَةٍ وحماية منا فلا يَنالُهم عَذابُنا؟!
فتلك الآلهة عاجِزة عَنْ نَصْرِ نفسها، فَكَيْفَ تنصر غيرها؟
(ولا هم مِنّا يُصْحَبُونَ) ولا يجيرهم وينصرهم هم وآلهتهم مِنْ عَذابِنا أحدٌ.

[يصدفون]

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].
(يَصْدِفُونَ) من الصَّدَف: وهو الإعراض والميل عن الشيء. تقول العرب: (صَدَفَ عني بوجهه) أي: انصرف بوجهه عني.
والمعنى: أعرض عن آيات ربه، وانصرف عنها بعدما أتته فلم يؤمن ولم يصدّق.
* ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].
(وَصَدَفَ عَنْهَا) أعرض عنها.
ويشتمل اللفظ على معنيين:
١ - أنه يُعرض عنها بنفسه.
٢ - أنه يصد غيره عنها.

يصدُّون

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].
(يَصِدُّونَ) لها قراءتان صحيحتان:
١ - بكسر الصاد: يصِدون من (الصديد) وهو: الضجيج والصياح؛ أي: يضحكون ويضجون تهكمًا وسخرية واستهزاءً.
٢ - بضم الصاد: يصُدون من (الصّد) والإعراض.
- وسبب نزول الآية:
لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قال أحدهم -وهو ابن الزِّبَعْرَى-: إنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ: إنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي النّارِ، وإنَّنا وأَصْنامَنا جَمِيعًا في النّارِ، وهَذا عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ قَدْ عَبَدَهُ النَّصارى مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإنْ كانَ ابْنُ مَرْيَمَ مَعَ النَّصارى الَّذِينَ عَبَدُوهُ

فِي النّارِ، فَقَدْ رَضِينا أنْ نَكُونَ نَحْنُ وآلِهَتُنا مَعَهُ! وظنوا أنهم بذلك قد أفحموه؛ فضجوا ضحكًا وزادهم ذلك إعراضًا.
فأنزل الله ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] فالذي يكون في النار هو: حجارتهم وأوثانهم غير العاقلة، والذي يكون راضيًا بعبادة الناس له مثل فرعون.
فمعنى الآية الكريمة يتّسع ليشمل المعنيين؛ ليرسم صورة لكفار قريش في موقفهم هذا بين الضجيج والإعراض والتهكم. [انظر القصة في: الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل الوادعي (ص ١٣)].

[يطمثهن]

قال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤].
(يَطْمِثْهُنَّ):
الطمث في اللغة له معنيان:
١ - الطمث: هو الدم والحيض.
٢ - والطمث: هو اللمس؛ تقول العرب: (هذا بعيرٌ ما طَمَثَهُ حَبْلٌ قط) أي: ما مسَّه.
والمقصود على المعنيين: أنهن أبكار لم يمسسْهن الرجال من جنٍّ وإنس؛ فنساء الجنة من الحور العين أبكار، وكذلك نساء الدنيا في الجنة يُعَدْنَ أبكارًا، بل كلما أتاها زوجها تعود بكرًا كما كانت.
وليس في الجنة طمثٌ ودماء ونجس، ولكن عبّر به عن البكارة.
فائدة:
ذكر ابن عثيمين في تفسير الآية: أن فيها دلالة على أن الجن يدخلون الجنة مع الإنس؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨] وهذا نص القرآن، وأجمع العلماء على أن كافر الجن يدخل النار، ومؤمن الجن يدخل الجنة.

يظنّون

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].
يأتي الظن في القرآن الكريم على معانٍ بحسب سياق الجملة:
١ - بمعنى اليقين.
٢ - بمعنى الحُسْبَان، وترجيح أحد الأمرين.
٣ - بمعنى الشك والرّيب.
٤ - بمعنى الاتهام.
٥ - بمعنى التوهم.
- ومنها ما يحتمل معنيين.
وذكر الزركشي ضوابط لمعرفة الشك من اليقين، لكنها لا تستقيم مع جميع الآيات؛ فلذلك لم نذكرها.
- وفي الآيات التالية يأتي (الظن) بمعنى: اليقين:
* ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].
(يَظُنُّونَ) أي: الذين لديهم يقين واعتقاد جازم بلقاء ربهم.
* ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨].
(وَظَنَّ) أي: أيقن أنه ميّت لا محالة حين عاين الملائكة وساعة الاحتضار.
* ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

(فَظَنُّوا) أي: تيقنوا وتأكدوا أنهم واقعون فيها لا محالة بعد أن رأوها.
* ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠].
(ظَنَنْتُ) أي: علمت وأيقنت، وذلك يوم القيامة.
* ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].
(وَظَنُّوا أَنْ لا مَلجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيهِ) أي: تيقنوا أنه لا مُخرج لهم من الشدائد إلا الله فلجأوا إليه.
* ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].
(وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) أي: أيقنوا بالهلاك.
* ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨].
(وَظَنُّوا مَا لَهُمْ من محِيص) أي: وأيقنوا يوم القيامة أنهم لا مفر لهم ولا مهرب.
* ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)﴾ [٢٤].
(وَظَنَّ) أي: أيقن وعلم أنه اختبار من الله له.
* ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢)﴾ [الجن: ١٢].
(ظَنَنَّا) أي: أيقنا وعلمنا أننا لا نعجز الله ولا نفوته إذا أراد بنا أمرًا.
* ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].
(ظَنَّ) أي: علم وأيقن بنجاته بناء على الرؤيا.
- في الآيات التالية يأتي (الظن) بمعنى: الحُسْبَان، وترجيح أمر على آخر:
* ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].
(وَظَنَّ أَهلُهَا) أي: حسبوا وغلب على ظنهم أنهم قادرون على الانتفاع بها وطول العيش فيها.
* ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].
(ظَنَنْتُمْ) أي: حسبتم أن الله لا يراكم ولا يسمعكم.
* ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].
(ظَنُّكُمُ الذي ظَنَنْتُمْ) أي: حسبتم أن الله لا يراكم؛ فذلك ظنكم الفاسدُ الذي ظننتم بربكم جعلكم تُمْعِنون في المعاصي والكفر.
* ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] أي: حسب أن لن يبعثه الله من جديد؛ فتمادى في غيّه.
* وكذلك جميع تكذيب الأمم لرسلهم تكررت في الآيات مثل: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦].
الظن هنا: الحُسْبَان؛ فهم بمجرد الظن كذبوه بلا حجة ولا برهان ولا يقين.
* ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القص ٣٩].
الظن بمعنى: الحُسْبَان؛ أي: حسبوا أنهم لن يبعثوا بعد الموت.

* ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢].

ما نما إلى حسبانكم أيها المؤمنون أن هؤلاء سيخرجون من حصونهم، وحسبوا هم أن حصونهم سوف توفر لهم الحماية.

* ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

الظن هنا يعني: ترجُّح لكل واحد منهما أنه قادر على أن يقوم بحقوق الآخر التي فرضها الله.

- الظن ورد في الآيات التالية بمعنى: التوهّم:

وقد تكرر قوله تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) في عدة آيات منها:

* ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ):

والمعنى: أنهم يتّبعون الأوهام والتخمينات الكاذبة.

* ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

(فَظَنَّ) أي: توهّم خطأً في خِضَمّ البلاء ورفض قومه أن الله لن يضَيّق عليه بالامتحان بسبب تركه قومه بعد عنادهم وكفرهم؛ فربما يُعفيه ويرسل لهم غيره، أو شيء من هذا القبيل.

- مفردة (ظنَّ) بمعنى: الشك، أو الوهم:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

(وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) ظَنّ هنا تحتمل معنيين:

١ - معنى الوهم؛ أي: ليس لهم من الكتاب إلا القراءة، أما حقيقة العلم فليس لديهم إلا أكاذيب وأوهام تعلقوا بها.

٢ - معنى الشك؛ أي: ليس لهم من الكتاب إلا حظ القراءة، أما الإيمان بما جاء فيه فليس لديهم إلا الشك والارتياب.

* ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

(وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا): اختلف فيها المفسرون بين معنى الحُسْبَان، ومعنى اليقين: ومنها قولان لا يتعارضان:

١ - بمعنى اليقين -وعليه أكثر المفسرين-؛ أي: أيقنت الرُّسُلُ بأَنَّ أَتْبَاعَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ لتأخر النصر؛ فيئسوا من إيمانهم. وكذلك الأُمَم أيقنوا بأنَّ الرُّسُل أُخْلِفُوا ما وُعِدُوا بِهِ مِنْ النَّصْر؛ فجحدوا.

٢ - بمعنى الوهم؛ أي: أن الرسل من شدة البلاء تَوَهَّمُوا أنَّ الذي جاءَهم مِنَ الوَحْي كانَ حُسْبانًا مِنْ أنْفُسِهِمْ، وحسبوا أن أنفسهم كذَبَتْهم في تلقي الوحي؛ حيث مُحال عليهم أن يُكَذِّبوا الوحيَ نفسه، وها هو موسى في أحلك الظروف: أمامه البحر، وخلفه فرعون وجنوده؛ قال بيقين: (كلا إن معي ربي سيهدين)، ومثل هذا القول ذكره ابن عطية في تفسيره، وكذلك السعدي.

- الظنّ هنا بمعنى: الاتهام بالباطل؛ قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

(ظَنَّ السَّوءِ): أي: اتهموا الله تعالى في حُكمه؛ فظنوا بالله ظن السوء: أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، وأن أهل الباطل ستكون لهم الدائرة على أهل الحق.
* كذلك في قوله تعالى -في مفردة سابقة-: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] وفي قراءة صحيحة: (بظنين) أي: متَّهم.
والمعنى: ليس بمتّهم فيما يخبركم به، فهو الصادق المصدوق ؛ فلا يتهم في تبليغه، ولا يتهم في قُواه وصفاته.

[يعدلون]

كلمة (يعدلون) تكررت في القرآن الكريم بمعنيين مختلفين:
المعنى الأول في الآيات التالية:
* ﴿أَءِلَاهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].
* ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].
* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].
(يعدلون): لها تفسيران كلاهما صحيح:
١ - بمعنى العِدْل -بكسر العين- أي: المساوي مع الله؛ فهم يتخذون شركاء مساوين لله.
٢ - بمعنى العدول؛ أي: الانحراف عن توحيد الله.
أما المعنى الثاني فجاء في الآيات التالية:
* ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].
* وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].
والمعنى: من العَدْل -بالفتح- أي: يحكمون بالحق؛ فهم يهدون بالحق، وبه يحكمون ويعدلون بين الناس.
- فالمعنى في الآيات الأولى من (العِدْل) أي: الُمساوي، والنظير، والمثيل.
- والمعنى في الآيات الثانية من (العَدْل): وهو الحكم بالحق والصواب.

يُعْرَفن

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيما﴾ [الأحزاب: ٥٩].
(يُعرَفنَ) لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - أن يُعرَفنَ أنهن حرائر؛ فلا يتعرض لهن الفساقُ الذين يتعرضون للإماء.
٢ - أن يُعرَفنَ بالحشمة والوقار والعفة؛ فيعرف الرجال قدرهن، فلا يتعرض لهن الفساق.

[يعزب]

قال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].
(لَا يَعْزُبُ) أي: لا يبْعُد عنه، ولا يغيب عن علمه شيء مهما دق؛ تقول العرب: (رجُلٌ عَزَب) أي: بعيد عن النكاح. و (مرعى عزيب) أي: مرعى بعيد.
* ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] أي: وما يبعد ولا يغيب عن علمه جل وعلا.

[يعصرون]
قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩].
(يعصِرُونَ) أي: يستخرجون عصارة الثمار.
(فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) أي: بعد سِنِي الجدب يأتي عام يغيثهم الله بكثرة المطر والخير؛ فتكثر الزروع والغلات حتى تزداد الأقوات والثمار، فيستخرجون منها الزيوت والعصارة، والعصائر المختلفة؛
كعصير العنب، وزيت الزيتون، وغير ذلك.
* ومن معنى اللفظ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجا﴾ [النبأ: ١٤].
(المعصرات): هي السحب تُعتَصَر بالرياح؛ فيسيل منها المطر.

يغلّ
قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].
(يَغُلَّ) الغلول: الخيانة في المغنم، وكتمان الغنيمة وأخذها في الخفاء، ومن أي مال يتولاه الإنسان.
وفي الآية الكريمة ينفي الله عن نبيه هذه الخصلة القبيحة؛ لأن الله عصم أنبياءه عما لا يليق بمقامهم.
وفيها رد على فداحة الاتهام الصادر من المنافقين بنسبة الغلول إليه ﷺ في غزوة بدر، وهو منه براء، وغلول النبي يشتمل على معنيين:
غلول المال، وغلول العلم؛ فغلول العلم كتمه، وغلول المال إخفاؤه وأخذه، وكل هذا منتفٍ عن النبي وحاشاه.
(يأت بما غل يوم القيامة): تبين عقاب من يغلّ؛ وهو الفضيحة على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، فيأتي حاملًا جميع مسروقاته على رقبته يوم القيامة؛ كما ثبت في الصحيح نسأل الله السلامة والعافية!!

يَغْنَوا
قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢].
(يَغنَوا) تكررت هذه المفردة في كتاب الله، وبعد البحث المتعمق في المفردة تَرجَّح أنها تشتمل على معنيين:
١ - الاستغناء: وهو الكفاية والبقاء.
٢ - والغِنى: الذي هو ضد الفقر.
تطلق العرب صفة: (المَغانِي) على المَنازِل المَعْمُورَة بِالأهْل؛ لأنها مقترنة بتنعم العيش والكفاية، فيستغني بها ساكنها عن غيرها.
ومن هنا جاء المعنى: (كأن لم يغنوا) أي: كأن ديارهم بعد إهلاكهم بالرجفة لم تكن غانية وناعمة نضرة ومعمورة بهم، وكأنهم لم يسكنوها قط؛ فقد محيت واستؤصلت وذهبت معالمها وكل شيء فيها، وأصبحت خرابًا ودمارًا.
فالقرآن الكريم يضيف للفظ معنى زائدًا عن معاجم اللغة؛ ليصبح المعنى أكثر قوة وأدق وصفًا.
* ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

(تَغنَ): كأن لم تُسكن وتعمّر، وتكون غِناءً لساكنيها بما كان فيها من نعم وأرزاق.
* ومن ذات المعنى اسم الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].
(الغَنِيُّ) ويشتمل على المعنيين:
١ - الغني: الذي بيده الخير كله، وخزائن السماوات والأرض بيديه.
٢ - الغني: الذي استغنى بذاته عن كل شيء؛ فلا يحتاج إلى أحد من خلقه.
- أما معنى الاستغناء وحده: فيدل عليه:
* قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].
(يُغنِيهِ) أي: يكفيه عن الاشتغال بغيره.
* ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].
(تُغنِي): لن تكفيهم في التحذير والإنذار؛ لأنهم لا يؤمنون بها.

يُغيّرُنّ

قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينا﴾ [النساء: ١١٩].
(فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلقَ اللَّهِ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - أن يغيِّروا فطرة الله التي خلق الناس عليها، من التوحيد إلى الشرك.
٢ - أن يغيروا خلق الله وما صورهم عليه، بالوَشْم والنَّمْص وما أشبه ذلك.

يُفتنون

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].
(يُفْتَنُونَ) الفتنة لها عدة معان في كلام العرب:
١ - فمن معانيها: الاختبار والتمحيص؛ فيقال: (فَتَنْتُ الذهب والفضة) أي: أذبتهما بالنار واختبرتهما؛ ليخرج الرديء من الجيد.
٢ - ومن معانيها: حب الشيء والإعجاب به.
٣ - وتأتي بمعنى: الشرك والضلال.
٤ - وبمعنى: العذاب والعقاب.
فالفتنة هنا: هي الامتحان والتمحيص؛ ليظهر المؤمن من الكافر، والصالح من الفاسد.
والمعنى في الآية الكريمة السابقة: يمتحنون بالأمراض والجوع وغيره؛ لعلهم يتوبون إلى الله.
- والآيات التي وردت في هذا المعنى كثيرة وهي:
* ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].
(يُفْتَنُونَ) أي: لا يمتحنون بأنواع البلاء بالبأساء والضراء؛ حتى يتبين صدقهم وثباتهم.
* ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].
(فِتْنَةٌ) أي: امتحان واختبار لكم.
* ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

(لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنختبرهم ونمتحنهم بها.
* ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدا﴾ [الجن: ١٦ - ١٧].
(لنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنختبرهم ليظهر الشاكر من الكافر.
* ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].
(فِتْنَتُهُمْ) أي: لم يكن جوابهم على اختبارنا وسؤالنا لهم يوم القيامة: (أين شركاؤكم؟) إلا أن يتبرأوا منهم حين يرون الحقائق، ويحلفون: واللهِ ربنا ما كنا مشركين!
* ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].
(فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ) أي: جعلنا بعضهم لبعض امتحانًا وابتلاءً؛ فمنهم غنيّ ومنهم فقير، ومنهم شريف ومنهم وضيع.
* ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].
(فِتْنَتُكَ) أي: ابتلاؤك يا رب، وامتحانك لعبادك.
* ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].
(فتنة) أي: امتحان وابتلاء؛ فالعبد ممتحن بأمواله وأولاده.
* ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)﴾ [٢٤].
(فَتَنَّاهُ) أي: أيقن داود أنما دبرنا له القضية لنختبره بها.
* ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [٣٤].
(فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) أي: اختبرناه.
*﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧] أي: اختبرناهم وابتليناهم بإرسال موسى إليهم.
*﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ [القمر: ٢٧] أي: اختبارًا لهم؛ ليتبين المطيع من العاصي.
*﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] أي: اختبارًا لهم؛ ليتبين المصدق من المكذب.
* ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥] أي: اختبرناهم فلم يصبروا، وإنما عبدوا العجل.
* ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].
(وَلَا تَفْتِنِّي) أي: لا توقعني في البلاء والامتحان، فأقع في المعصية. وهو أحد المنافقين يستأذن في التخلّف عن غزو الروم مع رسول الله ﷺ بحجة أنه يخاف على نفسه رؤية نساء بني الأصفر الجميلات.
(ألا في الفتنة سقطوا) أي: وقعوا في ابتلاء أكبر منه، ومعصية أعظم؛ وهي التخلف عن الغزو.
* ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠] أي: إنما ابتليتم بالعجل.

*﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] أي: تمحيصًا واختبارًا؛ ليرى المحسن من المسيئ.

*﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١] أي: لعل إمهالكم وعدم تعجيل العذاب الذي سألتموه يكون فيه امتحان لكم واستدراج.

*﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣] أي: اختبارًا ليُظهِر به ما في قلوبهم.

*﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧] أي: تُختبَرُون بالسراء والضراء؛ لينظر هل تتوبون أم لا!

* ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣] أي: اختبرنا مَنْ قبلهم بالمصائب والمحن؛ لنعلم الصادق من الكاذب.

- والفتنة فيما يأتي من الآيات تحمل معاني: الكفر، والضلال، والفساد، والصد عن سبيل الله:

* ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

(الفتنة) الشرك والكفر؛ والمقصود من الآية: اقتلوا المشركين المعتدين في أي مكان، وأخرجوهم كما أخرجوكم وهجّروكم؛ لأن تركهم بفسادهم فيه نشر للكفر، والكفر أشد من القتل.

* ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

(والفتنة) أي: الكفر والصد عن سبيل الله تعالى أكبر من القتل في الشهر الحرام دفاعًا عن دين الله وأهله.

* ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

(فَتَنتُمْ) أي: أضللتم أنفسكم في الدنيا بالشك بما جاء من عند الله والكفر به.

* ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

(حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) أي: حتى لا يظهر وينتصر الشرك والكفر بالله، وهو أعظم فتنة.

* ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨].

(الفتنة) أي: أراد المنافقون الصد عن دين الله وفرقة المسلمين.

* ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرا﴾ [الأحزاب: ١٤].

(الْفِتْنَةَ) أي: الكفر والشرك.

والمعنى: لو دخلت جيوش الأعداء من نواحي المدينة و (سُئِلُوا الفِتْنَةَ) أي: طُلِبَ من المنافقين فيها الكفرُ والرجوعُ عن الإيمان، لعادوا وأشركوا، ولم يتأخروا عن ذلك إلا يسيرًا.

* ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

(ابتغاء الفِتْنَة) أي: للتلبيس على الناس، وصدهم عن الدّين وإضلالهم.

* ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩١].
(الفِتْنَةِ) أي: كلّما رُدّوا إلى الشرك؛ وهؤلاء هم فريق من أهل النفاق يُظهرُون لكم الإسلام ليأمنوكم، كلما غرّهم أو دعاهم أحدٌ للكفر والشرك رجعوا إلى شركهم.
* ﴿يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].
(لا يفتننكم) أي: احذروا ألا يغريكم، ويزين لكم الفسوق والكفر والضلال.
* ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].
(يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ) أي: يريدون الصدّ عن سبيل الله وإيقاع الفساد بينكم، والخروج عن طاعة الله]. وطاعة رسوله.
* ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].
(إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فتنة) أي: تكن فتنة بغلبة الكفار والصد عن دين الله، ونشر الكفر والشرك، واختلاط الحق بالباطل.
* ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلا﴾ [الإسراء: ٧٣].
(وإن كادوا لَيَفْتِنُونَكَ) أي: يضلونك ويصرفونك عن الحق بما يوافق أهواءهم.
* ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦١ - ١٦٣].
(فاتنين) أي: مضلين.
والمعنى: أيها المشركون، أنتم لا تقدرون على أن تضلوا أحدًا إلا من قضى الله عليه أنه من أهل الجحيم؛ فينفذ فيه قضاؤه.
* ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١].
(فتنته) أي: ضلاله، أو كفره.
فائدة:
قد يقول قائل: كيف نقول: إن الضلال بيد الله وحده، وفي الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» صحيح البخاري (١٣٨٥)، مسلم (٢٦٥٨) مما يعني أن أبواه يساهمان في ضلاله؟!
فالجواب: المضلات كثيرة لا تقتصر على ديانة الأبوين؛ فإبليس مضل، وأباليس الإنس المضلة كثيرة، والمراد: أن الله هو الذي يقضي بالهدى والضلالة، لكن عوامل الضلال كثيرة، ولا تكون فاعلة إلا بإذن الله.
- والفتنة فيما يأتي من الآيات تعني: البلاء والعذاب:
* ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ١٣ - ١٤].
(يُفْتَنُونَ) أي: يعذبون.
(فِتْنَتَكُمْ) أي: ذوقوا العذاب الذي كذبتم به وأردتم تعجيله.

* ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].
(فُتِنُوا) أي: من بعد ما عذبهم المشركون؛ ليمنعوهم من الدخول في الإسلام.
* ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].
(فَتَنُوا) أي: عذبوهم وأحرقوهم بسبب إيمانهم؛ ليصدوهم عن دينهم.
* ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣].
(يَفْتِنَهُمْ) أي: يعذبهم ويقتلهم ويصدهم عن دينهم.
* ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١].
(يَفْتِنَكُمُ) أي: ينالوكم بمكروه.
* ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].
(فِتْنَةَ النَّاسِ) أي: جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله.
* ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١].
(أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) أي: بلاء ومصيبة ومكروه.
* ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧١].
(وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ) حسبوا ألا يأخذهم الله بعذابٍ وعقوبةٍ جزاءَ أفعالهم.
- ومن الآيات ما جاء يحتمل معنيين لا يتعارضان:
* ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].
* ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥].
(لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً) لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - أي: لا تسلطهم علينا، فيفتنونا عن ديننا ويعذبونا.
٢ - أي: لا تجعلنا سبب فتنة لهم، فيروننا مغلوبين مقهورين؛ فيقولوا: لو كانوا على حق لما غلبوا؛ فيفتتنوا بسببنا.
ومنها ما دل على معنى: العذاب، وكذلك: الامتحان.
* ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١] تحتمل معنيين:
١ - إلا عذابًا لهم في الآخرة جزاء تكذيبهم.
٢ - إلا امتحانًا لهم في الدنيا واختبارًا؛ ليتضح مَنْ يؤمن ومَنْ يكفر.
* ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ [الصافات: ٦٢ - ٦٣] فيها قولان:
١ - أن الشجرة جُعلت فتنةً وابتلاءً للكفار؛ ليتضح المؤمن مِنْ المكذب، فقد كانوا يتندّرون بها غير مصدقين وجود شجرة في النار.
٢ - أنها جُعلت عذابًا لهم يوم القيامة؛ فيعذَّبون بالأكل منها.

* ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].
(أن تصيبهم فتنة) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - أي: يحصل لهم معصية كبيرة وكفر؛ بسبب مخالفتهم للنبي ﷺ.
٢ - أن يصيبهم عذابٌ شديد يوم القيامة بسبب ذلك.
* ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٥ - ٦].
(الْمَفْتُونُ) تحتمل معان منها:
١ - بأيكم المفتون؛ أي: مَنْ منكم المجنون.
فالمعنى: سترى يا محمد وسيرون إذا نزل بهم العذاب من هو المفتون بالجنون على الحقيقة؛ أنت، أم هم؟ لأنهم اتهموه بالجنون ومسّ الجن، فبرأه الله بقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].
٢ - بأيكم المفتون؛ أي: مَنْ منكم الذي ضل وفُتن في دينه.
والمعنى: سترى يا محمد وسيرون إذا نزل بهم العذاب من هو المفتون بالضلال على الحقيقة؛ أنت، أم هم؟ ويؤيد المعنى ما جاء بعدها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [القلم: ٧].
* أما قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى﴾ [طه: ٤٠].
(وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا): المقصود به موسى ، ولها ثلاثة معان:
١ - خلّصناك تخليصًا مرة بعد مرة مما وقعت فيه من شتى المحن.
٢ - أخلصناك إخلاصًا حتى وصلتَ إلى ما وصلتَ إليه من الاصطفاء للرسالة.
٣ - ابتليناك ابتلاءً واختبرناك اختبارًا شديدًا بصنوف المِحَن.

[يلونكم]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].
(يَلُونَكُمْ) أي: الأقرب إليكم مكانًا؛ فالوَلْيُ: هو القُرب؛ يقال: (تباعدوا بعد وَلْي) أي: بعد قُربٍ.
وفي الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى للمؤمنين في القتال: وهو أن يبدأوا بالأقرب فالأقرب من أعدائهم الكفار المحاربين لهم، إلا إذا استدعت المصلحة غير ذلك.
فبعد أن أرشدهم]. في أول السورة إلى قتال جميع أعدائهم المحاربين لهم في قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] أرشدهم بأن يبدأوا بالأقرب فالأقرب؛ حتى يأمنوا هجومهم ومكرهم.

يُمَحّصَ

قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].
(وَلِيُمَحِّصَ) لها معنيان هنا:
١ - لينقِّي ويطهِّر ويخلِّص بهذا البلاء عباده المؤمنين من الذنوب والسيئات.
٢ - ليختبر ويُظهر بيان صدق من يصبر على الضراء ممن يجزع ولا يصبر.
* ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].
(وَلِيُمَحِّصَ) التمحيص هنا بالمعنى الثاني، وهو: الاختبار وبيان صدق القلوب.

[ينزفون]
قال تعالى في وصف خمر الجنة: ﴿فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧].
(غَوْل): الغَول من الغِيلة والغائلة: وهو الأخذ خفية، وما يغتال العقل ويُذهبه.
والمعنى: ليس في تناولها ذهاب للعقول؛ فهي لا تغتال عقولهم ولا تُذهبها ولا تصدعها، ولا أذى فيها على شاربها من أي وجه.
(يُنْزَفُونَ) النزف بمعنى: ذهاب الشيء وخروجه.
ولها في الآية الكريمة معنيان لا يتعارضان:
الأول: ذهاب العقول؛ تقول العرب: (أنزف الرجل) إذا ذهب عقله. أي: لا يقومون عنها نازفين سُكارى كخمر الدنيا؛ فالعرب تقول للسكران: منزوف العقل، وتقول: ينزف الدم من الجرح، وينزف الدمع من العين، وينزف الماء من البئر، وكذلك مع السكْر: ينزف العقل من الرأس مجازًا.
الثاني: ذهاب الخمر نفسها وانقطاعها؛ تقول العرب: (قد أنزف الرجل) إذا فنيت خمرُه.
فالمعنى: لا تنقطع عنهم ولا تنفد، فهي متوفرة عندهم على الدوام.
خلاصة المعنى: أنهم في مجالس الخمر يستأنسون، وتدور عليهم الكؤوس لا تنقطع ولا تنفد؛ فكلما أرادوا فهي حاضرة يتمتعون بلذتها وطيب مذاقها، ولا يَسكرون ولا يُصدعون ولا تذهب عقولهم كخمر الدنيا.
* ومثلها قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩].
(يُنْزِفُونَ) بكسر الزاي؛ أي: لا تذهب بها عقولهم، ولا هي تذهب وتنفد وتنقطع عنهم.
[ينعق]
قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاء﴾ [البقرة: ١٧١].
(ينعق) أي: ينادي ويصيح رافعًا صوته، والناعق: هو الراعي الذي يصيح زاجرًا لأغنامه.
والتشبيه هنا له تفسيران يحتملهما الن
١ - حالة إقبالهم على عبادة الأصنام: فشبه الكفار في عبادة الأصنام بالراعي الذي يصيح على غنمه وهي لا تفقه نداءه؛ فهم كذلك يدْعون صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا.
٢ - حالة إعراضهم عن الحق: فشبه الذين كفروا بالبهائم، وداعيهم: هم الأنبياء للأمم عمومًا، والنبي ﷺ لهذه الأمة يزجرهم ويعظهم إلى طريق الهدى، ويحذّرهم من النار وهم صم بكم عمي؛ فالناعق في هذا المثال: تشبيه هيئة بهيئة، وليس لفظًا بلفظ.
وفي التشبيهين تنديد بالكفار: بعدم الامتثال للحق، وصَم آذانهم عما فيه النفع لهم، ولتقليدهم لآبائهم ورؤسائهم تقليدًا أعمى فيعطلون حواسهم ومداركهم.
[ينغضون]
قال تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبا﴾ [الإسراء: ٥١].
(فَسَيُنْغِضُونَ) تقول العرب: (أنغض رأسه) أي: حرَّكه استهزاءً.
والمعنى: أن هؤلاء الكفار المكذبين بالبعث سيسألونك سؤال استبعاد وتكذيب وسخرية عن يوم البعث، ويُحرِّكون رؤوسهم استهزاءً غير مصدقين.
[يؤاخذكم]
قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

(لا يؤَاخِذُكُم) عدم المؤاخذة هنا يحتمل معنيين:
١ - المؤاخذة بمعنى العقوبة؛ أي: لا يعاقبكم الله على هذه الأيْمان.
٢ - المؤاخذة بمعنى الإلزام بالكفارة؛ أي: لا يُلزِمكم بكفارة عليها.
وكلا المعنيين صحيح؛ فاللَّغو في اليمين لا يؤاخذ الله به لا إثمًا ولا كفَّارة.
(بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) اللغو: هو الكلام الساقط من اللسان الذي لا يُعتدُّ به.
واللغو في الأَيْمَان: هو الحلف بغير قصد، وهو الذي لا يؤاخذ عليها المسلم ولا كفارة عليه، وهو نوعان:
١ - ما سبقت الألسنة به على عجلة بغير تثبّت، مع أن الأوْلَى التّثبّت، ولكن قد يسبق اللسانُ باليمين من غير قصد، أو يستخدمها في وصل الكلام بعضه ببعض بغير نية الحلف.
٢ - أن يحلف وفي اعتقاده أنه صادق؛ فإن كان خلاف ذلك واتضح أنه حلف مخطئًا، فلا حرج ما دام لم يقصد الكذب.
فائدة:
يُلحق بذلك من يحلف على الشيء ثم ينسى أنه حلف، فلا إثم ولا كفارة عليه حينئذ، ويبقى على يمينه.
(بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) أي: بما عَزَمْتُمْ وَقَصَدْتُمْ إِلى الْيَمِينِ؛ فكسب القلب هو: العَقْد والعزم وَالنِّيَّة، وهو مناط الحكم بالكفارة.
[يوزعون]
قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].
(يوزعون) أصل الوزع: الكف والمنع؛ تقول العرب: (وزعت الرجل) أي: منعته وكففته.
والمعنى: يساقون ويمنعون من التفرق.
وهذه الكلمة في القرآن الكريم لم تأت إلا مع وصف الحشود الكبيرة مع كلمة (حشر).
ف (يوزعون) أي: تحشر هذه الحشود لسليمان من الإنس، وحشود من الجن، وحشود من الطير مصفوفة لا يستطيعون التفرق عن المكان إلا بإذنه، فهناك من يزُعّهم ويَصُفّهم أفواجًا كالعسكر؛ فلا يقدرون على التمرد والعصيان.
* ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ٨٣].
تسوقهم الملائكة سوقًا عنيفًا يوم القيامة، وتحشرهم أفواجًا وتمنعهم من التفرق؛ للجزاء والعقاب.
* ومثلها: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].
فائدة:
منها كذلك كلمة (الوازع): وهو الذي يكفك عن مساوئ الأعمال؛ كوازع الضمير، ووازع الدِّين.
ومنها كذلك ما روي عن عثمان بن عفان : (لَمَا يَزَعُ السُّلْطَانُ النَّاسَ أَشَدُّ مِمَّا يَزَعُهُمُ الْقُرْآنُ) تاريخ المدينة لابن شبة (١٧٠٤)، والمعنى: أن مِنْ الناس مَنْ لا يردعه ويمنعه إلا قوة السّلطان وخوف عقوبته، أكثر مما يمنعهم القرآن؛ وذلك لضعف إيمانهم وخوفهم من السلطان.
[ييأس]
قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ

بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].
(يَيْأَسِ) تعني: أفلم يعلم ويتبيّن؟
فلفظ (ييأس) على أكثر أقوال المفسرين ليست في لغة قريش بمعنى: (اليأس والقنوط من حصول الشيء) بل هي في لغة هوازن والنخع وغيرهما بمعنى: (العلم).
والمعنى: أفلم يعلم ويتبيّن للذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا؟ ومنهم هؤلاء الكفار الذين يتعنَّتون بطلب المعجزات، ولكنه لم يشأ لهم الهداية بسبب صدودهم!
ومن المحتمل كذلك أن تكون على ظاهرها بمعنى اليأس؛ فيكون المعنى: أفلم ييأس المؤمنون من إيمان هؤلاء الكفار المتعنّتين، حتى ولو حقق لهم ما طلبوه من معجزات؟! فلو أراد الله لهدى الناس جميعًا بآيات تعجزهم أو بغير معجزات؛ ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء! فمن أذعن وأطاع فله الهداية، ومن عاند واستكبر فله الضلال.
ومعنى الآية بإجمال يزيد الأمر وضوحًا:
فقد بدأت الآية ب (لو) الشرطية:
- (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى).
وحُذِف جواب الشرط، وهي عادة القرآن الكريم في تعظيم الأمر؛ لبثّ مشاعر الخشية والرهبة في القلوب، ولتوجيه الأنظار إلى عظمة هذا الكتاب الكريم، وإلى فداحة كفر هؤلاء!
وجوابه: لو كان قرآنًا بهذه الخصائص العظيمة لكان هذا القرآن، ولكفرتم به رغم ذلك!
- (لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا).
وهو إضراب لبيان أن هذا الأمر متوقف على مشيئة الله تعالى؛ فليس الأمر في ذلك للمعجزات أو للقرآن في هداية أحد، بل لله الحكم والمشيئة وحده في عباده.
- (أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا).
وهذا استفهام إنكاري؛ أي: أفلم تعلموا حقيقة الأمر أن الله بيده الهداية والضلال؟!
- (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ).
ثم يبين سبحانه أنه سيمهل هؤلاء الكفار في الحياة الدنيا، لكنه لن يتركهم بل سيرسل عليهم من العذاب والمصائب الواحدة تلو الأخرى؛ بسبب تعنُّتهم واستعجالهم العذاب.
- (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ).
حتى يأتيهم الوعد الحق والعذاب الأعظم يوم القيامة؛ فالله لا يخلف وعده! وانظر لمزيد التوضيح:
(سورة الرعد، آية: ٣١) في باب الجمل.

فهرس الكتاب باب الجمل وشبه الجمل في القرآن الكريم

[سورة البقرة]
[(البقرة: ٢٥)]
قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

(قَالُوا هذا الذي رُزِقنَا مِنْ قَبلُ) أي: يطوف عليهم الولدان بالفاكهة، فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذي جئتمونا به آنفًا، فيقول الولدان: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف.
(وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِها) تحتمل معنيين:
١ - أن المشابهة بين الثمار في الجنة بعضها لبعض؛ فهي متشابهة الشكل والشجر، مختلفة الطعم والثمر.
٢ - أن المشابهة في الأسماء بين ثمر الدنيا وثمر الجنة؛ كالرمان والتين وغيره، والطعم والشكل يختلف.
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].
(مُشتَبِها وَغَيرَ مُتَشَابِهٍ) لها معنيان:
١ - متشابه الشجر غير متشابه الثمر.
٢ - بعضه متشابه مع غيره من الثمار، وبعضه متفرّد لا يشبه غيره.

[(البقرة: ١٠٢)]

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

اختلف المفسرون في تفسير الآية، وفيما يلي ذكرُ ما رجّحه جمهورهم:
* (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ):
(تتلو): لها معنيان لا يتعارضان:
١ - من التلاوة؛ أي: ما تقرأ من السحر والأكاذيب.
٢ - من الاتباع؛ أي: ما تتبعه الشياطين وتعمل به من افتراءات.
والمعنى: اتبع اليهود طقوس الشياطين، وما تتلوه من أعمال السحر.
* (عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ) لها معنيان:
١ - على عهد سليمان.
٢ - داخل مُلكه؛ لأنه قيل: إن الشياطين كانت تدفن الكتب التي فيها السحر تحت كرسيه، فلما مات استخرجوها من تحت كرسيه ليتهموه بالسحر.
* (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) براءة من الله تعالى لنبيه أنه ما كفر، ولكن الشياطين هي التي كفرت بسبب تعاطيهم السحر.
* (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ) ويعلمونهم (أي: الشياطين) كذلك ما أنزل على الملكين ببابل في العراق، وهم: هاروت وماروت.
قيل: أنزلهم الله ابتلاءً وفتنة ومعهم السحر.
* (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ).
فمن طلب أن يتعلم منهما قالا له: إنما نحن فتنة؛ فالسحر كفر.
* (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ).

فإذا أبى إلا أن يتعلم السحر منهما علموه السحر -ومنه سحر التفريق- فيكفر المتعلم ويصبح ساحرًا.
* (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ).
فالسحر حق وأضراره عظيمة، بل هو مضرة محضة ولا خير فيه، ولكن ضرره لا يحصل إلا بإرادة الله ومشيئته!
* (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ).
فكان تعليم الشياطين السحر للإغواء، وتعليم الملكين السحر للناس امتحانًا وتحذيرًا من مفاسده وأنه كفر.
* (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ).
ولقد علم هؤلاء اليهود الذين اتبعوا الشياطين وتعلموا منهم السحر، ومن هاروت وماروت أن من تعامل بالسحر واشتراه -أي: اختاره على غيره - فلا خلاق؛ أي: لا نصيب له عند الله يوم القيامة؛ فهو موجب لخلود النار، ومع ذلك تعلموه عنادًا وكفرًا، لا جهلًا واغترارًا!

* (وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ).
فبئس ما اختاروا لأنفسهم وباعوا نعيمها بعقاب الآخرة، وباعوا الإيمان بالسحر والشرك.
وهكذا ترك اليهود عِلْم الأنبياء وانكبوا على تعلم السحر، ومن أنواعه سحر التفريق؛ وهو ما يفرقون به بين المحبين، وبين المرء وزوجه.
فائدة:
ذكر بعض المفسرين أن (ما) في قوله تعالى: (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) نافية لنزول السحر على الملكين. وهذا القول لا يستقيم مع قوله في تتمة الآية: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) وقوله: (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ).
وقال بعضهم: إن هاروت وماروت رجلان.
وكلها أقوال مرجوحة لا تستقيم مع السياق، والله تعالى أعلم!
[(البقرة: ١١٥)]
قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].
(فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) نزلت الآية لتبين قبلة صلاة النافلة في السفر، فقد كان النبي ﷺ يصلي في أسفاره تطوعًا على راحلته أينما توجهت به.
وكذلك إذا اشتبهت القبلة فإنه يتحرى ويصلي حيث كان وجهه سفرًا وحضرًا.
وفي معناها قولان لا يتعارضان:
- الأول: المراد بها وجه الله على الحقيقة، فأينما توجهت فالله تعالى قِبَلَ وجهك، وهذا لا ينافي علوه على العرش جل وعلا؛ فنحن نجد الشمس قِبَلَ وجوهنا وهي في السماء، هذا بالنسبة للمخلوق فكيف بالخالق؟!
وقد قال النبي ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى» صحيح البخاري (٤٠٦).
- الثاني: الجهة التي يقبل الله صلاتكم إليها، وهذا فيمن اشتبهت عليه القبلة بعد التحري في الحضر، أو كان على دابته في نافلة السفر فقِبْلَتُه حيث توجّه.

ولكن المعنى الأصح هو الأول، وهو المراد به وجه الله تعالى على الحقيقة.
انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٤٥).
[(البقرة: ١١٨)]
قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].
من هم الذين لا يعلمون؟
هي عامة، ولكنها في سياق كل آية ناسبت أقوامًا مختلفين:
ففي الآية السابقة (الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ) هم الجهلة من أهل الكتاب في عهد النبي ﷺ، اقترحوا عليه أشياء تعنتًا وعنادًا، وقد جاء بأعظم منها.
* وفي قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].
(الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ) تشمل:
١ - مشركي قريش.
٢ - الأمم السابقة الذين لا كتاب لهم.
* ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].
(الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ): عموم الجاهلين بأحكام الله وسنته في عباده.
* ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].
(الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ): الذين كفروا المصرّون على الباطل والخرافات التي يعتقدونها، وعدم اتباع الحق.
* ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].
(الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ): كفار المشركين؛ فهم يدْعون النبي للرجوع إلى دين الآباء.
[(البقرة: ١٩٦)]
قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦].
(حَتَّى يَبلُغَ الهَديُ مَحِلَّهُ) محل الهدي: وهو مكة، فيتصدق به على مساكين الحرم، فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ولم يتمكن من إتمامها لمرض أو عدو أو غيره، فعليه ذبح ما استيسر من الهدي: إما شاة، أو سُبُع بقرة، أو سُبع بعير ليحلق ويحل من إحرامه كما فعل النبي عام الحديبية.
فإن لم يجد الهدي صام ثلاثة أيام في الحج، من أول شهر ذي الحجة إلى يوم التاسع منه، وسبعة أيام إذا رجع إلى بلاده.
- فمحل الهدي مكانًا: ذبحه بمكة إلّا المُحْصَر الذي لم يستطع الوصول إلى مكة، فإنه يذبحه حيث أُحْصر فهو محله.
- ومحله زمانًا: هو أيام النحر للحاج المتمتع والمُقْرن، فلا يتحلل إلا يوم النحر، أما المُحْصَر فلا زمن له فأي وقت شاء ذبح.
ومعنى الآية: يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يتمّوا الحج والعمرة خالصة لوجهه تعالى، ويأتوا بها على الوجه المطلوب بشروطها وأركانها، ويخبرهم أنهم إذا أُحْصِروا فلم يتمكنوا من إتمامهما

فالواجب عليهم أن يذبحوا أو ينحروا ما تيسر لهم من الفدية، فإذا ذبحوا أو نحروا حلّوا من إحرامهم، ولا يجوز لهم حلق شعر رؤوسهم أو تقصيره إلا بعد النحر.
* ومثلها: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ [الفتح: ٢٥].
(وَالهَديَ مَعكُوفًا أَنْ يَبلُغَ مَحِلَّهُ) أي: منعوا الهدي المحبوس لأجل النحر أن يبلغ محل نحره -وهو مكة- ظلمًا وعدوانًا.
* ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ [المائدة: ٩٥].
(هَديًا بَالِغَ الكَعبَةِ) وهو بيان محل الهدي أيضًا وهو الكعبة؛ أي: الحرم.
* ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣] أي: محل نحرها -وهي الهدي- مكة والحرم.

[(البقرة: ٢٠٨)]
قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)﴾ [البقرة: ٢٠٨].
(السِّلْمِ): وفي قراءة (السَّلْم) والمراد به: الإسلام،
(ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّة) أي: ادخلوا في الإسلام جميعه بكافة شرائعه، وجميع شُعَبه، واستسلموا لله ظاهرًا وباطنًا واثبُتوا على ذلك.
[(البقرة: ٢٢٣)]
قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].
(وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ) الجملة تفيد العموم لتقديم كل عمل صالح، مع ما فيها من معنًى مخصوص يتعلق بالزواج والمعاشرة، وذلك من بلاغة القرآن الكريم وثراء معانيه.
ويُمكن أن نجمع المعاني المحتملة:
- قدِّمُوا لأنفسكم كلَّ ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة، واجعلوا الأولوية لما فيه نفع أنفسكم يوم القيامة قبل أجسادكم.
- قدِّمُوا التسمية والذكر؛ لتحصيل البركة وطرد الشيطان.
- قدِّمُوا طلب الثواب قبل نية قضاء الشهوة فهو الباقي لكم، أما قضاء الرغبات فزائل وفانٍ.
- قدِّمُوا نوايا الاحتساب؛ لتحصيل الأجر والذرية الصالحة.
- قدِّمُوا اختيار المرأة الصالحة العفيفة على غيرها، التي تُعينكم على آخرتكم وتنجب الذرية الصالحة.
- قدِّمُوا ما أباح الله لكم، ودعوا ما حرّم عليكم.
وفي تفسير (محاسن التأويل) وتفسير العثيمين ملحظ جميل كذلك: إذ لمَّا أذن اللهُ بقضاء الشهوة قال: (قدّموا لأنفسكم واتقوا الله) فقيدها ضمن قيد الطاعة، وليس قيد الشهوة؛ وفي ذلك تذكير وتحذير بعد ذكر أمر النساء؛ حتى لا يكون الانشغال بالشهوات عن طاعة الله أو بالاجتراء على المعاصي.

* ومثلها في عموم المعنى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].
* ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرا﴾ [المزمل: ٢٠] أي: ما تقدّموا من خير دائمًا من جميع الأعمال الصالحة واحتسابها، فهو لنفع أنفسكم يوم القيامة.

فائدة:

عبّر عن فعل الخير بالجمع في قوله تعالى: (وما تقدموا لأنفسكم)؛ وذلك لبيان ترابط الأمة فكلها جسد واحد، ولأن فعل الخير للجماعة هو خير عائد لفاعله.

[(البقرة: ٢٥٥)]

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ) لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - لا يحيطون بشيء من علم ذاته سبحانه؛ أي: لا يعلمون عن أسمائه وصفاته وأفعاله إلا ما علمهم.

٢ - لا يحيطون بشيء من علمه في السماوات والأرض إلا بما شاء أن يعلمهم إياه فيعلمونه.

[(البقرة: ٢٥٦)]

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) هذه الآية جاءت بعد آية الكرسي؛ للدلالة على عظمة الدِّين ونفي الإرغام على اعتناقه.

وتدل الآية على معنيين كلاهما صحيح:

١ - أن تكون بمعنى النهي؛ أي: لا تُكرهوا أحدًا على الدِّين؛ فإنه واضح بالأدلة القطعية والبراهين الجلية.

ونظير هذا المعنى:

* ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].
* ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].
* ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

٢ - أن تكون بمعنى النفي؛ أي: لن يدخل أحد في الإسلام مُكرهًا بل عن اختيار؛ فالمُكره إيمانه ليس صحيحًا.

والآية -باختصار سبب النزول- نزلت في أبناء الأنصار قبل الإسلام وكانوا على الوثنية، فكانت الأم إذا كان لا يعيش لها ولد وولدت، تتيمّن بأهل الكتاب فتدفعه لبني النضير من اليهود فتهوّده؛ ظنًّا منها أن ذلك يجعله يعيش، فإذا كبر صار على اليهودية أو النصرانية.

فلما جاء الإسلام وأسلم كثير من الأنصار، وأمر الله النبي بإجلاء اليهود عن المدينة استأذن الآباء الأنصار النبي ﷺ في إرغام أبنائهم من اليهود والنصارى على الإسلام ليبقوا معهم؛ فنزلت الآية.

انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول (٤٠).

فالآية خاصة بغير المسلم أنه لا يُكره على الدخول في الإسلام، ولكنها لا تتعلق بالمسلم المرتد، فهذا يتعلق بالحدود التي وضعتها الشريعة؛ حماية لجناب الدِّين وهيبته.

[(البقرة: ٢٦٧)]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

(تُغمِضُوا فِيهِ) الإغماض: غض الطرف، وتستخدمه العرب مجازًا عند التساهل في قبول الشيء رغم عيوبه.

والمعنى: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق في سبيله، وإخراج زكاة أموالهم من طيبات ما يسَّر لهم من المكاسب، ومما أخرج لهم من الأرض من حبوب وثمار؛ فكما منَّ عليكم بتسهيل تحصيله فأنفقوا منه:

- شكرًا لله.
- وأداءً لبعض حقوق إخوانكم عليكم.
- وتطهيرًا لأموالكم بالصدقة والزكاة.

فاقصدوا في تلك النفقة الطيب الذي تحبُّونه لأنفسكم، ولا تقصدوا الرديء الذي لا ترغبونه ولا تقبلونه لأنفسكم إلا أن تغضُّوا الطرف عن عيوبه.

[(البقرة: ٢٨٥)]

قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

المقصود ب (لا نفرّق) أي: لا نفرق بين الرسل في الإيمان؛ فنؤمن بهم جميعًا ونصدقهم جميعًا. وليس المراد عدم التفريق بالتفضيل بينهم؛ فالآية لا تتحدث عن موضوع المفاضلة.

فائدة:

التفضيل بين الأنبياء ثابت بالكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» صحيح ابن ماجه (٣٤٩٦). والله يخلق ما يشاء ويختار، فمقام التفضيل من اختصاصه سبحانه؛ ولذلك قال : «لا تفضلوا بين أنبياء الله» صحيح الجامع (٧٣٧٧)، وقال: «لا تخيروني على موسى» صحيح البخاري (٢٤١١)، وغيرها من أحاديث النهي عن المفاضلة.

ولا خلاف أن أفضل الرسل -بتفضيل الله تعالى لهم- هو محمد ﷺ، ثم إبراهيم، ثم موسى ثم باقي أولي العزم]..

ومن أعظم ما فَضَّل اللهُ به نبي هذه الأمة صلوات الله وسلامه عليه: ما خصه الله به من عموم البعثة وشمول الرسالة للناس كافة، واختصاصه بالشفاعة العُظمى والمقام المحمود يوم القيامة، وليس ذلك لأحد من إخوانه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والنهي كذلك يشمل عدم التفضيل على وجه الانتقاص والتعصب، أو ما يبعث على الخصومة والحَمِيَّة. انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٩٨)، ووسطية أهل السنة بين الفرق (١/ ٢٢٨).

[سورة آل عمران]

[(آل عمران: ٤٢)]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

(اصطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصطَفَاكِ) الاصطفاء: هو اختيار الله للعبد بأن يجعله من صفوة خلقه الذين يتقبلهم ويجتبيهم إليه، وهم درجات متفاوتة كما سيأتي بعد عدة أسطر.
والاصطفاء لمريم وقع مرتين:
١ - فالاصطفاء الأول لمريم: هو اصطفاء واختيار لها أن تكون أمًّا لنبيه من غير أب، وطهّرها من دنس الشرك والأخلاق الذميمة، وتقبّلها لسَدَانة بيته حيث لا يُقبل إلا الرجال.
٢ - والاصطفاء الثاني: اصطفاء خاص من بين نساء العالمين قاطبة، وتفضيل عليهن واختصاص برفعة المنزلة.
وقيل: الاصطفاء الأول في قبولها لسدانة بيت المقدس، والثاني في اختيارها أُمًّا لنبيه عيسى ؛ فالحقيقة أن مريم ◌ قد اصطفاها الله في قبوله لها للسدانة، ثم كأم لنبيه الكريم، وكذلك اصطفاها على نساء الأمة؛ لحديث: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاء إِلَّا: آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» صحيح البخاري (٣٤١١)، فقوله تعالى: ﴿اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ﴾ قد لا تدل على تحديد العدد؛ فهو اصطفاء
متنوع.
فائدة (١) في اختيار مريم :
أمرها بالعبادة فامتثلت وصدقت؛ قال تعالى: ﴿يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].
ثم وصفها بالطاعة والقنوت: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].
فائدة (٢):
الاصطفاء درجات ومراتب:
- فهو اصطفاء عام لأمة نبينا محمد ﷺ بما فيهم الظالم لنفسه.
- ثم اصطفاء للمقتصد منهم، ثم اصطفاء أعلى منه للسابق بالخيرات، ثم اصطفاء خاص ورفعة واجتباء لأفراد وثُلة خاصة؛ كالصديقين، ثم الأنبياء؛ وهم أرفع درجات الأصفياء، وعلى رأسهم محمد ﷺ.
[(آل عمران: ٧٣)]
قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣].
(أَنْ يُؤتَى أَحَدٌ مثلَ مَا أُوتِيتُمْ) قال رؤساء اليهود لمن دونهم من عامة اليهود: (ولا تُؤْمِنُوا إلّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكم) أي: لا تصدقوا وتؤمنوا إيمانًا صحيحًا إلا لمن تبع ملّتكم اليهودية؛ لأنها هي الصحيحة في اعتقادهم.
أما غير اليهود فأظْهِروا لهم أنكم تتبعونهم خداعًا لِيَفْتَتِنُوا؛ يريدون بذلك المسلمين: أن يظهروا لهم الإسلام.
فردَّ الله تعالى عليهم: (قُلْ إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ) أي: مادة التوفيق والهداية من الله وحده وليست منكم.
(أنْ يُؤْتى أحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ أو يحاجوكم ...) أي: فَعَلْتُمْ ذَلِكَ بغيًا وحسدًا:

١ - لِئَلَّا يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ مِنْ الفضل والعلم؛ ليكون لكم التفوق فيه، فلا يساويكم فيه أحد.
٢ - لئلا يُحَاجُّوكُمْ بهذا العلم عِنْدَ اللَّهِ فيكون ما علمتموهم حُجَّةً عَلَيْكُمْ، فظن اليهود أنهم استأثروا بهذه الطريقة بالعلم والفضل، فلا يساويهم أحد فيه، ولم يعلموا أن الله أعطى غيرهم -وهم المسلمون- أفضل منهم، وأنهم بعدم الاتباع خسروا وانحطت منزلتهم.

[(آل عمران: ٧٥)]

قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

(ليس علينا في الأميين سبيل) يبين الله تعالى في بداية الآية أن مِنْ أهل الكتاب طائفة أمناء، وطائفة خونة وهم من اليهود؛ فهؤلاء الخونة يقولون: ليس علينا جناح إن خنّا الأُمِّيين واستبحنا أموالهم، ويقصدون بالأميين: العرب؛ لأنهم كانوا أُمّيين ولم ينزل عليهم كتاب.
فليس علينا سبيل تعني: لا حرج علينا.
* ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].
(مِنْ سَبِيلٍ) أي: ليس عليهم حرج؛ لأنهم أحسنوا وبذلوا جهدهم فهم معذورون.
* ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١].
(مَا عَلَيْهِم من سَبِيل) أي: لا حرج عليهم في الانتصار لأنفسهم؛ لأنهم وقع عليهم ظلم وبغي.

[(آل عمران: ١٢١ - ١٢٢)]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢١ - ١٢٢].

(غدوت من أهلك) الغدوة: أول النهار.
(من أهلك) الأهل: هم الزوجة والأبناء، والمقصود هنا: عائشة .
والمعنى: واذكر يا محمد حينما خرجت صباحًا إلى ساحة المعركة، من عند زوجك عائشة في يوم غزوة أُحُد، حينما علمت أن كفار قريش أرادوا الانتقام لأنفسهم من قتلى بدر.
(تبوئ المؤمنين) أي: تهيئ وتوطئ لهم مكانًا ومعسكرًا، وتُنْزل كل واحد منهم منزله ومكانه في ساحة المعركة.
(وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سميع تدل على سماعه لما قالوا ذلك اليوم من أقوال فيما بينهم، عليم بأحوالهم وظروفهم.
ومن علمه بأحوالهم قوله تعالى: (إِذْ هَمَّتْ طائفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفشَلَا) أي: حين كادت طائفتان من جيش المسلمين أن تَجْبُنا وتَضْعُفا وهمّتا بالرجوع، وهما حيّان من الأنصار: بنو سلمة وبنو حارثة، ولكن الله عصمهم من التخاذل.
(وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا) تولى أمرهما بولايته الخاصة لأوليائه، فعصمهما ونصرهما على أنفسهما بالصمود مع رسول الله في المعركة.
(وَعَلَى اللَّهِ فَليَتَوَكَّلِ المُؤمنُونَ) فيها الأمر بالتوكل، وهو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، والثقة بالله؛ فبحسب إيمان العبد يكون توكله، وبحسب ذلك ينصرهم ويدفع عنهم البلايا والمحن.

[(آل عمران: ١٣٠)]
قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].
(أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) قد يرد تساؤل: هل النهي في أكل الربا في حال الكثرة أضعافًا مضاعفة فحسب؟!!
والمقصود: أن قوله: (أضعافًا مضاعفة) هي وصف لحالهم؛ فقد كانوا كذلك يكاثرون به بالأضعاف المضاعفة، لكن ليست الكثرة شرطًا في الحل والتحريم.
[(آل عمران: ١٥٣)]
قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].
(يَدعُوكُم فِي أُخرَاكُم) أي: يدعوكم ويناديكم من وَرَائِكُمْ: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ!
(فَأَثَابَكُم غَمًّا بِغَمّ) اختلف المفسرون في الباء في قوله: (غما بغم):
١ - تحتمل أن تكون الباء للمصاحبة؛ أي: غمًّا مصاحبًا لغم، أو غمًّا بعد غم.
- فيكون الغم الأول: هو إشاعة مقتل النبي ﷺ، وما فاتهم من الغنيمة والنصر.
- والغم الثاني: هو ما نالهم من القتل والجراح وعلوّ العدو عليهم.
٢ - ويحتمل أن تكون الباء للسببية؛ أي: غمًّا بسبب غم؛ أي: جازاكم غمًّا بسبب الغم الذي أدخلتموه على نبيكم بمخالفتكم أوامره.
(فأثابكم): تحتمل معنيين:
١ - من الثواب والمكافأة.
٢ - أو من الثوب والإعادة.
والشرح:
(فأثابكم) بالمعنى الأول: من الثواب، وسميت ثوابًا: لأن الغم الأكبر يُنسِي الغمّ الأصغر؛ ولهذا قال: (لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ولا مَا أصَابكم) أي: ما فاتكم من الغنائم والنصر، وما أصابكم من جراح وخسائر في الأنفس والأموال؛ فتتمرنوا على تجرّع الغموم واحتمال الشدائد؛ فلا تحزنوا على فائت.
(فأثابكم) بالمعنى الثاني: من الثَّوْب وهو العَوْد والتعقيب؛ أي: جازاكم على فِعلكم، وعقَّب عليكم بالجزاء .. والمعاني كلها لا تتعارض.
[(آل عمران: ١٦٥)]
قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].
(قَدْ أَصَبتُم مثلَيهَا): فيها تسلية من الله تعالى لعباده المؤمنين حين أصابهم ما أصابهم يوم (أُحُد) وقتل منهم نحو سبعين، فقال الله تعالى: إنكم (قد أصبتم) من المشركين (مثليها) أي: ضِعف هذا العدد يوم بدر فقتلتم سبعين منهم وأسرتم سبعين.
وقَوْلُهُ: (قُلتُم أَنَّى هذا) أي: تساءلتم: كيف أصابَنا هَذا الِانْهِزامُ والقَتْلُ ونَحْنُ نُقاتِلُ في سَبِيلِ اللَّهِ، ومَعَنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وقَدْ وُعِدَنا بِالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ؟!

فجاءهم الجواب: (قُلْ هو مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) أي: قل لهم يا محمد: إن هَذا الَّذِي أصابكم من عند أنْفُسِكم؛ بِسَبَبِ مُخالَفَة الرُّماةِ لِما أمَرَهم النبي بِهِ مِنْ لُزُومِ المَكانِ الَّذِي عَيَّنَهُ لَهم .. وهو القول الذي رجحه أكثر المفسرين. انظر: فتح القدير والجامع لأحكام القرآن.

[(آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠)]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

قوله تعالى: (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) أي: هؤلاء الشهداء في البرزخ يُبشِّر بعضُهم بعضًا بوصول رفاق لهم لم يلحقوا بهم بعد، وسينالهم ما نالوا من الشهادة، ويحظون بما حظوا به من الكرامة.

فجمع الله للشهداء مسرتين:

مسرتهم بأنفسهم والنعيم الذي هم فيه.

ومسرتهم بمعرفة خبر إخوانهم الأحياء واستبشارهم باللحاق بهم.

وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعالي الجنان عند ربهم، وفيه تتلاقى أرواح الصالحين، وزيارة بعضهم بعضًا، وتبشير بعضهم بعضًا، نسأل الله من فضله!

[(آل عمران: ١٧٥)]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾ [آل عمران: ١٧٥].

(يخوّف أولياءه) أي: يخوفكم بأوليائه؛ فهو يبث فيكم الرعب منهم ليعظم شأن الكفار في قلوبكم؛ ولذلك قال بعدها: (فلا تخافوهم وخافون) وليس المعنى: أنه يخوّف من يوالونه، بل يخوف أولياء الله بأوليائه؛ فللشيطان وساوس يلقيها في قلب العبد.

أو يوحي إلى الكفار والمنافقين والمثبّطين بتخويفكم من الأعداء، ونشر الرعب وخلخلة الصفوف؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

[(آل عمران: ١٨٠)]

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

(سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) معنى (سيطوقون ما بخلوا به) الفعل سيطوقون مشتق من الطوق، وهو ما يُلبس حول الرقبة؛ أي: تُجعل أموالهم التي بخلوا بها أطواقًا يوم القيامة يعذبون بحملها حول رقابهم.

وقد يدخل في ذلك منعُ كل حق واجب والبخل به، فسيكون شرًّا عليهم يوم القيامة.

وفي الصحيح: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي: بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا

مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآيَةَ» صحيح البخاري (١٤٠٣).
وقال : «مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» صحيح البخاري (٢٤٥٢).
ومعنى (طوقه من سبع أرضين): يفسره الحديث التالي: «أيّما رجل ظلم شبرًا من الأرض، كلفه الله تعالى أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين، ثم يطوقه يوم القيامة حتى يُقضى بين الناس» صحيح الجامع (٢٧٢٢).

[(آل عمران: ١٩٥)]

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].
(بَعضُكُم من بَعض) رِجالُكم مِثْلُ نِسائِكم في الطّاعَةِ ونِساؤُكم مِثْلُ رِجالِكم فِيها، فكلكم من أصل واحد، ولا فرق في الثواب بينكما ذكورًا وإناثًا.
* ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢٥].
(بَعضُكُم من بَعض) بعضكم إِخْوَةٌ لبعض؛ فكلكم من نفسٍ واحدة فلا تَسْتَنْكِفُوا من نكاح.
وأتى بهذه الجملة المؤكدة للتساوي في البشرية؛ لأن العربَ لديهم أَنَفَةٌ أن يتزوج الحرُّ أَمةً، فخفف الله ذلك عنهم وقال: (بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) فأنت لست تنكح إلا إنسانة مثلك، بعضكم من بعض.

[سورة النساء]

[(النساء: ١)]

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا﴾ [النساء: ١].
(الذي تساءلون به والأرحام) أي: يسأل بعضكم بعضًا به؛ لأن المُساءَلة -وهي المناشدة- لا تكون إلا بعظيم، فإن أرادوا قضاء حوائجهم قال بعضهم لبعض: (أسألك بالله، أو ناشدتك الله) فكيف لا تتقونه وأنتم تساءلون به؟!
(والأرحام): تذكير لهم بحرمتها؛ لأنهم كانوا يقولون: (أسألك بالله والرَّحِم) ليس من باب القَسَم، بل من باب التَّسبّب بها؛ أي: التي هي سبب القرابة بينكم تعظيمًا لحقها.
وخلاصة المعنى: اتقوا الله العظيم الذي تساءلون به، واتقوا حرمة الرَّحِم بينكم لا تقطعوها.
فائدة:
- هناك فرق بين السؤال بالله والحلف بالله؛ فليس كل سائل بالله يكون مُقْسِمًا به، فالمُقْسِم بالله إن حنث لزمته كفارة، أما لو سُئل أحد بالله، أو سأل غيره بالله فلا تلزمه كفارة.
- وينبغي للمؤمن ألا يستخدم هذه الصيغة -وهي السؤال بالله- إلا عند الاضطرار والحاجة الملحة؛ لأنه ينبغي ألا يسأل بوجه الله إلا الجنة وما قَرّب إليها.
أما آية: (الذي تساءلون به) فهي من باب تقرير الحال وليس الاستحباب، والموضوع فيه تفصيل يرجى الرجوع إلى أهل العلم فيه.

[(النساء: ١٧)]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيما﴾ [النساء: ١٧].

(من قريب) أي: قبل أن يحضرهم الموت؛ فكل من تاب قبل الموت فهو قريب ولو كان بين الذنب والتوبة وقت طويل، وكل ما كان في الدنيا فهو قريب؛ لأن مرحلة حياة الإنسان في الدنيا إلى قبل حضور الموت
تعتبر قصيرة.
والتائب لا يزال في قرب من فرصة قبول التوبة ما دام لم يغرغر، أما إذا حضر الموتُ فلا تُقبل التوبة؛ لأنها جاءت في وقت الخروج عن مرحلة الحياة الدنيا، وانتهاء فرصة الرجوع والتوبة.
[(النساء: ٢٣)]
قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].
(وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ): المرأة إذا تزوجت ولها بنت من زوج سابق، فهذه البنت تسمى: رَبِيبَة، والغالب أنها تتربى في حَجْر زوج أمها فهو الذي يرعاها؛ لأن والدها قد طلق أمها أو مات، وهو الغالب في أكثر الحالات.
لكن لو تزوج أمها وهي كبيرة لم تتربَّ في حجره، فهل يتغير الحكم؟
لا يتغير الحكم، والآية دلت على الغالب الحاصل بين الناس: فهي في عرف أهل الفقه خرجت مَخْرَج الغالب، وهناك آيات مماثلة تَطَرقْنَا إليها في مفردة (كره)، آية: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء).
[(النساء: ٤٦)]
قال تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلا﴾ [النساء: ٤٦].
(وَاسمَع غَيرَ مُسمَع): هي سُبَّة من بعض اليهود الخبثاء لرسول الله ، وهي تحتمل معانٍ كلها سيئة:
١ - أي: اسمع، لا سمعت أصمَّك الله.
٢ - أي: اسمع غير مسمع ما يسرّك، بل ما يسوؤك.
٣ - أي: اسمع غير مقبول سماع شيء منك.
(وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلسِنَتِهِم) راعنا: أصلها من الرعاية أو من المراعاة وهو معنًى حسن، ولكن كشف الله تعالى عن خُبث نواياهم: فهم من ضمن مطلبهم بأن يراعيهم الرسول لا يريدون قصد الرعاية ولا المراعاة، بل يريدون ضمن هذا الطلب تحريف المعنى عن معناه، وسب رسول الله ووصفه بالرُّعُونَة؛ وهي الجبن والحُمق وما أشبه ذلك.
فيقولون: راعنا؛ أي: أصابك الله بالرعونة؛ ولهذا نهى الله المؤمنين أن يقولوا هذه الكلمة؛ لأن اليهود يقولونها يريدون بها سوءًا.
(وَطَعنا فِي الدِّينِ) الطعن في الدِّين هو عصيان النبي ﷺ، وعدم قبول ما جاء به.
(سَمِعنَا وَأَطَعنَا وَاسمَع وَانظُرنَا) وهنا توجيه من الله تعالى: لو أن هؤلاء اليهود قالوا: (سمعنا وأطعنا)، بدلًا من عصينا، و (اسمع وانظرنا) بدلًا من سبابهم -غير مسمع- وانظرنا؛ أي: انظر

إلينا ولظروفنا وانتظرنا ما نقول لك، وافهم عنَّا بدلًا من (راعنا) لكان خيرًا لهم، ولكنهم آثروا الدخول في لعنة الله لهم إلى يوم الدين، فلا يؤمن منهم إلا القليل.

[(النساء: ٤٧)]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

(نَطْمِسَ وُجُوهًا) في الآية تهديد ووعيد لأهل الكتاب الذين كذّبوا بالحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، وهم يعلمون أنه الحق.

والطمس هنا له معنيان؛ حسيّ ومعنوي:

١ - حسّي: فهو تهديد بطمس وجوههم، فيزيل معالمها ويمحوها على الحقيقة؛ فلا يبقى فيها عين ولا أنف ولا شفة ولا حاجب؛ فيجعلها لوحًا صامتًا جزاءً لهم على طمسهم الحق.

وردها على الأدبار؛ أي: تحويلها إلى الخلف حقيقة؛ لأنهم آثروا الباطل وقلبوا الحقائق، فالجزاء من جنس العمل.

٢ - ومعنوي: أن يزيدهم ضلالة وانتكاسًا، عياذًا باللهِ.

*والطمس يأتي بمعنى (المحو)؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨] أي: ذهب ضوءها وتناثرت وتساقطت.

*وكذلك قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦] أي: أعْمَيْناهم ومحونا نور الإبصار منها.

*ويأتي بمعنى (الدمار والهلاك): ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] أي: أهْلِكْها ودمرها.

[(النساء: ٨٥)]

قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتا﴾ [النساء: ٨٥].

(من يَشفَع شَفَاعَةً حَسَنَة) الشفاعة: هي التّوسّط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة، وأصلها: أن الشافع يعين غيره فيصير معه شفعًا بعد أن كان فردًا.

- في جلب منفعة مثل: شفاعة رسول الله ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها.
- في دفع مضرة مثل: شفاعة رسول الله ﷺ في أهل الموقف أن يُقضى بينهم من طول الوقوف والكَرب.

(شَفَاعَةً حَسَنَة) لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - حسنة؛ أي: نافعة للمشفوع له أيًّا كانت في حدود المباح.

٢ - حسنة؛ أي: شرعية -يعني: مما أمر بها الشرع- كالشفاعة للمظلوم، والشفاعة للإصلاح بين الخصوم ...

(يَكُنْ لهُ نَصِيبٌ مِّنهَا) نصيب من ثوابها يوم القيامة:

- بقدر ابتغائه وجه الله.
- قدر إعانته ونفعه للمشفوع له.
- وبقدر سعيه ومجهوده.
- وبقدر ما يترتب على ذلك من منفعة حاصلة في المجتمع وعلى الناس.
- بقدر انتشارها واتساع نطاق نفعها.

(وَمَنْ يَشفَع شَفَاعَةً سَيِّئَةً) والشفاعة السيئة لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - أي: يعين أو يشارك ذا سيئة على سيئته بما فيه مضرة عليه أو على غيره، حتى ولو لم تكن في أصلها محرّمة.
٢ - أن يشفع له في الوصول إلى شيء محرم؛ كأخذ الحقوق، والإيقاع بين الناس، وغيره.
(يَكُنْ لهُ كِفلٌ مِّنهَا) يكن له نصيب من الإثم:
- بقدر إعانته للمشفوع له.
- وبقدر سعيه ومجهوده.
- وبقدر ما يترتب على ذلك من مضرة حاصلة في المجتمع وعلى الناس.
- بقدر انتشارها واتساع نطاق مضرتها.
(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُّقِيتًا) (مُّقِيتًا): من القُدرة والحفظ والعلم بأحوال عباده وشئون خلقه؛ فيقدِّر لكل نفس حاجتها وما تستحق، ولكل نفس كسبها بما في ذلك من الثواب والعقاب والحسنات والسيئات.
فائدة:
ما الفرق بين الكِفْل والنصيب؟
النصيب: تشمل المِثل، وتحتمل الزيادة؛ فالمعنى: له نصيب وافر من الثواب.
والكِفْل: هو المِثل المساوي في المقدار؛ فالمعنى: له مِثلٌ مساوٍ من العقاب.
وكذلك في بيان القدر قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَّحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] ففيها الدلالة على مضاعفة الأجر مرتين.
وفي الآية حثٌّ على التعاون على البر والتقوى، وإعانة الغير بما ينفعهم من مال أو كلمة طيبة أو مجهود وسعي أو شهادة؛ قال النبي ﷺ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا» صحيح البخاري (١٤٣٢)، وفيها أيضًا: التحذير من التعاون على الإثم والعدوان.
[(النساء: ١٢٧)]
قال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيما﴾ [النساء: ١٢٧].
(وَتَرغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) هذه العبارة تحتمل معنيين لا إشكال في الجمع بينهما، وهذا من بلاغة القرآن الكريم واتساع معانيه:
١ - ترغبون في نكاحهن ربما لجمالهن وأموالهن فتبخسوهن حقوقهن؛ لأنهن تحت تصرفكم وولايتكم.
٢ - ترغبون عن نكاحهن لدمامتهن؛ فتعضلوهن فلا تزوجوهن لأحد لأخذ أموالهن.
والمعنى الإجمالي للآية: يسألك يا محمد أصحابُك أن تفتيهم في أمر النساء والواجب لهن وعليهن وأحكامهن في الميراث؛ فالله تعالى بنفسه يفتيكم فيهن ويبين لكم حكم ما سألتم عنه:
(وَمَا يُتلَى عَلَيكُم فِي الكتاب) أي: يفتيكم بما يتلى عليكم في القرآن؛ ففيه بيان ما سألتم عنه في شأن يتامى النساء، فقد كانت اليتيمة تحت ولاية الرجل فيبخسها حقها ويظلمها: إما بأكل مالها، أو منعها من التزوج لينتفع بمالها، أو يأخذ من مهرها هذا إذا كان راغبا عنها.
وإن كان راغبًا فيها لأنها ذات جمال ومال: فلا يُقسط في مهرها فيعطيها دون ما تستحق؛ وكل هذا ظلم لها.

(وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ) أي: ويفتيكم في الصبية الصغار الذين لا تورثونهم وتأكلون حقوقهم لأنهم ضعاف.
(وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ) ويفتيكم في اليتامى من بنين وبنات الذين مات آباؤهم قبل بلوغهم، أن تعدلوا معهم وتعطوهم حقوقهم كاملة؛ فهذه عدة فتاوى قرآنية لرفع الظلم وتحقيق العدل.
(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيما) ثم حَثَّ على الإحسان وفعل الخير بعامة؛ فالله تعالى عليم لا يخفى عليه ما تعملون ويجازيكم به.
[(النساء: ١٢٨)]
قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرا﴾ [النساء: ١٢٨].
(وأُحْضِرت الأنفس الشح) الآية الكريمة تصور الشُّح وكأنه كائن له حضور وتأثير في النفس، يغريها دومًا بحب الاستكثار، وحب الاستئثار، وحب الحرص والتّملك، وكما في الحديث: «ثلاث مهلكات -ومنها- شُحّ مطاع». انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٠٢).
فالشّح يأمر النفس بالبخل ويخوفها من الفقر، فالمطلوب عدم طاعته وتربية النفس للوقاية منه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].
ومعنى الآية: يبين الله تعالى للزوجين ما ينبغي عليهما فعله في حال سوء العلاقة بينهما، فإن رأت الزوجة في زوجها إعراضًا وانصرافًا عنها لسبب ما -من كبر السن، أو قلة الجمال، أو غيره، وربما يكون قد تزوج بأخرى- فلا حرج أن يتّفقا على صلح لبقاء الرابطة الزوجية بينهما، فتترك المرأة بعض حقوقها في الفراش وبعض النفقة.
ولا يُصِرّ كلٌّ منهما على حقوقه كاملة؛ لأن النفس جُبِلتْ على الاستئثار وحب التَّملك، والشُّح غريزة حاضرة تراود النفس باستمرار على التقتير والإمساك، وخوف الفقر، فلا بد من مراعاة كل منهما الآخر، والتنازل عن شيء من حقوقه لبقاء العلاقة.
[سورة المائدة]
[(المائدة: ١)]
قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].
(يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ):
أي: له الحكم وحده في التحليل والتحريم كيف يريد، سبحانه لا معقب لحكمه!
والجملة تضمنت الحكم والإرادة وتشتمل على معنيين كلاهما صحيح:
(يَحْكُمُ): تتضمن حكمين:
١ - الحكم الشرعي: فإن شاء حلَّل هذا وحرّم هذا، وإن شاء أوجب هذا ورخَّص في هذا.
٢ - الحكم الكوني: فإن شاء حكم على عباده بالغنى والأمن، وإن شاء حكم بضد ذلك.
فالأحكام الكونية والشرعية كلها مختصَّة بالله وحده لا اعتراض على حكمه ولا رادَّ له؛ كما قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠] يعني: من اختصاصه وشأنه.
(ما يُرِيد): تتضمن إرادتين:
١ - الإرادة الكونية، بمعنى: المشيئة، وتشمل ما يحبه الله وما لا يحبه.

وهي نافذة مُتحققة؛ فلا يرد مشيئته راد متى شاء وقضى سبحانه.
٢ - الإرادة الشرعية، بمعنى: المحبة، وتتعلق بأمور الدِّين، فهي التي يحبها الله وأرادها لعباده؛ فمعنى (يريد) أي: يحب.
وقد تتحقَّق وتقع وقد لا تقع؛ لأن الله تعالى ترك فيها الخيار في الفعل للعبد.
انظر: تفسير العثيمين للآية.
[(المائدة: ٤)]
قال تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].
(وَمَا عَلَّمتُم منَ الجَوَارِحِ) أي: أحل لكم من الصيد ما صادته لكم الجوارح بتعليمكم لهن،
والجوارح: هي كل ذوات الصيد من السباع ومن الطير؛ كالكلاب والصقور، سميت جارحة؛ لأنها تجرح الصيد بمخلبها.
(مُكَلِّبِينَ) المكلِّب: هو معلِّم الكلاب وسائر الجوارح كيفية الصيد، وخُص الاسم بالكلاب؛ لأن تعليم الكلاب هو الغالب.
(فَكُلُوا مِمَّا أَمسَكنَ عَلَيكُم) أي: يباح لكم بهذه الشروط أكله ومنها:
- إطلاق الجارحة المعلَّمة من كلب أو صقر أو غيره على الصيد مع التسمية.
- وأن يجرح الصيد، ولا يعضّه أو يصدمه.
- أن يكون الأكل مما صادته لكم هذه الجوارح من غير أن تأكل هذه الجوارح منه، فإن أكلت منه فلا يحل على الراجح.
(وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - اذكروا اسم الله عليه عند إطلاق الصيد.
٢ - اذكروا اسم الله عليه عند أكله.
فببركة اسم الله يحل الصيد ويحل أكله.
[(المائدة: ٢٣)]
قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].
(من الذين يخافون أنعم الله عليهما) أي: أنعم الله عليهما بنعمة الخوف منه، ونعمة التوفيق والثبات ورباطة الجأش، ومراقبة الله في أوامره ونواهيه؛ فخافا ربهما أكثر من خوفهما الجبارين.
فالنتيجة: أن بني إسرائيل لما عصوا ربهم ابتلاهم بالخوف من الجبارين وخذلهم وأذلهم،
وهذان الرجلان اتّقيا ربهما، فأنعم الله عليهما بنعمة التوفيق والصلاح والخوف منه وحده فسددهما.
[(المائدة: ٤٤)]
قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُوا): أسْلَمُوا لله قلوبَهم ووجوههم، فانقادوا لله ظاهرًا وباطنًا؛ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] كما أن فيها تأكيدًا بالإسلام لهم لمن يدّعون أن هؤلاء الأنبياء كانوا هودًا أو نصارى.
(لِلَّذِينَ هَادُوا): يحكم بها هؤلاء الرسل لليهود، وسمَّاهم (الذين هادوا) أي: الذين رجعوا وتابوا من عبادة العجل.
(وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحبَار) الرباني: هو الذي أتم العبودية لله وربَّى الناس عليها، والأحبار: الراسخون في العلم، فكأنما نقول: المصلحون أو الدعاة والعلماء.
(بِمَا استُحفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) أي: يحكمون بما استُؤمنوا من كتاب الله ، وبما جُعِلُوا حُفَّاظًا وأمناء عليه.
(وكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) أي: هؤلاء الدعاة والعلماء جعلهم الله أمناء على الدِّين، فيشهدون بأن هذه شريعة الله وينشرونها بين عباد الله؛ فكانوا شهداء على الخلق بتبليغ الشريعة إليهم.
[(المائدة: ٦١)]
قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١].
(وَقَدْ دخلُوا بالكُفرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ) هؤلاء هم منافقو اليهود الذين يبطنون اليهودية ويظهرون الإسلام؛ فإذا جاءوا للرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، قالوا: آمنا.
فكشف الله حقيقتهم في القرآن: أنهم في الحقيقة كفّار؛ فعند دخولهم على النبي دخلوا بكفرهم وخرجوا من عنده بكفرهم لم تُؤثِّر فيهم مواعظه، ومهما قالوا: (آمنا) فهم كفّار في جميع الأحوال لم يدخل الإيمان في قلوبهم.

قيل: هؤلاء هم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَت طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].
[(المائدة: ٦٧)]
قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].
(يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) قد يتساءل البعض عن العصمة لرسول الله ﷺ وقد سُحر، وكُسرت رباعيته، وشُجَّ رأسه، وأوذي في قريش والطائف؟!
فالعصمة هنا نوعان:
١ - العصمة والسلامة من القتل والأسر ليتم التبليغ.
٢ - عصمة القلب والعقل والإيمان والوحي أن يناله أحد بسوء.
أما الخوف والتعرُّض للأذى فلا ينافي العصمة. انظر: تفسيرابن القيم للآية.
وعن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النبي ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فَأَخْرَجَ رسول الله ﷺ رأسه مِنَ القُبَّةِ فقال لهم: «انصرفوا؛ فقد عصمني الله» سنن الترمذي (٣٠٤٦)، وقال الألباني: (حسن).
[(المائدة: ٩٤)]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

(لِيَعلَمَ اللَّهُ) قد يتوهم من ظاهر اللفظ أن الله لا يعلم ما سيكون من عباده إلا بعد وقوع الأمر، وهذا الأمر لا يصح؛ فالله تعالى هو العليم، وعلمه أزليّ سابق، والعلم الذي ينسب لله تعالى في القرآن:

١ - علم ذاتي أزلي سابق قبل الخلق.

٢ - علم فعلي بعد الخلق، متعلق بوجود الشيء وظهوره بعد خلقه؛ لإقامة الحجة وللثواب والعقاب.

فالله تعالى لا يحاسب العبد بعلمه السابق فيه، وإلا لكان حسابه على سيئات ربما مات قبل أن يفعلها، ولكن الله تعالى يحاسب العبد على علمه به بعد حصول الأمر، وهو الذي يترتب عليه الجزاء، وعليه يقيم على العبد الحجة.

فقوله: (ليعلم الله) أي: ليكون عملكم موجودًا في علم الله، فيحاسبكم على خيره وشره.

* ومثلها: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

(إِلَّا لِنَعلَمَ) قد يُتوهم أن الله يستفيد علمًا لم يكن يعلمه -تعالى الله؛ فعلمه سابق ولاحق- ولكن ليظهر الأمر للناس، ويقيم الحجة عليهم، ويترتب عليه الثواب والعقاب.

* ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

(وَلَمَّا يَعلَمِ اللَّهُ) أي: علم ظهور بعد حصول الشيء؛ ليترتب عليه الثواب والعقاب.

وكذلك الأمر بالنسبة ل (الرؤية، والسمع، والإرادة، والعلم، والصفات الذاتية لله تعالى): فلله سمع وبصر ذاتي أزلي، وله سمع وبصر فعلي متعلق بوجود الشيء وظهوره للثواب والعقاب.

ففي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

(فَسَيَرَى الله) قد يتوهم أنه تعالى لا يراها إلا إذا وُجدت، سبحانه البصير العليم!

والصواب: أنها رؤية فعلية يترتب عليها الثواب والعقاب، فالله تعالى بصير أزلًا وأبدًا.

انظر: التوضيح الرشيد شرح كتاب التوحيد (١/ ٤٧٢)، والجموع البهية للمنياوي (١/ ١٧٥)، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ خالد المصلح (٨/ ٢)، وشرح الفتوى الحموية لخالد المصلح (٣/ ١٨).

[(المائدة: ٩٦)]

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦].

عرفنا (صيد البحر)، فما هو (طعامه)؟

(طعامه) هو: ما قذف به البحر على ساحله من ميتة البحر.

وقيل: طعامه ما يوجد في داخله من شجر وزرع مما يُطعم؛ فكل ذلك حلال.

[(المائدة: ١٠٥)]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

(لَا يَضُرُّكُمْ من ضَلَّ إِذَا اهتَدَيتُم) يفهمها البعض فهما خاطئًا بترك التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
والمعنى: لا يَضُرُّكم ضَلالُ مَنْ ضَلَّ مِنَ النّاسِ إذا اهْتَدَيْتُمْ لِلْحَقِّ أنْتُمْ في أنْفُسِكم، ولَيْسَ في الآيَةِ ما يَدُلُّ عَلى سُقُوطِ الأمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، بل هو مِنْ أعْظَمِ الفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ؛ وهو من عوامل الهداية، فمن تركه ففي هدايته نقص. انظر: تفسير الشوكاني للآية.
* ومثلها قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].
يستشهد البعض بها كذلك لإسقاط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصحيح أنها لا تنافي الأمر بالمعروف ولا الجهاد ولا التناصح؛ فالمعنى:
١ - أنا بريءٌ من دينكم، وأنتم بريئون من ديني.
٢ - لَكم جَزاؤُكم ولِي جَزائِي؛ لأن الدِّين كذلك هو الجزاء.
فالآية تبين البراءة من الشرك وأهله، وليس ترك الدعوة والأمر بالمعروف.
وما يؤيدُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١] أي: استمر على دعوتك مهما كذبوك، وما عليك إلا أن تتبرأ من شركهم، فليس عليك من حسابهم من شيء؛ فلكل عمله.

[سورة الأنعام]

[(الأنعام: ٩)]

قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].
(وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم ما يَلْبِسُونَ) المعنى هنا: من التباس الأمر، وليس اللباس والثياب؛ أي: لو جعلنا الرسول الذي نرسله إليهم ملكًا كما طلبوا لجعلناه في صورة رجل من بني آدم؛ لأنهم لن يطيقوا رؤية الملك بصورته الحقيقية، ولالتبس عليهم أمره كذلك، فلن يتعرفوا عليه أمَلَك هو أم إنسي! ولن يوقنوا به أنه ملك، ولن يُصدِّقوا بأقواله مثله مثل النبي البشري، ولقالوا: ليس هذا ملكًا! وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك وصحة برهانك.
فهم لبسوا على أنفسهم وشكوا في نبوتك، وكذلك سيفعلون في الملَك لو جاءهم في صورة رجل.
إذن، ليس المعنى: ولألبسنا الملك ما يَلبس الرجل من الثياب كما قد يُفهم، ولو كان ذلك حاصلًا أصلًا، ولكنه ليس مقصود الآية.
فالمعنى باختصار: لوقع لكم نفْسُ الاشتباه والالتباس الذي وقعتم فيه باستنكاركم كون الرسول بشرًا.

[(الأنعام: ١٩)]

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].
(قُلْ أَيُّ شَيءٍ أَكبَرُ شَهَادَة): أمَرَ الله تعالى رسوله الكريم أن يسأل قومه: أي شيء أكبر وأعظم شهادة وأصحها وأصدقها؟
هل هي شهادتكم أن مع الله آلهة أخرى؟ أم شهادة الله نفسه وإقراره لي بأنه لا إله إلا هو؟
شهادة جاء بها نبيه الصادق الأمين الذي لا يشوب شهادته زور ولا كذب، ولا يُبَلِّغ عن ربه إلا الحق.
فائدة:
ذكر أهل العلم ما مفاده أن شهادة الله المؤيدة لرسوله ﷺ شهادتان:
الأولى: شهادةٌ بصدق نبوته، وأيده الله فيها بثلاث شهادات:

١ - أخبر بنبوته ورسالته في القرآن الذي جاء به.
٢ - أيّده بالمعجزات، ومنها القرآن الكريم.
٣ - أيّده بشهادة كتبه السابقة.
الثانية: شهادة بصدق ما جاء به من التوحيد، وأيده كذلك بثلاث شهادات:
١ - شهادة كتبه السابقة ودعوة الأنبياء أنه لا إله إلا هو.
٢ - شهادات مرئية في الكون على دلائل وحدانيّته.
٣ - شهادة أودعها في الفِطَر السليمة تشهد بتوحيده جل وعلا.

[(الأنعام: ٢٥ - ٢٦)]

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٥ - ٢٦].

(يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ): ينهون الناس عن الاستماع خشية اتباعه، ويبتعدون هم كذلك عن الاستماع والاتباع.

والمعنى: تبين الآية تصرّف المشركين وردّة فعلهم بعد أن ظهرت لهم الأدلة القاطعة على وحدانية الله وصدق رسالة النبي ﷺ، فإذا استمع بعضهم للقرآن فهو للمخاصمة والجدال؛ فلا ينتفعون بما سمعوا؛ لأن ظُلمة الكفر تغطي على العقول والأسماع والأبصار.

فلما عجزوا عن وصفه قالوا: أساطير الأوّلين؛ أي: مأخوذ من صُحف الأوّلين وأوهامهم.

ولم يكتفوا بالتكذيب والاتهام، بل وقفوا ضده ينهون الناس عن الاستماع له واتباعه ويبتعدون عنه؛ فجمعوا بين الضلال والإضلال.

وهم بهذا الفعل المَشِين لا يعلمون أنهم يجرّون أنفسهم إلى الهلاك من حيث لا يشعرون، فابتعادهم عنه في الدنيا يبعدهم عنه كذلك في الآخرة.

ولا يزال أهل الشرك في كل عصر وزمان على الصّد عن الدِّين وإبعاد الناس عنه ﷺ، ولا يعلمون أنهم بتصرفهم ذاك سيبتعدون عنه يوم القيامة بعد أن تكون رغبتهم شديدة في القرب منه ونيل شفاعته.

[(الأنعام: ٣٤)]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

(وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نبَإِي المُرسَلِينَ) لها معنيان كلاهما يحتمله النص المبارك:
١ - جاءك من أخبارهم وقَصَصهم.
٢ - جاءك من النبأ الذي يأتيهم، وهو الوحي والرسالة.
انظر: تفسير ابن عثيمين للآية.

[(الأنعام: ١٣٧)]

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

(قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ):
من هم الشركاء؟ هل هم الأولاد، أم من؟!
(الشركاء) هم: شياطينهم ورؤساؤهم؛ يزينون لهم قتل أبنائهم ووأدهم خشية الافتقار.

(ليردوهم): ليهلكوهم، والمعنى: كذلك زين الشيطان لهم قتل أولادهم ليهلكوهم ويتخلصوا منهم ظلما، كما زين لهم من قبل قسمة أموالهم بين الله وبين شركائهم؛ كل ذلك ليلبسوا عليهم دينهم الذي أمرهم به ربهم؛ فيُدخِلوا عليهم الشك والباطل من الأفعال.
فأمر الله نبيه أن يتركهم استدراجًا وإمهالًا لظلمهم وافترائهم، ولو شاء الله لمنعهم فلم يستطيعوا فعل شيء فكل شيء تحت أمره ومشيئته، فلا يحزن عليهم؛ فلن يضروه شيئًا.
[سورة الأعراف]
[(الأعراف: ٤٦)]
قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦].
(لم يدخلوها وهم يطمعون) أي: أن هؤلاء الذين هم أصحاب الأعراف الذين استوت سيئاتهم مع حسناتهم، فلم تنزل بهم سيئاتهم إلى جهنم، ولم ترتفع بهم حسناتهم إلى الجنة؛ ظَلُّوا على حجاب -وهو سور بين الجنة والنار يقال له: الأعراف- يرون مِنْ عليه حالَ أهل الجنة وحال أهل النار؛ فإذا نظروا لأهل الجنة سلَّموا عليهم، وإذا نظروا لأهل النار سألوا الله ألا يجعلهم معهم، ثم يدخلهم الله الجنة بعد أن يطمعوا في كرامته .
فمعنى الآية: لم يدخلوا الجنة مع الداخلين ولكنهم يطمعون في دخولها، وما جعل الله الطمع في قلوبهم إلا لخير أراده بهم، فيحقق الله لهم ذلك، كما رجّح كثير من المفسرين؛ فمن طمع في رحمة الله وهو غير مشرك به لم يُخَيّبْه.

[(الأعراف: ١٠١)]
قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١].
(فَمَا كَانُوا لِيُؤمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبلُ) ما المراد ب (بما كذبوا من قبل)؟
اختلف المفسرون على عدة أوجه:
١ - فما كانُوا لِيُؤْمِنُوا لما سَبَقَ في عِلْمِ اللَّهِ يَوْمَ أخَذَ على بني آدم المِيثاقَ أنَّهم سيُكَذِّبُونَ بِالله ورسله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦].
٢ - ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا لو رددناهم إلى الدنيا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ مع الرسل السابقين، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ الآيَةَ [الأنعام: ٢٨].
٣ - فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما جاءَتْهم بِهِ الرُّسُلُ، فهم كفار معاندون من قَبْلِ مَجِيئِهِمْ، مُسْتَمِرُّونَ عَلى الكُفْرِ بعدهم أيضًا؛ وبسبب ذلك طبع الله على قلوبهم، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥].
وكلها صحيحة المعنى: فهؤلاء كفار في علم الله السابق، وما كانوا ليؤمنوا بأي وسيلة.
* ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤].
(فَمَا كَانُوا لِيُؤمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قبل): ينطبق على الآية وجها التفسير السابقان الأولان، إلا التفسير الثالث، لأن الضمير في (من بعده) يعود إلى نوح .
والمعنى: فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به قومُ نوح من قبل؛ فقد كان الكفر متأصلًا فيهم مثلهم.

وهذه الآية تحذر من عدم الإصغاء لنداء الحق وقبوله؛ لأنه سبب في الطبع على القلب والحرمان من الهداية، نسأل الله العافية! لمزيد فائدة انظر: تفسير أضواء البيان للآية

[(الأعراف: ١٦٩)]

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

(عَرَضَ هَذا الْأَدْنَى): خَلَفَ اليهودَ أجيالٌ من ذرياتهم ورثوا التوراة عن أسلافهم لا يعملون بها، بل انغمسوا في أمور الدنيا وفضَّلوا عرض الدنيا الدّنِيّة على الآخرة؛ فأحلوا ما حرم الله عليهم، ثم يُمَنُّون أنفسهم بالمغفرة.

(وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مثْلُهُ يَأْخُذُوه) أي: إذا جاءهم وأَشرَفَ لهم شيءٌ من الدّنيا أخذوه حلالًا كان أَوْ حرامًا، وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه؛ فلا يتورعون عن الحرام.

فالآية الكريمة تبين مدى حِرْصِهم على الدنيا، وإصرارهم على الذنوب. انظر: تفسير البغوي للآية.

[(الأعراف: ١٧٦)]

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

(إِنْ تَحمِل عَلَيهِ) أي: إن تطرده وتزجره فهو يلهث، أو تتركه يلهث، وليس من وضع الأحمال عليه؛ تقول العرب: (حمل عليه في الحرب) أي: كرّ وهاجم، و (حمل على فلان) أي: شدّ عليه وزجره.

والمثل ضربه الله للمكذب بآياته بعد أن أتته آيات الله فلم ينقَد لها، بل كذب بها وأعرض عنها؛ فسواء وعظته أو تركته فلن يهتدي، فهو في كلا الحالين معرض، كمثل الكلب إن زجرته أو تركته فهو في كلا الحالين يلهث.

[سورة الأنفال]

[(الأنفال: ٧)]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧].

(إحدى الطّائفَتَينِ) من هم الطائفتان؟ وأيهما ذات الشوكة؟

في هذه الآية يذكّر الله]. أهلَ الإيمان حينما قَدِمَتْ عِيرُ المشركين بقيادة أبي سفيان للتجارة من الشام، فخرج المسلمون بأمر رسول الله لأخذها؛ لأن قريشًا صادرت أموال بعضهم عند الهجرة من مكة، فبلغ الخبر قريشًا فخرجت لحماية قافلتها، فلما علم النبي ﷺ بخروجها شاور الصحابة فأيده

بعضهم على الاستمرار، فقال النبي ﷺ: سيروا على بركة الله، وبشرهم بأن الله وعده إحدى الطائفتين؛ فالطائفتان هما:

١ - قافلة التجارة القادمة من الشام.

٢ - العِيرُ التي خرجت من قريش لحمايتها.

فالوعد من الله إما أن يغنموا قافلة العِير والتجارة، أو قافلة النّفير التي خرجت لحمايتها.
(وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيرَ ذَاتِ الشَّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) (ذَاتِ الشَّوكَةِ) ذات القوة والسلاح، فأحب المسلمون قافلة التجارة لحاجتهم، ولأنها غير ذات شوكة وليست مُعدة للحرب.
ولكن الله تعالى أحب لهم وأراد أمرًا أعلى مما أحبوا: أراد أن يظفروا بالنّفير الذي خرج فيه كُبراء المشركين وصناديدهم؛ ليحق الحق ويقطع دابر المشركين، فوجّههم نحو النّفير وهي العير المسلحة التي جاءت لنجدة قافلة الشام، ولم يكونوا على استعداد كافٍ لمواجهتها؛ فكانت غزوة بدر التي أنزل الله فيها الملائكة تقاتل مع المسلمين حتى ظفروا وانتصروا، وقتلوا كبار قريش ومنهم عدو الله أبو جهل.
[(الأنفال: ٢٤)]
قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].
(دَعَاكُم لِمَا يُحيِيكُم) تشتمل على معنيين كلاهما صحيح:
١ - أي: دعاكم للإيمان والطاعة؛ ففيه دوام حياتكم في الدنيا والآخرة.
٢ - دعاكم لما فيه إحياء أمركم في الدنيا بالجهاد في سبيله؛ لأن السياق يدور حوله.
(يَحُولُ بَينَ المَرءِ وَقَلبِهِ) اختلف فيها العلماء، وأقرب ما يكون المعنى من وجهين بناءً على معنى (دعاكم لما يحييكم):
١ - على القول الأول؛ أي: يحول بينكم وبين الاستقامة والطاعة.
والمعنى: أطيعوا وأجيبوا الله ورسوله إذا جاءكم أمر أو نهي؛ فهو يدعوكم لما فيه دوام حياتكم في الدنيا والآخرة، فإنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن يحول الله بينكم وبين قلوبكم، فلا يمكّنكم بعد ذلك من الاستجابة؛ عقوبةً لكم على تركها، ففي الآية هنا تحذير من ترك الاستجابة.
٢ - على القول الثاني: اعلموا أن الله يحول بين قلب المؤمن وبين ما يخافه ويدفعه لعدم الاستجابة للجهاد إذا عزم صادقًا.
والمعنى: أجيبوا الله ورسوله فيما يدعوكم إليه -ومنه الخروج للجهاد- واعلموا أن الله بقدرته يحول بين قلب المؤمن وما يُضعفه عند الاستجابة والطاعة، فيجعل قلب الخائف قويًّا، وقلب الذليل عزيزًا؛ ففي الآية هنا حض وترغيب.
[(الأنفال: ٤٢)]
قال تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].
(بِالعُدوَةِ الدُّنيَا وَهُمْ بِالعُدوَةِ القُصوَى):
(العدوة): طرف الوادي المرتفع وجانباه.
(الدّنيا): من الدنوّ؛ أي: القريبة من المدينة.
(العدوة القصوى): طرف الوادي البعيد مما يلي مكة المكرمة.
والمعنى: يخبر الله تعالى عن يوم بدر حينما هُزم المشركون يوم التقى الجيشان، ثم أخبر المؤمنين عن حالهم يومئذ: أرأيتم معشر المؤمنين إذ كنتم بطرف الوادي القريب من المدينة،

وهم بطرفه البعيد عنها، وأصحاب العِير المقبلة من الشام الذين تريدونهم أسفل منكم على ساحل البحر.
ولو تواعدتم أنتم والمشركون القادمون من مكة للقتال لاختلفتم في الميعاد، ولكن الله جمعكم بهم على غير ميعاد حتى التقى على ماء بدر من يسقي لهم، فاقتتلتم وانتصر المسلمون.
(لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) أي: مُقدّرًا في الأزل لا بد من وقوعه، وهو النصر للإسلام وأهله والغنيمة، والهلاك لأبي جهل وأصحابه.
(لِيَهلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَة وَيَحيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَة) ليترتب على قضاء الله هذا هلاكُ مَنْ هلك مِنْ الكفار عن حجة وإنفاذ لوعد الله لرسوله، ولا يبقى لمن بقي حيًا من الكفار حجة لعدم الإيمان، ويزداد المؤمن
إيمانًا وبصيرة.
[(الأنفال: ٥٨)]
قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].
(فانبذ إليهم على سواء) انبذ: من النبذ، وهو الرمي والإلقاء.
والمعنى: فإن خفت من قوم نقض العهد، فارم إليهم بعهدهم وألقه عليهم، وآذنهم وأعلمهم بالحرب.
(على سواء): ليستوي علمك وعلمهم بذلك؛ فهو العدل حتى لا تغدر بهم.

[(الأنفال: ٦٨)]
قال تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].
(كِتَابٌ منَ اللَّهِ) أي: لولا حكم الله الذي قدّره وكتبه في اللوح المحفوظ لا يتغير ولا يتبدل.
وهذا الحكم اخْتَلَفَ فيه المُفَسِّرُونَ، ورجح أكثرهم القول الأول، وصوَّب ابن القيم جميع الأقوال؛ فكلها محتملة لا تتعارض:
١ - الحكم الذي سبق في عِلْمِ اللَّهِ مِنْ أَنَّهُ سَيُحِلُّ لِهَذِهِ الأُمَّةِ الغَنائِمَ بَعْدَ أنْ كانَتْ مُحَرَّمَةً عَلى سائِرِ الأُمَمِ.
٢ - أَنَّهُ مَغْفِرَةُ اللَّهِ لِأهْلِ بَدْرٍ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وما تَأخَّرَ؛ كَما في الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إنَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكم».
٣ - هو أنَّهُ لا يُعَذِّبُهم ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ؛ كَما قالَ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].
٤ - أنَّهُ لا يُعَذِّبُ أحَدًا بِذَنْبٍ فَعَلَهُ جاهِلًا.
٥ - أنَّه لا يُعَذِّبُ أحَدًا إلّا بَعْدَ تَأْكِيدِ الحُجَّةِ وتَقْدِيمِ النَّهْيِ، ولَمْ يَتَقَدَّمْ نَهْيٌ عَنْ ذَلِكَ.
* ومثلها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].
(فِي كِتَابِ اللَّهِ) أي: فيما قدّره وشرعه لكم.
والآية تتحدث عن الموالاة الإيمانية وأنها مقدمة على موالاة النسَب، وكانت في أول الإسلام حينما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار كانوا يتوارثون بالهجرة والمؤاخاة من بعضهم

البعض، فنزلت الآية لتجعل الميراث مقتصرًا على قرابة ذوي الأرحام، وهو حكم الله وشرعه الذي كتبه وحكم به على هذه الأمة.

* تكررت الجملة كذلك في قوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورا﴾ [الأحزاب: ٦].

(أَولَى بِبَعض فِي كِتَابِ اللَّهِ) أي: فيما كتبه وفرضه عليكم وشرعه لكم؛ فأولو الأرحام أولى بالميراث فيما بينهم من الحلفاء والنصراء، فغير القرابة ليس لهم حق في الميراث إلا لمن أراد أن يوصي بشيء من الثلث أو يتبرع به.

* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦].

(لَبِثتُم فِي كِتَابِ اللَّهِ) أي: لقد مكثتم فيما قدّر الله لكم في الدنيا عمرًا طويلًا كتبه لكم أضعتموه في اللعب، وها أنتم الآن في يوم البعث الذي كذبتم به.

ويسبق هذه الآية ما يبين أن الكفار كانوا في نومة البرزخ، ثم لمّا قاموا حسبوا أنهم لم يمكثوا في دنياهم القصيرة غير ساعة واحدة؛ فكان رد أهل العلم عليهم.

* ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

(فِي كِتَابِ اللَّهِ) أي: في حكمه الذي قدَّره منذ الأزل في اللوح المحفوظ.

نلاحظ أن الكتابة يتضمن بعضها: حكمَ الله القدري، وحكمَ الله الشرعي.

[سورة التوبة]

[(التوبة: ٣٠)]

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

(قَولُهُم بِأَفوَاهِهِم) معنى القول بالفم؛ أي: قول ليس له أصل، لا يتجاوز الفم؛ فلا حجة فِيهِ ولا بُرْهانَ، فيدل على تفاهتهم؛ فكلامهم لا يمرّ على عقولهم فيُقيّم ويُحكّم ويُنظر فيه.

(يُضَاهِؤنَ قَولَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبلُ) أي: يشابهون قول المشركين من قبلهم، الذين قالوا: الملائكة بنات الله، والجن بنات الله، واللات والعزى بنات الله ... تشابهت قلوبهم؛ فتشابهت أقوالهم في البطلان.

[(التوبة: ٦٠)]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)﴾ [التوبة: ٦٠].

(وفِي الرِّقَابِ) أي: وفي فَكِّ الرِّقاب.

أي: يشتري العبد فيعتقه، أو يكاتِبَ عبدًا يريد الحرية وفكاك نفسه فيعينه، أو يخلص أسيرًا من الأسر بفدي، وفيها خلاف بين الفقهاء.

(والغارمين): هم قسمان:

١ - من توسط لإصلاح ذات البَيْن، أو بين طائفتين من الناس بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم؛ فجُعل له نصيبٌ من الزكاة ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنيًّا.

٢ - من غرم وليس لديه ما يسد، فإنه يعطى ما يُوَفِّي به دينَه.

[(التوبة: ٦١)]

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

(وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) تتجلّى في الآية أخلاق النبي الكريم وحُسن معاملته للمنافقين، وقد ذكرنا سابقًا معنى (هو أذن) في حرف الألف (أذن).

(ويؤمن للمؤمنين) أي: يصدقهم.

معنى الآية: أن النبي ﷺ يصدق بالله وبما أنزل عليه، ويصدق المؤمنين في شؤونهم كشهاداتهم وحقوقهم، ويصدق أقوالهم فلا يكذبهم.

- فالفرق بين لفظ (آمن) المتعدي بالباء والمتعدي باللام:

(يؤمن ب) بمعنى: التصديق القلبي والثقة والاعتقاد؛ فصدق بالشيء؛ أي: تمكّن من قلبه، فهو إيمان برب ودين وعقيدة ...

(ويؤمن ل) بمعنى الموافقة والقبول، فهو يصدق ويقبل ما يقول المؤمنون؛ فيقبل أقوالهم وشهاداتهم ...

وقيل: إن التعدية ب (الباء) تكون للأمور الغيبية، أما المشاهدة: فتكون ب (اللام).

* ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)﴾ [يوسف: ١٧].

(بِمُؤْمِنٍ لنَا) أي: بمصدق لأقوالنا؛ أي: لن تتقبل أقوالنا أنها صادقة.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة فيها التعدية باللام؛ منها:

* ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] أي: أنقبل ونوافق على ما تدعونا إليه؟

* ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ [يونس: ٨٣].

(فما آمن لموسى) أي: ما صدقه فيما يقول وقَبِلَ الدخول في دينه.

* ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤].

(لَنْ نؤْمِنَ لَكُمْ): لن نصدقكم؛ أي: لن نقبل منكم خبرًا صادقًا.

- ومن ذلك لفظ (آمين) أي: اللهم استجب وتقَبّل، ولا تعني: اللهم صدّق.

- والمؤمن كذلك من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المُصَدِّق والموافق قولَهُ فِعلُه، والمصدق - أي: المؤيد- رسله بالبراهين والحجج، والمصدق عباده المؤمنين بما وعدهم من ثواب.

[(التوبة ٦٩)]

قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩)﴾ [التوبة: ٦٩].

(فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ): الخلاق: هو النصيب وما قدِّر للإنسان.

والمعنى: هذه الآية تابعة للحديث عن المنافقين الذين نزلت فيهم الآية الشريفة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] فكانوا

يهزءون بالقرَّاء من صحابة رسول الله ﷺ؛ فقال أحدهم: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء: لا أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء.
فنزل عليهم الوعيد بالعذاب واللعنة يوم القيامة، والتحذير أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة المكذبة.
ثم جاءت هذه الآية وفيها يقول تعالى: قل لهم -يا محمد- أنتم فعلتم كما فعل الذين من قبلكم، وكانوا أكثر منكم أموالًا وقوة، فاستمتعوا بما قدّره الله لهم من شهوات عِوضًا عن الدار الآخرة، واستمتعتم أنتم كذلك بما قدّره الله لكم من نصيب الدنيا، وسلكتم سبيلهم، وخضتم في الباطل كما خاضوا؛ فكان جزاؤكم مثلهم؛ وهو الحبوط والخسران. انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول (ص ١٠٨).
ومثلها:
* ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].
* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْأَخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧].
* ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].
(من خلاق) أي: من نصيب.
[(التوبة: ٧٤)]
قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].
(وَهَمُّوا بِمَا لَم يَنَالُوا) مَنْ الذين همّوا؟ وهمّوا بماذا؟
هم المنافقون، هموا بقتل النبي ﷺ في مؤامرة دنيئة وهم عائدون من غزوة تبوك، فأمر النبي ﷺ بمن يصدهم عن فعلهم؛ فلم ينالوا مبتغاهم ولم يظفروا به.
(كلمة الكفر) أي: كلمة يكفر بها من قالها، وهي الاستهزاء بالدِّين وبالرسول ﷺ.
(وما نقموا إلا أن أغناهم) أي: ما أنكروا وكرهوا الإسلام إلا أن أغناهم الله بعد فقر، وأخذوا من الغنائم وما فتح الله على نبيّه من البركات والخير .. أَفَعَلَى الإحسان والمعروف يهمُّون بقتل رسول الله؟! فهذا قمّة الجحود!!
فائدة:
القائل لكلمة الكفر واحد أو اثنان، ولكن الله تعالى خاطبهم كالجماعة: باعتبار أن قول واحد وسماع البقية بالموافقة والتأييد في حكم المشاركة في التَّبِعة والإثم.
[(التوبة: ١٠١)]
قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].
(سَنُعَذِّبُهُمْ مرَّتَينِ) المُرادُ بِالمَرَّتَيْن: أكثر المفسرين على أن:
١ - المرة الأولى: هو عَذابُ الدُّنْيا بِالقَتْلِ والسَّبْيِ، وسائر المصائب.
٢ - والمرة الثانية: وهو عذاب البرزخ عند الاحتضار، وفي القبر قبل يوم القيامة .. نسأل الله السلامة!

[(التوبة: ١١٠)]
قال تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٠].
(إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) المَعْنى: أنَّ ذَلِكَ المَسْجِدَ لَمّا بَنَوْهُ لِغَرَضٍ فاسِدٍ أورثهم شكًّا وريبة؛ فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِبَقاءِ النِّفاقِ في قلوبهم، فلن يهديهم الله لتوبة إلا أَنْ تتقطع قلوبهم ويهلكوا بالموت، فعندئذٍ سيعلمون حقيقة نفاقهم وكفرهم، وتمتلئ قلوبهم حسرة على ما فعلوا؛ كما قال تعالى في المنافقين: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة: ٧٧].
فمن جاءه الحق فأعرض واستهزأ وكذّب به، أورثه الله نفاقًا لا يشعر به حتى يموت عليه والعياذ بالله؛ وبهذا أغلق باب التوبة في وجوههم وهلكوا مع الهالكين، نسأل الله السلامة!
فائدة:
قصة مسجد الضّرار: أنه كان بالمدينة قبل مَقدَم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له: (أبو عامر الراهبُ)، وكان قد تَنَصَّر في الجاهلية وقرأ علْم أهل الكتاب وكانت له مكانة عندهم، فلما جاء الإسلام حصل له من الحسد ما أوجب مخالفته للنبي ﷺ، فقامت طائفة من المنافقين وبنوا هذا المسجد له. انظر الآية في: أسباب النزول للواحدي تحقيق: عصام الحميدان.
[(التوبة: ١١٨)]
قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].
(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الذِينَ خُلِّفُوا) من هم الثلاثة؟
هم كعب بن مالك ومُرَارة بن الربيع وهلال بن أمية رضوان الله عليهم.
(خُلِّفُوا) أي: أرجئوا في البَتّ في توبتهم، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦] فقد تخلفت توبتهم خمسين يومًا ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ فكان من صدق توبتهم: أن صبروا على ألم النفس، والهجر ومقاطعة المسلمين التي أمر بها رسول الله ﷺ حتى يحكم الله فيهم؛ لأنهم تخلّفوا عن غزوة تبوك مع رسول الله بلا عذر.
[سورة يونس]
[(يونس: ٢١)]
قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].
(إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا) المكر: هو الحيلة والخداع، وإبطان الخبث، والمكر في الآيات: هو الحيلة لنسبتها إلى غير مسببها، والتكذيب والاستهزاء بها.
والمعنى: إذا أذقنا هؤلاء الكفار رحمة ورخاءً بعد شدة وبلاء -كالصحة بعد المرض، والغنى بعد الفقر، والأمن بعد الخوف- أعرضوا عن المُنعم ولم يشكروه، بل يقابلون ذلك بالمكر وهو نسبة النِّعم إلى غير الله، وسعيهم بالباطل والتكذيب والاستهزاء.
(قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا) المكر صفة مقيدة لله، وهي في حقّه صفة كمال؛ لأن عدله جل وعلا يتطلب جزاء الماكر بمكره.

فالله تعالى يمكُر بالماكرين جزاءً وِفاقًا، فمَن مكر يمكر الله به، ويردّ مكره عليه من حيث لا يشعر، ويعاقبه من جنس عمله، وتسجِّل الملائكة مكرهم وخبيث أعمالهم، ويجزيهم عليه الجزاء الرادع.

* ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) المكر به: هو الحيلة لإلحاق الأذى من قتل ونحوه.

والمعنى: يذكّر الله تعالى نبيه الكريم حينما تشاور المشركون في دار النّدوة ليثبتوه -أي: يقيّدوه أو يقتلوه- فنجّاه الله منهم.

* ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢)﴾ [الرعد: ٤٢].

(فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا) أي: لا مكر كمكرِه ﷻ؛ لأن مكره لا يدفعه دافع ويأتيهم من حيث لا يحتسبون، ومكرهم لا يضرّ أحدًا إلا بإذنه.

* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سبأ: ٣٣].

(بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أي: ما كنتم تدبِّرونه في الدنيا من المكر في الليل والنهار؛ لنشر الضلال والصد عن سبيل الله.

وهو وصف لحال الكفار يوم القيامة حينما يعاينون العذاب، ويتهم الضعفاء أكابرهم بالمكر والدعوة للضلال وتحسين الكفر لهم حتى انخدعوا به.

إذن، المكر في الآيات: الاحتيال لصرفها عن مسبِّبها.

والمكر بالناس: الاحتيال لإلحاق الأذى بهم.

ومكر الله بهم: مجازاتهم من جنس أعمالهم.

[سورة هود]

[(هود: ١٧)]

قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٧].

(وَيَتلُوهُ شَاهِدٌ منهُ) يتلوه؛ أي: يتبعه ويأتي بعده شاهد بصدقه.

(منه) أي: من ربه.

والمعنى: (أَفَمَن كانَ عَلَى بَيِّنَةٍ من ربِّهِ) سؤال استنكاري يبين نفي معقولية التسوية بين المؤمن والكافر؛ أي: أفمن كان على وضوح وبيِّنة بما أوحي إليه من القرآن، وما حواه من الأدلة والبراهين على توحيد الله ونبوة رسوله، وعلى صدق يوم المعاد.

و (ويَتْلُوهُ شاهِدٌ منْهُ) أي: مع ما أوتي من هذه الدلائل والبينات، فإن له دليلًا آخر يتبعه ويؤيده؛ وهو لسان الصدق الذي ينطق به النبي ﷺ، وما أودع الله فيه من فطرة سليمة وعقل صحيح، وقيل: الشاهد هو القرآن الكريم.

ودليل ثالث من قَبْله (فهناك إذن دليل من قبله ودليل من بعده يؤيدانه) ففي قوله (ومِن قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى) أي: التوراة ﴿إِمَاما وَرَحْمَةً﴾ شاهد له؛ حيث تضمنت التوراة صفات الرسول ﷺ في غير موضع منها.
أفمن هو على هذه البينات والدلائل والبراهين من صحة دينه، كمن لا دليل له ولا برهان، وختم الله على قلبه فعمي عن الحق.
والسؤال هنا خبره محذوف، يحتمل تقديره: (كمن عمي عن الحق)، أو كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ [محمد: ١٤].
(أولئك يُؤْمِنُونَ بِهِ) أي: ثم هو واحد في جماعة كلهم ثبتت لديهم تلك البيّنات والحجج والبراهين، فهم (يُؤْمِنُونَ بِهِ) أي: بالقرآن الحق، والنبي ﷺ الحق، والدِّين الحق.
(وَمَنْ يَكفُر بِهِ مِنَ الأَحزَابِ فالنَّارُ مَوعِدُهُ) والأحزاب هنا -كما ذكرنا في مفردة سابقة- هم: كل من تحزّبوا ضد الإسلام.

[(هود: ١٠٨)]

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].
ما المقصود بقوله في الآية الكريمة: (مَا دَامَتِ السَّمَاوَ اتُ وَالأَرضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ)؟
ظاهر الآية يشير إلى تقييد مدة سعادة أهل الجنة بدوام السموات والأرض، وقد اختلف فيها العلماء على معان منها:
١ - أنها عبارة تُقال للتأبيد عند العرب؛ كقولهم: ما لاح كوكب في السماء، وما دام الليل والنهار.
٢ - أن المقصود مدة دوامهما لا منتهى لها؛ لأنه مع أن سماوات الدنيا وأرضها سوف تبدل وتطوى، ولكن لا يزال هناك سماء تُظِلّ وأرض تُقِلّ إلى الأبد؛ فالمقصود هذا المسمى وليس سماوات وأرض
الدنيا فقط.
أما الاستثناء في قوله: (إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) أي: سوى ما شاء الله من الزيادة، وقد شاء سبحانه لهم الخلود في الجنة؛ فكأن معناها: خالدين فيها أبدًا؛ لكي يعلموا مِنَّة الله عليهم بالخلود في النعيم، وأنه بمشيئة الله وليس بِحتمٍ عليه، وأكد الخلود بقوله تعالى: (عَطَاءً غَيرَ مَجذُوذ) أي: دائم غير مقطوع.
* وكذلك قوله تعالى في أهل النار: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].
(إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ):
١ - استثناء أهل الكبائر من الخلود؛ أي: إلا أن يخرج عصاة الموحدين بمشيئة الله.
٢ - استثناء مدة القبور والبعث؛ أي: إلا ما شاء الله من بقائهم في قبورهم ثم بعثهم، وبعدها يدخلون النار.
* وكذلك: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].
(خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ):
١ - إلا ما شاء عدم خلودهم فيها، وهم عصاة الموحدين.

٢ - استثناء مدة القبور والبعث؛ أي: إلا ما شاء الله من مدة بقائهم في قبورهم ثم بعثهم، وبعدها يدخلون النار.

[سورة يوسف]

[(يوسف: ٩)]

قال تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩].

(اطْرَحُوهُ أَرضًا) أي: ألقوه في أرض بعيدة مجهولة؛ وذلك حتى يستريحوا منه، فقد يتوه في تلك الأرض ولا يعرف العودة إلى أبيه، وقد يهلك هناك أو تفترسه الحيوانات، وليس المعنى: ألقوه على الأرض.

[(يوسف: ٢٤)]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

(هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) فَهَمُّهَا: عَزْمُهَا على المعصية، وأما قوله: (وَهَمَّ بِهَا) فقد اختلف فيها المفسرون على أقوال كثيرة، ورجح كثير من المفسرين قولين:

١ - هَمّ بموافقتها كخاطر قلبي أمام إلحاحها وإغرائها، فصَرَفَه عَنْهُ وازِع العلم والإيمان والتَّقْوى وهو برهان ربه، فتركه لله وقدّم مراد الله على كل شيء، و (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ) والهَمّ بالسيئة ثم تركها لله يكتبها الله حسنة كما في الحديث؛ وهذا دلالة على كمال النبي يوسف .

٢ - أنه لَوْلا أنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِها، ولكنه لم يهم.

ونظير هذا من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص ١٠] فلم تبدِ به.

والقول الأول رجحه الشوكاني والسعدي وغيرهما، وهو الذي يوافق إنسانية النبي والطبع الجبليّ أمام شدة الفتنة.

وذكر ابن القيم في تفسيره الفرق بين همِّهِ وهمِّهَا: أن همها كان همّ إصرار وعزم، وهمّهُ كان همَّ خاطر راوده أمام فتنتها وإصرارها.

أما من قال: إنه همَّ بضربها وعقابها فبعيد.

[(يوسف: ٤٥)]

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥)﴾ [يوسف: ٤٥].

(وادَّكَرَ) أي: تذكر.

(بَعْدَ أُمَّةٍ) أي: بعد زمن طويل.

والمراد به: السجين الذي كان مع يوسف ؛ نسي ما قال له يوسف: (اذكرني عند ربك) ثم تذكر بعد فترة طويلة من الزمان.

ومثلها في أصل المعنى قوله تعالى:

* ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)﴾ [القمر: ١٧].

(مُدَّكِرٍ) أي: متذكر تذكر اعتبار واتعاظ.

* ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥)﴾ [القمر: ١٥].

* ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٥١)﴾ [القمر: ٥١].
* ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)﴾ [القمر: ١٧].
من التذكر؛ أي: هل من متذكر يتعظ ويعتبر؟

[(يوسف: ٥٢)]

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].
(لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) تحتمل معنيين:
- الأول: أنه من قول امرأة العزيز -وهو الأظهر والأنسب للسياق- وفاعل (يعلم) أحد اثنين:
١ - ليعلم زوجي العزيز أنني حين اعترفت بمراودة يوسف، فإني بذلك لم أخنه سرًّا؛ فقد كانت مجرد مراودة وَهَمًّا لا أكثر.
٢ - ليعلم يوسف حين أقررتُ أني أنا الذي راودته، وأنه هو الصادق؛ فإني بذلك لم أخنه في حال غيبته عني.
وإن كانت هي القائلة: فالآية التي تليها تابعة لها (وما أُبَرِّئُ نَفْسِي) فيكون اتهامًا منها لنفسها على الحقيقة، من باب الصدق والاعتراف بالخطأ.
- الثاني: أنه من قول يوسف حينما عاد إليه رسول الملك فلم يجبه، وطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي قطَّعن أيديهن عن شأنهن، (ليعلم) العزيز (أني لم أخنه) في أهله (بالغيب).
وإن كان القائل يوسف : فالآية التي تليها من قوله: (وما أُبَرِّئُ نَفْسِي) فيكون من باب التواضع وعدم التزكية.
والقولان معتبران، وعلى هذا القول أكثرُ المفسرين؛ منهم: الطبري، والبغوي، وابن جزي، والجزائري، وغيرهم كثير. وعلى الأول: ابن تيمية، وابن كثير، والقرطبي، والسعدي، وغيرهم.
وعلى أي حال: فكلٌّ معنًى يفيد المؤمن ويلقنه درسًا تربويًّا عظيمًا.

[(يوسف: ٦٥)]

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥].
(مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا) أي: أي شيء نريد بعد هذا الإكرام من ملك مصر؟! فقد استوفى لنا الكيل وأعاد لنا بضاعتنا لكي نعود فنكتال بها مرة أخرى ولكن مع أخينا بنيامين؛ حتى يزداد الكيل.
وإنما قالوا في الآية السابقة: ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ [يوسف: ٦٣] أي: مُنع منا الكيل في المرات القادمة إلا مع أخينا بنيامين؛ كما قال: ﴿فَإِن لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [يوسف: ٦٠] وأخو يوسف هو بنيامين.
ومعنى (نَكْتَلْ) أي: لنكتال معه بالزيادة، وليس كما اشتبه على بعض العامة أن أخاه اسمه نكتل.
(نَمِيرُ) من الميرة: وهي الطعام، ومعنى (ونمير أهلنا) أي: نزوّد أهلنا بالطعام.
(ذلك كيل يسير) العبارة لها معان متعددة، نذكر منها قولين عليهما كثير من المفسرين:
١ - أي أنه كيل سهل الحصول عليه؛ لأن عزيز مصر (يوسف قد وعدهم به.
٢ - أن الكيل الذي جئنا به يسيرٌ لا يكفي لمعاشنا في مدة الجدب، ومع زيادة الكيل بحضور أخينا سيزداد؛ وهي محاولة لإقناع أبيهم باصطحاب أخيهم بنيامين معهم.

[(يوسف: ٧٥)]

قال تعالى: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٥].
(جزاؤه ... فهو جزاؤه) لها احتمالان:
الأول: أن إخوة يوسف قالوا: من سرق في شريعتنا فعقابه الاسترقاق، يتملكه صاحب الشيء المسروق؛ فهذا جزاؤه عندنا.
الثاني: جزاء السارق أن يؤخذ بما سرق ويجازى عليه.
فالخلاصة:
١ - أن من سرق فجزاؤه هو الجزاء المطبق في شريعتنا.
٢ - أن من سرق فجزاؤه الذي يحكم به القاضي هو جزاؤه الذي يستحقه.
[سورة الرعد]
[(الرعد: ١٤)]
قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].
(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) أي: لله على عباده دعوة واجبة وهي حق له، والدعوة المقصود بها.
- دعاء العبادة.
- ودعاء المسألة.
فهو الذي ينبغي أن يوجّه له الدعاء، وهو حق خالص له سبحانه غير متلبس بباطل ولا شرك. ويدخل في ذلك كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وجميع أنواع العبادات والدعاء، فسبحان من جمعها في هذه الجملة المختصرة!
فالآية تجمع بين المعاني التالية:
١ - له حق العبادة الخالصة على خلقه، وهو المستحق لذلك دون غيره.
٢ - الدعاء الحق لا ينبغي إلا له؛ فكل دعاء لغيره فهو باطل.
٣ - له الإجابة؛ فهو الذي إذا دُعي أجاب من شاء، وله مطلق القدرة على تحقيق مطلب من دعاه؛ فمن دونه لا يملكون شيئًا.
[(الرعد: ٣١)]
قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعا﴾ [الرعد: ٣١].
أشكل على العلماء تقدير جواب (لو) فجوابها في هَذِهِ الآيَةِ مَحْذُوفٌ؛ فيكون الجواب في الآية تقديره على احتمالين:
الاحتمال الأول: يبيِّن الله تعالى فضل القرآن الكريم على سائر الكتب السماوية المنزلة: (ولو أن قرآنًا) من الكتب المنزلة (سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) فتحركت به من أماكنها (أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ) وتشققت من خشية الله فصارت أنهارًا وعيونًا (أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) لكان هذا القرآن من عظمته وإعجازه.
الاحتمال الثاني: لكفروا بالرحمن ولما اهتدوا، ولزادهم ذلك الإعجاز كفرًا وتكذيبًا.
(بل لله الأمر جميعًا) أي: لكنه يأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته وإرادته وحكمه.
(أفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا) أي: فليعلم الذين آمنوا أن الله قادر على هداية الناس جميعهم، ولكنه يهدي ويضل بمشيئته عدلًا وفضلًا وحكمة.
[(الرعد: ٣٩)]

قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾ [الرعد: ٣٩].
الآية لها معنيان وعليهما كثير من المفسرين:
١ - يمحو من الشرائع والأحكام ما يشاء، فينسخ حكمًا بآخر؛ كما نسخ اتجاه القبلة، ونسخ عِدّة المتوفّى عنها زوجها من الحول إلى أربعة أشهر وعشرة أيام.
وهذا المعنى متعلّق بالآية التي قبلها: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] فالله تعالى هو الذي يأتي بالآية والحكم الذي يناسب كل وقت، ويمحو ما يشاء ويشرّع ما يشاء، وما قضاه الله من حكم فإنه يأتي في وقته الذي حدَّده له، وليس لأحد أن يعجّل أو يؤخّر منه شيئًا.
٢ - يمحو الله تعالى ما يشاء ويثبت من المقادير بعامة، والآجال والأرزاق التي بأيدي الملائكة وليس في أم الكتاب، وهي ما يسمى بالقضاء المنزّل أو المعلّق.
والمحو والإثبات بناء على الأسباب والأعمال، وما تقتضيه حكمته وعدله وفضله ﷻ: فيرزق خلقًا ويمحو من الزيادة في الرزق آخرين، ويشفي مريضًا ويمحو من الشفاء آخرين، ويفك أسيرًا ويمحو من الفكاك آخرين، يمحو سيئات التائب ويثبت بدلًا منها الحسنات، يمحو نور القمر ويثبت ضوء الشمس.
وهكذا فهو سبحانه كل يوم في شأن: يفرّج كربًا، ويجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، ويغفر ذنبًا ...
وقوله تعالى: (وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ) أي: اللوح المحفوظ عنده ﷻ، وفيه القضاء المُبرَم فلا يمحو منه ولا يبدل ولا يغيّر. انظر: قطف الجنى الداني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لعبد المحسن العباد (١٠١).

[سورة إبراهيم]
[(إبراهيم: ٢٢)]
قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].
(ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) العرب تسمي الْمُسْتَغِيثَ: (الصَّارِخ)، والمُصْرِخَ: هو (الْمُغِيثُ)، ويُقالُ: (صَرَخَ فُلانٌ) إذا اسْتَغاثَ وقالَ: واغَوْثاهُ! و (أَصْرَخْتُهُ) أي: أَغَثْتُهُ.
والمعنى: ما أنا بمغيثكم اليوم ولا أستطيع إنقاذكم، ولا أنتم بمغيثين لي؛ فقد انتهى الأمر، وذلك يوم القيامة.
وحكمة ورود كلام إبليس: أن يتصوّر الناس ذلك المقام الّذي يقول الشّيطان فيه ما يقول، فيخافوا ويعملوا ما يخلّصهم منه وينجيهم قبل الفوات.
* ﴿وَإِن نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣)﴾ [يس: ٤٣].
(صَرِيخ) أي: لا مغيث لهم.
[(إبراهيم: ٣٧)]

قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].
(أفئدة من الناس) الفؤاد: محل المشاعر والعواطف.
وانظر حرص إبراهيم في انتقاء من يجاور ذريته عند البيت؛ فلم يقل: (فاجعل الناس)، ولا (أفئدة الناس) بل قال: (أفئدة من الناس) وكأنه يقول: أصحاب القلوب التي تتّسم بالطيبة والمحبة والألفة والتعاون وحسن الجوار، وكل ما يحمل لفظ (أفئدة) من معاني المجتمع السّوِي المتراحم.
(تهوي): تهبط وتسارع منجذبة ومشتاقة إليهم وإلى البيت الحرام؛ لتقيم معهم الصلاة وشعائر العبادة.

[(إبراهيم: ٤٢ - ٤٣)]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٣].
هذه الآية تصف الظالمين يوم القيامة وصفًا دقيقًا:
(مهطعين) أي: مسرعين.
(مقنعي رؤوسهم) تقول العرب: (أقنع رأسه) أي: نصبه مرفوعًا لا يلتفت يمينًا ولا شمالًا.
والمعنى: رافعي رؤوسهم ملتصقة بأعناقهم من الخلف من شدة الرفع، لا يلتفتون يمينًا ولا شمالًا من الهلع؛ لما يرون من أهوال.
(لا يرتد إليهم طرفهم): محدقة أبصارهم نحو مشاهد الهول يوم القيامة لا ترتد ولا تطرف.
(وأفئدتهم هواء): وأفئدتهم من شدة الخوف والجبن والهلع فارغة لا تعي شيئًا من الذهول.

[سورة الحجر]

[(الحجر: ٦٥)]

قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥].
(بِقِطْعٍ منَ الَّيلِ) أي: ببقية الليل الآخر، وهو أظلمه.
* ومثلها: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].
(قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا): يصف الله تعالى حال هؤلاء يوم القيامة بصورة حسية، حينما يأتون ووجوههم كالحة عليها ظلمة المعاصي، فكأنها من فرط سوادها أُلْبِسَتْ قطعًا من أظلم الليل.
ومنها الحديث الشريف: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» مسلم (١٨٦).
أي: بادروا بالأعمال الصالحة قبل تعذّرها عليكم، والاشتغال عنها بما سيحدث من الفتن المتراكبة كتراكم ظلام الليل غير المُقمر، الذي لا يُرى فيه بادرة من نور الحق؛ فيعظم خطر الانقلاب فيه من الإيمان للكفر، نسأل الله السلامة!

[(الحجر: ٦٥)]
قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥].
(وَاتَّبِع أَدبَارَهُم): هو أَمر من الله للوط في شأن الثُّلة من المؤمنين الذين خرجوا معه من القرية الظالمة؛ أي: سِر خلفهم وهم أمامك حتى لا يتخلّف منهم أحد فيناله العذاب.

[(الحجر: ٨٧)]
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].
(سَبْعًا من الْمَثَانِي) تفسرها السُّنَّةُ بصريح العبارة؛ ففي الحديث عن سعيد بن المعلّى أن الرسول ﷺ قال له: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ» ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ، قَالَ: «(الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ» صحيح البخاري (٤٤٧٤).
فالسبع المثاني: هي سورة الفاتحة سبع آيات، وقيل في سبب تسميتها والله أعلم بمراده:
١ - أنها تثنّى وتكرر في كل ركعة.
٢ - أن الله استثناها وادخرها لهذه الأمة.
٣ - أنها بيّنت حال أهل النعيم، ثم ثنَّت بأهل الجحيم من المغضوب عليهم والضالين.
* أما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].
(مَثَانِيَ) أي: أن آيات القرآن الكريم كلها تتميّز بهذا الوصف، وله معنيان:
١ - من التكرار؛ أي: كُرّرتْ فيه المواعظ والقصص والأخبار ومسببات الثواب والعقاب.
٢ - من التثنية؛ حيث ثُنّيت فيه الأشياءُ وضدها؛ كالجنة والنار، والخوف والرجاء، والثواب والعقاب، والمؤمن والكافر ...
[سورة النحل]
[(النحل: ٢)]
قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].
(مِنْ أَمرِهِ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - من الأوامر؛ أي: مما نأمر به.
٢ - من الأمور والشؤون التي هي من اختصاصنا وتدبيرنا.
* وكذلك قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].
(من كُلِّ أَمر) لها معنيان:
١ - من كل أمر من الأمور والشؤون.
٢ - من كل أمر من أوامر الله تعالى لهم.
* وكذلك: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا﴾ [الإسراء: ٨٥].
(مِنْ أَمرِ رَبِّي):
١ - من أمره وقدره.

٢ - من شأنه واختصاصه.
* وكذلك: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].
(مِنْ أَمْرِهِ):
١ - من أوامره وقضائه.
٢ - من شأنه واختصاصه، لا يطلعه إلا من شاء من عباده.
[(النحل: ٩)]
قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].
(قَصْدُ السَّبِيلِ) يقال: (طريق قاصد) أي: مستقيم ومختصر لا اعوجاج فيه.
والآية الكريمة لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - أن السبيل القاصد -وهو المستقيم- سبيل الله فاسلكوه.
٢ - أن على الله بيان الطريق القاصد -وهو طريق الهداية- وهي شرائعه الموصلة إليه؛ كما قال تعالى: (إن علينا للهدى).
(ومنها جائر): ومن السبل ما هو جائر ومائل عن الحق إلى البدع والأهواء، منحرف لا يوصل إلى الحق، بل إلى دار الشقاء فاحذروه.
[(النحل: ٢٠ - ٢١)]
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].
(وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبعَثُونَ) تحتمل معنيين بناء على ضمير (يشعرون):
١ - أنه عائد على الأوثان؛ فيكون المعنى: هذه الأوثان جمادات ميتة لا حياة فيها وما تدري متى تَبعث عبدتها؛ لأن الآلهة يقتضي أن لها قدرةً على الجزاء والثواب والبعث في يوم تجازي فيه العابدين لها، فهؤلاء لا حياة فيهم ولا شعور بيوم بعث وجزاء؛ فكيف نصّبتموهم للعبادة؟!
وهو غاية التهكّم بخفة عقولهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورا﴾ [الفرقان: ٣].
٢ - أن الضمير عائد على الكفار؛ فيكون المعنى: هؤلاء المشركون عبّاد الأوثان بمثابة الأموات، فهم غير أحياء ولا يعلمون متى يوم البعث والنشور، وهم في ذلك كسائر الخلق؛ فلا يعلم يوم البعث إلا الله، ولكن خصّهم بعدم العلم هنا؛ لمناسبة الحديث عنهم؛ كما قال تعالى عنهم:
﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]
أي: وما يدرون متى يوم البعث ومثلهم جميع الخلق؛ لأنها تأتي بغتة، وبدون أن يشعروا بها.
ويحتمل المعنى الذي ذكرته بعض التفاسير: بالنسبة للكفار أنهم لا يشعرون بيوم بعث ولا حساب، فلو كانوا يؤمنون بأن وراءهم يوم بعث وحساب ما عبدوا تلك الأوثان؛ لأن المؤمن لديه يقين وشعور دائم بأن وراءه بعثًا وحسابًا، فهو على أهبة الاستعداد وإن لم يعلم وقته بالتحديد.
فائدة:
ما فائدة قوله تعالى في وصف الأصنام: (غير أحياء) بعد قوله: (أموات)؟
والجواب: هو تأكيد أنها مخلوقات ميتة بلا حياة حتى بعد البعث؛ للتفريق بين الأموات من الناس الذين يبعثون أحياء بعد الموت، وبين هذه الآلهة المزعومة، فإن هذه الآلهة التي عبدوها

ميتة بلا حياة للأبد، سيجعلها الله تتكلم وتشهد عليهم يوم القيامة كما تشهد سائر الحجارة والجمادات.
أما إن كان المقصود بها الكفار في المعنى الثاني: فالتأكيد على أنهم غير أحياء لنفي حياة القلوب التي هي آلة العلم والفهم والشعور، وذكر ابن عاشور في تفسير الآية فائدة أخرى وهي: التأكيد على الموت بذكر دليله، ولبيان عراقة وصف الموت فيهم بأنه ميئوس منهم؛ إذ ليس فيهم شائبة حياة مما يستلزم نفي الشعور ونفي العلم والقابلية لاستيعابه أصلًا.
[(النحل: ٢٦)]
قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].
(فَخَرَّ عَلَيهِمُ السَّقفُ) خرَّ: من الهدم المفاجئ وسقوط الشيء بسرعة.
والمعنى: (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبلِهِم) أي: الكفار الذين كانوا قبل كفار مكة مكروا مثلهم بل وأكثر منهم؛ فبنوا القصور الشاهقة على قواعد وأسس عظيمة؛ ظنًّا منهم أنها ستدفع عنهم العذاب، ومنهم من ظن أنه قادر على الصعود للسماء، قيل: إنه النمرود، وقيل: بُخْتنَصَّر الذي بنى صرحًا عاليًا ليبلغ السماء.
(فَأَتَى اللَّهُ بُنيانَهُم منَ القَوَاعِدِ): فاقتلع الله بنيانهم من أساسه وأصوله وضَعْضَعَهَا.
(فَخَرَّ عَلَيهِمُ السَّقفُ مِنْ فَوقِهِم): فخرّ وسقط سقف البناء فجأة بجملته عليهم دفعة واحدة.
وقوله: (من فوقهم) تزيد المعنى فتُبيّن أن العذاب جاءهم من فوقهم، فسقط عليهم وهلكوا جميعًا تحته؛ لأنه لو لم يقل: (من فوقهم) لم يُعلم أنهم كانوا تحته، ولكان المعنى: تهدَّم البناء الذي يملكونه فقط؛ كما يقال: أفسد عليهم عملهم، أو أتلف عليهم أموالهم.
(وَأَتَاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيثُ لَا يَشعُرُونَ): فكان عذاب الله لهم مُباغتًا من حيث لا يتوقعون ولم يحسبوا له حسابًا، وهكذا فكما عذّب مَنْ قَبلهم من حيث لا يشعرون، فهو سبحانه قادر على أن يأتي هؤلاء الماكرين من كفار مكة -القائلين على القرآن أساطير الأولين- بعذاب مباغت من حيث لا يشعرون.
والسقف في الآية سقف بنائهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣].
* وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥] المقصود به: السماء رفعها بلا عمد؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظا﴾ [الأنبياء: ٣٢].
فائدة:
تقول العرب: (خرّ الماء خَرًّا، وله خَرير، وخرّ الحجر خُرورًا) فالسوائل لها صوت خَرير في انحدارها، والجوامد لها صوت خُرور في سقوطها؛ فكلمة خرّ تفيد سرعة السقوط أو سرعة النزول؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدا﴾ [يوسف: ١٠٠]، ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]، ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)﴾ [٢٤]، ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠].
[(النحل: ٦٠)]
قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].
(وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعلَى) أمثال السوء التي نسبها إلى الله تعالى أعداؤه المشركون: هم الإناث اللاتي يأنفون بأنفسهم عنها ويكرهونها، فكيف ينسبونها لله تعالى؟ فبئس الحكم حكمهم!

قال تعالى: (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ) أي: المثل الناقص والعيب التام.
(وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى): وهو كل صفة كمال وجلال، وكل كمال في الوجود فإن الله أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصًا بوجه، وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه: وهو التعظيم والإجلال، والمحبة، والإنابة، والتوحيد الخالص.
* ومثلها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].
(وَلَهُ المَثَلُ الأَعلَى) أي: له الصفة العليا في السماوات والأرض، كل صفة كاملة فلله ﷻ أكملها، وكل صفة نقص فإنه مُنَزَّهٌ عنها.
فائدة:
كثيرًا ما نسمع جملة: (ولله المثل الأعلى) فمتى تقال هذه العبارة؟
تقال عند ضرب مثل لمخلوق بمثل لله تعالى؛ كأن تقول: للملوك هيبة ورهبة فكيف بالله تعالى ملك الملوك (ولله المثل الأعلى)؛ حتى لا يُعتقد أن ذلك تمثيل شخص بشخص، بل هو تشبيه واشتراك نسبي في مسمى صفة لا في الصفة ذاتها.
أو نقول: لله يد وللمخلوق يد (ولله المثل الأعلى) فيد الله تعالى ليست كيد المخلوق ولا أي صفة
من صفاته.
[(النحل: ٧٤)]
قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].
(فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) أي: لا تمثلوا له الأمثال، ولا تجعلوا له الأشباه والنظراء من خلقه؛ فهو تعالى ليس كمثله شيء، ولم يكن له كُفُوًا أحد.
والآية ردٌّ على المشركين الذين يجعلون لله الأنداد والأشباه ويسمونها آلهة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا!
وقد ضرب الكفار كذلك بسبب جهلهم الأمثالَ للنبي ؛ ففي قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا﴾ [الإسراء: ٤٨] شبهوا الرسول الكريم بقياسات متناقضة، وشبهوه بالمجنون والساحر والشاعر ... وهكذا الجاهل حينما يتكلم بغير علم يأتي بالطامات والعجائب!
فائدة:
تشمل الآية الأولى التمثيل في أسماء الله وصفاته، فكل صفات الله لا تماثل صفات المخلوقين بأي شكل من الأشكال.
وقد فرق ابن عثيمين بين لفظي: التشبيه، والتمثيل:
فالتشبيه: لفظ لم يرد شرعًا، فالمنهي عنه هو التمثيل؛ كأن أقول: لله بصر مثل بصري.
أو لله علم مثل كذا.
أما التشبيه: فهو الاشتراك في أصل المعنى، والاشتراك في المعنى جائز؛ كأن أقول: لله بصر وللمخلوق بصر، أو لله علم وللمخلوق علم؛ فالتشابه هنا أن كليهما له بصر وكليهما له علم.
فهناك تشابه في أصل المعنى لكن لا يستويان؛ فلله بصر ولله علم بما يليق بجلاله بلا تمثيل ولا تكييف، فهو ليس كمثله شيء.

ومن التشبيه كذلك قول النبي ﷺ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَا تَضَامُّونَ في رؤيته» صحيح مسلم (٢١١).
فالتشبيه هنا تشبيه الرؤية بالرؤية، وليس تشبيه القمر بالخالق ﷻ.
انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ١١٢).
[(النحل: ٨٦)]
قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦].
(فَأَلقَوا إِلَيهِمُ القَولَ إِنَّكُم لَكَاذِبُونَ) ينبغي شرح الآية ليتضح المعنى:
بيَّن الله حال المشركين يوم القيامة أنهم إذا رأوا آلهتهم التي كانوا يعبدونها يوم القيامة، وعلموا بطلانها ولم يمكنهم الإنكار، أرادوا إلصاق التهمة بتلك الآلهة فيقولون: ربنا هؤلاء الذين كنا نعبد من دونك ... وكأنهم هم الذين أمروهم بذلك! فيُنطق الله آلهتَهم لتُلقي عليهم القول الصريح والصادم لهم بأنهم كانوا كاذبين.
وهنا قد يرد سؤال: كيف كذبتهم الآلهة وهم عبدوها بالفعل؟!
والجواب: كذبتهم الآلهة بِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ آلِهَةً ولا تستحق ذلك، ولم تأمرهم بعبادتها؛ وهنا تظهر فضيحة الكفار وتعظم حسرتهم.
[(النحل: ٩٠)]
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].
(الفحشاء والمنكر والبغي) اجتمعت في جملة واحدة، فلا بد من اختلافها في المعنى، وقد اختلف المفسرون في المراد بكل منها، وخلاصته:

(الفَحشَاءِ): من الفحش، وهو كل ما عظُم واستفحش من قبائح الذنوب من قول وفعل، وأَوَّلها الزنى.
(وَالمُنكَرِ): كل ما أنكره الشرع والعقل السليم، وهو من الكفر إلى المعاصي.
(وَالبَغيِ): كل تجاوز واعتداء وتعدٍّ للحدود، وهو الظلم بأنواعه؛ سواء في حق النفس، أو في حق الله، أو في حقوق الغير.
قال السعدي في تفسير الآية: «فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات؛ فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه». تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.
[سورة الإسراء]
[(الإسراء: ٧)]
قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].
(وَعدُ الآخِرة) أي: وعد الإفساد الثاني لبني إسرائيل، وليس المقصود به وعد يوم القيامة.
* أما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤].

(وَعدُ النَّاخِرَةِ) المراد بها هنا: يوم القيامة، فإذا جاءت الساعة جمعهم جميعًا ليُجزى كلٌّ بعمله.
[(الإسراء: ٣٦)]
قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾ [الإسراء: ٣٦].
(مَسْئُولًا) فيها وجهان للتفسير لا يتعارضان:
١ - بمعنى: أن الإنسان هو المسؤول عن كل ما أدخل في سمعه وبصره من حلال أو حرام؛ فيُسأل عن أفعال جوارحه فيقال له: لمَ سمعتَ ما لا يحلّ لك سماعه؟ ولمَ نظرتَ إلى ما لا يحلّ لك النظر إليه؟ ولمَ فعلتَ ما لا يحل لك فعله؟
ويؤيد هذا المعنى: قوله تعالى: ﴿وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]. وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣].
٢ - أن الجوارح هي المسؤولة عن أفعال صاحبها وشاهدة عليه بما فعل.
كما في قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠].
انظر: تفسير الآية في أضواء البيان.
فائدة:
في الآية الشريفة تنبيه وتحذير:
أن اللَّهَ سَائِلُكَ عَنْ كل شيء، وجوارحك شاهدة عليك؛ وكما في الحديث الشريف: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتّى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه» رواه الترمذي في السنن (٢٤١٧) وقال الألباني: صحيح.
فينبغي للمرء ألا يدخل قلبه عِلمًا ولا ينشره بين الناس حتى ينظر صحته من فساده، وألا يسمع ويبصر ويتكلم ويفعل إلا ما يرضي ربه جلّ وعلا.
[(الإسراء: ٧٤ - ٧٥)]
قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرا﴾ [الإسراء: ٧٤ - ٧٥].
(ضِعْفَ الْحَيَاةِ) أي: ضعف عذاب الحياة.
(ضِعْفَ الْمَمَاتِ): ضعف عذاب الآخرة.
أي: لو ركنْتَ إليهم وحاشاه - والخطاب للنبي ﷺ ووافقتهم على ما تهواه أنفسهم، لأصبناك بعذاب مضاعف في الدنيا وفي الآخرة، ضعف ما يعذب به غيرك؛ لأن عِظم الذنب بحسب العلم وشرف المنزلة.
وليس المعنى أن يضاعف الموت نفسه؛ كما قال لزوجات النبي ﷺ: ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠].
[(الإسراء: ١١١)]
قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرَا﴾ [الإسراء: ١١١].
(وَلِيٌّ منَ الذُّلِّ) الوليّ: الحليف والناصر.

والمعنى: ليس لله تعالى وليّ يتولاه لذله وحاجته إلى ولي ينصره -تعالى الله- أو حليف يتعزّز به، بل لله العزة جميعًا، خلاف الملوك والرؤساء وغيرهم؛ فكلهم بحاجة إلى من يعينه وينصره ويدبر أمور رعيته والدفاع عنه ضد الأعداء.
وكانت العرب يحالف بعضها بعضًا يلتمسون بذلك العزة والمنعة، كما هو حال الرؤساء والحكام اليوم.
فكل ما في الوجود، الله خالقه وربه ومليكه وهو الغني عنه، وكل ما سواه فقير إليه.
[سورة الكهف]
[(الكهف: ٢٢)]
قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدا﴾ [الكهف: ٢٢].
(إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا) ما هو المراء الظاهر؟
الظاهر لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - الظاهر؛ أي: غير المتعمق.
٢ - الظاهر؛ أي: الواضح الذي أظْهَرْناه لَكَ.
والمعنى -بعد جمع المعنيين-: إذا أرادَ بَعْضُ الخائضين منهم المُماراةَ في عِدَّةِ أهْلِ الكَهْفِ، فَلا تُمارِهِمْ إلا جدالًا غير متعمق، مقتصرًا على ما جاءك من الوحي والعلم الواضح فيه، وأَرْجِع العلمَ إلى الله (قُلْ رَبِّي أعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ) إذْ هو اشْتِغالٌ بِما لَيْسَ فِيهِ جَدْوى.
(وَلَا تَستَفتِ فِيهِمْ مِّنهُم أَحَدًا) أي: لا تَسْألْ أحَدًا مِنهم عَنْ نَبَئِهِمْ؛ فإنه لا عِلْمَ لَهم بِذَلِكَ إلّا تخمينًا ورَجْمًا بِالغَيْبِ.

[(الكهف: ٤٣ - ٤٤)]
قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبا﴾ [الكهف: ٤٣ - ٤٤].
(هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ) أي: هناك في ذلك المقام تتضح الولاية.
والولاية لها قراءتان صحيحتان، ولها معنيان كلاهما صحيح، والجمع بينهما هو الأكمل:
١ - الوَلاية: من الولي، وهو النصير؛ فهي النصرة والتأييد.
٢ - الوِلاية: من الوالي، وهو السلطان؛ فهي الملك والسلطة.
فالمعنى العام: لما ذكرت الآيات قصة صاحب الجنتين وكيف أنه أشرك بربه وتكبر، فدعا عليه المؤمن فأحرق الله جنتي ذلك المشرك، فأصبحتا أرضًا طينية جرداء لا زرع فيها، زلقة لا تثبت عليها قدم؛ فوقف عليها صاحبها متحسرًا على إشراكه بربه، وما لقيه من غضبه عليه، وانتقامه منه. (هنالك الولاية) أي: فهناك في ذلك المقام عند الابتلاءات والمصائب وعندما تشتد الكروب، وكذلك عند القيامة تتضح معاني الولاية والنصرة، وهناك يظهر أن الله هو المالك المتصرف وحده، وأن الولاية الحقّة لمن تولاه الله، ولن يتولى الله وينصر إلا من تولّاه وآمن به واتبع أمره ونهيه.
[سورة مريم]
[(مريم: ١٨)]

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨].
(إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) هذه الجملة أشكلت على البعض، كيف تتعوذ من الشخص التقي؟ فالاستعاذة تكون من الشخص الفاجر أولى!
والمعنى:
١ - إن كنت تتقي الله فَسَتَنْتَهِي بِتَعَوُّذِي مِنكَ؛ لأن التقيّ إذا خُوّف بالله ينتهي.
٢ - وعلى احتمال الشك في تقواه: ففي التعوذ تذكير منها للشخص الذي حسبته مجترئًا عليها بأن يتقي الله ويترك التعرض لها.
فائدة:
- في التعوذ دلالة على اعتصامها بالله عندما فاجأها الخوف برؤية الشخص، وعلى عفافها وورعها.
- وقد اعتصمت بالله بصفته الرحمن؛ لكونها في حالة ضعف وخوف لدفع ما يخيفها، وليحوطها برحمته من أن يتعرض لها أحد بسوء.
[(مريم: ٢٨)]
قال تعالى: ﴿يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨)﴾ [مريم: ٢٨].
(يا أخت هارون):
أَشْكَل على المفسرين نعتُها ب (أخت هارون)؛ حيث إن بينها وبين نبي اللهِ هارون قرونًا كثيرة!
وعليه فإن تفسير الآية يحتمل عدة أوجه:
١ - أن لها أخًا اسمه هارون، فنسبوها إليه.
٢ - كانوا يسمّون أهلَ الصلاح ب (هارون)، وليس هو هارون أخا موسى، أي: يا شبيهته في العِفّة.
٣ - أنها من ذريّة هارون أخي مُوسى؛ فنسبت إليه.
[(مريم: ٣٠)]
قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)﴾ [مريم: ٣٠].
(آتَانِيَ الْكِتَابَ):
كيف أوتي الكتاب وهو في المهد حديث الولادة؟
قال المفسرون: قضى أزلًا في اللوح المحفوظ أن يؤتيني الكتاب.
فعبّر عنه بالحدوث؛ لأنه واقع مستقبلًا، وهذا أسلوب قرآني في إنزال المستقبل منزلة الماضي؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].
[(مريم: ٣٧ - ٣٨)]
قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم: ٣٧ - ٣٨].
(أَسمِع بِهِمْ وَأَبصِر) جملة تُقال للتعجُّب؛ أي: ما أبصرهم اليوم وما أسمعهم للحق الذي كانوا ينكرونه قبل ذلك، فهو تَعْجِيبٌ مِنْ حِدَّةِ سَمْعِهِمْ وأبْصارِهِمْ يَوْمَئِذٍ.
(يَوْمَ يَأْتُونَنا) لِلْحِسابِ والجَزاءِ؛ أي: يَوْمَ القِيامَةِ حيث تكون أسماعهم وأبصارهم في غاية الحدة، وهو أمر جَدِيرٌ بِأنْ يُتَعَجَّبَ مِنهُ بَعْدَ أنْ كانُوا في الدُّنْيا صُمًّا وعُمْيًا، نسأل الله العافية!

والآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] وهذا المعنى رجّحه أكثر المفسرين.
* ومثلها قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدا﴾ [الكهف: ٢٦].
(أَبصِر بِهِ وَأَسمِع) والمقصود بالسامع والمبصر هنا: هو الله تعالى؛ أي: لا أحَدَ أبْصَرُ مِنَ اللهِ تَعالى ولَا أسْمَعُ. ففيها الإيمان بأن الله تعالى ذو بصر نافذ لا يغيب عنه شيء، وذو سمع ثاقب لا يخفى عليه شيء، حيث كان أصحاب الكهف في مكان خفيّ لا يسمعهم ولا يبصرهم إلا الله.
فائدة:
لماذا قدّم السمع في الآية الأولى وقدّم البصر في الثانية؟
قيل في الآية الأولى: كان السياق عن اختلاف أهل الكتاب في عيسى مذاهب شتى، وانصرافهم عن سماع كلمة الحق؛ فقدمت (أسمع) لأنها أولى بسماع الحق في هذا الموضع.
وفي الآية الثانية: كان السياق عن أصحاب الكهف واختفائهم، فكان الأولى تقديم البصر والرؤية، وأن الله وحده يراهم.

[سورة طه]

[(طه: ٩٦)]

قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦].
(بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) أبصر السامري جبريلَ على فرس، رآه وقت خروجهم من البحر حينما غرق فرعون وجنوده؛ ففكر في أمر ظن أنه لم يسبقه إليه أحد لحدة ذكائه.
(فَقَبَضتُ قَبضَة من أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذتُهَا) فقبض السّامري قبضة -أي: حفنة من أثر حافر فرس جبريل لما رأى الأرض تخضر على وقع أقدامه.

وقيل: إن هذه الحفنة التي أخذها السّامري من أثر الفرس أحدثت في العجل المصنوع من الذهب شيئًا من الحياة، فسُمع له خوار بإذن الله؛ فكان ذلك فتنة لبني إسرائيل فعبدوا العجل، وهذا التفسير عليه أكثر أهل العلم.
أما من قال: قبضت قبضة من شريعة موسى وسنته وقذفتها ورائي، فقول مرجوح.
(وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) زيّنت لي نفسي الأمارة بالسوء أن أفعل هذا الأمر.

[سورة الأنبياء]

[(الأنبياء: ١٠٤)]

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].
(كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلكُتُبِ): السجل: هو الصحيفة.
والمعنى: يوم القيامة يطوي الله تعالى السماء بما فيها من نجوم وأجرام كما تُطوى الصحيفة وتغلق على ما فيها من حروف وأرقام، وذلك بعد تناثر الكواكب واشتعال البحار وجميع ما ذكر من أهوال القيامة .. تُغلَق صفحةُ الكون الذي سخره الله للحياة الدنيا بعد أن انتهى دوره.

وهو تشبيه ليوم القيامة حينما تُكشط السماء وتُزال، فالله تعالى يطويها بيمينه، ثم ينزل الله تعالى في ظُلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، وتنزل الملائكة إلى أرض المحشر، ويبدأ الحساب.

[(الأنبياء: ١٠٨ - ١٠٩)]

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨ - ١٠٩].

(آذنتكم على سواء) آذنتكم؛ أي: أعلمتكم وأخبرتكم.

(على سواء) أي: جميعكم على حد سواء، فلا نخص بالإعلام قومًا دون غيرهم؛ حتى تقام الحجة بوضوح، فلا يقولوا: ما جاءنا من نذير ولا بشير.

ويحتمل المعنى كذلك: نحن وأنتم سواء في العلم بعقوبة من تولّى.

والمعنى العام: فإن أعرض المشركون يا محمد عن الإيمان بالله والانقياد لعبوديته، فحذِّرهم من العقوبة -وهي إعلان الحرب عليهم- وقل لهم: قد أعلمتكم على بيان ووضوح لتعلموا وتقام عليكم الحجة، فقد كانت العقوبة بالاستئصال ونحوه في الأمم السابقة، أما الآن: فهي الحرب، أما موعدها: فهو عند الله فهو الذي بيده الأمر، وقد حصلت لهم العقوبة في غزوة بدر وغيرها.

[سورة الحج]

[(الحج: ٩)]

قال تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩].

(ثاني عِطفه) أي: مستكبرًا عن الحق إذا دعي إليه، والعِطف -بكسر العين- هو جانب الشيء. وذلك لأن من يُعرض عن شيء تجده يلوي عنقه وجانبه؛ قاصدًا الانصراف عنه وعدم الاستماع إليه.

وهي قريبة في المعنى من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] أي: أعرض عن خالقه، وتنكّر للنعمة، وتكبر وتبطّر عن الحق.

* وقريب منها قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٣٩] أي: أعرض عن سماع الحق وأدار له ظهره.

ويزيد لفظ (بركنه) معنى آخر؛ أي: تولى بعزته وسلطانه وما يتقوّى به؛ فكلها يجمعها الإعراض، ولكن لكل منها صورة:

- فالأولى والأخيرة: إعراض عناد واستكبار.
- والثانية: إعراض كبر وبطر وفخر.

[(الحج: ١٥)]

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥].

(فليَمدُد بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ) هناك وجهان للتفسير عند العلماء لهذه الآية:

١ - يبين الله تعالى لمن يُعادي نبيه ﷺ أن من كان منهم يظن أن الله لا ينصر رسوله وأن دينه سيضمحل؛ فإن النصر من الله ينزل من السماء، فيا من في غيظ شديد لنصر الله لنبيه، امدد بحبل أو حيلة توصلك إليها لتقطع عنه النصر وتشفي غيظك.

٢ - يا من في غيظ من نصر الله لرسوله، امدد حبلًا إلى سقف بيتك أو إلى السماء وتدلَّ منه، واقطعه لتَسقط جثة هامدة عسى ذلك أن يذهب غيظك.

- ففي الآية تهكم واضح، ولا منافاة في جمع المعنيين: فليمدد بحبل إلى السماء ثم ليقطع عنه الوحي والنصر ما استطاع، ولن يجدي ذلك إلا بقطع أنفاسه والموت كمدًا وغيظًا.
فائدة (١):
في الآية الكريمة وعد وبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وللمؤمنين، وفيها تيئيس للكافرين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون، ولو سعوا لإطفائه ما أمكنهم فلن يضروا إلا أنفسهم.
أما قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندا﴾ [مريم: ٧٥].
(فَليَمدُد لَهُ الرَّحمَنُ مَدًّا) المد هنا: من الإمهال والإملاء؛ والمعنى: من كان متماديًا في ضلالته زاده الله ضلالة وتركه ليزداد تخبطًا فيها، وقد يمد له في عمره وماله ويستدرجه؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].
فائدة (٢):
اختلف المفسرون في عود الضمير في الآية الأولى في قوله: (أَنْ لن يَنْصُرَهُ)، ورجح كثير منهم أنه عائد على النبي ﷺ مع أنه لم يسبق له ذكر؛ لأن الكلام في الآية السابقة دال عليه، إذ المراد بالإيمان في الآية السابقة (إِنَّ الله يُدْخِلُ الذين آمَنُوا ...) أي: بصدق النبي ﷺ وما جاء به.
[(الحج: ٥٢)]
قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].
(إذا تمنَّى) الأمنية لها ثلاثة معانٍ في اللغة:
- أي: قرأ وتلا.
- أي: كذَب واختلق.
- أي: تمنى؛ من الأمنية المعروفة، وهي محبة حصول الشيء.
(أَلقَى الشَّيطَانُ فِي أُمنِيَّتِهِ) لها معنيان محتملان:
١ - أي: إذا قرأ وتلا النبيُّ لقومه ما أوحى اللهُ إليه، ألقى الشيطانُ الوساوس في آذان الناس الذين يسمعونه، بكلام آخر زائد على كلام النبي ليغويهم.
٢ - أن النبي إذا تمنى إيمان أمته وطاعتهم، صدّهم إبليس عن ذلك.
والقول الأول أقوى.
* ومثلها: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].
(إِلَّا أَمَانِيَّ) الأماني هنا كالآية السابقة لها معنيان:
١ - إلا مجرد تلاوة وقراءة من غير عمل.
٢ - إلا أمنيات باطلة كاذبة لا تحق لهم.
فائدة:
تقول العرب:
- تمنّى الشيء: إذا أحب حصوله.
- تمنَّى الكتاب: إذا قرأه.
- تمنّى الحديث: إذا اخترعه واختلقه.
[سورة المؤمنون]

[(المؤمنون: ٢٠)]

قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

(تَنبُتُ بِالدُّهْنِ) أي: تنبت مصحوبة بالدهن، وهو الزيت.

(وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ) الصبغ هنا معناه الإدام؛ أي: جعله إدامًا يأكلونه بالخبز، وسمّي صبغًا؛ لأنهم يصبغون به الخبز، وتُغمس اللقمة فيه عند الأكل.

فهي شجرة الزيتون على الراجح، وثمرتها تحتوي على الدهن، وهو الزيت يُستعمل كدهان للبشرة وغيره، وهو كذلك إدام يأْتَدِمُون به ويأكلونه بالخبز ونحوه.

[(المؤمنون: ٧١)]

قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

(بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ) الذّكْر يُطلق على التَّذكير، ويُطلق على السُّمْعة والصِّيت والشرف؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] من الشرف وارتفاع القدر.

(بذكرهم): لها معان كلها صحيحة:

١ - أي: بما فيه عزهم وشرفهم؛ فكل ما في القرآن فيه رفعة وعز وشرف لهم، يجعلهم سادة الناس لو آمنوا به.

٢ - أي: بما فيه تذكير لهم؛ فقد نزل بالدعوة للإيمان بخالقهم، ونزل بشريعة سمحة فيها حياة طيبة لهم، ونزل بمكارم الأخلاق ليعيشوا في وئام مع بعضهم، ونزل يبشرهم بحسن المآل لمن آمن به.

٣ - أي: أتيناهم بالذكر الذي يطلبون؛ ففيه إجابة لما سألوا في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ١٦٧ - ١٦٩] فجاءهم الذكر الذي يطلبون وهو القرآن.

(فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِم معْرِضُونَ): ولكنهم أعرضوا فخسروا هذا الشرف وهذه المكانة وهذه الموعظة القيمة.

* ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

(لَذِكرٌ لكَ وَلِقَومِكَ) لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - لشرف لك ولقومك لنزوله بلغتكم وعلى واحد منكم.

٢ - فيه تذكير لكم؛ ولذلك قال بعدها: (وَسَوفَ تُسألُونَ) أي: عن تطبيق شرائعه وتبليغه للعالمين.

* ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

(فِيهِ ذِكرُكُم):

١ - فيه شرف لكم يتحدَّث عنكم، ونزل على واحد منكم وبلغتكم.

٢ - فيه تذكير لكم بالإيمان بربكم وبالبعث والحساب.

[سورة النور]

[(النور: ٢٦)]

قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

الآية الكريمة لها معنيان كلاهما صحيح:

١ - أن الكلمات الخبيثات والأعمال السيئات أولى بها الناس الخبيثون، والطيبون أولى بالكلمات الطيبة والأعمال الصالحة.
٢ - النساء الخبيثات للرجال الخبيثين والعكس بالعكس، والنساء الطيبات العفيفات للرجال الطيبين والعكس بالعكس.
والمعنى: أنه لا يليق بهم إلا هذا؛ فلا يليق بالطيب إلا الكلمات الطيبة والنساء الطيبات ... فالطيور على أشكالها تقع؛ فهي قاعدة كلية عامة.
والآية على كلا المعنيين دلت على المقصود منها، وهو نزاهة أم المؤمنين عائشة مما رماها به ابن سَلُول وأتباعُه من الفاحشة.
أما من ظن أن الآية الكريمة تتناقض مع كون زوجة نوح وزوجة لوط كانتا كافرتين، وامرأة فرعون كانت مؤمنة!
فهذا لا يناقض الآية كما ذكر أهل العلم؛ لأن زواج الكافر بالمؤمن قبل الإسلام كان مباحًا في شرائعهم، ونَهى الله عنه في شريعتنا.
بالإضافة إلى أن لكل قاعدة أسبابًا تتحقق بها وموانع تمنعها، ولا تنتقض القاعدة بفرد أو فردين.
[(النور: ٣٣)]
قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].
(وَلَا تُكرِهُوا فَتَيَاتِكُم عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَردنَ تَحَصُّنا) المراد بالفتيات هنا ليس الشابات الصغيرات، بل المراد بها: الإماء.
وسبب تعليق المنع من الإكراه على البغاء على إرادة التحصن لا يفيد إباحة البغاء إذا لم تُوجد إرادةُ التَّحَصُّن، ولكن لأن الحادثة التي هي سبب النزول كان فيها إكراهٌ للأمَة، أو لأنها خرجت مخرج الغالب؛ فكثير من الإماء كُنّ مكرهات لغرض التكسُّب بهن.
- وهذا الأسلوب تكرر في كتاب الله:
ففي قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فشَرَطَ الخوفَ من وقوع الشقاق على الغالب، وإلا فإنّ الخُلع يجوز بغيره؛ فالشرط هنا لا مفهوم له، ولكن لبيان الغالب.
* وكذلك: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١] والقَصْرُ لا يختص بحال الخوف -كما في ظاهر معنى الآية- ولكنه سبحانه أجراه على سبيل الغالب.
(وَمَنْ يُكرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعدِ إِكرَ اهِهِنَّ غَفُورٌ رحِيمٌ) تعود على الإماءِ المُكْرَهاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ لَهُنَّ.
فقد كان للمنافق عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول إماء مسلمات في المدينة، وكان يكرههن على البغاء.
- فسبب نزول الآية أن جارية لعبد الله بن أُبَيّ بن سلول يقال لها: (مُسيكة)، وأخرى يقال لها: (أميمة)، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأنزل الله الآية. انظر الآية في: الصحيح المسند من أسباب النزول.

[(النور: ٣٥)]

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الله تعالى اسمه النور، فهو نور بذاته ونور بصفاته ونور بأفعاله، فكتابه نور وهو من صفاته لأنه كلامه، والله هو المنوِّر للسماوات والأرض بالأنوار الحسية التي نراها، فهو خالقها وهو الذي يضيء بها الكون كله، وكذلك الأنوار المعنوية وهي أنوار الهداية فهي منه ﷻ؛ فهو واهب الأنوار وخالقها وهادٍ إليها.

فالمعنى يشمل:

- الله مضيء السماوات والأرض بالأنوار الحسية والمعنوية المخلوقة.
- الله الهادي بنور هدايته مَنْ في السماوات والأرض.

(مَثَل نُورِهِ كَمِشْكَاة) أي: مَثَل نوره في صدر المؤمن ككُوَّة في جدار، وكأن هذه الكُوَّة هي صدر المؤمن.

(فِيهَا مِصبَاحٌ): وهو شعلة الهداية ونور الإيمان.

(فِي زُجَاجَةٍ) أي: هذه الشعلة -المصباح- يحوطه زجاج وهو قلب المؤمن، فهذا القلب كالزجاجة مُنير بشعلة الهداية بداخله.

(الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوكَبٌ دُرِّيٌّ): فأصبح قلب المؤمن -بعد انعكاس نور الإيمان على جوانبه كلها- كأنه كوكب دُرّي في إشراقه وصفائه.

(يُوقَدُ مِنْ شَجَرَة مبَارَكَة): تغذِّي وقوده وتمدّه بمزيد النور شجرةُ الإيمان المتجذّرة في قلب المؤمن.

(زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ): شجرة الزيتون لا تتوارى الشمس عن جهاتها فهي تمدها بالضوء، وهو وصف لشجرة الإيمان في القلب وكأنها مصدر الوقود يمدّ ذلك المصباح بمزيد التوهج، فهو مضيء بغير نار فكيف إذا مسّته النار، وهي هنا شعلة الهداية التي تزيد الإيمان اشتعالًا وضياءً؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

(نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ): شعلة الهداية وانعكاسها على المصباح واستمداده من الزيت المتوهج؛ فهي أنوار متراكبة، كذلك يهدي الله لهذا النور من يشاء فيكون قلبه بهذه الصفة الكاملة، فليست هذه الصفة لكل مؤمن؛ فالمؤمنون درجات في أنوار الهداية.

(وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) ومنها هذا المثل؛ ليبيّن إشراقة قلب المؤمن وتألّقه بنور هدايته؛ ليكون في ذلك عظة وعبرة وتحفيز للتمثُّل بهذا القلب المتلألئ بأنوار الهداية والإيمان والقرآن ...

(وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنها علمه بالقلوب وظلمتها ودرجات أنوارها ﷻ.

[(النور: ٣٦)]

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

(أذن الله أن ترفع) لها معنيان:

١ تُعظَّم وتحترم؛ لإقامة ذكره بها وهو الصلاة.

٢ ترفع؛ أي: تُبنى لذكره كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧].
[(النور: ٥٤)]
قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].
(عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم ما حُمِّلْتُمْ) الحمل هنا يدل على ما حمّل الله البشرَ من الأمانة والتكليف.
ففي الآية الكريمة يأمر الله المنافقين وغيرهم بطاعة النبي ﷺ، فإن أعرضوا فلن يتضرر الرسول بشيء، فعلى الرسول ما حمَّله الله من أمانة وما كلفه به -وهو البلاغ للرسالة- وقد أداه على أكمل وجه.
(وعليكم ما حملتم) من الأمانة، وما كلفكم به وهو الطاعة والانقياد، وقد بان حالكم وعصيانكم؛ فكلٌّ يلقى جزاء أدائه.
[(النور: ٦٣)]
قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].
(دُعَاءَ الرَّسُولِ) الدعاء هنا: هو النداء، وتحتمل معنيين لا يتعارضان:
١ - دعاؤكم ونداؤكم للرسول.
٢ - دعاء الرسول إياكم.
فبالمعنى الأول: إذا ناديتم الرسول فلا تجعلوا دعاءه كدعاء بعضكم بعضًا، فإننا عندما يدعو بعضنا بعضًا نقول: يا فلان، لكن النبي له من الحق والإكرام ما لا يليق بنا أن ندعوه باسمه، بل نقول: يا نبي الله، يا رسول الله.
وبالمعنى الثاني: لا تجعلوا دعاء الرسول إذا دعاكم كدعاء بعضكم بعضًا، إن شئتم أجبتم وإن شئتم تركتم؛ لأن إجابته فرض علينا ليست كدعاء غيره، وهذا في كل زمان ومكان؛ فإذا بلغك عن الرسول أمر فأجب.
وعلى هذا فيكون في الآية أيضًا نهيٌ عن معصية الرسول ﷺ وأمرٌ بطاعته.
[سورة الفرقان]
[(الفرقان: ١٥ - ١٦)]
قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ [الفرقان: ١٥ - ١٦].
(وعدًا مسؤلًا) ما هو الوعد المسئول؟
الوعد: هو الجنة المَدْلُولُ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ: وُعِدَ المُتَّقُونَ.
وكيف يكون هذا الوعد مسئولًا؟
والجواب: هو وعدٌ مسئول من ثلاثة أوجه كلها صحيحة:
١ - يَسأله ويطلبه المؤمنون في الدنيا والآخرة؛ كما في قَوْله: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].
٢ - أن الملائكة تسأله لهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾ [غافر: ٨].
٣ - مسئولًا؛ أي: واجبًا أوجبه الله على نفسه، تفضلًا منه وكرمًا وإنْ لَمْ يُسْأَلْ.
[(الفرقان: ١٩)]

قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرا﴾ [الفرقان: ١٩].

(صرفًا ولا نصرًا) أصل الصّرْف من التقلّب والحيلة (صرفًا) أي: صرف العذاب عنكم بفدية، أو وبأي حيلة كالهروب أو غيره يوم القيامة.

(ولا نصرًا) أي: ولا نصر أنفسكم من عذاب الله؛ فالعذاب واقع بكم لا محالة.

والمعنى الإجمالي: تتحدث الآيات السابقة عن المشركين ويوم يحشرهم الله مع معبوداتهم، فيسأل المعبودات عما إذا كانوا هم الذين أضلوا عباده، أم هم الذين ضلوا وزاغوا من قِبَل أنفسهم؟

فتجيبه تلك المعبودات بالتسبيح له، والتنصُّل من فرض عبادتهم على أحد، ولكن الذي أضلهم هو استغراقهم في شهوات الدنيا!

ثم يوجّه الخطابَ للكفار قائلًا لهم: ها هي المعبودات التي عبدتموها تبرَّأت منكم وكذبتكم، فلا تستطيعون الدفاع بصرف العذاب عنكم ولا بالانتصار لأنفسكم في مواجهة ما يحيق بكم!

فائدة (١):

جاء في الحديث الشريف: «اللَّهمَّ من ظلم أهلَ المدينةِ وأخافهم فأخِفْه، وعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعين، لا يُقبَلُ منه صرفٌ ولا عَدلٌ» السلسلة الصحيحة (٣٥١).

(صرفٌ): لا يقبل صرف العقوبة عنه بتوبة أو بأي حيلة.

(ولا عَدلٌ): ما يعادله من فدية؛ كما قال تعالى في كفارة الصيد للمحرم: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ [المائدة: ٩٥].

وقيل: (الصرف) النافلة، و (العدل) الفريضة.

* وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠].

(تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ) العدلُ من الشيء: المُعادل له؛ أي: وإن تريد الفداء بشيء يعادلها فكل فدية لا تؤخذ ولا تقبل منها.

* ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

* ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣].

(عدل) أي: فدية تعدلها.

(ولا تنفعها شفاعة) أي: وساطة شافع لينقذها من العذاب.

فائدة (٢):

نلاحظ تشابه الآيتين، إلا أن هناك تقديم الشفاعة في الأولى والعدل في الثانية، والتعبير بقبول الشفاعة ونفعها!

- ففي الآية الأولى: النفس المقصودة هي النفس الثانية الشافعة، فلا تقبل شفاعتها ولا يؤخذ منها فدية لفداء غيرها فضلًا عن نفسها، وقُدمت الشفاعة؛ لأن الشافع غالبًا يقدم الشفاعة على العدل.

- وفي الآية الثانية: النفس المقصودة هي النفس الأولى صاحبة الإثم، فلا يُقبل منها الفداء ولا تنفعها شفاعة غيرها، وقدم العدل؛ لأنه هو الأَوْلى لها، وتلجأ للشفاعة إذا رُد الفداء.

انظر: الموسوعة القرآنية (٢/ ٢٩١).

[(الفرقان: ٤٨ - ٥٠)]
قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورا﴾ [الفرقان: ٤٨ - ٥٠].
(وَلَقَدْ صَرَّفنَاهُ بَينَهُم) هو على الراجح: الماء الَّذِي أنْزَلَهُ طَهُورًا، يُصرِّفه في كل عام من مكان إلى مكان، وفي الحديث: «ما من عام بأكثر مطرًا من عام، ولكن الله يُصرِّفه بين خلقه حيث يشاء، ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الفرقان: ٥٠]» الصحيحة (٢٤٦١).
(ليذّكروا) قال صاحب أضواء البيان في تفسير الآية: (لِأجْلِ أنْ يَتَذَكَّرُوا؛ أي: يَتَذَكَّرَ الَّذِينَ أخْصَبَتْ أرْضُهم بكَثْرَةِ المَطَرِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَيَشْكُرُوا لَهُ، ويَتَذَكَّرَ الَّذِينَ أجْدَبَتْ أرْضُهم ما نَزَلَ بِهِمْ مِنَ البَلاءِ، فَيُبادِرُوا بِالتَّوْبَةِ إلى اللَّهِ جَلَّ وعَلا لِيَرْحَمَهم ويَسْقِيَهم).
[سورة النمل]
[(النمل: ٥٤)]
قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤].
(وَأَنْتُمْ تُبصِرُونَ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - وأنتم تبصرون أنها معصية، وتعلمون أنكم على باطل.
٢ - أي: يبصر بعضهم بعضًا؛ مما يدل على المجاهرة، فالمعصية إذا جاهر بها صاحبها صارت أقبح وأعظم.
* ومثلها في المعنى الأول قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣].
(وَأَنْتُمْ تُبصِرُونَ) هذا قول كفار مكة في تناجيهم مع بعضهم البعض؛ استنكارًا لمن قارب أن يصدّق منهم: ما لكم كيف تتبعون محمدًا الساحر، فتكونون كمن يأتي السحر وهو يعلم حقيقته أنه باطل.
هذا وهم يعلمون أنه رسول الله حقًّا بما شاهدوا من الآيات الباهرة، ولكن حملهم على ذلك الشقاءُ المحتوم والظلمُ والعنادُ.
[سورة القصص]
[(القص ٣٢)]
قال تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القص ٣٢].
(اسلُك يَدَكَ فِي جَيبِكَ) أي: أدْخِل كفَّك في فتحة الثوب العلوية جهة الصدر.
(تَخرُج بَيضَاءَ مِنْ غَيرِ سُوء) تخرج بيضاء مضيئة بغير مرض ولا برص.
(وَاضمُم إِلَيكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهبِ) ثم اضمم جناحك -والجناح: هو اليَدُ مع العَضُد - أي: ضم جناحك الأيمن إلى جناحك الأيسر إن خفت من بقائها على هذه الحال، فإنها تعود كما كانت لحالها السابقة.
* وفي قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢].
(يَدَكَ) أي: كفّك اليُمنى.
(إِلَى جَنَاحِكَ): إلى جناحك الأيسر.

والآيات يكمل بعضها بعضًا؛ فالآية السابقة ترسم مع هذه الآية الكريمة صورة واضحة وهي: عند إدخال كفه اليمنى في جيب ثوبه، تلامس الإبْط عند الجناح الأيسر، فإنها تخرج بيضاء مضيئة.
ثم لإعادتها لطبيعتها يضم هذه اليد المضيئة مرة أخرى مع عَضُده؛ ولذلك جاءت في الآية الأولى باسم (الجَنَاح)؛ لأنها مجموع اليد والعَضُد إلى الكتف.
(واضمم إليك جناحك من الرهب) ثم إذا هَالَكَ الأمرُ على ما يغلب عليها من النور، فألْصِقْ (جناحك) -وهو ذراعك ويدك بأكملها إلى صدرك- يسكن خوفك عمومًا؛ سواء من بياض اليد، أو من تحوّل العصا وغيره؛ فالآية لم تحدد، والله تعالى أعلم!
[(القص ٧٦)]
قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص ٧٦].
(لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) هناك فرح مذموم يبغضه الله وهو موجبٌ لعقابه، وهو: فرح الزّهو والفخر، والفرح الذي يصحبه الكبر والبغي والبطر واحتقار الناس، والفرح بالباطل.
أما سرور النفس بنعمة الله وبنصر الله وبرحمته وبالتوفيق للعمل الصالح، فهو الفرح الممدوح والمشروع؛ قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].
(لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) تنوء: من ناء؛ أي: نهض بثقَل، و (ناء النجم) أي: سقط.
والعصبة: من الثلاثة إلى العشرة، والمعنى: فتلك المفاتيح من كثرتها وثقل وزنها تَثْقُل بالجماعة من أصحاب القوة والقدرة.
[(القص ٧٨)]
قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص ٧٨].
هذه الآية تنفي السؤال، وهناك آيات أخر تثبته، ومن خلال هذه المفردة سيتضح التوفيق بينها جميعًا:
(وَلَا يُسألُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجرِمُونَ) اختلف المفسرون في السؤال على أقوال؛ منها:
١ - لا يُسألون سؤال استعلام وإحصاء؛ فالله تعالى عالم بكل صغيرة وكبيرة، وجوارحهم ناطقة بما فعلوا، وهناك شهود عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠].
٢ - لا يُسألون سؤال استعتاب وطلب اعتذار، فلا محل له هنا؛ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧].
٣ - أن اليوم الآخر فيه مواطن يكون فيها سؤال وكلام، ومواطن لا سؤال فيها ولا كلام.
وكلها لا تتعارض: فهم يوم القيامة لا يُسألون سؤال استعلام عن أعمالهم؛ فالله يعلمها وجوارحهم ناطقة بها، وهناك مواطن من مواقف يوم القيامة قد لا يكون فيها توبيخ ولا عتاب؛ لشدة الفزع وهول المطلع، ومواطن يوبخون فيها، ويطلب منهم الحجة والبرهان فلا يجدون؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢].
وقد ورد في إثبات السؤال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

وفي سؤال المرسلين والمرسل إليهم: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

فإثبات السؤال على ثلاثة:

١ - إثبات سؤال التقريع والتوبيخ للجاحدين في مواطن خاصة.

٢ - إثبات سؤال طلب الحجة والبرهان بسبب ذنوب عظيمة، والحجة على الإقدام على فعلها.

٣ - سؤال المرسلين عن التبليغ وإجابة الأمم لهم.

كما ورد في نفي السؤال كذلك قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].

فالنفي يجمع بين أمرين:

- نفي سؤال الاستعلام في جميع المواقف.

- نفي سؤال التوبيخ والتقريع في مواقف خاصة يشغلهم فيها العذاب.

[سورة العنكبوت]

[(العنكبوت: ٤٥)]

قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) تحتمل عدة معانٍ كلها صحيحة لا تتعارض ذكرها ابن القيم في تفسيره:

- ولذكر الله إياكم وما يفيض عليكم من آثار ذلك، أكبر من ذكركم إياه ومن عبادتكم له؛ فذكره لكم أعظم وأجلّ.

- لا شيء أكبر من ذكر الله؛ فهو أعظم وأجلُّ طاعة، وذكر الله يتضمن الشهادتين، ومن معانيه: الصلاة، وما فيها من أذكار وقراءة للقرآن.

- ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر.

- ولذكر الله وما فيه من أمور عظيمة من الإيمان والعبودية، أكبر من مجرّد النهي عن الفحشاء والمنكر؛ فهذا أثرٌ من آثاره، وهو الإعانة على التقوى.

[سورة السجدة]

[(السجدة: ٢١)]

قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

(العَذَابِ الأَدنَى) بيّن ابن القيم ناقلًا عن ابن عباس أن العذاب الأدنى يشمل العذاب المقدّم في الدنيا؛ لأن هذا العذاب يستدعي أن يتوبوا ويرجعوا عن الكفر، وهو المقصود في هذه الآية.

ولكن مع تأمل قوله تعالى: (من العذاب الأدنى) حيث لم يقل: و (لنذيقنهم العذاب الأدنى) يبين أن العذاب الأدنى: هو كل عذاب قبل عذاب الآخرة؛ فيدخل فيه عذاب الدنيا، وإن لم يتوبوا تبقى لهم بقية من العذاب الأدنى في القبر. انظر: تفسيره للآية في التفسير المسمى ب (تفسير القيم).

فائدة:

العذاب الأدنى في الدنيا يرسله الله على عباده لأسباب:

- للتكفير لعصاة المسلمين.

- للإمهال لعلهم يرجعون ويتوبون.

- للتذكير وعدم التمادي.

- ثم بعد إقامة الحجة والإمهال يكون للانتقام، نسأل الله العافية.
ويستمر العذاب عليهم بعد ذلك في البرزخ.
(العَذَاب الأَكبَر) وهو عذاب الآخرة وعذاب النار.
[سورة الأحزاب]
[(الأحزاب: ٣٧)]
قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].
من صاحب النِّعمتَيْن؟ وما هما؟
وما الأمر الخفيّ الذي أبداه الله؟
(وَإِذ تَقُولُ لِلَّذِي أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِ) الذي أنعم الله عليه هو زيد بن حارثة ، أنعم الله عليه بالإسلام، (وَأَنعَمتَ عَلَيهِ) وأنعم عليه النبي ﷺ بالعتق وحُسن التربية والتَّبنّي الذي أبطل الله حكمه فيما بعد.
وقد كان زيد يسمى: (زيدَ بن محمد) فنزلت الآية: (ادعوهم لآبائهم).
(أَمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ) وقع في قلب زيد كراهة البقاء مع زينب بنت جحش لسبب ما بعد أن زوجه النبي ﷺ إياها -وزينب ابنة عمة رسول الله ﷺ وهذه الكراهة وضعها الله في قلبه لحكمة؛ فالله تعالى أراد أن يزوجها للنبي ﷺ ليبين للناس بطلان حكم التَّبنِّي، ولكن النبي قال له: (أمسك عليك زوجك واتقِ الله) من إضرارها، واصبر على ما كان منها.
(وَتُخفِي فِي نَفسِكَ مَا اللَّهُ مُبدِيهِ) وتخفي ما أَوْحى اللَّهُ تَعالى بِهِ إلَيْك أنَّ زَيْنَبَ سَيُطَلِّقُها زَيْدٌ وتَتَزَوَّجها من بَعْده.
وقد رويت قصة باطلة في بعض التفاسير: أن الذي يخفيه هو وُقُوعُ زَيْنَبَ في قَلْبِهِ ومحبته لها، وهي تَحْتَ زَيْدٍ، والحقيقة أن الذي أخفاه: هو وحي الله له بتزويجه زينب.
(وَتَخشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) تخشى مَقالَةَ النّاسِ؛ استحياء وتحرُّجًا، أو تخشى عليهم الوقوع في الفتنة أنْ يَقُولُوا: إنه يريد أن ينكح زوجة ابنه وعتيقه، والله أحق بإنفاذ أمره وعدم المبالاة بالناس.
وليس المقصود أنه لا يخشى الله، فقَدْ ثبت عنه أنه قَالَ: «وَاللهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي» صحيح مسلم (٧٩).
[(الأحزاب: ٣٨)]
قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].
(قَدَرا مقدُورًا) أي: وكانَ أمر الله الكوني؛ لأن الشرعيَّ قد يُفْعَل وقد لا يُفْعَل.
ولكن الأمر الذي لا بد أن يُفْعَل هو أمر الله الكوني، فإذا أمر الله تعالى بشيء كونًا فلا بُدَّ أن يقع؛ فكل أمر قدّره الله في الكون فلا بُدَّ أن يقع قَضَاءً مَقْضِيًّا مَاضِيًا لا محالة.
(مَقْدورًا) أي: مقضيًّا ومفعولًا ولا بُدَّ. انظر: تفسير العثيمين للآية.
فما الفرق بين القدر والمقدور؟
الجواب: قال تعالى: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورا﴾ [الإسراء: ٥٨]، و [الأحزاب: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].
القدر نوعان:

- قدر مسطور: وهو كل ما سطرته الأقلام من الأزل في اللوح المحفوظ، فهو كلمات الله وأمره.
- وقدر مقدور: وهو كل ما يتم تنفيذه منه على الواقع إلى قيام الساعة، فهو كل المخلوقات حسية كانت أو معنوية، وهو ما يسمى بالقضاء؛ أي: الذي قضى الله بحصوله؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]. فالمقدور: هو المقضيّ. والمقضيّ والمقدور: هو أثر القضاء والقدر.
- والقدر باعتبار نوعه قسمان: كوني وشرعي، وما يحصل منه من مقدورات كذلك قسمان:
- مقدور كوني: وهو كل المخلوقات الحسيَّة والمعنوية.
- ومقدور شرعي: وهو ما حصل من العباد وَفْق المأمورات الشرعية، فالصلاة التي صلاها العبد مقدور شرعي، وحَجّه الذي أدّاه وصدقته ... وهكذا كل ما حصل وقوعه من أنواع العبادات.

[(الأحزاب: ٥٣)]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

(غير ناظرين إناه) ناظرين؛ أي: منتظرين.

(إناه): كما نقول: (آن الأوان) أي: غير منتظرين أن يحين أوانه، وهو وقت نضجه، أو أوان تقديمه لإدراكه وتناوله.

والمقصود من الآية: إذا دخلتم بيوت النبي لحاجةٍ فلا تنتظروا طعامًا، فلا تتحينوا الفرص فتتطفلوا على مائدة النبي إلا لمن أذن له.

ومن أذن له ودعي للطعام فليأكل على عجل ولا يستأنس بالمكوث وإطالة الجلوس، فتحرجوا رسول الله ﷺ بمكثكم عنده، إذن هناك شرطان لدخول بيت النبي:

١ - الإذن والسماح لكم بالدخول.

٢ - أن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة.

[سورة سبأ]

[(سبأ: ١٣)]

قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا) اعملوا شكرًا: تتضمن عدة معان لا تتعارض:

١ - أي: اشكروا لله شكرًا يليق بما خصّكم به من النِّعم.

٢ - اعملوا لأجل شكره ﷻ خالصًا له.

٣ - اعملوا بطاعة الله شكرًا على ما أنعم به عليكم؛ فالشكر ليس بالقول فقط، بل عَمَليٌّ بالصلاة والصيام وسائر العبادات والمعاملات.

[(سبأ: ١٦)]

قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦].

(سَيْلَ الْعَرِمِ) فيه أقوال منها:
- العرم: من عرِمَ الأمر؛ أي: اشتدّ؛ فالعرم وصف للسيل، ومعناه: السيل الشديد الكثير المتدفق دمّر وأفسد مزارعهم.
- وقيل: العرم هو اسم الوادي.

(أُكُلٍ خَمْطٍ) الخمط: هو نوع من الشجر، قيل: شجر الأراك، وقيل: أيّ شجر فيه مرارة.

(وَأَثْلٍ): نوع من الشجر يسمى الطَّرْفَاء، حَرْشَفِيّ الأوراق، وقيل: هو العِضاة التي تنبت في الجبال ويستفاد من عيدانها. والمقصود: أن قوم سبأ حينما كفروا نعمة الله دمّر مزارعهم بالسيل، وبدّلهم بالفواكه والخُضَر اللذيذة المتنوعة بعضَ الثمار والشجر القليل النفع، وثمارًا فيها مرارة وحموضة.

[(سبأ: ٢٠)]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

(صَدَّقَ عَلَيهِم إِبلِيسُ ظَنَّهُ) أي: تحقق فيهم ظنه.

- ما هو ظن إبليس؟

ظن إبليس هو حين أقسم: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٨٢ - ٨٣] فهذا ظن منه لا يقين؛ لأنه لا يعلم الغيب، ولم يأته خبر من الله، فظن أنه سيغويهم أجمعين إلا من استثنى، فكل مَنْ تبعه يكون ممن صدّق عليه إبليس ظنّه وتحقق فيهم؛ لأنه دعاهم فأغواهم.

[(سبأ: ٤٩)]

قال تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

(وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) تقول العرب: (فلان لا يبدي ولا يعيد) أي: ليس بيده شيء ولا يستطيع التصرف، وتقول: (فلان أبدأ وأعاد) أي: تصرف في الأمر تصرفًا واسعًا.

والمعنى: قل لهم -يا محمد-: بعدما تبيَّن الحق وجاء الإسلام، اضمحل الباطل وذهب سلطانه؛ فكل المكذبين للنبي ﷺ على باطل، وليس بضائر الحقَّ شيءٌ من باطلهم، فالباطل ظهر أمره وافتضح زيفه فلم يعد قادرًا على شيء؛ فلا يبدئ أمرًا ولا يعيده.

والباطل: وصف شامل للشيطان وآلهة الشرك وكل باطل، وفي الصحيح: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: «جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ» صحيح البخاري (٤٢٨٧).

فائدة:

إذا جاء الحق في مكان انقشع الباطل واندحر، أما إذا ضعف الحقُّ بضعف أهله وغفلتهم فإن الباطل ينتفش.

[سورة فاطر]

[(فاطر: ١٠)]

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) اختلف المفسرون في فاعل (يرفع) على أربعة أوجه كلها صحيحة لا تتعارض:

١ - أن الرافع في الآية هو الله تعالى؛ فالمعنى: والعمل الصالح يرفعه الله إليه.

٢ - أن الرّافع هو العمل الصالح يرفع صاحبه، وهو الذي يريد العزة والرفعة المذكورة في بداية الآية.

٣ - أن الرافع هو العمل الصالح يرفع الكلم الطيب؛ فيكون المعنى: فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رُدّ كلامه على عمله فلم يُرْفَع.

٤ - أن الرافع هو الكلم الطيب يرفع العمل الصالح؛ أي: لا يُرْفَع العمل إلا أن يكون صادرًا عن قلب مُوَحّد؛ فالتوحيد والشهادتان سبب قبول العمل.

[(فاطر: ١٨)]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ١٨].

(وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَة إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ) مثقلة؛ أي: نفس مثقلة بالذنب. إلى حملها؛ يعني: إلى من يحمله عنها.

والمعنى العام: لا يحمل أحدٌ خطيئةَ أحد ما لم يكن له يدٌ فيها، فيكون هو من حرّض عليها، أو عاون وساعد بأي شكل من الأشكال، وهذا من كمال عدل الله]..

وإن تُنادِ نفسٌ مثقَلَة بالخطايا وتستغثْ بمَن يحمل عنها من ذنوبها شيئًا، لن تجد أحدًا، ولو كان الذي سألتْه ذا قرابة منها؛ من أب أو أخ ونحوهما.

فالآية فيها تحذير .. ولكن لمن؟

للذين يُجدي معهم التحذير، وهم الذين يخافون ربهم بالغيب وأدَّوا الصلاة حق أدائها، وطهروا أنفسهم من الشرك والمعاصي.

[سورة يس]

[(يس: ٢٩)]

قال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٩].

ذُكرت الصيحة الواحدة في آيات مختلفة، فما المقصود بكلٍّ منها؟

المقصود هنا: العذاب الذي حلّ بقوم الرجل المؤمن من آل ياسين حينما قتلوه وكذّبوا المرسلين.

* ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

المقصود بالصيحة هنا: صيحة البعث، وهي نفخة الصور الثانية للقيام من القبور.

* ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩].

الصيحة هنا: صيحة الفزع، وهي نفخة الصور الأولى، وهي نفخة الإماتة.

* ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [١٥].

وهم كفار مكة، والصيحة هنا كذلك: هي صيحة الفزع، وهي النفخ في الصور التي تأخذهم جميعًا فلا يرجعون للدنيا، ولا يفيقون بعدها إلا إلى الآخرة والحساب؛ كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

* ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١] الصيحة: الريح الشديدة استأصلهم بها، وهم قوم صالح عندما عَقَروا الناقة.

[سورة الصافات]

[(الصافات: ١٠)]

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

(خَطِفَ الْخَطْفَةَ) أي: اختطف، وهو أخذ الشيء بسرعة، و (الْخَطْفَة) المراد بها: المعلومة المسترقة بسبب التصنت والاستماع للملائكة.

وقد كان الاستماع إلى السماء والملأ الأعلى ممكنًا قبل البعثة، أما بعد البعثة فقد شُدّدَت الحراسة على السماء فلا يستطيعون سماع شيء من الوحي؛ كما قال تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبا﴾ [الجن: ٨].
فقد كان قبل ذلك للجن مقاعد يستمعون عليها إلى السماء كما هو في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩] فإذا سمع كلمة يلقيها على من تحته حتى تبلغ الكاهن أو الساحر، فيعرف بها بعض الغيب عن أحوال الناس فيكذب معها.
ثم أكد القرآن الكريم عدم استماعهم بعد ذلك لحراسة القرآن الكريم والوحي في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]، ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨]، ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩)﴾ [الجن: ٩].
ثم استثنى من الاستماع اختطاف الخطفة، وهو ما يتنصتون به على الملائكة إذا نزلت من السماء في السحاب فيخطفون الكلمة منهم؛ كما في الحديث: «إن الملائكةَ تنزلُ في العَنانِ -وهو السحابُ- فتذكرُ الأمرَ قُضِيَ في السماءِ، فتسْتَرِقُ الشياطينُ السمعَ فتسمعُه، فتوحِيه إلى الكُهَّانِ، فيكذبون معها مائةَ كَذْبةٍ من عند أنفسِهم» صحيح البخاري (٣٢١٠).
(فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ): الشهاب هنا شعلة من نار، فالرجوم والشهب يُقذَف بها من استرق السمع فيحرقه أو يصيبه بنوع من الأذى، ومعنى (فأتبعه) أي: يتبعه حتى يصيبه ولا يخطئه.

[(الصافات: ٢٨)]

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٢٨].
(تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ) اليمين هنا تشير إلى عدة معان كلها محتملة لا تتعارض:
١ - أي: عَنْ الجِهَة الَّتِي كُنّا نَأْمَنكُمْ مِنها، ويُعبّر بالْيَمِينِ عَنِ الدِّينِ وَالْحَقِّ؛ فهي الجهة التي كنتم تدلسون بها علينا فاتبعناكم فأضللتمونا.
* ومثلها: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] الآية تدل على جميع الجهات وكل المحاولات، إلا أن لفظ (أَيمَانِهِم) يدل كذلك على الدّين والحق؛ أي: يلبِّس عليهم الدِّين ويغويهم ويدخل لهم من باب الحسنات، وبعكسها قوله: (وَعَنْ شَمَائِلِهِم): من باب السيئات وأنواع المعاصي.
٢ - من ناحية الْأَيْمَانِ التي كنتم تحلفونها، فوثقنا بكم وصدقناكم.
٣ - من ناحية القوة والغلبة؛ لأن قوة كل شيء في مَيَامِنِهِ؛ كما قال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩٣] لها معنيان:
- بالقوة.
- باليد اليمين.
* وكذلك قوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥].
(بِاليَمِينِ) أي: بالقوة والقدرة.

[سورة ص]

[(٣)]

قال تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [٣].
(ولَاتَ حِينَ مَنَاص):
- لات: للنفي بمعنى ليس، ويأتي بعدها ما يدل على الزمان؛ كالساعة والحين والأوان، كقول العرب: (ولات ساعة مَنْدَم) أي: ليست الساعة ساعة ندم، فلا فائدة منه الآن.

- منا لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - هو الملجأ والمهرب.
٢ - وهو التراجع والتأخر.
والمعنى: وليس ذلك الحين حين نزول العذاب وقت فرار وطلب نجاة أو تراجع وطلب التوبة.
[(٧)]
قال تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [٧].
(الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) أي: الدِّين الأخير.
هذا قول كفار قريش ينكرون القرآن، فقالوا: ما سمعنا به في ملة النصارى السابقة وهي آخر دين!
(اختلاق) أي: كذب وافتراء؛ كانت العرب تسمي: الخرافات (أحاديث الخلق) أي: أنها مختلقة ومفتعلة انظر: مفردة (أخلق) في حرف الألف.
[(٣٤)]
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [٣٤].
(وَأَلقَينَا عَلَى كُرسِيِّهِ جَسَدًا) اختلف العلماء وتعددت الروايات الإسرائيلية التي لا تثبت، وأقرب ما رجحه أهل العلم: أن الله تعالى ألقى على عرش سليمان جسدًا -يعني: في غيبة سليمان؛ لأن سليمان ليس دائمًا على الكرسي- فسلط الله تعالى عليه شيطانًا جلس على الكرسي وجعل يدبر الدولة، فلما جاء سليمان إلى مكان جلوسه على عرشه وجده مشغولًا بهذا العفريت، وعجز عن إنزاله عن الكرسي، وعن تولّي تدبير شؤون الدولة؛ فعرف أنه مفتون، وأن الله سلط عليه هذا الشيطان ليختبره بنزع ملكه؛ فأناب إلى ربه بالتوبة والاستغفار.
[(٥٥ - ٥٨)]
قال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ [٥٥ - ٥٨].
(وَآخَرُ مِنْ شَكلِهِ أَزوَ اج) أي: وعذاب آخر يتذوقونه من أشكال الحميم والغَسّاق أصناف مختلفة.
ولم يذكرها تخويفًا؛ أي: عذاب متنوع من كل شكل، نسأل الله العافية!
و (الحميم): الماء البالغ الحرارة.
و (الغساق) قيل: هو الصديد المنتن الذي يخرج من أجسادهم، والله أعلم.
[سورة الزمر]
[(الزمر: ١٨)]
قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].
(يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه) ما هو القول؟ وما هو أحسنه؟ ومن هم أولو الألباب؟
فيها معنيان خاص وعام لا يتعارضان:
فالخاص أن المراد بالقول: القرآن الكريم، وقد جاء هذا المعنى في آيات أُخَر كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: ١٣].

(فيتبعون أحسنه) أي: يتبعون أحسن ما جاء فيه من أحكام؛ فالقرآن فيه حسن وأحسن، فيه ما يفعله السابق بالخيرات وما يفعله المقتصد ... وفيه خيارات.
ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] فهذا تخيير بين أخذ الحق في العقوبة وبين الصبر، وهكذا .. فأولو الألباب هم الذين يأخذون بما فيه رفعتهم عند الله.
أما المعنى العام: المراد بالقول هو: كل الأقوال التي قد تستحسن، والمراد بالأحسن: هو كتاب الله ودينه؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] فأولو الألباب هنا هم الذين يتبعون الأحسن الذي فيه هدايتهم ونجاتهم.
* ومثلها: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].
(يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا) أي: أحسن ما تشتمله من أوامر واجبة ومستحبة.
(سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) سأبقي ديارهم عبرة ترونها أنتم ومن بعدكم.
وقد اختلف المفسرون في تعيينها، والأظهر: عمومها؛ فيدخل فيها دار العمالقة الجبابرة من الأرض المقدسة بعد هلاكهم، وآل فرعون، وقوم لوط، وهود، وعاد.
ويدخل في المعنى: سأوريكم النار يوم القيامة التي أعدت للفاسقين.
[(الزمر: ٢٣)]
قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].
وقال عزّ من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].
تشير الآية الأولى إلى أن القرآن الكريم كله متشابه، وتشير الثانية إلى تشابه بعض آياته دون بعض؛ فما تأويل ذلك؟!
اعلم -أولًا- أن التشابه يطلق على أمرين:
١ - من التشبيه: وهو التماثل بين شيئين.
٢ - من الشُّبهة: وهو التباس الأمر وغموضه.
وعلى هذا فالتشابه في القرآن الكريم نوعان:
١ - التماثل: وهو التشابه العام في آياته، وتدل على ذلك الآية الأولى.
ومعناها: أن آيات القرآن الكريم يشبه بعضها بعضًا في صحة معانيه وجزالة نظمه، ويصدِّق بعضه بعضًا؛ فلا يختلف ولا يتناقض في أحكامه وشرائعه، وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده ....
٢ - الاشتباه في المعنى: وهو ما يسميه بعض المفسرين ب (التشابه الخاص) وتدل على ذلك الآية الثانية.
وللعلماء فيه أقوال متعددة نذكر بعضها باختصار:
أن المتشابه هو: ما اشتبه على الناس تأويله، ودلالته مجملة غير صريحة، واحتمل أكثرَ من معنى بحيث يمكن تصريفه وتحريف معناه ابتلاءً من الله لعباده.
وهو مما استأثر الله بعلمه على الحقيقة، ومن ذلك الحروف المقطّعة في أوائل السور.
[(الزمر: ٢٩)]
قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

(وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ) سلمًا: من الاستسلام، فهو مستسلم وخالص لرجل واحد ليس معه شركاء.
وهو مَثَلٌ ضربه الله تعالى للشرك والتوحيد:
- الأول: مثال الشرك: وهو لمن أشرك معه غيره، فهو غير مخلصٍ في عبادته لله وحده فهو يعبد آلهة شتّى؛ فهم فيه مختلفون متشاكسون، وكل منهم له مطلب يريد تنفيذه.
وهكذا هم المشركون: تارة يذهبون لهُبَل، وتارة لمَنَاة، وتارة للعزى يريدون إرضاء الآلهة في زعمهم؛ فتشتتوا وتمزقت عبادتهم، وما استقر لهم قرار، ولا اطمأنّت لهم قلوب.
- الثاني: لمن له إله واحد لا يشرك معه غيره: فهو مستسلم له، خالص في عبادته له وحده؛ فلا شك أن حاله ستكون الطمأنينة والثبات والسكينة، وقضاء حوائجه ونيل مبتغاه وهو من يعبد الله وحده.
* ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨].
(السَّلَمَ) استسلموا لأمر الله.
والتعبير ب (ألقوا): يبين أن استسلامهم بالكلية بذُلٍّ وانقياد لأمر لا مفرّ منه، ولكنهم أنكروا ما كانوا يعملون من الشرك والسوء حيث لا يفيد الإنكار.
* ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٨٧].
(السَّلَمَ) أي: الاستسلام.
والمعنى: استسلموا لحكم الله وانقادوا له بالكلية، وخيّبتهم آلهتهم التي كانوا ينتظرون منها الشفاعة، وضاع كلّ ما أمّلوه فيها.
* ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].
(وألقوا إليكم السلم) السلم: من الاستسلام؛ أي: انقادوا لكم طائعين خاضعين مستسلمين.
* ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (٩١)﴾ [النساء: ٩١].
(وَيُلْقُوا إِلَيكُمُ السَّلَمَ) أي: يعلنوا الاستسلام والمسالمة.
* وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].
(وَتَدعُوا إِلَى السَّلمِ) ولا تدعوا إلى المسالمة والمتاركة بينكم وبين أعدائكم.
ففي الآية وعظ للمؤمنين: لا تضعفوا عن قتال عدوكم، ولا تدعوا للخوف مجالًا أن يستولي على قلوبكم، بل اصبروا واثبتوا، ولا تستسلموا.
[(الزمر: ٤٢)]
قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].
(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) أي: الله يقبض الأنفس بالوفاة الكبرى حين تستكمل أجلها.

(وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أي: والتي لم تمت بوفاة كبرى فإنه يتوفاها الوفاة الصغرى في منامها، فتصعد الأرواح وتلتقي أرواح الأحياء بالأموات، حتى إذا انتهت فترة النوم أمسك أرواح الأموات عن العودة إلى أجسادها، وأرسل الأخرى لتستكمل أجلها.

فدلَّ ذلك على التقاء أرواح الأحياء وأرواح الأموات في المنام، وقد يحدث بسبب ذلك الرؤى الصادقة عن التقاء حيٍّ بميت؛ كما حدث لصحابي يوم اليمامة حينما رأى الصحابي الجليل ثابت بن قيس بن شَمَّاس في المنام بعد استشهاده في معركة اليمامة وسرقة درعه النفيسة، فأخبره بمكانها وطلب منه بيعها وسداد دينه منها وأوصاه بوصية في أمواله، فأنفذها أبو بكر الصديق لوجود قرائن تثبت صحتها، وكانت الوصية الوحيدة التي تنفذ لميت بعد موته.

والقصة معروفة، انظرها في: اتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأبي العباس شهاب الدين الشافعي (٣/ ٤١٣) وقال: ولَه شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رواه البخاري والطبراني والترمذي باختصار.

[سورة فصلت]

[(فصلت: ٤٤)]

قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

ما هو المكان القريب والمكان البعيد في الآيات؟

(يُنَادَونَ مِنْ مكَانٍ بَعِيد) يخبر الله تعالى في الآية عن تعنُّت الكفار واعتراضهم على القرآن، وقد أنزله الله عربيًّا بلغتهم ليتدبروا آياته، ولو جعله بلغة أعجمية لقالوا: هلّا بينت آياته! ولقالوا: كيف يكون أعجميًّا ومحمد عربي؟!

فهذا التعنت هو أسلوب الكفرة، فالمؤمنون الموفّقون انتفعوا به، ويكون لهم هداية لطريق الحق وشفاء من أسقامهم البدنية والقلبية، أما من كفر به ففي آذانهم صمم عن سماعه، وهو عليهم زيادة في الضلال والعمى؛ لأنهم اختاروا طريق الغيّ والزيغ، فهم بذلك بمنزلة من ينادَى عليهم من مكان بعيد؛ فهم لا يسمعون داعيًا ولا يجيبون مناديًا.

فقوله: (يُنَادَونَ مِنْ مكَان بَعِيد) فيه تشبيهٌ لهؤلاء الذين لا يستجيبون للقرآن، كمن جاءه الصوت من مكان بعيد خافتًا ضعيفًا لا يتبيّن السامع منه شيئًا.

* ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣)﴾ [سبأ: ٥١ - ٥٣].

(فزعوا) الفزع: هو الخوف المفاجئ.

(فلا فوت): لا نجاة ولا مهرب.

(مِنْ مكَان قَرِيب):

- المكان القريب: إذا قاموا فزعين يوم القيامة من القبور إلى العرض والحساب.

- وقيل: حين فزعوا مما حلَّ بهم يوم بدر فلم يستطيعوا الفرار، فإذا هم من ظاهر الأرض إلى باطنها.

* ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١].

(مِنْ مكَان قَرِيب) أي: من مكان قريب من الخلق والأرض، وهو إسرافيل حين ينفخ في الصور.

(التناوش من مكان بعيد) أي: أنَّى لهم الوصول للإيمان الذي كفروا به بعد رحيلهم للدار الآخرة؛ فقد أصبحوا في مكان بعيد.
(ويقذفون بالغيب مِنْ مكَان بعيد): يرجمون بالتخرّص بالغيب في أقوالهم الباطلة بقولهم: هو شاعر، أو ساحر، أو كاهن.
ويرجمون بالظن يقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار.
وبقذفهم هذا الباطل محال أن يصيبوا الحقيقة وهم على هذا الحال من الصدود، كما يقذف الرامي من مكان بعيد عن المرمى.
* ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرا﴾ [الفرقان: ١٢].
(من مكَانٍ بَعِيد): وهو أقصى ما يمكن أن تُرى منه في أرض المحشر.
يدل على حِدَّة بصرها؛ فجهنم لها عينان تبصران ولسان ينطق، نسأل الله السلامة!
قال ﷺ: «يخرجُ عُنُقٌ مِنَ النارِ يومَ القيامةِ لها عينانِ تُبصرانِ، وأُذنانِ تسمَعانِ، ولسانٌ يَنطقُ، يقولُ: إنِّي وُكِّلتُ بثلاثةٍ: بكلِّ جبارٍ عَنيدٍ، وبكلِّ مَنْ دعَا مع اللهِ إلهًا آخرَ، وبالمصورينَ» الصحيحة (٥١٢).
[سورة الشورى]
[(الشورى: ٢٥ - ٢٦)]
قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ٢٥ - ٢٦].
(وَيَستَجِيبُ الذِينَ آمَنُوا) لها معنيان:
١ - الله يستجيب دعاءهم؛ أي: يجيب سؤلهم، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].
٢ - هم يستجيبون لله ويلبُّون دعوته، وهذا المعنى مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] أي: يستجيبون استجابة طاعة وانقياد.
[(الشورى: ٥٢)]
قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].
(ما كُنْتَ تَدرِي مَا الكِتَابُ): الكتاب تحتمل معنيين كلاهما صحيح:
١ - القرآن.
٢ - الكتابة.
والمعنى: ما كُنْتَ تَعْلَمُ ما هو هَذا الكِتابُ الَّذِي هو القُرْآنُ العَظِيمُ، ولا الكتابة حتى ينسبوا إليك كتابته افتراءً، وما كُنْتَ تَدْرِي ما الإيمانُ الَّذِي هو تَفاصِيلُ هَذا الدِّينِ الإسْلامِيِّ العظيم؛ فقد كان أميًّا لا يقرأ ولا يَكْتب، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وهذا أعظم برهان على نبوته ورسالته. انظر: تفسير العثيمين للآية.
[سورة الزخرف]
[(الزخرف: ٥)]

قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥].
(أفنضرب عنكم) تقول العرب: (ضربتُ عن فلان) أي: أعرضتُ عنه.
(الذكر) القرآن الكريم وما فيه من تذكير وموعظة باليوم الآخر.
(صفحًا) أي: تَوَلّيًا وإعراضًا.
والمعنى العام: أفنترككم وشأنكم -أيها المشركون- بسبب إسرافكم في التكذيب بالرسالة التي أنزلت إليكم وهي القرآن، فنترككم وتكذيبكم، ونترك إنزال الذكر ونعرض عن إرسال الرسل، ونصفح توليًّا عنكم، ولا نبين لكم سبب وجودكم وما فرض عليكم في هذه الحياة لمجرد تكذيبكم؟!
فهذا يبين رحمة الله بعباده: فرغم الإنكار والجحود والاستكبار فإن الله تعالى يأبى إلا أن يبين للناس ويقيم الحجة عليهم، ويحذرهم وينذرهم مغبّة إعراضهم.
[(الزخرف: ٢٦ - ٢٨)]
قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨].
(وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَة فِي عَقِبِهِ) الضمير في (وَجَعَلَهَا):
١ - يجوز أنه عائد إلى إبراهيم؛ لأنه بذل السبب في ذلك بإعلانه تلك الكلمة، وبوصيته لأبنائه ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة: ١٣٢]؛ فجعلها بذلك باقية في قومه ومن عاصره من الأمم، وتوارثها الناس بإذن الله.
٢ - ويجوز أنه عائد إلى الله؛ أي: جعلها اللهُ باقية في ذرية إبراهيم، فلم يزل منهم من يوحّد الله إلى يوم القيامة.
(كَلِمَةً) وهي كلمة التوحيد -لا إله إلا الله- المتضمنة في قوله: (إنني براء ... إلا الذي فطرني).
(فِي عَقِبِهِ) أي: في ذريته جيلًا بعد جيل إلى يوم القيامة، ليس بالضرورة أن تعتنقها جميع الذرية، ولكنها باقية فيهم لمن أراد الله له الهداية.
(لَعَلَّهُم يرجِعُونَ) أي: لعل أهل مكة يرجعون إلى الدِّين الحق الذي دعا إليه جدُّهم إبراهيم.
وفيها ردٌّ عليهم؛ لأنهم يحتجُّون بدين آبائهم (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) وإبراهيم أبوهم الأول.
[(الزخرف: ٢٨ - ٣٠)]
قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨ - ٣٠].
(بَلْ مَتَّعتُ) هذه الآية ما علاقتها بما قبلها، وهي قوله تعالى: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَة فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ)؟
فهَؤُلَاءِ هم كفار مكة رغم كفرهم وبُعدهم عن دين أبيهم إبراهيم الذي جعل الله الدِّين بدعوته باقيًا في ذريته -ومنهم كفار مكة- إلا أنهم انحرفوا وعبدوا الأوثان.
(بَلْ مَتَّعتُ) ومع ذلك متّعهم الله بالحياة وبسائر الشهوات، ولم يعاجلهم بالعقوبة.
(حَتَّى جَاءَهُمُ الحَقُّ وَرَسُولٌ مبِينٌ) حتى جاءهم الحق يذكرهم من جديد لعلهم يعودون للحق، وهو القرآن ودين الإسلام على يد رسوله محمد ، فلما جاءهم بهذا الحق الواضح البيِّن اتهموه بأنه ساحر.
[(الزخرف: ٦١)]

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١].
(لَعِلمٌ للسَّاعَةِ) أي: وإن نزول عيسى لدليلٌ على قُرب الساعة وشرط من أشراطها، وهو نزوله في آخر الزمان، وهو من العلامات الكبرى؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا: فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» صحيح البخاري (٢٤٧٦).

[سورة الجاثية]

[(الجاثية: ٢٣)]

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].
(وأضله الله على علم) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - أي: أن الله يعلم في سابق علمه أن هذا الشخص لا يهتدي، ولو جاءته كل آية لا تنير قلبه؛ فيكون المعنى: أضله بناء على علمه السابق فيه.
٢ - أي: أضله الله بعد بلوغ العلم إليه وإقامة الحجة عليه، ولكنه أعرض فختم على منافذ قلبه وسمعه وبصره فكان من أهل الضلالة؛ فضلَّ طريق الهدى، وجهل طريق الثواب والمغفرة، وزاغ عن طريق الجنة، نسأل الله العافية!
*ومثلها في المعنى الأول: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] أي: اختيارنا لهم كان على علم سابق منا باستحقاقهم للاصطفاء.
* ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] أي: بيّنّا فيه جميع ما ينفعهم من الأحكام والعبر على علم منا بأحوال العباد وما يُصْلحهم.

[(الجاثية: ٢٨)]

قال تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].
(كل أمة تُدعى إلى كتابها) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - كل أمة تُدعى في عَرَصات يوم القيامة إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله: هل أجابوه وأطاعوه، أم ضيعوها؟ وعلى ذلك تكون كرامتهم أو مذلتهم.
٢ - كل أمة تُدعى إلى كتاب أعمالها وما كتب فيه من خير وشر، فيجازون بأعمالهم.

[سورة الأحقاف]

[(الأحقاف: ٩)]

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩].
(ومَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) لها ثلاثة أوجه:
١ - أن النبي قالها بمنزلة الاعتراض، لمّا أكثر عليه كفار قريش السؤال عن أمور غيبيّة استهزاء، فقال أحدهم: ناقتي ضلّتْ أين ناقتي؟ وسأل أحدهم: من أبي؟ ونحو ذلك، وكان يقولها للمشركين والمنافقين واليهود.
٢ - أن معناها -كما قال السعدي-: «لستُ إلا بشرًا ليس بيدي من الأمر شيء، والله تعالى هو المتصرّف بي وبكم، الحاكم علي وعليكم».

٣ - وقيل معناها: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم -يا كفار قريش- في الحياة الدنيا؛ أأخرج أم أقتَل؟ أتأمنون أم يستأصلكم الله بعذاب؟ ولا أدري بماذا سيأمرني الله وينهاني بعد ذلك، وجميع المعاني لا تتعارض.
أما من قال: إنها منسوخة، واحتج بحديث البخاري في موت ابن مظعون وغيره؛ فقد قال جمع من العلماء -منهم: ابن الجوزي وابن عاشور-: إن ما خفي عن الرسول ﷺ ثم أُعْلِم به، فليس داخلًا في الناسخ والمنسوخ؛ لأنه خبر، والخبر لا يلحقه النسخ.
(بِدْعًا مِنَ الرُّسُل):
أي: لست بأول رسول يُرسل إلى الناس، فقد أرسل قبلي كثير.
وهي من البدعة، والبدعة لغة: ما ابتُدِع ووُجِد على غير مثال سابق، ولم يُعرف من قبل؛ سواء كانت بدعة في الدِّين أو في غيره؛ يُقال: (ابتدَع الشيء) أي: اخترعه.
* ومن المعنى قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] (بديع) أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق.
[(الأحقاف: ٢١)]
﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١].
(مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) كلمة (بين يديه) تحتمل عدة معان بحسب السياق:
- ما يسبقه زمانًا، أو من كان في عصره.
- ما يقترب منه مكانًا، أو من حوله.
وفي الآية السابقة: (أخا عاد) هو: هود كان من الرسل الكرام، ولم يكن مخالفًا لمن سبقه منهم؛ أي: (بين يديه) ولا لمن يأتي من بعده؛ أي: (من خلفه)؛ فرسالتهم واحدة من قَبْلِ هود ومن بعد هود.
* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: ٣١].
(وَلَا بِالَّذِي بَينَ يَدَيهِ) وهو قول كفار مكة: لن نؤمن بهذا القرآن (ولا بالذي بين يديه) أي: ولا بالكتب المتقدمة التي جاء بها الأنبياء من قبل، ويحتمل المعنى كذلك: ولا مما سيَأتي ممَّا سيخبر به القرآن.
* ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [آل عمران: ٥٠].
(لما بَينَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَاةِ) أي: للكتاب الذي جاء قبلي وهو التوراة، وهو قول عيسى .
* ومثلها -وقد تكرر في القرآن الكريم-: (مصدقًا لما بين يديه)، (ولكن تصديق الذي بين يديه) وجاء في سورة الأنعام (٩٢): (مصدق الذي بين يديه) أي: من جاء قبله.
* أما قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦].
(لما بَينَ يَدَيهَا): للأمم التي في زمانها.
(وَمَا خَلفَهَا): والأمم التي تأتي من بعدها.
* ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].
(من بَينِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلفِه) أي: من أمامه ومن خلفه، والمعنى: تحوطه من جميع جهاته.
* ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [سبأ: ١٢].
(يَعمَلُ بَينَ يَدَيهِ) أي: حاضرين أمامه.

* ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].
(يَسلُكُ مِنْ بَينِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أي: يجعل الله تعالى من أمامه ومن خلفه ملائكة يحفظونه ويحوطونه من جميع جهاته؛ لحفظ الوحي من الشياطين.

[(الأحقاف: ٢٦)]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

(وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مكَّنَّاكُمْ فِيهِ): مكّن الله لقوم عاد وآتاهم من القوة والرزق والأموال والأسماع والأبصار؛ لكي يبصروا حجج الله، والقلوب لكي يعقلوا بها مراد الله، وجميع أسباب التمكين في الأرض.

(فيما إن مكناكم فيه): فيما لم نمكنكم فيه يا كفار قريش؛ فقد كانوا أكثر وأقوى تمكينًا منكم وأعطاهم ما لم يعطكم، ولكن ما نفعهم ذلك وما دفع عنهم من عذاب الله، لمّا جحدوا نعمته وعطلوا جميع التمكينات التي كان من المفترض أن توصلهم إلى خالقهم؛ فاعتبروا بهم، ولا تكونوا مثلهم.

[سورة الحجرات]

[(الحجرات: ١١)]

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١].
* ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم﴾ [النساء: ٢٩].
* ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

عبَّر في الآيات بضمير جمع المخاطب إشارة إلى أمرين:
١ - عمق أواصر الأُخوّة، وكأن المسلمين جميعًا شخص واحد؛ فلمز الشخص لأخيه أو أكل ماله أو قتله كأنه يفعل ذلك في نفسه.
٢ - أن من فعل ذلك بأخيه فسيُفعَلُ به مثله ولو بعد حين.

[سورة الذاريات]

[(الذاريات: ٨ - ٩)]

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨ - ٩].

(يُؤْفَكُ عَنَهُ مَنْ أُفِكَ) الإفك: هو الباطل والكذب، (يُؤفَكُ) أي: يُصْرَف عن الحق.

(مختلف) أي: أقوالهم في رسول الله ﷺ مختلفة ومتناقضة؛ فهم في قول متفرق متناقض، متغير لا ثبات له، يدلُ على بطلانه وعلى الحيرة والشك؛ فمرة يقولون: شاعر، ومرة: كاهن، ومرة: ساحر ... أقوال فاسدة لا تجتمع على دليل، ولا تقوم على أصل.

والمعنى: أن هذا القول المختلف يُصْرَف به عن القرآن والإيمان، ويَضِل به من صُرف بسبب ارتيابه وشكه.

[سورة الطور]

[(الطور: ٤)]

قال تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤].

له معنيان كلاهما صحيح:

١ - هو بيت فوق السماء السابعة، معمور مدى الأوقات بالملائكة الكرام، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يتعبدون فيه لربهم، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة كما في الصحيح.
٢ - بيت الله الحرام، معمور بالطائفين والمصلين والذاكرين كل وقت، وبالوفود إليه بالحج والعمرة.

[سورة القمر]

[(القمر: ١٥)]

قال تعالى: ﴿وَلَقَد تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

(تَرَكنَاهَا آيَة) هاء الضمير في تركناها يعود على أمرين لا يتعارضان:
١ - أبقينا قصة نوح وإغراق قومه عبرة لمن يعتبر.
٢ - أبقينا السفينة بذاتها عبرة لمن يعتبر.

[سورة الرحمن]

[(الرحمن: ٣١)]

قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

(سنفرغ لكم): عبارة يستعملها العرب تحمل التهديد والوعيد، وهي تهديد ووعيد من الله تعالى للإنس والجن، لمن خالف منهم وعصى، وجاء التهديد لهما: لأنهما المكلفان بالشرائع، وهي آية تدلُّ على الرقابة المحكمة؛ بحيث لا يُفلت أحد من قبضته .
وليس المعنى أن الله تعالى مشغول وسيتفرَّغ لهم؛ فالله تعالى لا يشغله شأن عن شأن، ويُدَبِّر كل شيء في آنٍ واحدٍ بمشيئته.
- والفراغ في اللغة له معانٍ:
١ - فرغ من الشغل: وهو ما يمتنع على الله تعالى؛ فهو لا يشغله شيء عن شيء.
٢ - فرغ بمعنى قصَد؛ تقول العرب: (فرغت إلى الشيء) إذا عمِدت إليه وقصدته، وخصصت له يومًا أو وقتًا معيَّنا.
٣ - فرغ بمعنى أتمَّ؛ تقول العرب: (فرغت من الشيء) أي: أتممته.

والمراد بالفراغ في حق الله تعالى في الآية الكريمة المعنى الثاني والثالث؛ أي: سنقصد إلى حسابكم كما وعدناكم بعد الترك وطول الإمهال.
وسنتمُّ أمركم وننهيه في يوم خاص وهو يوم القيامة.
أما المعنى الأول فيمثله قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ [القص ١٠] أي: خاليًا مما يشغله إلا التفكير في أمر موسى .
(الثقلان): هما الإنس والجن، وسمّيا بهذا الاسم؛ لأن لهما ثِقلًا على الأرض بما ميزهما وفضَّلهما على سائر الحيوان بالعقل والتكليف، والعرب تسمي أي شيء نفيس: ثِقَلًا.
* ومثلها في الحديث الشريف: «إني تاركٌ فيكم الثَّقلَينِ: كتابَ اللهِ وعِترتي» السلسلة الصحيحة (٣٥٦) وسمّيا ثقلين؛ لأن العمل والأخذ بهما ثقيل.

[(الرحمن: ٤٦)]

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

(مَقَامَ رَبِّهِ) ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

(خَافَ مَقَامِي) ومثلها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].
(مَقَامَ رَبِّهِ) جميعها لها معنيان لا يتعارضان:
١ - من خاف قيامه بين يدي ربه يوم لقائه.
٢ - خاف قيام الله عليه بالاطلاع والمراقبة في كل صغيرة وكبيرة.

[سورة الواقعة]

[(الواقعة: ٢٥ - ٢٦)]

قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَاما﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٦].
(سَلَامًا سَلَامًا) لها معنيان صحيحان:
١ - أي: إلا إشاعة السلام فيما بينهم فيُحَيِّي بعضهم بعضًا بالسلام.
٢ - أي: إلا كلامًا طيبًا فيه السلام وإدخال السرور والفرح بين أهل الجنة.
وتكرار قوله: (سَلَامًا سَلَامًا) أي: سَلَامًا بَعْدَ سَلَامٍ؛ فهو يشير إلى التكرار والكثرة.
- فتكرار السلام؛ لأن الملائكة تسلم عليهم، وربهم يقرئهم السلام، وهم يتبادلون السلام فيما بينهم، وفي الجنة يسمعون كل ما يُطرب أسماعهم من جميل الكلام الطيب، الذي لا لغو فيه ولا تأثيم؛ فالسلام يحيط بالمكان والزمان.

[(الواقعة: ٨٢)]

قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].
(رِزْقَكم) أي: المطر الذي أنزله عليكم.
(أَنَّكم تُكَذِّبُونَ): أنكم تقولون: مطرنا بِنَوء كذا ونوء كذا، كذبًا وزورا؛ فتجعلون عطاء الله إياكم تكذيبًا له، وتنسبون العطاء إلى النَّوْءِ لا إلى الله.
و (الأنواء) تطلق على النجوم، وعلى السحب المُثْقَلة بالمطر.

[سورة الحديد]

[(الحديد: ٢٨ - ٢٩)]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨ - ٢٩].
(أَلَّا يَقدِرُونَ عَلَى شَيء من فَضلِ اللَّهِ) الخطاب في بداية الآية ب (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين، ويحتمل أن يكون الأمر عامًّا يدخل فيه المؤمنون وأهل الكتاب، وأن الله أمرهم بالإيمان والتقوى، فمن آمن بموسى وعيسى، ثم آمن بالنبي محمد ﷺ، ودخل في جميع الدِّين ظاهره وباطنه، وأصوله وفروعه؛ أعطاهم الله (كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) لا يعلم وصفهما وقدرهما إلا الله تعالى: أجر على الإيمان، وأجر على التقوى، أو أجر على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، ومضاعفة الثواب.
(وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) أي: يعطيكم علمًا وهدى ونورًا تمشون به في ظلمات الجهل، ويغفر لكم.

(وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) فلا يُستكثر هذا الثواب على ذي الفضل العظيم، الذي عم فضلُه أهل السماوات والأرض.
(لِئَلَّا يَعلَمَ أَهلُ الكِتَابِ) أي: لأجل أن يعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا وهم يحسدونكم على هذا الفضل.
(أَلَّا يَقدِرُونَ عَلَى شَيءٍ من فَضلِ اللَّهِ) بأنهم لا يقدرون أن يحجروا على الله فضله بحسب أهوائهم وعقولهم الفاسدة، فيقولون: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١١١]، ويتمنون على الله الأماني الفاسدة؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].
فأخبر الله تعالى أن المؤمنين برسوله محمد ﷺ المتقين لله، لهم كفلان من رحمته، ونور، ومغفرة رغمًا على أنوف أهل الكتاب.

[سورة الممتحنة]

[(الممتحنة: ١٠)]

قال تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ [الممتحنة: ١٠].
(وَلَا تُمسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) بيَّنَ الله تعالى أن المسلمة لا تحل للكافر، وكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن يمسك بعصمتها ما دامت على كفرها.
ومعنى الإمساك بالعصمة: أن تكون زوجته قبل الإسلام، فإذا أسلم لا يحل له أن يبقيها في عصمته ما دامت على الكفر؛ لذلك طلق الصحابة زوجاتهم الباقيات على الكفر.
وابتداء التزويج بالكافرات من باب أولى، فهو لا يجوز إلا من أهل الكتاب، وبشروط يُرجع فيها لأهل العلم.
(وَاسألوا مَا أَنفَقتُم وَليَسألوا مَا أَنفَقُوا) أي: اطلبوا من المرتدة ما أنفقتم عليها من مهر، وليسألوا كذلك الكفار ما أنفقوا من مهور نسائهم اللائي أسلمن وهاجرن إليكم.
فائدة:
ذكر الشنقيطي في تفسير الآية: وَمَفْهُومُ العِصْمَةِ لا يَمْنَعُ الإمْساكَ بِمِلْكِ اليَمِينِ، فَيَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ الِاسْتِمْتاعُ بِالمُشْرِكَةِ بِمِلْكِ اليَمِينِ.
حُرْمَةُ المُسْلِمَةِ عَلى الكافِرِ مُطْلَقًا مُشْرِكًا كانَ أوْ كِتابِيًّا عَلى التَّأْبِيدِ، وقد يسأل سائل: لِماذا حَلَّتِ الكافِرَةُ مِنْ أهْلِ الكِتابِ لِلْمُسْلِمِ، ولَمْ تَحِلَّ المُسْلِمَةُ لِلْكافِرِ مِنْ أهْلِ الكِتابِ؟
والجواب لسببين:
- لِقَوامَةِ الرَّجُلِ عَلى المَرْأةِ وعَلى أوْلادِها.
- لضعف المرأة؛ فقد يأمرها زوجها الكافر بما لا يحل، ولا يحترم دينها.
انظر: تفسير الآية في أضواء البيان.

[سورة الصف]

[(الصف: ٧)]

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٧].
(وَهُوَ يُدعى إِلَى الإِسلَامِ) أي: لا أحد أشَدَّ ظُلْمًا مِمَّنْ يُدْعى إلى الإسْلامِ الَّذِي يُوصِلُهُ إلى سَعادَةِ الدّارَيْنِ، فبدلًا من الاستجابة لدعوة الحق يكون جوابه الكذب والافتراء.

والآية الكريمة تلفت الانتباه مع التحذير لأشد الناس ظلمًا، وهو الذي يكذّب ويُعرض حينما يُدعى للحق والدِّين.

فائدة:

تكررتِ الآيات الواردة بصيغة (من أظلم) وهي أربعة عشر آية؛ أي: لا أحد أشد ظلمًا منهم، وبجمعها وتدبرها نخرج بتصنيف لأشد الناس ظلمًا؛ فمن هم؟

* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤].

* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

* ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

* ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

* ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ [الأعراف: ٣٧].

* ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [هود: ١٨].

* ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبا﴾ [الكهف: ١٥].

* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

* ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

(فَمَنْ أَظلَمُ) تُجمع كلها على معنيين كلاهما صحيح:

١ - أن جميع المذكورين في الآيات هم أشد الناس ظلمًا.

٢ - أن الظلم أقسام وفئات، وأشده من كل فئة هؤلاء:

- فالكذّابون أشدهم ظلمًا: مَنْ كذبوا على الله وجعلوا معه الأنداد والشركاء.
- والمعرضون عن الحق أشدهم ظلمًا: من يُذكَّر بالله فيعرض.
- والصَّادون عن عبادة الله أشدهم ظلمًا: من منعوهم عن العبادة في المساجد.
- الكاتمون للشهادات وأشدهم ظلمًا: من كتموا شهادة الله التي في كتبهم، وهم أهل الكتاب.
- المدّعون بالباطل وأشدهم ظلمًا: من ادّعى النبوة والوحي.
- المضللون وأشدهم ظلمًا: من يضل الناس بغير علم.

فلا أحد أشدّ ظلمًا من هؤلاء، نسأل الله السلامة.

[سورة القلم]

[(القلم: ٤)]

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
(خُلُقٍ عَظِيمٍ): لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - الأخلاق ومكارم الصفات؛ كما قالت عنه عائشة حينما سئلت: يا أمَّ المؤمنين، ما كان خُلُقُ رسولِ اللهِ ﷺ؟ قالت: «كان خُلُقُه القرآنُ». صححه الألباني لغيره في صحيح الأدب المفرد (٢٣٤).
٢ - الخلق بمعنى الدِّين: أي على دين عظيم وهو الإسلام؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٧] أي: دين الأوَّلين.
[(القلم: ٣٧ - ٣٨)]
قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [القلم: ٣٧ - ٣٨].
(إن لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) أي: هل لكم من الله كتاب تقرءون فيه، وعلمتم بواسطته أن ما تشتهونه وتختارونه سوف نعطيكم إياه؟!
والمعنى الإجمالي:
هل لكم مستند ودليل على ما تقولون؟ هل نزل إليكم من الله كتاب تقرءون فيه وتدرسونه بين أيديكم يشهد أن لكم ما تشتهون؟
أن العاصي منكم كالمطيع؟
وأنكم من أهل الجنة؟
وأن لكم ما تختارون وتطلبون لأنفسكم؟ هل أعطيناكم عهودًا على ذلك؟!
وهو سؤالٌ على وجه التقريع والتوبيخ، ومفاده: أنْ ليس لكم ذلك حقيقة.
[سورة الحاقة]
[(الحاقة: ١٧)]
قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].
(وَيَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فَوقَهُم يَومَئذ ثَمَانِيَةٌ) ما هو العرش؟ ومن هم الثمانية؟
(عَرشَ رَبِّكَ) العرش امتدحه الله تعالى في القرآن الكريم فقال : ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، و ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، و ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]
والمجيد على قراءة صحيحة بكسر الدال: يكون صفة للعرش، وبرفعها: يكون صفة لله تعالى، ولا تعارض؛ فالله تعالى مجيد بما ينبغي لجلاله، وعرشُه مجيد.
- فالعرش نؤمن به، ونصفه بما ثبت في الكتاب وما ورد في صحيح السنة، فالعرش أعظم مخلوقات الله تعالى، والعرش يعني: سرير الملك.
- ولكن أين العرش؟
في العلو؛ ففوق السماء السابعة الماء، والعرش فوق الماء؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].
وللعرش قوائم وتحمله عظام الملائكة، وجاء أنه كالقبة فوق عوالم المخلوقات كلها، وهو سقف الجنة؛ قَالَ : «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ» صحيح البخاري (٧٤٢٣).
- وقد خص الله العرش بشرف الاستواء عليه، وهو سبحانه بائن منفصل عنه وغير محتاج إليه؛ كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].
- (ثَمَانِيَةٌ) من هم الثمانية؟

حملة العرش، وهم ملائكة غاية في العظمة والقوة، وهناك خلاف في عددهم قبل يوم القيامة: قال ابن عثيمين في تفسيره للآية: «والمشهور: أن حملته الآن أربعة، وفي يوم القيامة يكونون ثمانية، ومن جملة حملة العرش إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور».
- أما عن عِظَم خلقهم؛ ففي الحديث الصحيح: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: أَنَّ مَا بَيْنَ شحمة أُذُنَيْهِ إِلَى عَاتِقَيْهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ» رواه أبو داود، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥١).
- وهؤلاء الملائكة الكرام يسبِّحون الله لا يفترون، ويستغفرون للمؤمنين؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].
انظر: متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٥٤)، وتفسير ابن عثيمين للآيات الواردة، ومختصر العلو للعلي العظيم للذهبي تحقيق الألباني (ص ٩٧).
[(الحاقة: ٣٨ - ٤٠)]
قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٠].
من هو الرسول الكريم؟
(إِنَّهُ لَقَولُ رَسُول كَرِيم) المُرادُ بِهِ: الرَّسُولُ محمد ﷺ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١] فهو تبرئة له من اتهامه بأنه شاعر وساحر وغيره، وأثبت له العدالة والسلامة من ذلك كله.
* وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٥ - ٢١].
(إِنَّهُ لَقَولُ رَسُول كَرِيم) المراد به هنا: جبريل ؛ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ تَعالى: (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرشِ مَكِين) وهو وصف لجبريل .
ففي سورة الحاقة المراد بالرسول الكريم: الرسول البشري، وفي سورة التكوير المراد بالرسول الكريم: الرسول الملكي، وإضافة القول إليهما -وهو كلام الله- على سبيل التبليغ. انظر: أضواء البيان للآيتين.
[سورة المعارج]
[(المعارج: ٤)]
قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].
- توجيه التعارض الظاهر فيما ورد من أن يومًا بألف سنة، ويومًا بخمسين ألف سنة:
اختلف في ذلك المفسرون كثيرًا، ونوجز أهم ما قالوا في التالي:
١ - تعرج الملائكة والأرواح إلى الله في مسافة مقدارها خمسون ألف سنة من سنوات الدنيا، ابتداءً من الأرض حتى وصولها إلى ما تنتهي إليه من الملأ الأعلى عند العرش.
٢ - وقال كثير من المفسرين أن هذا العروج في موقف يوم القيامة الذي مقداره خمسون ألف سنة؛ ففي الصحيح: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا

بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ: إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ». صحيح مسلم (٩٨٧).

لكن الله تعالى يخففه على المؤمن كما بين صلاة الظهر والعصر، كما جاء في السنَّة: «يومُ القيامَةِ على المؤمنينَ كقدْرِ ما بينَ الظُّهرِ والعصرِ» صحيح الجامع (٨١٩٣)، لكن يبقى إشكال أن يوم القيامة تنزل فيه الملائكة إلى أرض المحشر ولا تعرج؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] فقد يكون العروج قبله أو بعده، وقد جاء في مجمل السُّنة أن الخمسين ألف سنة ليست لشيء واحد فحسب؛ فعروج الملائكة للعرش في يوم مقداره خمسين ألف سنة من حساب البشر، ويوم القيامة على الكافر مقداره خمسين ألف سنة.

انظر: توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم (١/ ٤٠٦).

- أما في الآيات التالية فجاءت المدة ألف سنة:

* ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] أي: أن اليوم عند الله تعالى بألف سنة عند البشر.

* ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] وأن ما مقداره ألف سنة هو عروج الملائكة من الأرض إلى السماء الدنيا.

أي: أنَّ المَلَكَ يَنْزِلُ ويَصْعَدُ فِي يَوْمٍ واحد مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ (مِمّا تَعُدُّونَ) أي: مما تَحْسِبُونَ مِنْ أيّامِ الدُّنْيا، ولَوْ سارَه غَيْرُ الْمَلَكِ لَكان أَلْفَ سَنَةٍ، لكن الملائكة تصعد في طرفة عين.

وقد يرد سؤال: كيف نوفق بين العروج في هذه الآية ألف سنة، وفي الآية الأولى على التفسير الأول مقداره خمسين ألف سنة؟

والجواب -كما ذكر كثيرٌ من المفسرين-: أن العروج من الأرض إلى السماء الدنيا بألف سنة، والعروج من الأرض إلى العرش بخمسين ألف سنة؛ وذلك لما جاء في السنَّة أن «العرش مسيرة خمسين ألف سنة». انظر: موسوعة العقيدة للألباني (٧/ ٦٧٩).

[(المعارج: ٣٢ - ٣٣)]

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٢ - ٣٣].

(بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ) شهادات: لفظ مطلق يشمل جميع الشهادات المتنوّعة، وأول شهادة فيه هي شهادة التوحيد، ثم شهادات البيع والطلاق والنكاح والدَّيْن، وغير ذلك.

(قائمون) أي: مقيمون عليها لا ينكثونها ولا يكتمونها، ولا يزيدون فيها ولا ينقصون منها.

فالقيام بالشهادة من صفات المؤمن؛ لأن القيام بها هو إقامة ميزان العدل، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

وعدم القيام بها خيانة، كما ذمَّ الله من يكتم الشهادات والعهود، فقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

* ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦].

* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠].

- ومن مواطن الشهادة الواردة في الكتاب والسنة:

الْأَوَّلُ: الْإِشْهَادُ فِي البيع: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].
الثَّانِي: الطَّلَاقُ، وَالرَّجْعَةُ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].
الثَّالِثُ: كِتَابَةُ الدَّيْنِ: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].
الرَّابِعُ: الوصية عند الموت: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦].
الْخَامِسُ: دفع مال اليتيم إليه إذا رَشَدَ: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٦].
السَّادس: -فِي السُّنَّةِ- عَقْدُ النِّكَاحِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بَوَلِيٍّ وشاهدي عدل» صحيح الجامع (٧٥٥٧).
وفي زيادة (شاهدي عدل) اختلاف عند العلماء. انظر: تفسير الآية في أضواء البيان.
[سورة نوح]
[(نوح: ١٠)]
قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارا﴾ [نوح: ١٠].
الاستغفار في القرآن على أربعة أحوال:
١ - الاستغفار بمعنى: التوبة والرجوع عن الكفر، وهو طلب الأنبياء من أقوامهم؛ كما في الآية السابقة قوله تعالى -حكاية عن نوح : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارا﴾ [نوح: ١٠]:
المخاطب هنا الكفار من قوم نوح؛ فمعنى الاستغفار: هو التوبة من الكفر، فالاستغفار هنا طلب الإيمان لمن لم يحقق التوحيد.
*ومثلها: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] وهو طلب النبي من أهل مكة الرجوع إلى الإيمان بالله، ثم التوبة من الذنوب.
ودليل ذلك قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا﴾ [الأنفال: ٣٨] يعني بالتوبة: ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وهكذا الاستغفار لكل من لم يحقق التوحيد فهو التوبة من الكفر، وهو كثير في كتاب الله.
٢ - استغفار من المؤمن، وهو نوعان:
- استغفار بعد الذنب، وهو المعروف بطلب العفو والستر؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].
- الاستغفار بعد الطاعة لتكميلها من التقصير فيها: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)﴾ [البقرة: ١٩٩].
٣ - استغفار الرسول ﷺ، ويراد به:
- الاستغفار من التقصير وعدم التأني: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيما﴾ [النساء: ١٠٦] وهو عندما همّ النبي بالدفاع في قضية ظن فيها أن الحق مع الظالم، فنزلت آية تبين له الصواب: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيما﴾ [النساء: ١٠٥].
- طلب الأفضل والأكمل، فهو الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥].

- ليُستنَّ به فيلزم المؤمنون الاستغفار في كل الأحوال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

[سورة الجن]

[(الجن: ٦ - ٧)]

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدا﴾ [الجن: ٦ - ٧].

(وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لن يَبعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) مَنْ الذين ظنوا؟ ومن المخاطب ب (ظننتم)؟

قوله: (وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ) يحتمل معنيين:

- المعنى الأول: أن يكون من قول الجن بعضهم لبعض: إن رجالًا من الإنس ظنوا كما ظننتم يا معشر الجن.

- المعنى الثاني: أن يكون من قول الله تعالى -والخطاب للكفار-: إن رجالًا من الجن ظنوا كما ظننتم يا
معشر الكفار.

(أَنْ لن يَبعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) لها معنيان كذلك لا يتعارضان:

١ - لن يبعث الله رسولًا إلى خلقه بعد هذه المدة: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا﴾ [غافر: ٣٤].

٢ - لن يبعث الله أحدًا بعد موته؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨].

[سورة المزمل]

[(المزمل: ٢٠)]

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

الآية نزلت بعد أن كان قيام الليل فرضًا بقوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلا﴾ [المزمل: ٢]، فنُسخ بقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠] فنزلت الآية بالتخفيف، وهو نسخ فرضية القيام بالليل بفرض الصلوات الخمس.

(فَاقرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنهُ) لها معنيان لا يتعارضان:

١ - فصلّوا ما تيسر من القيام نافلة وليس واجبًا، وعبّر عن الصلاة بالقرآن: لأنه أعظم أركانها.

٢ - فاقرءوا ما تيسر لكم من القرآن تلاوةً خارج الصلاة وفي الصلاة.

(فتاب عليكم) التوبة هنا ليست من ذنب، ولكن تعني: رخّص لكم، وخفف ورفع الحرج عنكم.

[سورة القيامة]
[(القيامة: ١٨)]
قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨].
(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ): فإذا قرأه جبريل عليك.
(فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ): فاستمع إليه واتبع قراءته كما سمعته يقرؤه.
فائدة:
فهذه ثلاث خطوات يسرها الله لنبيه الكريم ﷺ؛ لكي لا يعجّل في حفظه واستيعابه:
١ - (إن علينا جمعه وقرآنه): علينا جمعه في صدرك حفظًا، وسنجريه على لسانك تلاوة.
٢ - (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه): فاستمع إليه واتبع قراءته كما سمعت جبريل يقرؤه.
٣ - (ثم إن علينا بيانه): علينا بيان كل ما يُشكل عليك من معانيه وأحكامه وحلاله وحرامه، وعلينا تبيانه على لسانك للناس فلا تقلق؛ فوعده الله بحفظ لفظه وحفظ معانيه.
وهنا تتجلى فائدتان عظيمتان كما بينهما الشيخ السعدي وهما:
١ - أدب الاستماع للعلم، وبعد الفراغ منه يسأل عما يشكل.
٢ - أن النبي ﷺ بيَّن للأمة ألفاظ القرآن وبيَّن لهم معانيه؛ لكي لا يظن ظان أن النبي لم يبيّن معاني القرآن؛ فكل ما أشكلَ على الصحابة بيّنه ووضحه.
[(القيامة: ٢٩)]
قال تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩].
(السَّاقُ بِالسَّاقِ) لها معنيان لا يتعارضان:
١ - الساق من أطراف الإنسان.
والمعنى: التفاف ساقي الميت في كفنه، وفيها تذكير بأن هاتين الساقين اللتين كنت تمشي بهما وتنقلانك من مكان إلى مكان، سيأتي عليهما يوم فلا تخدمانك، ولا تستطيع الفرار بهما من صعوبة حالك؛ فلا تحركانك من مكانك.
٢ - اجتماع شدة الدنيا وكربها بشدة الآخرة.
فهو التفاف البليّة بالبليّة، واجتماع الدنيا بالآخرة؛ فالناس في سياق تجهيز بدنه، والملائكة في سياق تجهيز روحه، وفي اجتماع المعنيين إثراءٌ للمعنى، وإجلاءٌ للأمر.
* ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].
(يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) معنى الآية: يَكشف ربُّنا]. عن ساقه الكريمة يوم القيامة على الحقيقة، بغير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف، وبما يليق بجلاله ؛ فيسجد له كل مؤمن به.
وهذا هو تفسير الآية الأول، والأظهر لوجود حديث صحيح يؤيد هذا التفسير، ولو لم يوجد هذا التفسير لها في السُّنّة لحَرُمَ علينا أن نضيف إلى الله ما لم يضفه إلى نفسه كما ذكر ابن عثيمين في تفسيره.
فقد جاء في صحيح البخاري قوله ﷺ: «يَكْشِفُ رَبُّنا عن ساقِهِ، فَيَسْجُدُ له كُلُّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كانَ يَسْجُدُ في الدُّنْيا رِياءً وسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا واحِدًا» (٤٩١٩) ففيه إثبات السّاق لله بما يليق بجلاله.
مع أن معنى الآية لا يتعارض مع كون السَّاق في اللغة تدل على شدة الأمر؛ لأنها جاءت نكرة وغير مضافة إلى الله تعالى كما وردت في الحديث.

ولعلَّ هذا من أسرار القرآن الكريم؛ ليتسع المعنى لكل ما يحتمله اللفظ: فيوم القيامة كذلك يُكْشَفُ فيه عن شدة وكرب، وتتكشف فيه أمور عظيمة.
والعرب تقول مجازًا: (كشفت الحرب عن ساقها)؛ تصويرًا للحرب بأنها بدأت تشتد وتُكشّر عن أنيابها.
* ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].
(وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) أي: كشفت عن أقدامها لتخوض ما ظننته ماء، وهو معنى الساق حقيقة لا مجازًا.

[(القيامة: ٣٤ - ٣٥)]

قال تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: ٣٤ - ٣٥].
(أَولَى لَكَ فَأَولَى) كلمة تهديد، ولها معنيان:
١ - أنها دُعاءٌ عليه؛ كقول: (وَيْلٌ لَك).
٢ - أي: الهلاك أجدر وأحق بك فانتظره.
* ومثلها: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠)﴾ [محمد: ٢٠].
(فَأَولَى لَهُمْ):
١ - أنها دعاء؛ أي: (ويل لهم).
٢ - أنها خبر لمبتدأ محذوف سبق ذكره، وهو الموت لَمّا قالَ: (نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ) بمعنى: فالمَوْتُ أجدر وأحق بهم.

[سورة المرسلات]

[(المرسلات: ٣٢ - ٣٣)]

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢ - ٣٣].
اختلف المفسرون في تفسير الآيتين على معنيين مشهورين:
- المعنى الأول:
كالقصر؛ أي: كالحصون والقصور، ونُسب مثل هذا القول لابن مسعود .
(جِمالة صُفْر):
جِمالة: جمع جَمَل، مثل: حجر وحِجارة.
صُفْر: تطلق كلمة صفر عند العرب على اللونين الأصفر والأسود.
وبما أن السنة قد بينت أن جهنم سوداء مظلمة؛ فعن أبي هريرة موقوفًا قال: «تَحسبون أنَّ نارَ جهنَّمَ مثلَ نارِكم هذهِ! هيَ أشدُّ سَوادًا من القارِ» وفي رواية: «القار: الزفت» صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٦٦) ولذلك رجح العلماء أنها ترمي بشرر أسود.
فالآيتان الشريفتان تضمَّنتا تشبيهًا لشرر جهنم من ثلاث جهات:
١ - الحجم كالقلاع والقصور.

٢ - والشكل كالجمال، وهو مما يزيد المنظر رعبًا حيث يشعر الرائي وكأنها حيوان عظيم يقترب منه.
٣ - واللون وهو السواد، وقيل: مائل للصُّفرة، والله تعالى أعلم.
- المعنى الثاني:
(كالقصر): أي كجذوع الشجر، أو قطع الخشب العظيمة.
(جِمالة): وردت في قراءة صحيحة: (جُمالة) بضم الجيم، مما يعطي معنى آخر: وهو الحبال الغليظة تكون في مجموعها وغِلَظِ حجمها وسماكتها كأوساط الرجال.
ويؤيد هذا المعنى ما جاء في الصحيح عن عبد الرحمن بن عابس، سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، (تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالقَصَرِ)، قَالَ: «كُنَّا نَعْمِدُ إِلَى الخَشَبَةِ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ، أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ فَنَرْفَعُهُ لِلشِّتَاءِ، فَنُسَمِّيهِ القَصَرَ، (كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ): حِبَالُ السُّفُنِ تُجْمَعُ حَتَّى تَكُونَ كَأَوْسَاطِ الرِّجَالِ» صحيح البخاري (٤٩٣٣).

[سورة عبس]

[(عبس: ١٨ - ٢١)]

قال تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠)﴾ [عبس: ١٨ - ٢١].
(ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ):
لها معان بحسب عود الضمير، ولا تعارض فيها بل تزيد المعنى إثراءً:
١ ثم السبيل يسره الله للإنسان فهو مقدّر له (من أول ولادته وسبيل خروجه من بطن أمه إلى أن شق طريقه في الحياة وجميع دنياه وآخرته).
٢ ثم السبيل يسّر الله الإنسانَ لسلوكه وهداه إليه؛ فكلٌ ميسر لما خلق له ولما جُبل عليه واختاره من خير وشر،
كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾ [الإنسان: ٣ - ٤].
فالسُّبُل من خير وشر ميسّرة، والإنسان فيها مُسيّر في أمور ومُخيّر في أخرى.
فالسبيل مُيسّر: سواء المسيّر منه مما ليس فيه للإنسان يد، وكذلك السبيل المخيّر فهو أيضًا مُقدّر ومرسوم لكل إنسان بحسب علم الله السابق بذلك الإنسان واختياراته في جميع حياته وما سيحدث له من تداعيات وآثار لاختياراته من خير وشر.
والإنسان ميسّر لسلوك تلك السبل بما أعطاه الله موارد ومن عقل وإرادة وآلة الحركة والفعل والاختيار.

[سورة الانشقاق]

[(الانشقاق: ٦)]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].
(كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا): كدح الإنسان: هو عمله، سمي العمل كدحًا: لأنه مؤثر في صاحبه؛ تقول العرب: (تكدّح الجِلد) أي: تخَدّش، و (الكدوح): هي آثار الجروح.
والمعنى: يا أيها الإنسان، إنك عاملٌ أعمال خير أو شر، وستلقى بها الله يوم القيامة فيجازيك عليها.
فكدح الإنسان وعمله مؤثرٌ في صاحبه كتأثير الكدح على الجلد، مؤثر في سلوكه، مؤثِّر في أخلاقه، مؤثر في عقيدته وعبادته ...

- فَكَدحٌ يخدش، وكدحٌ يجرح، وكدح يملأ الوجه سوادًا وظلمة.
- ومن الكدح ما يصقل صاحبه فيلقى ربه ليس عليه خطيئة.
فينبغي للمؤمن ألا يكدح كدح الدابة، بل يخطط ويختار ما يؤثر فيه إيجابًا، وما يضيء وجهه نورًا يوم القيامة.
[(الانشقاق: ١٩)]
قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].
(طبقًا عن طبق) يخاطب الله الناسَ بعد أن أقسم بالشّفق، والليل وما جمع في طيات ظلامه من خير وشر، والقمر في اكتماله؛ بأنهم سيتنقلون في أطوار ومراحل متعددة، ومن حال إلى حال:
- من أحوال الزمان وما يصيب الإنسان فيه من تغيرات.
- ومن أحوال المكان وما يجري عليه من انتقال من مكان لآخر.
- ومن أحوال الأبدان وما يحصل فيها من أطوار النمو والهرم، والمرض والفتوة والشباب ...
- ومن أحوال القلوب وما تتقلب فيه بين الحق والباطل، والنعمة والنقمة، ثم يرجعون إليه ويحاسبون. انظر: تفسير العثيمين.
[سورة الفجر]
[(الفجر: ١ - ٣)]
قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١ - ٣].
(وَلَيَالٍ عَشر): الراجح فيها أنها العشر الأُوَل من ذي الحجة.
(وَالشَّفعِ وَالوَترِ): قال فيها المفسرون كثيرًا من التأويلات؛ منها ما ورد في حديث ضعيف: أن الشفع يوم النحر؛ لأن الله أقسم قبلها بعشر ذي الحجة، والوتر يوم عرفة، والحديث لا يرقى للصحة.
فالراجح أن الله تعالى أقسم بالشفع والوتر ولم يخصص؛ فالمعنى يعمُّ كل شفع ووتر في الكون كله:
- فالشفع: كل زوج من الأشياء.
- والوتر: كل فرد.
فهو قسَمٌ بكل زوجٍ وفرد.
ويحتمل كذلك أن يكون (الشفع): هم الخلق؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].
(والوتر): هو الله تعالى؛ لما ورد في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ» صحيح مسلم (٢٦٧٧)، وانظر: تفسير العثيمين للآية.
[(الفجر: ١٦)]
قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦].
(فَقَدر عليه رزقه) قدر عليه يعني: ضيق عليه رزقه وقتّر عليه فيه؛ تقول العرب: (قدَرت على فلان) أي: ضيّقْتُ عليه؛ فالقَدْر هنا من التضييق والتشديد، وليس من القُدرة والاستطاعة.
* ومثلها: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرا﴾ [الطلاق: ٧].
(وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) أي: من ضُيِّق عليه في الرزق فكان قليل المال، فلينفق بقدر حاله.

* وكذلك قوله تعالى -وقد تكررت هذه الآية في القرآن الكريم-: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠]، (وَيَقْدِرُ) أي: ويضيِّق الرزق ويقتّره على من يشاء.

* أما في قوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

(فَظَنَّ أَنْ لن نقْدِرَ عَلَيْهِ) لها معنيان لا يتعارضان:

١ - من الضيق؛ أي: لن نضيِّق عليه ونعاقبه بما فعل.

٢ - من التقدير والقضاء؛ أي: لن نُقَدّر عليه عقابًا بسبب ما فعل.

[سورة الغاشية]

[(الغاشية: ٨ - ٩)]

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٨ - ٩].

(لسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ) لسعيها في طاعة الله، ورؤية الثواب وحسن العاقبة أصبحت راضية يوم القيامة؛ لأنه أوصلها إلى النعيم ومرضاة الله، فهي وجوه ناعمة بما وجدت من نعيم، وراضية بثواب سعيها بما وجدت من رضوان.

فائدة:

خص الوجوه بالذكر والمراد أصحابها؛ لأنها مكان السمع والبصر، ومكان الخضوع والانقياد، وعلامات السعادة والشقاء والفرح والسرور إنما تظهر على الوجوه.

في هاتين الآيتين العظيمتين يتلخص حال أهل السعادة التي يجدونها ظاهرًا وباطنًا:

- فالوجوه والأبدان ناعمة، وهي المتعة والرفاهية البادية على ظواهرهم.

- والرضا القلبي عن السعي والعمل بعد أن وجدوا ثوابه، وهو قمة السعادة والسرور الكامنة في دواخلهم .. نسأل الله من فضله!

[سورة البلد]

[(البلد: ٦ - ١٦)]

قال تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ٦ - ١٦].

(فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) ما هي العقبة؟ وكيف يكون اقتحامها؟

أصل العقبة: هي الطريق الوعر شديد الخطورة، أو مانع أو عائق يحول دون بلوغ الشيء.

ويمكن جمع أقوال المفسرين بأنها عقبة يوم القيامة، وما يعوقها من ذنوب وشهوات؛ فهي عقبة كبرى، وهناك عقبات تقف دون اقتحامها، وهي:

١ - عقبة يوم القيامة وأهوالها؛ كالنار والصراط.

٢ - عقبة الذنوب بعامة، ومنها: الشح والبخل التي تكونت من استرسال النفس مع الهوى والشيطان.

فما قبل الآية يتحدَّث عن ذلك الإنسان المسرف الذي أنفق الأموال وأسرف على نفسه، ونسي ما أنعم الله عليه: من عينين يبصر بهما، ولسان وشفتين ينطق بهما ويتغذى بهما، وبين له طريق الخير والشر.

- فهلّا اقتحم العقبة؟ هلّا وضع في حسبانه اقتحام واجتياز العقبة العظمى؟

فمن اتبع هواه وأسرف على نفسه ولم يؤدِّ حق ربه، فأنى له أن يستطيع اقتحام هذه العقبة؟!
بل سيقع فيها، فاقتحامها بعد عفو الله يكون بالأربع المذكورة في السورة:
١ - بالإيمان وأداء حق الله في أمواله، وغيره من الأعمال الصالحة.
٢ - بفك الرقبة وعتقها من الاستعباد والرِّق ومن الأسر.
٣ - بالصدقة والإنفاق في سبيل الله.
٤ - بالتّواصي بالصبر والمرحمة.
انظر: (منفكين) في حرف الميم.

[سورة التين]

[(التين: ٢)]

قال تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢].
الطور: الجبل الذي كلم الله عليه موسى .
(سِينِينَ) قيل: هو اسم المكان الذي فيه الجبل، وقيل: وصف للجبل أنه كثير الشجر.
ويُقالُ لَهُ أيضا: طُورُ سَيْناءَ؛ ﴿وَشَجَرَة تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].
أما موقع جبل الطور: فلا يهمنا الاشتغال به، وفي الحقيقة توجد ثلاثة من الجبال جميعها تسمى جبل الطور:
١ - ذكر القرآن الكريم أن جبل طور سيناء يُنبت الزيتون: ﴿وَشَجَرَة تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ﴾ وهذا الوصف يتوافق مع جبل الزيتون الذي يقع في فلسطين قرب القدس الشريف؛ حيث إنّه لا يُعرف عن الجبل الموجود في شمال جزيرة العرب ولا في مصر وجود شجر الزيتون؛ لذلك فإنّه قد يكون الجبل المقدّس المقصود في القرآن هو الموجود في القدس الشريف.
٢ - جبل الطور بسيناء مصر.
٣ - جبل الطور بالعقبة قرب تبوك؛ حيث كانت مدينة مَدْيَن قوم شعيب .
والموضوع يحتاج إلى أدلة؛ وليس هناك قول فصل.

[سورة البينة]

[(البينة: ٢ - ٣)]

قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢ - ٣].
(صُحُفًا مُطَهَّرَة، فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَة):
كيف تكون صحفًا فيها كتب؟
وما المقصود بالكتب؟
الكتب: هي الشرائع والأحكام، أي: فيها أحكام وأوامر مستقيمة عادلة.
والمعنى الإجمالي:
أخبر الله تعالى أن المشركين لم يكونوا تاركي كفرهم وضلالهم حتى تأتيهم بينة وحجة واضحة، وتلك الحجة هي الرسول محمد ﷺ وما أُنزِل عليه من الصحف المطهرة وهي القرآن؛ مطهرة من الباطل: فيها أحكام وشرائع عادلة مستقيمة تبيّن الحق من الباطل.

باب معاني الحروف في القرآن الكريم

[أثر دخول حرف الجر «الباء» على المعنى (١)]

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].
(جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ) الباء هنا لها معنيان كلاهما صحيح:
١ - باء المصاحبة؛ أي: جاءكم الرسول محمد ﷺ مبعوثًا من عند الله حقًّا لا ريب فيه.
٢ - باء التعدية؛ أي: أنه جاء بدين الإسلام إليكم وهو الدِّين الحق.
- وهذا من بلاغة القرآن الكريم واتساع معانيه بحرف واحد.
* ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ١١٩].
تحتمل معنيين كلاهما صحيح:
١ - أن إرسالك حق.
٢ - أن ما أُرسلتَ به حق.
* ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٢].
الباء كذلك هنا للمصاحبة وللتعدية:
١ - أي: أنزلنا إليك الكتاب حقًّا من عند الله بلا ريب.
٢ - وأن كل ما اشتمل عليه القرآن فهو حق.
* ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢١٣].
(وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ):
١ - أن الكتاب نازل من عند الله حقًّا.
٢ - أن ما في الكتاب كله حق وصدق.
* ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].
(نَتلُوهَا عَلَيكَ بِالحَقِّ):
١ - جاءت من عند الحق سبحانه.
٢ - متضمِّنة للحق والصدق؛ فكل ما فيها حق.

* ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].
(بِالحَقِّ):
١ - أنها جاءت بالموت حقًّا لا شك فيه.
٢ - أنها جاءت بما تُوُعِّدَ به وما وُعِدَ به مما يتبعه: فإن كان مؤمنًا بُشِّرَ بالجنة، وإن كان كافرًا بُشِّرَ بالنار، أعاذنا الله منها!
- وكذلك جميع آيات: (أرسلناك بالحق)، و (أنزلنا عليك الكتاب بالحق)، و (جاء بالحق) وما في حكمها، وهي مكررة في كتاب الله الكريم جميعها تشير إلى هذين المعنيين.
* كذلك قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].
الباء في (به) على المصاحبة وعلى التعدية؛ فيكون المعنى:
١ - (نزل) القرآن بمصاحبة الروح الأمين جبريل ؛ ففعل (نزل) يعود للقرآن الكريم، وكونه بصحبة الأمين مزيد تأكيد على حفظه وحمايته.

٢ - (نزل به) بمعنى: أنزله، وفي قراءة بتشديد الزاي؛ ففعل (نزل) يعود لجبريل وهو الفاعل؛ فالتقدير: نزّل جبريل القرآن؛ ويؤيّده قوله تعالى: (قل نزله روح الْقُدس من رَبك) [النحل: ١٠٢] وفي تقديم جبريل مزيد تشريف لهذا الملك الكريم مع كونه أمينا وحافظا عليه.

* * *

[أثر حرف الجر «الباء» على المعنى (٢)]

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)﴾ [الإنسان: ٥ - ٦].

(يَشرَبُ بِهَا) المعنى الذي يتبادر إلى الذهن أن المراد: يشربون منها، ولكن استعمال (الباء) للإلصاق هنا بدلًا من حرف (من): يُضَمِّن المعنى معنًى زائدًا؛ أي: يرتوون بها ويشربونها صِرفًا. فبداية الآيات تتحدَّث عن فئة الأبرار يشربون من خمر ممزوجة بطعم الكافور، وهذا الكافور هو اسم لِعَيْن في الجنة يشربها عباد الله صِرفًا، وعباد الله هم المقربون الأعلى درجة من الأبرار.

قال ابن القيم : «فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صِرفًا أن شراب الأبرار يمزج منها؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم». حادي الأرواح (ص ١٨٤).

* ومثلها: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

(وَامسَحُوا بِرُءُوسِكُم وَأَرجُلَكُم) الباء للإلصاق؛ أي: ألصقوا المسح بالرؤوس.

(وأرجلكم) لها معنيان:

١ - أي: وأرجلكم فامسحوها إلى الكعبين إن كانت في الخفّ أو الجوارب.

٢ - أي: وأرجلكم فاغسلوها إلى الكعبين، ولم يذكر الغسل ولكن بينته السُّنَّة.

(فَامسَحُوا بِوُجُوهِكُم وَأَيدِيكُم) الباء لِلْإِلْصاقِ؛ أي: ألْصِقُوا المَسْح على الوجوه والأيدي بالصعيد الطاهر في التيمم.

* أما عن الباء في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرا﴾ [الفرقان: ٥٩].

(فَسال بِهِ خَبِيرًا) من بلاغة القرآن استعمال (الباء) مكان (عن): لتضمين مَعْنى العناية والاهتمام. فالباء تضمنت زيادة في المعنى؛ أي: اسأل عن الرحمن مَنْ كان بأسمائه وصفاته وأفعاله خبيرًا، بخلاف ما لو استُبدلت ب (عن) فقد يتقلص المعنى، فيكون السؤال عن وجوده أو عن الإيمان به، أما الباء: فالسؤال بها فيه استقصاء لكل ما يُعرّف بالرحمن ﷻ.

وليس أحد بأخْبَر من الله تعالى من نفسه، وفي هذه الآية أخبر تعالى عن نفسه أنه الرحمن وأنه على العرش؛ ولذلك قال ابن عثيمين في تفسير الآية: (هذه الآية تَشْهَد لمِا عليه أهلُ السنَّة والجَماعَة من أن أَسْماءَ اللهِ وصفاتِه تَوْقِيفيَّةٌ، لا يجوزُ لأحدٍ أنْ يُثْبِتَ منها إلَّا ما أَثْبَتَهُ اللّه ورسوله؛ يَعْنِي أن وصفَ اللَّهِ تَعَالَى لا يَكُون إلَّا بِحَسَبِ ما عَلِمْنَاهُ منه، فلا يُمْكِن أنْ نَصِفَ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا لم يَصِفْ بِهِ نفسَه).

وللجملة المباركة معنى آخر يحتمله النص المبارك، ذكره جمع من المفسرين؛ أي: اسأل من بسؤاله خبيرًا. والمعنى: اسأله هو تجده خبيرًا بكل شيء وتقلبك في أحوالك وجميع أمورك؛ وكأنك تقول: إسأل فقد سألت الخبير.

* وفي قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١].
المتبادر إلى الذهن أن تكون سأل عن عذاب سيقع، ولكن السؤال هنا بمعنى: الدعاء، فالباء للتعدية؛ أي: دعا داعٍ بعذاب.
فائدة:
للباء معانٍ شتّى في اللغة:
١ - للمصاحبة: بمعنى (مع): ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦].
٢ - للظرفية: بمعنى (في): ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤] أي: في وقت السَّحَر.
*﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران: ١٢٣] أي: في موقعة بدر.
*﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران: ٩٦] أي: في مكة.
٣ - للاستعانة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] أي: اقرأ مستعينًا بربك.
*﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] أي: يطير مستعينًا بجناحيه.
٤ - للتبعيض: بمعنى (من): ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] أي: يَأْمُرُونَ بأنْ تحضر لهم من كل أنواع الفاكِهَة فَيُجابُونَ.
٥ - للإلصاق: ذُكرت سابقًا.
٦ - للتعدية: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧].
٧ - للتعليل والسببية: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ﴾ [الشمس: ١٤] أي: بسبب ذنبهم.
٨ - للتوكيد: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].
٩ - باء المجاوزة: بمعنى (عن): ذكرت سابقًا.
١٠ - باء العِوض: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ [المائدة: ٤٥].
١١ - باء الاستعلاء: بمعنى (على): ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِما﴾ [آل عمران: ٧٥] أي: منهم الأمين الذي إن تأمنه على قنطار -والمقصود: على مال كثير- يرده بلا نقص، ومنهم الخائن الذي إذا أمّنته على دينار -أي: مال قليل- لا يرده إلا ما دمت مُلحًّا عليه في الطلب لاسترجاع أموالك
١٢ - باء البدل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]. باعوه بعوض قليل زاهدين فيه
: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩].
انظر: موسوعة معاني الحروف للدكتور علي سلمان (ص ٧٢ - ٧٥).
* * *

[أثر حرف الجر «الباء» على المعنى (٣)]

قال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤].
(بعلم الله) تحتمل المعاني التالية بسبب دخول حرف الباء:
١ - الباء ظرفية؛ أي: أنزل من عِنْدِ الله، وليس من عند محمد .
٢ - الباء للتبعيض؛ أي: كلُّ ما فيه من علم الله وليس مفترًى على الله.
٣ - الباء للمصاحبة: أنزل بإحاطة الله وعلمه وإذنه.
* * *

[من معاني حرف «بلى»]

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨].

(بلى) حرف جواب يأتي لأحد معنيين:

١ - لإبطال نفي سابق؛ كما قال تعالى في الآية السابقة: (مَا كُنَّا نَعمَلُ مِنْ سُوءِ بَلَى) أي: بلى كنتم تعملون السوء.

*﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)﴾ [الزخرف: ٨٠] أي: بلى نسمع.

* ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] أي: بلى ستمسكم النار؛ لمجيئ قوله تعالى قبلها: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ [البقرة: ٨٠]، وهكذا في باقي الآيات المشابهة.

* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣].

٢ - جواب إبطال لنفي مقترن باستفهام: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

* ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى﴾ [غافر: ٥٠].

* * *

[معنى حرف الجر «في» (١)]

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨].

(مَنْ فِي النَّار) المقصود به -والله أعلم بمراده-: موسى .

والمعنى: بارك الله من في مكان النار؛ لأن نورها أحاط به فصار في محيطها، إذْ لو أنه فيها لاحترق.

ومن بركتها: أن الله تعالى جعلها موضعًا لتكليم موسى وندائه وإرساله.

(وَمَنْ حَوْلَهَا) أي: الملائكة، وقيل العكس: (مَنْ فِي النَّارِ): الملائكة، (وَمَنْ حَوْلَهَا): موسى وأهله وهناك احتمال آخر: (وَمَنْ حَوْلَهَا): البلاد التي حول هذه النار، وهي بلاد الشام المباركة.

فائدة:

* أما في قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

* ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

هل النبي بُعِث لمكة وما حولها فحسب؟

(وَمَنْ حَولَهَا) أي: أهْل مَكَّة ومن حولها من العرب، ثم يسري هذا الإنذار إلى سائر الخلق، فلو قلنا:

(من حولها): هي الأرض كافّة لكان هناك إشكال، ولكن فنّده ابن عثيمين في تفسير الآية بقوله: «وعلى هذا فنقول: المراد بالإنذار: الإنذار المباشر، والإنذار المباشر من النبي ما كان إلا لأمّ القرى ومن حولها؛ ولهذا ما فُتحت الشام ولا العراق ولا مصر في عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإنما كان الجزيرة فقط؛ وعليه فيكون المراد بقوله: (تُنْذِرُ) الإنذار الذي تم في حياته ، فإنه لم يشمل إلا أمّ القرى ومن حولها» انتهى.

وهذا لا ينافي عالمية الرسالة ووجوب التبليغ للناس كافة؛ كما قال تعالى في غير آية:

* ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

* ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] بما فيهم الإنس والجن.

* ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

* * *

[معنى حرف الجر «في» (٢)]

حرف الجر (في) أتى في القرآن في ثلاثة مواقع قد تشكل على القارئ:

* قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفا﴾ [النساء: ٥].

(وَارزُقُوهُم فِيهَا) قد يرد تساؤل لماذا لم يقل: (منها)؟

والجواب من تفسير العثيمين باختصار: هناك فرق بين قوله: (وَارزُقُوهُم فِيهَا) وبين (وَارزُقُوهُم منها):

(ارزقوهم منها) أي: أنفقوا عليهم منها ما يحتاجون.

(ارزقوهم فيها) تعني: أن الولي لا بد أن يتّجر بمال هؤلاء السفهاء وينمّيه حتى يكون الرزق فيها، فيكون المال أوسع من الرزق المُعطى منها وحتى لا ينقص، ثم يعطيهم من الربح.

* ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢].

(وَمَا يَعرُجُ فِيهَا) ولم يقل: (إليها)! وقد تكررت الآية مرتين في القرآن، وقد اختلف فيها النحويون:

فمنهم مَنْ قال: إن الحرف بمعنى يناسب الفعل؛ أي أنَّ (يعرج فيها) المقصود به: يعرج إليها؛ أي أن (في) بمعنى (إلى).

ومنهم مَنْ يقول: بل الحرف باقٍ على معناه الأصلي، ويُضَمَّن الفعل معنًى يناسب ذلك الحرف، فيقول: (يَعْرُجُ فيها) أي: يعرج إليها ويدخلها؛ فالتعدية بهذا الحرف أضافت إليها معنًى زائدًا وهو العروج مع الدخول.

* ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

(يَعْرُجُ فِيهَا) أي: يصعد إليها ويدخلها، فتضمنت معنى الوصول والدخول.

* ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: ١٤].

(يَعْرُجُونَ) أي: يصعدون من خلاله فينظرون إلى ملكوت الله.

* * *

[معاني حرف «كلا»]

تكرر ثلاثًا وثلاثين مرة، وله معان عدة بحسب السياق:

١ - حرف ردع وزجر.

٢ - حرف تصديق بمعنى: حقًّا.

٣ - حرف نفي أو تمهيد لنفي ورد بعدها.

٤ - حرف تنبيه واستفتاح في بداية الجملة، وللتشويق لما بعدها.

وفيما يلي تفسير حرف (كلا) في الآيات التالية على اختلاف يسير بين العلماء: حرف (كلا) هنا يفيد الردع والزجر والتهديد.

*﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدا﴾ [المدثر: ١٦] زجر وردع عن تحقيق أمنيته.

*﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١]، زجر، فلن يجد ملجأً ولا مفرًّا.

*﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] ردع وزجر بحالة الموت، فلن يجد من يعيده للحياة.

*﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤ - ٥] ردع وزجر وتهديد.

*﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس: ٢٣] ردع من كفران النِّعم، وبيان أن الإنسان مهما فعل من خالص العبادة فإنه لم يؤدِ حق الله.

*﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] زجر وردع عن أفعالهم، ثم التهديد بدك الأرض ومجيء يوم القيامة؛ عندها يندمون أشد الندم.

*﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] ردع وزجر لأبي جهل وتهديد له للانتهاء عن فعله.

*﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٣ - ٥] زجر وردع: ستعلمون مغبة أمركم.

*﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩)﴾ [مريم: ٧٩] ردع وزجر.

* ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤] ردع وزجر.

حرف (كلا) في الآيات التالية يفيد: التصديق بمعنى: حقًّا:

*﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] حقًّا سوف يحجبون ويُحرمون هذا الشرف.

*﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١] حقًّا إنها موعظة.

*﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٤] حقًّا إن القرآن عظة.

*﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] حقًّا، وهي مقرونة بزجر وتهديد.

*﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] حقًّا وتصديقًّا.

*﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾ [العلق: ٦] حقًّا هذه حقيقة الإنسان إلا من رحم الله.

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ [المدثر: ٥٣] حقًّا لا يخافونها، ولو كانوا يخافونها لارتدعوا.

*﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧] حقًّا .. فإكرام اليتيم لا يكون بالمهانة.

*﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩] حقًّا تكذبون به، وإلا لما اغتررتم بكرم ربكم.

* ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٥ - ٦] حقًّا لو تعلمون.

- حرف (كلا) في الآيات التالية جاء بمعنى: النفي:

*﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٩] ليس الأمر كما تطمعون وتشتهون؛ فقد خلقناكم من نطفة قذرة، وليس لكم على سواكم فضل إلا أن تؤمنوا.

*﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢] ليس الأمر على ما ظنُّوا؛ بل سيكفرون بعبادتهم.

*﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] لا لن يقتلوك.

*﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سبأ: ٢٧] لا إنه الله لا شريك له، وتحتمل الردع والزجر كذلك عن ادّعاء الشريك.

*﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا: إنّ هذا القرآن أساطير الأوّلين. بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، ولكن غطى قلوبهم الشرك والمعاصي فحجبهم عن رؤية الحق.

*﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ أبو جهل فلا تطعه.

*﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] كلا لن يدركونا.

* ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] كلا لا رجوع، وهيهات أن يعود إلى الدنيا!!

- حرف (كلا) في الآيات التالية جاء للتنبيه والاستفتاح:

* ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠] أي: ألا إنكم تحبون العاجلة؛ تنبيهًا لحالكم لتداركها.

* ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢] استفتاح لما سيأتي بعد القَسَم.

* * *

[معنى حرف «اللام»]

قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١].

(لَا أُقسِمُ) معنى النفي في (لا أقسم)، وقد تكررت في القرآن الكريم كثيرًا، واختلف فيها أهل التفسير على وجوه عدة نذكر منها ثلاثة معان رجحها بعض المفسرين لا تتعارض:

١ - أنها استفتاح بمثابة (ألا) أي: ألا سوف أقسم.

٢ - أنها اللام المؤكدة للقَسَم، وتعني: إن كنت مُقْسِمًا فلا أقسم بأجلِّ أو بأعظم منه.

ويؤيد أن اللام لتأكيد القَسَم قولُه تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، ثم أردفها بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦].

٣ - أن (اللام) لام للنفي لِقَصْدِ المُبالَغَة وتعظيم الأمر، وكأنه يقول: لا داعي لأن أقْسِم؛ لأن الأمر جليٌّ وظاهر، فابتداء القَسَم بلا يفيد أمرين:

الأول: لتوكيد جواب القسم.

الثاني: لتحقيق حرمة المُقْسَم به، أو شرفه وعظمته.

* * *

[معنى حرف «ما»]

قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧].

(مَا أَكفَرَهُ) لها معنيان:

١ - ما تعجبية؛ أي: ما أشد كفره.

٢ - ما استفهامية للاستنكار، المراد به التقريع والتوبيخ؛ أي: ما الذي حمله على أن يكفر ويجحد نعمة ربه؟!

(قُتِلَ الإنسَانُ) أي: هَلك الإنسان الكافر، وقيل: لُعن وطرد.

* وكذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥].

(فَمَا أَصبَرَهُم):

١ - ما تعجُّبية؛ أي: ما أشد صبرهم على النار بأعمالهم الموجبة لها.

٢ - ما استفهامية للتوبيخ والتقريع؛ أي: ما الذي أصبرهم عليها باجترائهم على الكفر والجحود والمعاصي؟!
والتعجب في الآيتين أوْلى وأظهر.
- والتعجب جائز على الله تعالى، بل هو من صفاته، ولكن التعجب في حقه تعالى: هو استعظام المتعَجّب منه لكونه خارجًا عن نظائره؛ كما قال جلَّ من قائل: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥] وليس تعجب دهشة يسبقها جهل كتعجب الإنسان؛ فهذا ممتنع عليه سبحانه.
- ويأتي حرف (ما) بمعنى (مَنْ) في بعض المواضع في القرآن الكريم منها:
* قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣] لها معنيان:
١ - (ما) مصدرية؛ فيكون المعنى: قَسَمًا بخلقه للذكر والأنثى؛ فيكون القسم بخلقه.
٢ - (ما) بمعنى (مَنْ) أي: قَسَمًا بمن خلق الذكر والأنثى؛ فيكون القسم بذاته جل وعلا.
* ومثلها قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥].
١ - (ما) مصدرية؛ أي: قَسَمًا بالسماء وبنائها.
٢ - (ما) بمعنى (مَنْ) أي: قَسَمًا بالسماء ومن بناها.
* ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس: ٦].
١ - (ما) مصدرية؛ أي: قَسَمًا بالأرض وبسطها ومدّها.
٢ - (ما) بمعنى (مَنْ) أي: قَسَمًا بالأرض ومن طحاها وبسطها.
* ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧].
١ - (ما) مصدرية؛ أي: قَسَمًا بالنفس وتسويتها.
٢ - (ما) بمعنى (مَنْ) أي: قَسَمًا بالنفس ومن سوَّاها.
- وجاءت بمعنى (مَنْ) فقط في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦] أي: عبرة لمِن بقي منهم ولمن بَعدهمْ مِنَ الناسِ.
فائدة:
فإن لحرف (ما) معان عدة في القرآن، منها على سبيل المثال لا الحصر:
١ - (ما) المثبِتَة والتوكيدية؛ كقوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] أي: لا أعبد الذي تعبدون.
٢ - و (ما) النافية: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧].
* ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩].
* ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].
٣ - و (ما) التعجُّبية: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧].
٤ - و (ما) الشرطية: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢] أي: إذا فتح الله باب رحمة للناس فلن يقدر عليه أحد.
٥ - و (ما) الاستفهامية: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى﴾ [طه: ١٧].
٦ - و (ما) للصلة: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] أي: فاصدع بالذي أمرت به.
٧ - و (ما) المصدرية: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ٢٥] أي: ضاقت عليكم رغم اتساعها ورحابتها.
* * *

[من معاني حرف «من»]
قال تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [نوح: ٣ - ٤].
ما معنى (من) في قوله: (يَغفِر لَكُمْ من ذُنُوبِكُم)؟ وهل يعني أنه لا يغفرها كلها؟
لها معان لا تتعارض:
١ - (من) للتبعيض؛ أي: يُخرجكم من ذنوبكم التي كانت قبل الإيمان.
٢ - (من) للسببية؛ أي: يغفر لكم الآثام التي لحقتكم بسبب ذنوبكم؛ كما يُقال: (مات فلان من مرضٍ ألمَّ به).
٣ - وتأتي كذلك للتبعيض؛ بمعنى: يغفر لكم ما استغفرتموه وتبتم إليه من الذنوب، ولأن بعض المظالم المتعلقة بظلم البشر لا تُغفَر إلا بشروط.
* ومثلها: ﴿يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].
* وكذلك: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠].
- وتأتي (من) للبدلية؛ كما في الآيات التالية:
قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].
(مِنَ الرَّحمَنِ) للعلماء فيها تفسيران لا يتعارضان:
١ - (مِنْ) بدليَّة بمعنى: غير أو بدل؛ فيكون المعنى: مَنْ هو الَّذِي يَحْفَظُكم ويَحْرُسُكم بِاللَّيْلِ في حالِ نَوْمِكم، وبالنَّهارِ في حالِ تَصَرُّفِكم في أُمُورِكم غير الرحمن؟! فليس غيره سبحانه حافظًا لكم.
* ومثل معنى (مِنْ) البدلية: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف: ٦٠].
(مِنْكُمْ) أي: لجعلنا بدلًا منكم ملائكةً يخلفونكم في الأرض.
* وكذلك: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨] أي: بَدَلَ الآخرة.
٢ - أي: مَنْ الذي يحفظكم بالليل والنهار من عَذابِهِ وبَأْسِهِ إذا أراده بكم؟!
* ومثل معنى (مِنْ) هنا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: ٦٣] أي: من ينصرني من عذابه وبأسه.

معاني أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم

[معاني الأسماء الحسنى التي وردت منفردة]
[الله ﷻ]
قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
الله؛ أي: الإله المعبود:
الإله: المستحق للألوهية لا إله غيره.
المعبود: المستحق للعبودية بجميع مراتبها:

- العبودية العامة، وهي نوعان:
١ - عبودية قهر وسلطان على خلقه أجمعين، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدا﴾ [مريم: ٩٣].
٢ - عبودية حاجة وافتقار؛ فكل العباد مفتقرون إليه وإلى ما عنده، ودليلها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].
- وعبودية خاصة بأهل الإيمان، وهي ثلاثة أنواع:
١ - عبودية طاعة وامتثال، ودليلها قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظا﴾ [النساء: ٨٠].
٢ - عبودية محبة وقرب، ودليلها قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].
٣ - عبودية ذل وانكسار؛ فالمؤمن خاضع منكسر لربه متذلل له، وتتضح في مواقف المرض والاحتضار والخوف من الذنب؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].
* * *

[الرب ﷻ]

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].
أي: ذو الرّبوبية على خلقه أجمعين، المتفرد بالخلق والمُلك والتدبير.
فالرّب: هو العائل لخلقه والمتولي رعايتهم أجمعين، المربي والمصلح لهم سبحانه.
وتربية الله لعباده نوعان:
١ - تربية عامّة: لجميع خلقه بنعمه وإحسانه، وتدبير شؤونهم بما فيهم البر والفاجر.
٢ - تربية خاصة: للمؤمنين يخرجهم من الظلمات إلى النور، وييسر لهم ما فيه الخير والصلاح لهم.
* * *

[الملك ومالك الملك والمليك ﷻ]

* قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].
* وقال جلّ من قائل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].
* وقال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرِ﴾ [القمر: ٥٥].
أنه هو المالك لكل شيء، له الملك على الحقيقة، وله الحكم والسلطان المطلق؛ فهو المالك المتصرف في كل شيء جل شأنه، وهو مالك كل مَلِك ومُلْكه، والمتصرف فيهم بإرادته؛ فكل الخلق وما في أيديهم إنما هو منه وهو عائد إليه، أما المليك فهي للمبالغة كالسميع والبصير والعليم؛ فليس لملكوته نظير ولا لعظمته عظمة، سبحانه جل في علاه!
* * *

[القدوس - السلام - المؤمن - المهيمن - العزيز - الجبار - المتكبر - الكبير ﷻ]

* قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].
* وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرا﴾ [النساء: ٣٤].

القدوس ﷻ؛ أي: المقدّس المنزّه، وله معنيان:
١ - القدس من الطهر والتنزيه؛ أي: الطاهر المنزّه عن كل ما لا يليق به، المتّصف بصفات القدس والكمال، وهو الذي تقدّسه وتنزهه قلوب الخلق وألسنتهم.
٢ - القدس من البركة؛ أي: المبارك في ذاته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله، والواهب البركة لمن شاء.
وهو السلام ﷻ، وله عدة معان:
١ - هو الذي سلم في ذاته وصفاته من كل عيب ونقص.
٢ - هو السّلام في أفعاله من كل ظلم أو شر أو عيب، والواهب السلامة لمن شاء.
٣ - هو السّلام وذو الكمال المطلق سبحانه، وهو السالم من مماثلة خلقه في شيء.
المؤمن ﷻ، وله معان:
١ - المصدّق قولَه فعلُه.
٢ - المصدّق رسلَه بالبراهين والحُجَج.
٣ - المصدّق عباده المؤمنين بما وعدهم من ثواب، والكافرين بما وعدهم من عقاب.
٤ - الواهب الأمن والأمان لمن شاء من خلقه.
المُهَيْمن ﷻ، وله معان:
١ - الحفيظ القائم بشؤون عباده أجمعين.
٢ - كل شيء خاضع تحت إرادته وسلطانه، لا يعجزه شيء.
٣ - الشاهد على خلقه لا يعزب عنه مثقال ذرة، والمطّلع على خفايا الأمور.
العزيز ﷻ، وله عدة معان:
١ - المنيع الجناب؛ أي: لا تدْرَك ذاتُه، ولا يصل إليه أحد بضر أو نفع.
٢ - من العزة والرفعة وكمال العلو في الذات والصفات.
٣ - القاهر الذي لا يُغْلَب، ولا يعجزه شيء.
٤ - القوي البأس الشديد ﷻ.
٥ - الذي لا نظير له ولا شبيه؛ فالشيء العزيز عند العرب: هو النادر وجوده.
٦ - الواهب العزة لمن شاء.
الجبار ﷻ، وله عدة معان:
١ - العالي على خلقه، علو القهر والجبر وعلو القدر؛ فلا يتكلم أحد ولا يحصل أمر إلا بإذنه ومشيئته.
٢ - له المجد والكبرياء والجبروت.
٣ - القاهر الذي جبر عباده على ما أراد .. قال للسماوات والأرض: ائتيا طوعًا أو كرهًا .. سبحانه فكيف بمن دونهم!
٤ - الجَبّار؛ بمعنى: المصلح والجابر كسر المكسورين والضعفاء والمحتاجين.
المتكبر-الكبير ﷻ:
الكبير: العظيم في كل شيء، في ذاته وصفاته وأفعاله.
المتكبر: المترفع عن السوء والنّقص والعيب.
المتعالي عن صفات الخلق.
المتفرد في الكبرياء والعظمة.

* * *

[الخالق - الخلاق - البارئ - المصور - الحكيم ﷻ]

* قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

* وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

الخالق: المُوجد بالتقدير والاختراع من العدم.

والخلّاق: مبالغة تدل على أنه البديع في خلقه على غير مثال سابق وتفرده به.

الفرق بين (الخالق، والبارئ، والمصور):

الخلق: هو التقدير والاختراع.

والبرء: هو الإنشاء والتنفيذ والإيجاد.

فالبارئ: المنشئ والموجد لكل ما قدَّره.

والتصوير: هو إبراز الملامح والصورة والقسَمات.

فالمصور: هو المعطي كل مخلوق صورته وقَسَمَاته وملامحه.

والعزيز: سبق ذكره.

و (الحكيم) ﷻ له معان:

١ - هو الحكيم في أقواله وأفعاله، والذي يضع الشيء في موضعه الصحيح.

٢ - له الحُكم الكوني والحكم الشرعي وإليه الأمر كله، هو الحكيم الذي شرائعه كلها صلاح وحِكمة لعباده.

٣ - وهو الذي خَلْقُه بالغ الإحكام والدقة والإتقان.

* * *

[الإله - العليم ﷻ]

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤].

ولفظ الجلالة (الله) أصل اشتقاقه من (الإله) ومعناه: الإله المعبود.

الحكيم: سبق ذكره.

العليم: صيغة مبالغة من عالم، والعليم دلالة على سعة العلم؛ فعلمه سبحانه أحاط بالظواهر والبواطن، والحاضر والماضي والمستقبل، وما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ فعلمه هو العلم المطلق، وهو معلّم المخلوقات وممدها بالمعلومات؛ قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].

* * *

[الأول والآخر والظاهر والباطن ﷻ]

قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

(الأول والآخر) ﷻ:

الأول: ليس قبله شيء؛ فهو السابق لكل شيء لا ابتداء لوجوده.

الآخر: ليس بعده شيء، الباقي بعد كل شيء، لا انتهاء لوجوده جل وعلا.

وذكر ابن القيم في (مدارجه) بعض آثاره ومقتضياته:

أن الله تعالى الأول والآخر؛ فهو المُعِدّ، وهو الممد، ومنه السبب والمسبّب.

وهو سبحانه أوّلٌ وسابقٌ في رحمته وفضله وإحسانه، وأوّلٌ بالإذن والتقدير، أولٌ بالهداية والإرشاد، أولٌ بالعطاء، أولٌ بالتوفيق.
ثم هو آخِرٌ بالعون والإمداد، آخِرٌ بالقبول والجزاء، آخِرٌ بتمام نعمته على عبده؛ لا إله إلا هو ما أعظم إكرامه وما أشد إنعامه! انظر: مدارج السالكين (ص ٣٢٠).
(الظاهر والباطن) ﷻ:
الظاهر: العالي على خلقه كلهم، يدبر أمورهم، وتصعد إليه أعمالهم.
والظاهر: الشديد القوة الذي له الغلبة وله العزة.
والظاهر: الذي ظهر لخلقه، وبدا لهم بأسمائه وصفاته وحججه وبراهينه.
والباطن: الذي لا يظهر لخلقه بذاته؛ فهو لا يُدرَك سبحانه.
والباطن: القريب من خلقه بعلمه وإحاطته.
والباطن: العالم بالخفايا.
* * *

[القريب - المجيب ﷻ]
قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].
فالقريب: يدل على قرب الله تعالى من خلقه: قريب بعلمه، قريب بإحاطته، قريب ممن دعاه، وقرب خاص من أوليائه الصالحين بالعون والنصرة والحفظ.
والمجيب: أنه سبحانه يجيب السائل ويجيب المضطر.
* * *

[السميع - البصير ﷻ]
قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠].
السميع في حق الله تعالى له معنيان:
١ - سمع إدراك (صفة ذاتية) فهو سميع لكل شيء، لا يعتري سمعَه آفةٌ ولا ضعف، ولا يتجاوزه حد ولا نهاية، ولا يشغله سمع عن سمع؛ فهو سمع إحاطة بجميع الأصوات.
٢ - سمع استجابة (وهي صفة فعلية) فهو سبحانه يجيب السائلين.
وكذلك البصير له معنيان:
١ - بصر رؤية وإدراك لحقيقة الأشياء كلها دقها وجلها لا يخفى عليه شيء.
٢ - بصيرة علم وحكمة وإحاطة بجميع الأحوال.
وقد ورد في الخبر ما يثبت العينين لله بما يليق بجلاله، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.
* * *

[العفو - العفور ﷻ]
* قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورا﴾ [النساء: ٩٩].
* وقال: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [٦٦].
العفو: هو الذي يمحو عن العبد السيئات ولا يؤاخذه بها.
الغفور- الغفار: من الغفر والستر والتغطية، فالغفور والغفّار صيغتا مبالغة:

قيل: الغفور يغفر الذنب وإن عظم وكبر، والغفّار يغفر الذنب وإن كثر وتعدد.
* كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] إلا أن يُشرَك به، فالغفور تبارك اسمه يستر الذنب، ولا يوقع العقوبة على العبد، ولا يفضحه بذنبه ويمهله قبل أن تُسجّل عليه خطيئته لعله أن يستغفر.
قال : «إن صاحبَ الشمالِ ليرفعُ القلَمَ ستّ ساعاتٍ عن العبدِ المسلمِ المخطِئ أو المسِيئ، فإن ندمَ واستغفرَ اللهَ منها ألقاهَا، وإلا كتبَ واحدةً» الصحيحة (١٢٠٩).
وفوق ذلك فإن الغفار الغفور مِنْ عظيم كرمه ومغفرته: يبدّل للتائب الصادق المستغفر تلك الذنوب إلى حسنات، فيجعل صحيفة العبد طاهرة نقية طيبة؛ ليكون ممن تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من آفات الشرك ودَرَن المعاصي والذنوب.
* * *

[الشاكر - الشكور ﷻ]
* قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].
* وقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيما﴾ [النساء: ١٤٧].
- الله تعالى يشكر عمل العبد؛ فيضاعف أجره وينميه.
- يثني على عباده ويتقبل قليل عملهم.
- يشكر صنيع عباده، ويجزيهم عليه بالكثير، ويزيدهم عليه من فضله وكرمه بغير حساب، فقد يجزي المتصدق بشق تمرة من الثواب أمثال الجبال.
* * *

[الرحمن - الرحيم ﷻ]
قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].
قال ابن القيم في معنى (الرحمة): «الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد».
والرحمن: صفة ذاتية تدلّ على اتصافه جل وعلا بالرحمة، وتدل على سعة الرحمة وشمولها لجميع الخلق.
والرحيم: صفة فعلية تدلّ على إيصال الرحمة، وتدل على الرحمة الخاصة بمن شاء من خلقه ومنهم عباده المؤمنون، وفي الآخرة بحمايتهم من نار جهنم وأهوال القيامة. انظر: أسماء الله الحسنى لابن القيم (ص ٢٠٨).
* * *

[الحسيب ﷻ]
قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبا﴾ [الأحزاب: ٣٩].
الحسيب له عدة معان:
١ - المُحصي والحفيظ لجميع أعمال عباده، كما قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].
٢ - والحسيب بمعنى: المجازي لأعمال عباده بما عملوا من خير وشر.
٣ - والحسيب المستوفي لكل عباده ما قدر لهم، والمستوفي لهم ثوابهم لا يبخسهم ولا يظلمهم، سبحانه!

٤ - والحسيب بمعنى: الكافي لمن أحسن التوكل عليه في كل شيء؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] أي: كافيه أمر دينه ودنياه، وينصره ويدفع عنه ما يضره.

* * *

[ذو الجلال والإكرام ﷻ]

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

من الأسماء المضافة:

(ذو الجلال) أي: ذو العظمة المستحِق أن يُجل ويعظَّم من جميع خلقه.

(ذو الإكرام): المستحِق أن يُكرم فلا يُجحَد ولا يُكفَر، وهو المكرِم لأهل ولايته والمجلّ لهم.

والله تعالى يختار من خلقه ويكرم؛ ومن إكرامه جل وعلا: أنه كرّم بني آدم على كثير من الخلق؛ فقال في كتابه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ثم من آمن منهم وعمل الصالحات يخصّه بمزيد إكرام وفضل، ومن لم يشكر يؤول أمره إلى الذّلة والهوان.

* * *

[العلي - الأعلى - المتعال ﷻ]

* قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

* وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

* وقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

العلي: من العلو، والله تعالى هو الأعلى:

- علو الذات: ليس فوقه شيء، وعلو الصفات: فلا يضاهيه أحد من خلقه.
- وعلو القدر.
- وعلو تنزيه وتقديس.
- وعلو عظمة وسلطان.
- وهو المتعالي عما ينسب إليه أهل الشرك.
- المترفع عن صفات خلقه.
- والمستعلي على كل شيء ﷻ.
- وصفة فعلية؛ أي: يعلي دينه ونبيه وأولياءه.

* * *

[الغني - الحميد ﷻ]

قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤].

الغني: الكامل بذاته لا يحتاج لأحد.

- الغنى المطلق من جميع الوجوه.
- غني عن الشركاء والأنداد.
- غني عن الولد والصاحب.
- خزائن السماوات والأرض بيده.
- لا تنفعه طاعة الطائعين.

- ولا تضره معصية العاصين.
- من كمال غناه: يعطي بغير حساب.
- وما عنده باق في ازدياد لا ينفد.
الحميد: المستحق للحمد مِنْ جميع الخلائق، وأنه الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، وأفعاله كلها محمودة بالغة الكمال المطلق.
* * *
[الكريم ﷻ]
* قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].
والكريم يدل على الكثرة والعطاء، ويدل على السمو ونفاسة الشي؛ كما يقال: (حجر كريم) أي: نفيس، والمعنى في حقه تعالى يدل على معان عديدة:
١ - الكثير الخير والعطاء.
٢ - المُنْعم المتفضّل على الدوام بالخير.
٣ - الذي يعطي بغير حساب.
٤ - الذي إذا وعد بالخير وفَى وأجزل.
٥ - الذي تُرفع إليه الحاجات، ويَلتجئ إليه جميعُ المخلوقات.
٦ - الذي يبتدئ عباده بالنِّعم بغير عِوَض.
٧ - والكريم: هو المنزه عن النقائص.
٨ - والكريم: عظيم الشأن رفيع المقام.
ف (الكريم): من الكرم والسخاء، و (الكريم): من نفاسة الشيء وكرم أصله؛ كما نقول: حجر كريم،
وشهر كريم.
* * *
[الواحد - الأحد - الصمد - القاهر - القهار ﷻ]
* قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلا ١].
* ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلا ٢].
* ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].
* ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].
الواحد: دالٌّ على الوحدانية والتفرد.
والأحد: هو المتفَرّد بالوحدانية؛ فهو أَحَدٌ في ذاته لا ند له.
- أَحَدٌ في صفاته لا مثل له.
- أَحَدٌ في ملكه.
- أَحَدٌ في استغنائه عن كل شيء.
والأحد أبلغ من الواحد في إثبات الوحدانية؛ فالأحد: المراد منها نفي النظير والمِثل؛ فهو أحد لا مثل له، والواحد: لنفي الشريك والند؛ فهو واحد لا ثاني معه.
إذن فالله واحد أحد جمع الكمالات كلها، فهو واحد ولا يشاركه في تفرده وكماله أحد.
الصمد ﷻ:
- هو السيد الذي له الأمر والطاعة.

- وهو الذي يقصده جميع الخلق في الحوائج.
- والصمد: الغني الذي لا يحتاج لشيء.
- والصمد: الذي لا يأكل ولا يشرب ولا يلد ولا يولد.
- وهو الباقي الذي لا يموت ولا يفنى.
- هو صاحب المجد والسؤدد الذي تناهى في سؤدده .
القاهر القهار: من الغلبة والهيمنة وتمام القدرة.
- فهو الذي قهر عباده على ما أراد.
- دانت له الخلائق.
- عنَتْ له الوجوه.
- خضعت له الرقاب.
- قهر عباده بالموت الذي لا مفرَّ منه.
- ويحشرهم يوم القيامة مسلوبي الإرادة خاضعين له جل شأنه.
ومن مستلزمات القهر: الحياة الدائمة لله، والقوة والعلوّ والتفرد بالوحدانية؛ فلا يكون قاهرًا إلا إذا كان واحدًا لا يشاركه في القهر أحدٌ؛ لذلك تكرر قوله : (الواحد القهار).

* * *

[القدير - المقتدر - القادر ﷻ]

* قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].
* ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].
* ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ [الأنعام: ٣٧].
القادر: من القدرة والقوة؛ فهي أسماء دالة على كمال القدرة وكمال القوة والعزة لا يعجزه شيء، وهو المقدر لكل شيء.
القدير: للمبالغة؛ فهو الذي خلق ما يشاء وَفْق تقديره وحكمته، فلا يزيد ولا ينقص.
المقتدر: للمبالغة في القدرة؛ فهو المتقن لأفعاله وأحكامه، لا يمتنع عن إرادته شيء، والمظْهِر قدرته لخلقه بأفعاله:
فبقدرته خلق الكون بما فيه بلا عون ولا واسطة، ولم يعجزه شيء، ولا مسه من لُغُوب ولا نصب سبحانه! يخلق ما يريد بكلمة (كن)، ويكون ما يريد في لمح البصر وأقرب.

* * *

[التواب ﷻ]

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].
التوبة: هي الرجوع إلى الله، والتّوّاب: الذي يُعين العبد على ذلك، ثم يعود عليه بالقبول والفضل والإحسان:
- فالله تعالى هو الذي يتوب على من يشاء من عباده.
- وهو الذي شرع لهم التوبة، وهو الذي يوفقهم لها، ثم يتقبلها منهم.
- والله كثير التوبة حتى للعبد الواحد.
- دائم التوبة لا يقطعها عن العباد حتى تطلع الشمس من مغربها، أو يغرغر العبد.

* * *

الله (البرّ) ﷻ

* قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

البَرُّ: من الإحسان، وكثرة الخير، ومن الوفاء بالوعد، والله تعالى برٌّ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله:

- البَرُّ: الصادق في وعده ووعيده.
- الكثير الخير الواسع الإحسان.
- شمل بعطاياه الخلق كلهم، أهل الكفر منهم والإيمان.
- يعطي ويرزق بغير حساب.
- يضاعف للمحسن الثواب.
- يصفح لمن تاب وأناب.
- مِنْ بِرّه يرحم ويتلطف ويتودد لعباده رفيق بهم.

* * *

الرزَّاق - الوهاب - المتين ﷻ

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

الوهّاب: مبالغة من الواهب الذي يجود بالعطايا والنّوال، ويتفضل بالنِّعم على عباده من غير استحقاق.

والرزاق: مبالغة من رازق، دلالة إفاضته سبحانه على عباده بسعة الرزق وكثرته، والرزق: هو كل ما ينتفع به ماديًّا ومعنويًّا.

إذن الفرق بين (الوهّاب) و (الرزاق) وكلها من الله بغير استحقاق ولا عوض، بل هو المحسن المتفضل:

- قيل: الهبة غالبًا ما تأتي من غير ألم أو ضرر.
- أما الرزق فلا بد من بذل جهد وسعي.

والهبة كالهدية يهبها الله ويعطيها لعبده المؤمن تفضلًا منه وكرمًا؛ لذلك لا نجد لفظ الهبة في القرآن إلا مرتبطًا بأهل الإيمان، إلا في آية واحدة في سورة الشورى (٤٩): ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ وقد جاءت هذه الآية عامة، ولكن الخطاب فيها للمؤمنين.

أما عندما أشار إلى غيرهم قال: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٨٥] وهذا يؤكد أن الهبة إنما تكون للمؤمن؛ فابن المؤمن -في الغالب- ولد صالح يدعو له، بارٌّ به، نافع له في الدنيا والآخرة، ما لا يتحقق ذلك في أبناء الكفار.

فالابن الصالح هبة من الله للأب المؤمن، أما الابن غير الصالح فقد يكون عدوًّا لا هبة قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وهذا إذا كان عائقًا له عن الصلاح وأعمال الخير.

أما الرزق: فهو عام شامل لكل مخلوق، ويدخل فيه كل أنواع الرزق حلالًا كان أو حرامًا؛ فالله يهب المؤمن ويرزقه وكلما شكر زاده، ويرزق الكافر رحمة منه بعباده رحمة عامة، فهو يعولهم جميعًا، وقد يُغدق عليه استدراجًا؛ فكلما زادت ذنوبه زاده في الرزق استدراجا وإمهالًا:

- ورزق الكافر مقصور على دنياه، ورزق المؤمن ممتد للآخرة.

والمتين: من الشدة فهو سبحانه:
- شديد البطش.
- شديد القوة.
- بالغ القدرة.
* * *

[الرؤوف ﷻ]

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٧].
قيل: الرأفة أعلى مراتب الرحمة؛ فالله تعالى رؤوف بعباده كلهم:
- يخرجهم من الظلمات.
- يدلهم على طريق الجنات.
- يحذرهم مما يضرهم.
- يرغبهم فيما ينفعهم.
- يرأف بهم ولا يُحَمّلهم ما لا يطيقون.
* * *

[الحي القيوم ﷻ]

* قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].
الحي: هو الذي له الحياة الكاملة التي لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال، ولا يعتريها سهو ولا نوم ولا نعاس سبحانه جل شأنه!
- فهو الحي بكمال علمه وسمعه وبصره وقدرته وجميع صفات كماله.
- وهو الحي الذي يمنح الحياة لمن شاء من خلقه، وأن حياة الأحياء كلهم به.
القيوم: صيغة مبالغة من (قائم) تدل على كمال القيام:
- فهو القائم بنفسه سبحانه لا يحتاج إلى أحد من خلقه غني عنهم.
- وهو القائم بأهل السماوات والأرض وبجميع حوائجهم، وكلهم مفتقرون إليه، لا حول لهم ولا قوة إلا به سبحانه.
* * *

[الحليم ﷻ]

قال تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٩].
الحليم: هو الذي يمهل عباده، ولا يعاجلهم بالعقوبة بحكمته ورحمته، مع تمام قدرته وعلمه جل شأنه؛ فهو سبحانه يحلُم ويعافي ويرزق وينعم على ما يراه من ذنوب العباد ومساوئ أعمالهم.
* * *

[اللطيف الخبير ﷻ]

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].
الخبير:
١ - هو الذي اطّلع على ما تُكنّه الضمائر.
٢ - وهو العالم بحقائق الأمور، لا يعلم حقيقتها سواه.
٣ - وهو الخبير؛ أي: العليم بكل علم، والخبير بكل مخلوق.

اللطيف من معانيه:
١ - الرفق؛ فهو الرفيق بخلقه.
٢ - اللطف في إيصال الإحسان والبر.
٣ - الذي لَطُفَ أن يدرَك، فلا يدرك كنْه ذاته سبحانه أحد؛ فالله تعالى يراه أهل الجنة كما يرون القمر، لكن لا يدرك ذاته أحد في الدنيا ولا في الآخرة سبحانه!
٤ - الذي لا تخفى عليه دقائق الأمور.
* * *

[الفتاح ﷻ]
* قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].
الفتاح: صيغة مبالغة من كثرة الفتح، وشدة الفتح مهما استعصى، والمعنى في حق الله تعالى:
١ - الفتاح: الحاكم الذي يقضي بالعدل.
٢ - الناصر لعباده، فقد فتح لهم الفتوحات العديدة على مرّ العصور.
٣ - يفتح أبواب رحماته وخزائن رزقه الذي لا يحصى لمن شاء.
وإذا فتحها فلا ممسك لها من بعده؛ إذا فتحها على عبد فلا أحد يستطيع ها عليه: لا عين حاسد، ولا سحر ساحر، ولا كيد كائد.
٤ - والفتاح: يفتح ما استغلق، ويحل ما استشكل، والفتح يكون معنويًّا وماديًّا؛ فقد يكون الفتح بالعلم، أو بالمال، أو بالعقل والفهم والبصيرة.
* * *

[القوي ﷻ]
قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].
- هو القوى لا يغلبه غالب.
- القوي إذا انتقم وبطش أهلك.
- قوة قدرة ومنَعة؛ القادر على كل شيء.
- قوة عزة وقهر ونفاذ لأمره.
- سبحانه القوي الذي لا يطرأ عليه ضعف ولا فتور، ولا يمسه لُغُوبٌ، ولا يعتريه عجز.
* * *

[الرقيب الشهيد ﷻ]
* قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبا﴾ [الأحزاب: ٥٢].
* ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٥٥].
الرقيب: مبالغة من كثرة الرقابة ودقتها؛ فهو المطلع على كل شيء، الذي لا تخفى عليه دقائق الأمور.
والشهيد: مبالغة من كثرة الشهادة وتنوعها؛ فهي من الشهادة والاطلاع؛ فهو الذي لا يغيب عنه شي؛ فلا يتناجى اثنان إلا هو ثالثهم بعلمه شاهد عليهم.
والشهيد هو الذي يشهد للمظلوم، فينصره ولو بعد حين.
ويشهد للحق والصدق، والشاهد على خلقه بأعمالهم يوم القيامة.
* * *

[المجيد ﷻ]

قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥].
المجد في حق الله هو الكمال: في القدر والعلم، والقدرة والحكمة، والغنى والسلطان، والعزة والقهر، والجلال والجمال ... وفي كل أمر محمود.
- فالمجيد: هو صاحب الكمال في المجد والسؤدد.
المجيد في ذاته وأسمائه وصفاته.
والمجيد يجمع بين (الواسع) الذي يدل على الكثرة، وعلى (العظيم) الذي يدل على السمو والرفعة.
والمجيد: هو الذي يمجده عباده، فما من شيء إلا يسبح بحمده ويمجده.
* * *

[المحيط ﷻ]

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطا﴾ [النساء: ١٢٦].
هو المحيط: إحاطة علم بكل المعلومات:
- إحاطة قدرة على جميع المقدورات.
- إحاطة قهر على جميع المخلوقات.
- إحاطة سمعه وبصره بكل المسموعات والمبصرات.
- إحاطة رحمته وحلمه ورزقه وتدبيره بكل ما في الكون.
- إحاطته بأعمال عباده وأفعالهم وأقوالهم؛ لا تغيب عنه الخواطر والهواجس.
* * *

[المقيت ﷻ]

* قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتا﴾ [النساء: ٨٥].
المُقِيت:
١ - الذي يوصل القوت لعباده، وما تقوم به أبدانهم وأرواحهم من الطعام والشراب والصحة والعلم.
٢ - والمقيت بمعنى: المقتدر العالم بأحوال عباده؛ كما في قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتا﴾ [النساء: ٨٥].
٣ - وبمعنى: حسيب عباده وكافيهم؛ فالله تعالى هو المقيت الذي أحصى خلقه عددًا، ولم ينسَ في رزقهم أحدًا: لا الحوت في البحر، ولا الدود في الصخر، ولا أي كائن في الجو والبحر والبر.
* * *

[المولى الولي النصير ﷻ]

* قال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].
* ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٩].
الولي والمولى لهما معان عدة:
١ - الولي: هو المتولي أمر جميع خلقه.
٢ - الولي: خلاف العدو فهو النصير لأوليائه.
٣ - الولي: من (الوْلي) -بسكون اللام- وهو القُرب؛ فهو المحب القريب من أوليائه.
٤ - المولى: هو الناصر والمعين.

ولله تعالى ولاية عامة وخاصة:
- فالعامة: هي كونه تعالى القائم بتدبير شؤون جميع الكون وما فيه.
- والخاصة: هي ولايته للمؤمنين بالمحبة والقُرب والتوفيق والنصر والتأييد.
والنصير: هو المؤيد والمعين:
- ينصر من يشاء على من يشاء.
- وهو الذي ينصر أولياءه في الدنيا، ويوفقهم لما فيه فوزهم في الآخرة.
* * *

[العظيم ﷻ]

* قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤].
التعظيم: هو التبجيل والاحترام.
والمعنى في حق الله تعالى: الذي له الكبرياء والعظمة:
- عظمته وعلو قدره وسلطانه.
- وعظمة ذاته وأسمائه وصفاته، فكلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة وجلال.
- ومن مستلزمات عظمته سبحانه:
- تمام القدرة: فلا يعجزه شيء.
- تمام السلطان: فكل شيء تحت قهره وسلطانه.
- تمام العزة والقوة: فلا يغلبه شيء.
- تمام العلوّ: سبحانه بائن منفصل عن خلقه فلا يدركه أحد؛ فهو الأعلى والأكبر والأعظم جل في علاه.
* * *

[الحفيظ الحافظ ﷻ]

* قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧].
* ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].
١ - الحفظ: من الإحاطة والعلم بكل أحوال خلقه وأعمالهم لا يخفى عليه شيء؛ فهو الحافظ لأعمال عباده، ومحصيها عليهم فلا يضيع منها شيء.
٢ - والحافظ لعباده بتيسير سبل معيشتهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم هداية عامة وخاصة.
٣ - والمتكفل بحفظ مخلوقاته من الزوال والفناء بحسب مدة بقائها التي قدر لها.
٤ - ولله حفظ خاص لأوليائه: يحفظهم من الزيغ والضلال.
* * *

[الحفي ﷻ]

قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].
الله (الحَفِيّ) ﷻ:
هذا الاسم ذكره ابن عثيمين ، و (الحَفِيّ) له معنيان كلاهما صحيح:
١ - من الحفاوة والمبالغة في الإكرام والتلطف والتودد؛ فالله حَفِيٌّ بعباده الصالحين، حَفِيٌّ بالأوّابين لطيف ورحيم بهم.

٢ - من الاحتفاء: وهو الإلمام والعلم بالأمور كلها، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٤]. * * *

[الحق المبين ﷻ]

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

الله (الحق) ﷻ:

- هو الحق في ذاته وفي وجوده لا مِرْية ولا شك.
- وهو الحق في صفاته لا ننفي ولا نعطل شيئًا منها.
- وهو الحق في أفعاله؛ فأفعاله كلها حق، وكلها عدل وحكمة وفضل.
- وهو الإله المعبود بحق سبحانه.

ومعنى المبين في حقه تعالى:

- هو الذي ظهر لعباده بأدلته الدالة على وحدانيته.
- وظهر بأسمائه، وظهر بصفاته الواضحة المعاني، وظهر بأفعاله في خلقه.
- وهو الذي بيّن لعباده الصراط المستقيم، ودلهم على السبيل القويم؛ ففي القرآن بيان لكل ما ينفع الناس في أمر دنياهم وآخرتهم.

[معاني الأسماء الحسنى التي وردت مقترنة]

اقتران الأسماء الحسنى في ختام كل آية يزيد المعنى ثراءً، ويكشف عن جمال وكمال تلك الأسماء، ومع أن كل اسم بانفراده دالٌّ على الكمال المطلق، إلا أن الجمع بينها دالٌّ على كمال آخر.

ويحسُن بنا أن نعرّج على المعاني هنا مجردة عن سياق الآية اختصارًا، مع أن السياق يزيدها نورًا على نور، وله كتبه المخصصة المتعلقة ببيان المقتضى والأثر للأسماء المقترنة، مستخرج من سياق الآيات التي خُتمت بها.

واقتران هذه الأسماء والصفات حتى وإن كانت مجردة من سياقها، إلا أن لها دلالة التزامية تُجلّي كمال الصفات المقترنة، ولا شكَّ أن هناك أسماء وأوصافًا أُخَر لها ذات الدلالة معها، إلا أن اقترانهما يُجّلي جانبًا خفيًّا، ويُضفي عليه كمالًا إلى كمال.

[(١) الغفور وفي بعضها: الغفار]

- اقترن بستة من الأسماء والصفات، وهي: الودود، الرحيم، العفو، الشكور، الحليم، العزيز.

تكررت في كثير من الآيات، منها:

* ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].
* ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩)﴾ [الحجر: ٤٩].
* ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].
* ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢].
* ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].
* ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤)﴾ [البروج: ١٤].

الخلاصة:

أنه سبحانه الغفور، ومن كمال مغفرته ما يُوصَف به سبحانه:

- أنه غفور حليم: فصفته الحلم مع الستر والإمهال لعلَّ المذنب يستغفر فيغفر له.

- والغفور الرحيم: من عظيم مغفرته الرحمة، وإقالة العثرة لمن رفع إليه يديه راجيًا المغفرة مهما بلغت به الذنوب؛ فلا يطرد من رحمته من رجع إليه.
- وغفور شكور: فالشكر والزيادة والتفضّل بالثواب ورفعة الدرجات، فوق المغفرة والعفو.
- وعفوّ غفور: فهو صفوح فوق المغفرة وفوق ستر الذنوب؛ فيضع الأوزار ويُطهّر القلوب، فلا يؤاخذ ولا يعاقب بعد المغفرة.
- والعزيز الغفور: فالعزة والقوة على الأخذ بالذنب، ولا يفوته من يبارزه بالمعاصي، وهو مع ذلك غفور صفوح للتائبين.
- والغفور الودود: يتودّد إلى عباده بدعوتهم لأسباب المغفرة؛ فهو سبحانه يَودّ أن يغفر ويدعوهم إلى ذلك كل ليلة: «هل من مستغفر فأغفر له».
وبهذا الاقتران تتجلى جوانب المغفرة، وكما أسلفنا: فإن هناك أسماء أُخَر تشترك بعلاقة الالتزام مع هذه الأسماء؛ ككونه الحي القيوم القادر والغني، وغير ذلك؛ ولكنّ هذه الأسماء تختص بمعنى المغفرة ذاته، وتكشف عن بعض دقائقه.
* * *

[(٢) الرحيم]

اقترن بثمانية من الأسماء والصفات، وهي: الرحمن، التواب، العزيز، البَرّ، الغفور، الرؤوف، الودود، الرب.
ومن الآيات الدالة:
* ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].
* ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].
* ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].
* ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].
* ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].
* ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].
* ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)﴾ [الشعراء: ٩].
* ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].
الخلاصة:
الله تعالى رحيم، ومن كمال رحمته ما يوصف به سبحانه:
- أنه رؤوف رحيم: من رحمته أنه يتعطف على أوليائه ويطهرهم، ولا يشق عليهم، ولا يضيع أعمالهم.
- والرحمن الرحيم: دلالة على سعة الرحمة العامة وشمولها لجميع الخلق؛ فلا يهلك مع سعة رحمته إلا هالك، وخصوص رحمته لأوليائه في الدنيا والآخرة.
- والتواب الرحيم: دلالة على رحمته الخاصة بأوليائه في كونه يوفّقهم للتوبة ويتقبلها منهم.
- ورحيم ودود: فهو الذي يتودّد إلى عباده برحمته لهم، ويفتح لهم أبوابها الواسعة إن لجأوا إليه.
- والغفور الرحيم: كذلك من رحمته: كثرة المغفرة والستر على المذنب؛ فمن أتاه راجيًا مغفرته فارًّا من مسببات غضبه آواه، وأتاه، وتلقاه برحمته: «وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيتُهُ هَرْوَلَةً» مسلم (٢٦٧٥)، البخاري (٧٤٠٥).

- و أنه الرّب الرحيم: دلالة على أن مِنْ لزوم رحمته: تربيته لعباده بنعمه وأفضاله، وبالعكس: فمِنْ لزوم ربوبيته: رحمته لعباده وتربيته لهم وتدبير شؤونهم.
- والعزيز الرحيم: ورحمته مستلزمة للعزة والقوة؛ فيرحم من يشاء، وينتقم ممن يشاء.
وبذلك تتكشف العديد من المعاني الكامنة الثرية، التي ما كانت لتظهر للعباد لولا ذلك الاقتران المبارك.
- والبَرّ الرحيم: فمن رحمته الخاصة: أنه يُغدق عليهم من صنوف البر والإحسان والفضل؛ من هداية لخير، وحماية من شر.
* * *
[(٣) العزيز]
اقترن بثمانية من الأسماء، وهي: الرحيم، الحكيم، العليم، الحميد، الوهاب، الغفار، الغفور، القوي.
ومن الآيات الدالة:
* ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].
* ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].
* ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦)﴾ [هود: ٦٦].
* ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩].
* ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].
* ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩)﴾ [٩].
* ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦)﴾ [٦٦].
* ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].
الخلاصة:
ومن كمال عزته ما يوصف به سبحانه أنه:
- العزيز الحكيم: وعزّته سبحانه مقرونة بالحكمة؛ فهو الحكيم في أقواله وأفعاله، لا يلحقها العيب والخطأ.
- العزيز العليم: وبالعلم؛ فليست تلك القوة العمياء التي تضرب وتبطش بغير علم للظالم من المظلوم، والحق من الباطل كما هو عند المخلوقين.
- القوي العزيز: هو العزيز السلطان والقوة؛ فينتقم ممن عصاه، فلا غالب له ولا رادّ لأمره.
- العزيزالرحيم: فعزّته مقرونة بالرحمة؛ فليست تلك القوة الباطشة التي نراها في الظّلَمة من المخلوقين، فهو يرحم من يستحق الرحمة والمغفرة، ويأخذ من يستحق الأخذ.
- العزيز الحميد: فعزته وكل صفاته صفات كمال تستحق الحمد؛ فهو الحميد لا يلحقه ذم ولا نقص، ولا يحصل في أفعاله الخطأ والخلل والظلم والمحاباة، وكل من في السموات والأرض مسبّح بحمده.
وبذلك تتجلى جوانب عزته سبحانه، وتتبين دقائق لم تكن لتظهر معانيها واضحة جلية لولا ذلك الاقتران المبارك.

- العزيز الوهاب: فبعزته وقدرته يوصل رحمته ومواهبه لمن يريد لا يمنعه عنه مانع، ولا يحجب إحسانه أحدٌ.
- العزيز الغفور: ومقرونة بالمغفرة وستر الذنوب لمن تاب وأناب.
* * *

[(٤) الحكيم]

اقترن بستة أسماء وصفات، وهي: العزيز، العليم، الخبير، الواسع، التواب، الحميد.

ومن الآيات الدالة:

* ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)﴾ [البقرة: ٣٢].
* ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].
* ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠)﴾ [النساء: ١٣٠].
* ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨)﴾ [الأنعام: ١٨].
* ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ [النور: ١٠].
* ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

الخلاصة:

الله الحكيم، وله الحكم؛ فهو الحاكم على خلقه، وهو الحكيم في أفعاله وأقواله، ومن كمال حكمته وحُكمه أنه:

- العليم الحكيم: فحكمته مقرونة بالعلم والإحاطة بجميع الأمور ودقائقها وملابساتها، وحُكمه صادر عن علم واسع محيط بجميع خلقه.
- وهو العزيز الحكيم: في حُكمه وفي حكمته في جميع خلقه؛ لا معقب لحكمه، ولا رادَّ لأمره.
- وواسع حكيم: فحكمته شاملة؛ فلا يصدر عنه قول أو فعل كوني أو شرعي -جل في علاه- إلا بحِكمة، وحُكمه وسلطانه وسع جميع خلقه.
- وهو الحكيم الخبير: فهو الخبير في حُكمه وفي حِكمته؛ فليست عن عشوائية ولا تجارب تخطئ وتصيب كما هو حال المخلوقين.
- وهو تواب حكيم: في توفيقه سبحانه للتوبة وقبولها من عبده، وإمهاله حتى يتوب؛ كل ذلك عن حِكمة وتدبير.
- وحكيم حميد: أي المحمود في حُكمه؛ فلا يلحقه الفساد والنقص، فكله عدل وفضل، والمحمود في حِكمته؛ فكلها صلاح للعباد.

[(٥) الخبير]

اقترن بأربعة أسماء وصفات، وهي: الحكيم، اللطيف، العليم، البصير.

ومن الآيات الدالة:

* ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨)﴾ [الأنعام: ١٨].
* ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ [الأنعام: ١٠٣].
* ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧)﴾ [الإسراء: ١٧].
* ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)﴾ [التحريم: ٣].

الخلاصة:

الله الخبير، ومن كمال خبرته سبحانه أنه:

- الحكيم الخبير: فخبرته ببواطن الأمور في جميع خلقه مقرونة بالحكمة والحكم والصواب؛ فليس بحاجة إلى مستشار ومعين سبحانه! وبحكمته يكشف الأمر -إن شاء- لخلقه أو يخفيه، وينسخ الحكم أو يثبته.
- اللطيف الخبير: وبخبرته يلطُف بعباده بعلمه وإحاطته بكل ما دَقّ وخفي من بواطن الأمور، وبخبرته وخَفِيّ ألطافه يوصل لعباده ما يصلحهم وينفعهم.
- خبير بصير: ببصره وبصيرته سبحانه وخبرته، لا يفوته شيء من أعمال خلقه؛ فيعاقب ويثيب، ويرفع ويخفض ببصيرته وخبرته التي لا يعتريها الخطأ والنسيان والجهل والنقص، ﷻ!
- العليم الخبير: له العلم المطلق المحيط بكل الأمور، كبيرها وصغيرها ظاهرها وباطنها؛ فعلمه وخبرته عمّت جميع الموجودات مما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، سبحانه جل في علاه!

* * *

[(٦) الكبير]

اقترن باسمين، وهما: المتعالي والعلي.
ومن الآيات الدالة:
* ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].
* ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].
الخلاصة:
الله الكبير في ذاته وصفاته، ومن كماله ﷻ أنه:
- العلي الكبير: فكل ما دونه متصاغر متذلل له مقهورون تحت عظمته، وله العلو والتعظيم والإجلال.
- الكبير المتعال: الكبير في ذاته وصفاته وأفعاله، عال الشأن عزيز السلطان، المستعلي على كل شيء، والمترفّع والمنزّه عن كل نقص، وعن صفات المخلوقين وافتراء الكفار وأهل الشرك.

* * *

[(٧) العلي]

وكما في اسم (الكبير) فإن اسم (العلي) اقترن باسمي العظيم، والكبير.
ومن الآيات الدالة:
* ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].
* ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)﴾ [الشورى: ٤].
فاجتمع كمال العلو مع كمال الكبرياء وكمال العظمة؛ مما يوقع الهيبة في القلوب والإجلال مع الخوف والتذلل والانصياع لأمره وإرادته.

* * *

[(٨) السميع]

اقترن بثلاثة أسماء، وهي: البصير، والعليم، والقريب.
ومن الآيات الدالة:

* ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].
* ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾ [الإسراء: ١].
* ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

الخلاصة:

الله السميع، والسمع صفة ذاتية، ومنه كذلك الإجابة صفة فعلية، ومن كمال سمعه وإجابته أنه:

- السميع العليم: فقد أحاط علمه بجميع المسموعات، فلا يغيب عنه غائب.
- وهو السميع البصير: والبصير من البصر: صفة ذاتية، ومن البصيرة والعلم: صفة ذاتية؛ فهو الذي يسمع الأقوال ويرى الأفعال والغيب والشهادة، والظلمة والنور عنده سواء سبحانه لا إله إلا هو!
- والسميع القريب: سميع لمن يدعوه ويناجيه، قريب بعلمه وإحاطته.

* * *

[(٩) الحميد]

اقترن بخمسة أسماء وصفات، وهي: العزيز، الغني، الولي، الحكيم، المجيد.

ومن الآيات الدالة:

* ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].
* ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].
* ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤].
* ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ [فصلت: ٤٢].
* ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)﴾ [الشورى: ٢٨].

الخلاصة:

الله الحميد، وهو المحمود المنزّه في ذاته وصفاته وأفعاله، ومن كمال حمده أنه:

- حميد مجيد: حميد الصفات؛ فكلها صفات مجد وكمال.
- العزيز الحميد: فهو محمودٌ في عزته وقوته، مُنزه عن الظلم والبغي، مُنزه عن الند والنظير.
- الغني الحميد: غني عن كل ما سواه، مستوجب للحمد من جميع خلقه، وهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه.
- حكيم حميد: هو الذي يُحمَد على تمام حكمته وحُكمه وشرائعه، وأفعاله في خلقه كلها محمودة.

وهذا الاقتران مع اسم الحميد يسلط الضوء على تلازم هذا الاسم مع جميع أسمائه وصفاته؛ فهو المحمود في عزته، والمحمود في رحمته، والمحمود في ولايته، وفي كرمه، وفي حلمه، وعلمه، وفي جميع أسمائه وأوصافه وأفعاله.

- الولي الحميد: المحمود في ولايته وفي تدبيره لأمور عباده؛ فكلها صلاح ونفع.
* * *

[(١٠) الرب]
اقترن بستة أسماء وصفات، وهي: العظيم، الرحيم، الغفور، الكريم، الرحمن، الملك.
ومن الآيات الدالة:
* ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٣].
* ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].
* ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].
* ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ [الواقعة: ٧٤].
* ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].
* ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٢].
الخلاصة:
الله الرّب المُربّي جميع خلقه، وكلهم عالة عليه، ومن كمال ربوبيته أنه:
(رب العالمين الرحمن الرحيم): اقتران ربوبيته مع واسع رحمته.
- رب غفور: اقتران ربوبية الله مع مغفرته.
- رب رحيم: اقتران ربوبيته مع رحمته.
- الرب العظيم: اقتران ربوبية الله مع عظمته.
- رب كريم: اقتران ربوبيته مع كرمه.
- (رب الناس، ملك الناس): اقتران ربوبيته مع ملكه.
وهذا الاقتران المبارك مع اسم الربوبية -أيضًا- يسلّط الضوء على تلازم هذا الاسم مع جميع أسمائه؛ فهو: الرّب ذو العظمة، والرحمة، والمغفرة، والملك، وكذا باقي الصفات.
* * *

[(١١) التواب]
كثير التوبة والتوفيق لها.
اقترن باسمين تم ذكرهما آنفًا، وهما: الرحيم، الحكيم.
ومن الآيات الدالة:
* ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].
* ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ [النور: ١٠].
الخلاصة:
الله التواب الكثير التوفيق للتوبة لعباده.
- التواب الرحيم: دلالة على أنه كثير التوبة رحمة بعباده، مهما بلغت بهم الذنوب فلا يسلبهم الإيمان؛ يرحم ضعفهم، ويبيّن لهم طريق النجاة، وينظر إليهم بعين الرحمة.
- والتواب الحكيم: فتوبته لعباده مقرونة بالحكمة في توفيقه للتوبة وقبولها من عبده، وإمهاله حتى يتوب؛ كل ذلك عن حِكمة وتدبير.
* * *

[(١٢) العليم]

اقترن بتسعة أسماء وصفات سبق بيان ما اقترن منها ببعض الأسماء السابقة، نكرره لسهولة الربط:
الحكيم، السميع، العزيز، الخلاق، القدير، الخبير، الواسع، الفتاح، الحليم.
ومن الآيات الدالة:
* ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)﴾ [البقرة: ٣٢].
* ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].
* ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)﴾ [البقرة: ١٢٧].
* ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)﴾ [الأنعام: ٩٦].
* ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦)﴾ [الحجر: ٨٦].
* ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)﴾ [الحج: ٥٩].
* ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤)﴾ [الروم: ٥٤].
* ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].
* ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)﴾ [التحريم: ٣].
الخلاصة:
الله العليم، ومن كمال علمه أنه:
- العليم الحكيم: فحكمته مقرونة بالعلم وإحاطة بجميع الأمور ودقائقها وملابساتها، وحُكمه صادر عن علم واسع محيط بجميع خلقه.
- واسع عليم: واسع العلم؛ كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْما﴾ [طه: ٩٨] وهو الذي يوسّع على عباده في تشريعاته وأحكامه بعلمه بأحوالهم؛ فلا يضيّق عليهم، ويعلم من يستحق السعة، ومن يستحق الضيق من كل رزق من أرزاقه التي لا حصر لها.
- السميع العليم: فقد أحاط علمه بجميع المسموعات؛ فلا يغيب عنه غائب.
- العزيز العليم: وبالعلم، فليست تلك القوة العمياء التي تضرب وتبطش بغير علم للظالم من المظلوم، والحق من الباطل كما هو عند المخلوقين.
- الخلاق العليم: الكثير الخلق والإيجاد، وعلمه ﷻ شامل لجميع من خلق؛ يعلم أحوالهم وأفعالهم، وباطنهم وظاهرهم، ويعلم مستقرهم ومستودعهم، ثم يعيدهم كما بدأهم يوم المعاد.
- عليم حليم: وسع علمه كل خلقه، ويحلم على من عصاه وخالف أمره وهو على علم به؛ فلا يفوته ولا يُعجزه.
- العليم القدير: قرن بين سعة علمه وعظيم قدرته؛ فقدرته في خلقه عن علم وإرادة، ومشيئة لا يمتنع منها أحد: فيخلق ثم يحي ويميت بقدرته وعلمه.
- الفتاح العليم: الفتاح الذي يحكم ويقضي بعلمه؛ فلا يقضي إلا بالحق والصواب وما فيه خير العباد.

- العليم الخبير: له العلم المطلق المحيط بكل الأمور كبيرها وصغيرها ظاهرها وباطنها؛ فعلمه وخبرته عمّت كل الموجودات مما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، سبحانه جل في علاه!
* * *

[(١٣) الحليم]
اقترن بأربعة أسماء وصفات، وهي: العليم، الغفور، الغني، الشكور.
ومن الآيات الدالة:
* ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)﴾ [البقرة: ٢٢٥].
* ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)﴾ [البقرة: ٢٦٣].
* ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)﴾ [الحج: ٥٩].
﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)﴾ [التغابن: ١٧].
الخلاصة:
الله الحليم، ومن كمال حلمه أنه:
- غفور حليم: حليم يستر ويُمهل لعل المذنب أن يستغفر فيغفر له.
- غني حليم: يحلم عن العاصي المفرّط في طاعته، ويمهله ويرزقه وهو الغني عنه وعن عبادته.
- عليم حليم: وسع علمه كل خلقه وأحوالهم وأفعالهم، ويحلم على مَنْ عصاه وخالف أمره؛ وهو على علم به فلا يفوته ولا يُعجزه.
- شكور حليم: لا يعاجل بالعقوبة؛ فيقابل العاصي بحلمه، وإن تاب العبد شكر له وأثابه بأضعاف مضاعفة من الأجر.
* * *

[(١٤) الواسع]
اقترن بالعليم والحكيم:
* ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)﴾ [البقرة: ١١٥].
* ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠)﴾ [النساء: ١٣٠].
الخلاصة:
ومما يوصف به سبحانه أنه:
- واسع عليم: واسع العلم؛ كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْما﴾ [طه: ٩٨] وهو الذي يوسّع على عباده في تشريعاته وأحكامه بعلمه بأحوالهم؛ فلا يضيّق عليهم، ويعلم من يستحق السعة، ومن يستحق الضيق من كل رزق من أرزاقه التي لا حصر لها.
- واسع حكيم: فحكمته شاملة؛ فلا يصدر عنه قول أو فعل كوني أو شرعي -جل في علاه- إلا بحِكمة، وحُكمه وسلطانه وسع جميع خلقه.
فهو الواسع، ومن كمال سعته: أنها تستلزم جميع صفاته؛ فهو: واسع العلم، واسع المغفرة، واسع الرحمة، والكرم، والعظمة، والعزة، والهيمنة، والغنى، والسلطان، والملك، والقدرة ...
* * *

[(١٥) القريب]
اقترن بالسميع والمجيب:
* قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١)﴾ [هود: ٦١].
* ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)﴾ [سبأ: ٥٠].
وهذا الاقتران يكشف عن رحمة الله بعباده؛ فهو القريب بإحاطته وعلمه، يسمع مناجاة العبد وأنين المكلوم، ويجيب الداعي وينصر المظلوم.
* * *

[(١٦) الواحد]
اقترن بالقهار في ست آيات، منها:
* ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩)﴾ [يوسف: ٣٩].
وهذا الاقتران يبين أنه الواحد الذي لا شريك له، ولا نظير له في ذاته وصفاته وأفعاله، القاهر لجميع خلقه؛ جميعهم تحت إرادته ومشيئته لا يخرج عن قهره أحد.
فمن لوازم قهره: توحيده جل وعلا؛ إذ لو كان معه غيره لتنازع معه سبحانه لا إله إلا هو!
* * *

[(١٧) الحي]
اقترن بالقيوم في ثلاث آيات، منها:
* آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
فكمال حياته وكمال قيُّوميَّتِه يدل على لزومهما مع سائر الأسماء والصفات؛ فهو حي عليم، حي سميع، حي بصير، حيّ قدير ... إلى آخر صفاته الذاتية والفعلية.
حيٌّ قائم بنفسه: لا يتغّير عليه حال.
دائم سبحانه لا يعتريه فناء ولا زوال.
غني عن كل شيء مطلق الكمال.
قائم بشؤون خلقه، وهم بغيره لا شيء.
فبه قام كل شيء .. سبحانه، قُم إليه .. يقم عليك!
* * *

باب أسماء اليوم الآخر في القرن الكريم

أسماء اليوم الآخر

هذا اليومُ الرهيبُ الْمُفزِعُ الذي يَشِيبُ له الوليدُ، وتَذهَلُ المُرضِعةُ عن مولودِها، أخبرَ عنه اللهُ تعالى بأسماءٍ عدةٍ في القرآنِ الكريمِ، وكثرةُ الأسماءِ دلالةٌ على عِظَمِ المُسمَّى، وأشهرُ هذه الأسماءِ:
١ - (يومُ القيامة) قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].
سُمِّيَ بذلك:
- لطولِ قيامِ الخلْقِ فيه بين يدَيِ ربِّ العالمين.

- ويقوم الملائكة والروح فيه صفًّا.
- ويقوم فيه الأشهاد للشهادة.
- ويقوم فيه العدل والقسط.

٢ - (يومُ البعثِ) سُمِّيَ بذلك؛ لبعثِ الموْتَى فيه من القبورِ؛ قال ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦].

٣ - (يومُ الدينِ) أي: يومُ الجزاءِ واستيفاءِ الحقوقِ؛ ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢].

٤ - (يومُ الفصلِ) سُمِّي بذلك؛ لأنَّ اللهَ تعالى يَفصلُ فيه بين أهل الجنة وأهل النار، ويفصل في الحكم والقضاء بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، ويظهر حال كل أحد كما هو؛ فيفصل بين المحسن والمسيء: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠].

٥ - (اليومُ الآخرُ) سُمِّي بذلك؛ لأنه آخرُ الأيامِ فلا يومَ بعدَه؛ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

فالمعنى: يوم ابتداء الخلود أو الإعلام به، وقد يكون يوم الخلود هو يوم دخول الجنة أو النار بعد الفراغ من الحساب.

٦ - (يومُ الخروجِ) سُمِّي بذلك؛ لخروجِ الخلائقِ من القبورِ للحسابِ؛ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢].

٧ - (يومُ الخلودِ) سُمِّي بذلك؛ لأنَّ الناسَ بعده مآلُهم إلى الخلودِ الدائم، حيث يُقال: يا أهلَ الجنةِ، خلودٌ فلا موتَ! ويا أهلَ النارِ، خلودٌ فلا موتَ! ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤].

٨ - (يومُ الحسرةِ) قيل له يوم الحسرة؛ لشدة ندم الكفار فيه على ما كان منهم من التفريط، ولأنهم حين يرون بيوتهم في الجنة وما أبدلهم الله بها من بيوت في النار، تأخذهم الحسرة والندامة.

وقد يندم فيه المؤمنون على ما كان منهم من التقصير؛ ففي الحديث: «ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها، إلا حَسِر عليها يوم القيامة» حسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٢٠).

وقال الحسن: (تعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمره؛ فأي ساعة لم يحدث فيها خيرًا تتقطّع نفسه عليها حسرات). انظر: التبصرة (١/ ٣٣١)، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

٩ - (يومُ الحسابِ) سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ الله يُحصِي فيه أعمالَ الخلائقِ ويُحاسِبُهم عليها، ويُعدِّدُ نِعَمَه عليهم، فيومئذٍ يظهرُ الكافرُ من الشاكرِ؛ ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [٥٣].

١٠ - (يومُ الجمعِ) سُمِّيَ بذلك: لأنَّ اللهَ تعالى يجمعُ فيه الخلائقَ أوّلهم وآخرهم على صعيد واحد في أرضِ المحشَرِ للحسابِ؛ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩].

١١ - (يومُ الآزفةِ) سُمِّيَ بالآزفةِ -أي: القريبةُ- وذلك لاقترابِها وقربِ وقوعها؛ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

١٢ - (يومُ الوَعيدِ) سُمِّيَ بذلك؛ لتحقُّقِ ما توعّدَ اللهُ به العصاة من عذابٍ؛ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠].

١٣ - (يومُ التَّنادِ) سُمِّيَ بذلك؛ لكثرةِ ما يكونُ فيه من نداءٍ، فكلٌّ ينادَى باسمِه للحسابِ، وأصحابُ الجنةِ يُنادُون أصحابَ النارِ: (أنْ هل وجدتُّم ما وعدَ ربُّكم حقًّا)، وأصحابُ النارِ

يُنادُون أصحابَ الجنةِ: (أنْ أفيضُوا علينا من الماءِ أو مِمَّا رزَقَكم اللهُ) وأصحابُ الأعرافِ يُنادون، ويُنادى على كل أمة بإمامِهم ... ﴿وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢].

١٤ - (يومُ التلاقِ) سُمِّيَ بذلك؛ لأنه يومٌ يلتقي فيه المخلوق بالخالق، وأهلُ السماوات بأهلِ الأرضِ، والأوَّلون بالآخِرين، والظالِمُ بالمظلومِ ... ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

١٥ - (يومُ التغابُنِ) مِنْ الغَبْنِ: وهو فَوْتُ الحظِّ والتقصيرُ في نيْلِه؛ ففيه يَغبِنُ المؤمنُ نفسَه بتقصيرِه في الإحسانِ وفواتِ حظِّه من الرِّفعةِ، ويُغبَنُ كلُّ كافرٍ بتركِه الإيمانَ وفواتِ حظِّه من الجنة؛ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

١٦ - (الساعة) سُميت بذلك؛ لقربِ وقوعها، ولأنَّها تأتي بغتةً فتفجأ الناس في ساعةٍ لا يعلمها إلا الله؛ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

١٧ - (القارعة) سُميت بذلك؛ لأنَّها تَقرَعُ القلوبَ بأهوالِها؛ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤].

١٨ - (الطامَّة الكبرى) الطامَّةُ عند العربِ: هي الدَّاهيةُ ومُصيبةُ المصائبِ؛ لأنَّها تطُمُّ كلَّ شيءٍ بهولِها؛ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤].

١٩ - (الغاشية) سُميتْ بذلك؛ لأنَّها تغشَى الناسَ بهوْلِها وفزَعِها؛ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١].

٢٠ - (الصاخَّة) سُميت بذلك؛ لأنها تَصُخُّ الآذانَ وتصُمُّها بصوتِها المفزِعِ -وهو النفخُ في الصورِ من توابع يوم القيامة- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣].

٢١ - (الحاقة) سُميتْ بذلك؛ لأنَّها أحَقَّتْ بأمر الله وأوجبت لكلِّ عاملٍ عملَه، ويتحقق فيها الوعد والوعيد؛ وهي الحاقة أي الحاصلة والكائنة واجبة الوقوع ولا ريب ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٣]. وانظر المزيد في مفردة (حاق).

٢٢ - (الواقعة) سُميت بذلك؛ لتحقُّقِ وقوعِها؛ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥].

باب أسماء النار في القرآن الكريم

[أسماء النار]

تعدّد ذكر النار في القرآن الكريم، وتعددت مُسَمّياتها؛ فمن ذلك:

١ - قال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠].

(النار): وهو الاسم العام، ونار الآخرة لا تشابه نار الدنيا إلا في الأسماء؛ قال رسول الله ﷺ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» صحيح البخاري (٣٢٦٥).

وفي رواية: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد» رواه أحمد وصححه الألباني وقال: صحيح على شرط الشيخين (٢/ ٢٤٤).

ونار الآخرة تَسْمع وتُبْصر وتتكلم؛ ففي الحديث: «يخرج عنق من النار يوم القيامة، لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق؛ يقول: إني وكّلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين» الأحاديث الصحيحة (٥١٢).

٢ - ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصا﴾ [النساء: ١٢١].

(جهنم) قيل: هي البئر البعيدة القعر.

٣ - ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴾ [المعارج: ١٥].
(لظى): من شدة اللهب وارتفاع ألسِنته وانتشار شرره؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢].
٤ - ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤].
(الحُطَمَة): يحطم بعضها بعضًا، وتحطم ما يلقى فيها.
٥ - ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].
[السعير]
هي النار المتأججة دائمة الاشتعال لا تنطفئ؛ ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢] أي: تأججت.
٦ - ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].
(سَقَر): لشدة الحرارة؛ تقول العرب: (سقَرَته الشمسُ) أي: لوحته وشوَته؛ فهي تشوي الأجسام من شدة حرارتها، وتذيب وتهلك ما يلقى فيها؛ لذلك قال تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨] ثم تعود فيها الأبدان كما كانت، وهكذا مدى عذاب الخلود عياذًا بالله!
٧ - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠].
(الجحيم): النّارُ الشديدة التَأَجُّج والالتِهاب؛ تقول العرب: (جَحَمَت النَّار) إذا اضطرمت.
٨ - ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩].
(الهاوية): لبعد قعرها، وطول هَوِيّ من يُلقى فيها؛ فلا يدرك نهايتها.
٩ - قال تعالى: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].
(عذاب الحريق): من شدة الاحتراق.
- أما ما جاء في وِدْيان جهنم وليس فيها دليل ثابت، فقد ذكرها كثير من المفسرين، ووردت فيها آثار موقوفة لا تثبت:
١ - غيّا: قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].
(غيّا) من الخسران والغواية، والمعنى: يلقون شرًّا وانحرافًا وضلالًا عن طريق الجنة، كما ضلوا عن طريق الهدى في الدنيا. وقيل: اسم واد في جهنم جزاءً لهؤلاء الغاوين.
٢ - ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩].
(وَيْل): والويل جاء من الوعيد بالهلاك الشديد. وقيل: واد في جهنم جعله الله للمكذبين المعاندين.
٣ - ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢].
(مَوْبِقًا): مشتق من الوبوق، وهو الهلاك، و (أوبقَه): أي أهلكه؛ والمعنى: جعلنا بينهم حاجزًا مُهلكًا. قيل: هو اسم وَادٍ عميق في جهنم يفصل بين أهل الضلالة وشركائهم.
٤ - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].
(أثامًا) والآثام: هي العقوبة جزاء الإثم، وقيل: واد في جهنم.

باب أسماء الجنة في القرآن الكريم ١ - (جنات عدن)

أسماء الجنة

تعدّد ذكر الجنة في القرآن الكريم، وتعددت مُسَمّياتها، وقد أفاد العلماء بأن ذلك راجع إلى: اختلاف الجنان ودرجاتها.

ومعنى (جنة) من الستر؛ أي: البستان المحفوف والمغطى بالأشجار.

وأعلى درجة في الجنة هي الوسيلة؛ وفي الصحيح: قال النبي ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ؛ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» صحيح مسلم (٣٨٤)، ومعاني أسماء الجنان كما وردت في القرآن الكريم:

١ - (جنات عدن): ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، ومعنى العدن: الإقامة؛ تقول العرب: (عدَن الرجل في الموضع) إذا أقام فيه.

٢ - (جنات الفردوس): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، والفردوس: هو البستان الواسع الحَسن، وجمعه: فراديس.

٣ - (جنات المأوى): ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩]، والمأوى: هو المكان والمنزل، وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان للاستكنان والراحة؛ فجنة المأوى مكان لا تجد فيه إلا الراحة الأبدية، والسكينة النفسية.

٤ - (مقعد صدق): ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]، ومقعد صدق: مجلس حق الذي وعدهم الله به، ومقعد دائم ثابت لا يتحولون عنه.

٥ - (دار السلام): ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع، ولا يشوبها ما يعكر تلك السلامة من خوف أو مرض أو حُزْن.

٦ - (طوبى): ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩]، وطوبى: من: الخير الكثير، والمكان الطيب، وقرة العين والكرامة. واللفظ يعم كل ما تطيب له نفوسهم وأبدانهم وأسماعهم وأبصارهم وهو الجنة، ويدخل في المعنى أنها اسم شجرة في الجنة، كما ورد في الحديث: «طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» حسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٩١٨).

٧ - (دار المقامة): ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥]، دَارُ الْإِقَامَةِ الدائمة الَّتِي لَا انتقال عنها وَلَا تَحَوُّلَ، واللفظ يشير إلى معنيين:

-الأول: الإقامة بمعنى: السكن والمكان والمستقر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب: ١٣] أي: لا مكان لكم بيننا.

-الثاني: المقام بمعنى: الدوام؛ كما في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١] مقيم؛ أي: دائم.

٨ - (جنة نعيم): ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج: ٣٨]، والنعيم: ضد البئيس، وهو: كل ما يُدْخل على النفس المتعة والحبور؛ من كثرة الإنعام الذي يغمرهم ربهم به، وما يجدون من العيش الناعم الذي تسري في أبدانهم نضرتُه.

٩ - (مقام أمين): ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]، ومعنى مقام أمين: مكان مأمون أمنوا فيه من الغِيَر والحوادث وكل ما يَقِضّ أمنهم وراحتهم؛ فلا خوف عليهم من أي وجه .. لا خوف من مرض، ولا خوف من موت، ولا خوف من عدو، ولا خوف من تلك المصائب المتنوعة التي كم زعزعت وأقضّت المضاجع في الدنيا.
١٠ - (الحسنى): ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]، ومعنى الحسنى: من الحسن والبهاء والجمال، قد بلغت من الحسن أقصاه.
١١ - (جنة الخلد): ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ [الفرقان: ١٥]، خلود دائم في متاع متجدد لا ينقطع.
١٢ - (الغُرْفَة): ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].
﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].
سميت غُرْفَة؛ لارتفاعها وتعدد درجاتها.
١٣ - (دار المتقين): ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]، والمتقون: هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية، فابتعدوا عن الشرك وسائر المعاصي.

الخاتمة

[الخاتمة]

وبعد أن تقلّبنا في رياض هذا الكتاب الكريم ومعانيه النافعة، ونهلنا من أنواره الساطعة، وعرّجنا على بعض قطوفه اليانعة التي بلغت قرابة ثمانمائة عنوان، ما بين: مفردة، وجملة، وشبه جملة، وحرف؛ فعدد آيات كتاب الله ستة آلاف ومئتان وستٌّ وثلاثون آية، والآيات التي تَطَلَّب البحث عنها وتوضيح معانيها لا تمثل -تقريبًا- إلا ثلاثة عشر بالمئة من مجموع الآيات.
أي إن سبعة وثمانين بالمائة منها لا يحتاج -في غالب الأمر- إلى بيان، وهو مصداقٌ لما تكرر من قوله تعالى في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ فمعظم آيات كتاب الله واضحة جليَّة لمن أراد أن يتدبر ويتفهم معانيه وما أريد به.
فأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث، ويجعله معينًا على تدبر معانيه والعمل بما يقتضيه.